أنور الجندي



٢

الفتح - محب الدين الخطيب

١٩٢٦ - ١٩٤٨

توزيع
دار الأنصار.
٨١ شارع البستان خاصية شارع الجمهورية
عابدين ت ٩٣٦٥٨١



الفهرس

صفحة

صفحة

الباب الأول

مجلة الفتح : السيد محب الدين الخطيب

الفصـــــل الأول : مجلة الفتح (عرض عام لخطة الفتح وأهدافها)

الفصــــل الثانى : الدعوة الاسلامية منهج الفتح وأيدلوجيته

مجـــلة الفتـــح

أصدرها السيد محب الدين الخطيب فى ذى القعدة ١٣٤٤ (يونيــة ١٩٢٦) واستمرت حتى عام ١٣٦٦ (١٩٤٧) فى مدى اثنين وعشرين عاما وقد صدرت فى خلال هذه الفترة شهرية ثم اسبوعية ثم شهرية فى الفترة الأخيرة وتولى رئاسة تحريرها فى العامين الأولين الشيخ عبد الباقى سرور نعيم ثم تولاها السيد محب الدين الخطيب حتى توقفت وقد شـــهدت خلال هذه الفترة الطويلة عديدا من أحداث العالم الاسلامى والبـــلاد العربية فشاركت فيها مشاركة فعلية واولت اهتمامها الى قضايا الأقطـــار الاسلامية فقدمت الى قرائها فصولا ضافية عن المسلمين فى الصين والهند وجاوة (أندونيسيا) وحاورت أهل هذه الأقطار فى قضاياهم ومشـــاكلهم ومتاعبهم والتحديات التى يواجهونها من الاســـتعمار والنفوذ الأجنبى ، كذلك فقد أولت اهتماما واســـعا للبلاد العربية وخاصة المغرب العربى (ليبيا وتونس والجزائر ومراكش) وشاركت فى قضاياها وتحدياتها ونشرت العديد من كتابات أهل تلك الأقطار عن موقف الاستعمار الفرنسى ومحاولاته الخطيرة فى تونس بتجنيس المسلمين او فى مراكش باصدار الظهير البربرى الذى يفصل البربر عن العرب فى مدارس ومحاكم خاصة وذلك للقضاء على الوحدة الاسلامية الفكرية القائمة بين المسلمين فى هذه البلاد وقد حاربت الفتح فى هذا المجال واحتملت المصادرة والمنع وعملت على ايصال رسالتها تحت عناوين أخرى غير الفتح ، وكانت هذه الصحف تنقل فى باطن الأحمال التى تحملها الجمال التى تقطع الطريق الصـــحراوى بين مصر والمغرب وأعان على ذلك وجود عدد من المجاهدين المغاربة فى مصر أمثال الحبيب أبو رقيبة وعلال الفاسى والفصيل الورتلانى و ..... وكان الشيخ الخضر حسين مكافحا هاما فى معركة الفتح مع النفوذ الأجنبى فى شمال افريقيا .

ثم كانت قضية فلسطين كبرى القضايا التى واجهت الفتح سنوات طويلة وفتحت آفاقا جديدة فى ابحاثها منذ عام ١٩٣٥ (الثورة الفلسطينية) وما اتصل بهـــا من كشف مخططات الصهيونية ومن الدعوة الى الوحـــدة

العربية فى مواجهة الزحف الصهيونى على فلسطين فقد كانت بحق أعظم ما جرد له السيد محب الدين الخطيب قلمه ومعه عديد من قادة الفكر والسياسة فى هذه المرحلة الخطيرة .

والى جانب هذا الدور الهام الخطير قامت الفتح بمقاومة التغريب والغزو الفكرى والثقافى وأعمال دعاة الالحاد والتحرر الفكرى أمثال سلامة موسى وطه حسين وعلى عبد الرازق وغيرهم فى قوة عزم ومضاء كما فتحت الطريق أمام عشرات من شباب المثقفين المسلمين على طول العالم العربى وعرضه فقدمت أسماء كثيرة لمعت من بعد وأصبحت فى مكان الصدارة من أمثال : مصطفى السباعى ، ومحمود يس ، وعمر بهاء الأميرى وأحمد بلافريج (المغرب) ومحمد تقى الدين الهلالى ، وعلى أحمد باكثير ، والدكتور زكى على (حيفا) وبهجت الاثرى .

كما فضحت عديدا من المخططات الاستعمارية السياسية والثقافية ، وكان للفتح ولصاحبها الدور الأكبر فى انشاء جمعية الشبان المسلمين فى مواجهة جمعية الشبان المسيحيين وفى مواجهة الأخطار التى تعرضت لها مصر من جراء جماعة التبشير الخطيرة التى قادتها الجامعة الأمريكية وجمعية الشبان المسيحية والتى كانت سببا أساسيا فى انشاء الفتح ، وفى حشد هذا العدد الضخم من أعلام الفكر الاسلامى فى صعيد واحد لهذا الغرض ، ثم كانت جمعية الشبان المسلمين نواة لجمعيات اسلامية كثيرة فى مقدمتها جمعية الاخوان المسلمين التى ظهرت فى العام التالى لانشاء الشبان فى مدينة الاسماعيلية ، ولا ريب كان لسقوط الخلافة الاسلامية اثرها البعيد الذى فى انشاء الفتح وفى الارهاصات التى أحدثت آثارها البعيدة فى نشأة الجماعات الاسلامية والصحف الاسلامية فسرعان ما ظهرت الشبان والاخوان ، وصدرت مجلة الأزهر (نور الاسلام) ثم صدرت صحف الاخوان : النذير والتعارف والاخوان الأسبوعية فاليومية .

وصدرت مجلات أخرى عديدة .

الفصل الأول

مجلة الفتح : السيد محب الدين الخطيب

عرض تحليلى عام لأدوار المجلة من سقوط الخلافة

الى سقوط فلسطين (١٣٤٤ — ١٣٦٧) هـ — (١٩٢٦ — ١٩٤٧) م

المجلد الأول ١٣٤٤ (١٩٢٦)

كشفت مجلة الفتح فى عامها الأول عن أخطار الحركات الهدامة :

١ — حركة المبشرين وحركة الملحدين :

« الأولى تتجه نحو تحويل المسلمين عن دينهم الى النصرانية والثانية ترمى الى تجريدهم من الدين ، يقوم بالأولى جمعيات منظمة ويقوم بالثانية رجال تعلموا فى الغرب وحكموا طرق الدعاية وتمرنوا على أساليب التمويه ومن ورائهم قوم أولوا نفوذ يحمون ظهورهم ويدفعون عنهم ما يصيبهم ويرفعون من شأنهم ولا غرض لهم من وراء ذلك الا أن يفسحوا المجال لدعاة الالحاد كيما يباشرون مهمتهم » .

وأشارت الى حملة التبشير الموجهة الى بلاد العرب والتى أعلن عنها فى الصحف الغربية فى منشور وجهه مستر استندر (الجمعية العالمية الصليبية للتنصير فى العالم وبلاد الغرب) تهدف الى نشر التبشير فى بلاد العرب التى لم يدخلها التنصير بعد وسكانها من ٤ الى ١٢ مليونا لم تبلغهم دعوة الانجيل والحاجة الشديدة الى مائة مبشر يذهبون الى مجاهل بلاد العرب المهملة التىلم تبلغها الدعوة بعد » .

أما فى مصر فقد كانت هناك عشرات القضايا :

١ — كتاب الشعر الجاهلى وتصريحات طه حسين بانكار وجود الله ونبوة الأنبياء وان العلم لا يتفق مع الدين .

٢ — قضية البغاء الرسمى ومهاجمة الشيخ محمود أبو العيون لدفاعه عن الأعراض .

٣ — قضايا القبعة ، والأغانى العصرية واصلاح المحاكم الشرعية

ودعاة الالحاد فى الجامعة المصرية وجريدة السياسة وموقفها من الاسلام والكماليون وموقفهم من الاسلام .

هذا هو « الجو » الذى واجهته « الفتح » فى عامها الأول : وقد حشدت عددا كبيرا من كتاب الاسلام الذين كتبوا فى كل هذه الموضوعات وناقشوها مناقشة واسعة ، فى مقدمتهم الشيخ عبد الباقى سرور نعيم ، ومحمد حامد الفقى ، ويوسف الدجوى ، وأحمد خيرى سعيد ، ومحجوب ثابت وحسنى على الحسينى .

كما تابعت قضية طه حسين أمام النيابة وفى مجلس النواب وعرض الكتاب لموقفه من ابن خلدون ، ومن ديكارت ، كما عرضت لمواقف سلامة موسى وعنان محمود عزمى ، وهيكل ، وزكى مبارك ومنصور فهمى .

ومن ناحية أخرى كشفت عن فساد المدنية الحاضرة وعجزها عن اسعاد البشر لأنها لم تهتم بمكارم الأخلاق ولم تعمل على احترام الدين .

وأولت اهتمامها بالتاريخ الهجرى ، وضرورة العمل به ، فقالت أن التاريخ الهجرى هو تاريخ اعلان الدعوة الاسلامية واستعلائها فجدير بكل مسلم أن يضع أمام عينيه فى كل وقت هذه الحادثة المباركة التى فرق الله بها بين الحق والباطل وأن يعمل على احياء هذا التاريخ واذاعته والعمل به .

وأشار الى محاذير الكتابة غير المسئولة عن الصحابة وأوردت قول الامام أبو زرعة العراقى وهو من أجل شيوخ مسلم قوله « اذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق ، ذلك أن القرآن حق ، وما جاء به حق ، وما أدى الينا ذلك الا الصحابة فمن جرحهم فانما أراد ابطال الكتاب والسنة فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق » وعارضت الفتح مقولة على عبد الرازق بأن الاسلام دين روحانى وقالت أنه دين ومنهج حياة .

وعرضت لمؤتمر منع المسكرات المعقود فى الغرب ، وأشارت الى موقف الكتاب الغربيين المنصفين من موقعة بلاط الشهداء وهزيمة المسلمين

فيها وكيف أخرت الحضارة سبعة قرون على حد قول (كلود فارير) وهاجمت موقف تركيا من احلال القانون المدنى الغربى بديلا عن الشريعة الإسلامية ، وابطال حكم الله فى الميراث والزواج وكان أبرز الاهتمامات قضية التبشير وقضية الغاء البغاء .

المجلد الثانى ١٣٤٦ (١٩٢٧ م)

كان أبرز أعمال الفتح فى عامها الثانى : دراسة قضايا الأقطار الاسلامية .

فقالت أنه مما يؤسف له أن أكثر ما ينشر عن العالم الاسلامى مكتوب بأقلام غير المسلمين والمسلم له وجهة نظر خاصة ربما كان لها دخل كبير فى تكييف تلك الحقائق وأولت اهتمامها بكشف النقاب عن أحوال اخواننا مسلمى الكاب والناتال والترنسفال . وأخذت فى انتقاء شذرات من الأخبار اليومية عن أحوال المسلمين .

وكان أكبر أحداث العالم ظهور جمعية الشبان المسلمين التى تشكل مجلس ادارتها من : عبد الحميد سعيد ، عبد العزيز جاويش ، أحمد تيمور باشا ، محب الدين الخطيب ، محمد الخضر حسن ، أحمد ابراهيم ، محمد الغمراوى ، الدكتور أحمد الدرديرى ، على مظهر ، محمود على فضلى ، محمد الههياوى ، على شوقى .

وكان أبرز القضايا التى عالجتها قضية التبشير وأعمال جمعية الشبان المسيحية ، وتابعت حملة جريدة السياسة على الاسلام وكتابات طه حسين وصحف الهلال وعلى عبد الرازق فى الرابطة الشرقية ، كما تابعت تطورات الموقف فى تركيا وأعمال أتاتورك فى نزع الصبغة الاسلامية عن تركيا وتغريبها وقد برز فيها عدد كبير من أعلام الدعوة الاسلامية ، أمثال شكيب أرسلان ، ومولاى محمد على ، ومحمد أحمد الغمراوى ، عبد الوهاب عزام ، وعلى الجندى .

وعالجت قضايا المسلمين فى البوسنة والهرسك ، والمسلمين فى جنوب أفريقيا وأحوال الأفغان وقضايا الجزائر وفرنسا ، وجزيرة البحرين ،

وقد واجهت الفتح حملة التغريب فى قوة (وكانوا يطلقون عليهـا عبارة حزب الملاحدة) .

وواجهت سياسة التعليم فى مصر وهاجمت طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمى ومصطفى كمال أتاتورك ومحمد عبد الله عنان .

وقد أشار صاحب الفتح الى أن الغرض من نشر الفتح ليس تجاريا ولو كان الغرض تجاريا لالتمسنـاه فى ضرب آخر من ضروب الصحافة وهو الضرب الذى يوافق التيـار الحاضر ويجـد من ألوف المتصـلين ببرامج الاستعمار اقبالا لا تطمع صحيفتنا الاسلامية الا بجزء يسير منه ومع ذلك فان خطتنا أن يكون أسلوب الفتح مما تأنس به طبقات الأمة كلها .

المجلد الثالث (١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م)

اتسـع نطاق الفكرة التى حملتها الفتح وتركزت قواعدها وظهرت أقلام جديدة فى مقدمتها حسن البنا ، الذى بدأ يتحدث عن الدعوة الاسلامية وعلى من تجب : الحكومة ، النيابة ، الأغنياء والسراه ، العلماء ، كمـا تحدث عن الجهاد فى سبيل الله ، والسبيل الى اصلاح الشرق .

واصلت الفتح اهتمامها بتطور الأمور فى تركيا الكمالية وموقف مصطفى كمال من الاسـلام ، الحروف الجديدة فى تركيا (مصطفى صبرى) الآثار العربية فى قصر طوب قبو ، أقوال سكير (أتاتورك) .

بدأت الفتح تنشر كتابات الغربيين عن الاسلام : كتاب درمنجم عن الرسول ، كتابات عبد الله كوليام حديث عن وصف قرن من الاسـلام فى انجلترا وكتابات ولز عن الاسلام .

وقدمت الفتح محمد على غريب ، عبد الفتاح كيرشاه ، محمد الخضر حسين ، محمد بخيت المطيعى ، مصطفى الحمامى ، عبد المنعم خلاف ، ومن الشعراء :

صادق عرنوس ، محمد عبد المطلب ، محمود رمزى نظيم .

أناشيد جديدة لجمعية الشبان المسلمين : نشيد (ربنا اياك ندعو) للرافعى ، نشيد حافظ وأحمد محرم ومحمد عبد المطلب وشوقى ،

ووجهت الفتح نقداتها الى سلامة موسى وعلى عبد الباقى ، وطه حسين ، ومحمود عزمى .

ظهرت كتابات محمد أحمد الغمراوى (النقد التحليلى) فى الرد على الأدب الجاهلى واتسع الحديث عن الصهيونية فى فلسطين والبرنامج الصهيونى وحوادث البراق وتحدث عن انتشار الالحاد فى المدارس والجامعات والتبشير فى التعليم وتحول وزارة المعارف الى جمعية تبشيرية مسيحية ،

وتحدثت الفتح عن البهائية ، وعن مجلة الرابطة الشرقية واتجاهها التغريبى .

وفى مجال العالم الاسلامى تحدثت عن الأفغان ، والجزائر .

وعن التبشير ودور الشبان المسيحيين ، ومدارس الفرير وحوادث السودان والجامعة الأمريكية .

وفى افتتاحية المجلد الثالث قال السيد محب الدين الخطيب : نحن فى هجرة ضرب لنا هادينا الأعظم صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى الاقدام عليها استعدادا ليوم الفتح الأكبر وحسبى اغتباطا وفخرا أن يكون الفتح دليل طريق الهجرة نحو المطمح الأسمى وأن يكون يوم صدرت منذ سنتين فقد وجدت فى مكانها فراغا مملا ويأسا مميتا فصارعه وصرعه وقوى متغيرة فدعت الى توحيدها وما هى الا سنة واحدة حتى كثر عدد المهاجرين الى الله ورسوله فاشتد بهم ساعد الحق وقويت بهم قلوب أهل القافلة فسارت فى طريق الهجرة واسعة الخطا ثابتة الاقدام عظيمة الرجاء بالله عز وجل أن يجعل سنيها خالصة لوجهه الكريم. وقال ان الأقلام احتكرتها أنامل لا وفاء لأصحابها للاسلام ولا حرمة فى قلوبهم لتاريخ وأدوات النشر الكثيرة المنوعة تسمى الاسلام رجعية بلا حيطة ولا مبالاة ولا حياء وهى لا تفتأ تتخذ من ضعف أهله حجة عليه والوسائل المختلفة التى تعمل على تكوين الرأى العام فى مصر والتأثير الدائم عليه متفقة كلها بلسان الحال ان لم يكن اتفاقها بلسان المقال على خطة معينة من شأنها الابتعاد بالمسلمين عن الاسلام بشتى الأساليب .

وقال : نحن نجاهر بأن لمصر صـــورة أخرى غير هذه التى يراها الناس منعكسة فى مرآة صحافتها وبادية فى أنديتها ومدارسها وجامعاتهـا ومعنى هذا أن الامة فى نظرنا لا تزال الى خير ولكنها محتاجة الى قيادة .

وقال : أمامنا طريقان لا ثالث لهما : فاما أن نضـــع أيدينا فى أيدى بعض ونعاهد الله على أن تكون هجرتنا خالصـــة له ولهداية رســـوله ولتشريف ملته والاشـــادة بذكرها واعزاز أهلها وايقاظ مشـــاعرهم وتنبيه مواهم وتوحيدها وتوجيهها نحو المطمح الاقصى فيكتب الله لنا النصر الذى وعدنا على لسان نبيه واما أن ننصرف من اللباب الى القشور وعن المعانى الى الألفاظ وعن المقاصد الى السفاسف فنزعم الغيرة على الاسلام ونطلب من وراء ذلك .. ان الطريق طريق هجرة ولكن الأولى هجرة فى سبيل الله والحق والاصلاح أما الهجرة الثانية فهى هجرة الى الشهرة والكبرياء » .

ولا ريب أن هذه المعانى تعطى مفهوما واضحا أن السيد محب الدين الخطيب فى مقـدمة مفـكرى الاســلام الذين تنبهـوا الى أن التكاليف الاجتماعية التى جاء بها الدين لا تقل أهمية عن التقاليد الفردية فالتكاليف الموجهة الى الأمة بمجموعها هى التى تكفلت للاسلام عزه لأوطانه أمنهـا ولسلطانه استقراره بل كانت حامية للتكاليف الفردية وقائمة على خلاصها وفى مجموعها تتآلف الأنظمة الاسلامية .

المجلد الرابع (١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م)

فى هذا المجلد اتسع نطاق الصهيونية فى فلسطين وتابع الفتح هـــذه القضية متابعة سياسية واسلامية جامعـــة ، فقد تحدث عن يوم المســجد الأقصى ودماء فى فلسطين واغتيال المسجد الأقصى ومسألة البراق وبيـــان أمين الحسينى ومذابح فلسطين. كذلك فقد بدأت الفتح فى نشر كتاب اليهودى الدولى لهنرى فورد ترجمه على مظهر ، وأحاديث عن الصهيونية .

كما تحدثت عن أحوال تركيا ومواقفها من التغريب ، والجزائر وقضية التبشير البروتستانتى ، والاسلام فى مراكش ، والمســـلمين فى الفلبين ، وروسيا ومحاربة الأوثان .

ووقفت الفتح فى وجه الالحاد والتبشير ، فى مناقشـــات واســـعة ،

وأحاديث عن الجامعة الأمريكية ، وعدوان المبشرين ، وتحدث الأمير شكيب أرسلان عن أن التعليم هو الأزمة الحقيقية فى الاسلام ، وعن ضرورة تعليم الدين فى المدارس ، وتحدث الأستاذ البنا عن : هل تسير مدارسنا وراء مدارس الغرب ، وتحدث محمد فتح الله درويش عن المسلمين فى المدارس المسيحية والتبشير فى الأمة اليتيمة ، وانتهز السيد محب الدين هذه الفرصة فأعاد نشر كتاب الغارة على العالم الاسلامى .

وبرز كتاب جدد فى الفتح : مصطفى أحمد الرفاعى الذى كتب يعد ذلك بتوسع وامتداد طويل ، وأحمد عبد السلام بلافريج . وألقى عبدالرشيد ابراهيم محاضرته عن جمال الدين ، وتحدث الفتح عن ما أسماه كارثة أكثر من ضياع الأندلس وهى تسهيل شيخ الاسلام لمهمة الكاثوليكية فى تونس ، وتحدث أحمد زكى باشا عن مائة سنة على استعمار الجزائر .

هذا مع أحاديث عن الهجرة ومكتبة الاسكندرية (عبد الوهاب النجار)

ويقول السيد محب الدين الخطيب فى افتتاحية المجلد الرابع : ان هذه خطوة رابعة أخطوها أنا وهذا الجيش البدرى من اخوان الفتح المنتشرين فى أقطار الأرض من جزائر جاوة وأقصى الهند الى سيف البحر من بلاد المغرب الأقصى نقف معا نجدد العهد على نصرة الحق ثم نترك ما وراء ذلك لصاحب هذا الكون الفعال لما يريد الى توحيد الجبهة المرصوصة من أهل القبلة أدعو نفسى واخوان الفتح » .

وجاءت افتتاحية الفتح على هذا النحو :

اللهم كما شرفتنا بالانتماء الى رسالة أكمل المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم التى عمل سلفنا بنظامها وقاموا بأعبائها وتواصوا بأماناتها وسلكوا سفنها فتمت على أيديهم المعجزات وكافأتهم فجعلتهم خلفاؤك فى الأرض وكما خصصتنا بلغة العروبة سيدة اللغات التى وسعت كتاب الله وحفلت بجوامع الكلم وتبنت منذ أقدم عصورها أدق خطرات النفوس وألطف مدارك العقول وأسمى سوانح الأفكار فكانت أسبق لغات البشر تسمية لها وتعبيرا عنها وتفننا فى جمال بيانها فلم يعرف الناس لكمال هذه اللغة طفولة ولا شيخوخة .

وكما بوأتنا أقدس بقـــاع الأرض وأكملها وأجملها وأكثرها اعتدالا وأغناها بالمجد وخصب التربة وكرم المعدن وغزارة الفيض .

واللهم وكما جبرت خواطرنا بتقليص ظل الاســـتعمار الأجنبى عن أوطاننا ، (الفرنســيين من دمشـــق ، والانجليز من ثكنات قصر النيـل ، والهولنديين من أكثر جزائر اندونيسيا) وأقمت للاســـلام هذه الحـكومة الاسلامية الوليدة فى باكستان ،

اللهم فزدنا على هذه الآلاء السابغة نعمة واحدة أخرى لا أطمع لأمتى بخير منها وهى أن تؤهلنا لما انعمت به علينا فلا نكون غرباء عن الاســلام ونحن ورثته ولا أعداء للغة القرآن ونحن الناطقون بها ، بلغ بنا فســـاد الأخـلاق والعقول الى أن يقف شـــيخ الطريقة التيجانية فى عين ماضى بالجزائر فيشكر الفرنسيين على أنهم حملوا عن مســلمى المغرب أعباء السيادة والى أن يقول عدو الله غلام أحمد القاديانى : ان بريطانيــا هى حكومة مسلمى الهند الشرعية فلا جهاد على المســـلمين بعد اليوم وانما الجهاد بالدعوة وحدها لقد ضن الله تبارك وتعالى بأمة نبيه محمد صـلى الله عليه وسلم أن يسحق كابوس الاستعمار صدورها ويوردها مورد الهلكة فنشب بين دول الاستعمار هاتين الحربين العالميتين الأخيرتين وضـعف بعدهما أعداؤنا ، اذا تولينا صنع بنادقنا ومدافعنا وطائراتنا فى مصـــانع ننشئها لأنفسنا مبتدئين بالأمور من بداياتها ومستعدين لها بما يتوقف عليه من معارف وعلوم وممارسة مع الانابة الى أخلاق الاسلام واعداد القـوة التى أمر بها الاسلام وأن نرضى سنن الله التى سنها لكائناته وسنن الاسلام التى سنها الاسلام لأهله .

المجلد الخامس (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م)

أوغل الفتح فى الاهتمام بقضايا العالم الاســـلامى فأولاها اهتماما وافرا وخاصة قضايا المغرب :

ففى تونس المؤتمر الافخارســـتى الذى أطلق عليه « الحملة الصليبية التاسعة » وفى المغرب (مراكش) الظهير البربرى وبيان للأمير شكيب أرسلان وأحاديث متعددة عن العنصر البربرى ، وابطـــال العمـل بعقود البيـع

الشرعية ، وعدد خاص بذكرى الظهير البربرى ودراسات عن الاسلام فى تركيا والاسلام فى أندونيسيا ، واعتقال الزعيم عمر المختار فى طرابلس الغرب ، وأحاديث عن مسلمو الهند ، ومسلمو يوغسلافيا وعن أفغانستان وأمان الله خان وعن مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر .

أما فى مصر فأحاديث عديدة عن التغريب والغزو الثقافى ، وأحاديث عن التبشير بين البعثات الكاثوليكية ، والجامعة الأمريكية ، وأحاديث عن العروبة والفرعونية ،

ويواصل الفتح نشر كتاب الغارة على الاسلام وأحاديث للأمير شكيب أرسلان عن اخراج البربر من الاسلام وزيارته للمغرب ، وعن الحملة اللاتينية الحاضرة على الاسلام وعن الدسيسة الأجنبية على الجامعة الاسلامية باسم الوطنية المجردة وأحاديث عن سلامة موسى وزكى مبارك ومنصور فهمى ومحمود عزمى وموقفه من الاسلام الذى أثاره فى محاضرة له فى باريس ، وأحاديث لعبد الرشيد ابراهيم وخالد شلدريك عن هذه الحرب الصليبية الجديدة ، وتفاصيل عن الفوارق بين الجامعة القومية والجامعة الاسلامية وحديث للأستاذ حسن البنا عن كيفية المحافظة على القرآن الكريم وأحاديث عن الاستشراق وعن سنوك هورجزونجه المشرف على أعمال الغزو الفكرى فى جزر الملايو (جاوه وغيرها) كذلك فقد وجه الأستاذ حسن البنا خطابا الى النواب عباس العقاد وزكريا مهنا حول موقفهم من كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين ، وفيه بيان عن اقتراح الشيخ محمد قرنى عن الحد من تبرج المراة المسلمة .

كذلك فقد أولت الفتح اهتمامها بقضية فلسطين وأحاديث عن لجنة البراق الدولية فى القدس وكيف قضى على آمال اليهود فى البراق . ودفاع محمد على باشا وأحاديث ثقافية عن دسائس اليسوعيين فى اللغة (قاموس المنجد) واحتفال الشبان المسلمين بتأبين أحمد تيمور باشا ومحمد على الزعيم الهندى وكلمات عبد الحميد سعيد وقصيدة مصطفى صادق الرافعى وفى هذا اليوم صدرت مجلة نور الاسلام عن الأزهر الشريف .

ويقول السـيد محب الدين الخطيب فى افتتاحية المجلد الخامس من الفتح :

لما توكلت على الله ووطدت النفس على نشر هذه الصـحيفة قبل خمسة أعوام ، كنت أعلم أن عبئها أثقل مما يراه أهل هذه الصـناعة اذا عزم الواحد منهم على أن يزيد عدد الصحف العربية صحيفة جديدة ، ولو كنت أرى رأيهم لكنت فى غنى عن اصدار الفتح ، لأن الصحف كثيرة وتكاد تكون سواسية فى مجاراة التيار الذى يجرى فى طريقه كل ما .

كانت الصحافة فى أصل وصفها مقصودا بها الارشـاد وكان أول شرطها أن يسـتمد كتابها وأحكامهم ودعاياتهم من روح الحق ومقتضـيات المصلح وأن يعملوا على رفع الجمهور الى الذروة التى أرشـد اليها وحى الأنبياء وهدى الحكماء وتعليم المصلحين ، ولكنا ما لبثنا أن صرنا الى زمان انحصرت فيه وظيفة الصحفى بارضاء شهوات القراء والاسـتمداد من طبيعة الهوى والانحدار من المرتقى الصعب الى القرارة التى لا نحن نعلم ولا هم يعلمون أين تكون غايتها .

ما هذا الانقلاب الثائر الهادم العاصف الا أثرا من آثار العمـل التدريجى البطىء الذى قامت به صحافة تعمـل على علم وتقصـد لازالة شىء كان موجودا واحلال شىء محل شىء آخر فى محله لم يكن موجـودا وبعبارة أصرح أن هناك مؤامرة معنوية تفاهم أصحابها فيما بينهم بلسـان الحال لا بلسان المقال على تقليص ظل الاسلام من الوجود وهم يهاجمونه بأسلحة كبيرة طلى بعضها بطلاء الأزياء والجمال والذوق ، وبعضها بطلاء روح العصر الذى قال فيها أحد المحسوبين علينا أنها « نفحة الهية » هذه بعض آثار الصحافة فينا وفى تكوين عقائدنا وانما جاءت الفتح قبل خمس سنوات لتحتل مساحة صغيرة من ذلك الموضع الحالى فتطل على العـالم الاسلامى منادية بروح الاسلام وداعية الى الخير والنهضة والتجديد واقوة من الوجهة الاسلامية .

كان على هذه الصحيفة الأسبوعية أن تقف فى وجه تيار عظيم يدفعه

موجة من خلفه موج ومن بعده موج ، ظلمات بعضها فى اثر بعض وان من يتقدم لهذه المهمة الشائقة لابد أن يكون موطنا نفســه ولم يكن يخطر على بالى قط قبل خمس سنوات أن أكون انا الذى يصدر هذه الصحيفة .

قلت لأحمد باشا تيمور : توكلت على الله وذهبت الى أحياء القلعة أبحث عن منزل المرحوم الشيخ عبد الباقى سرور نعيم لأدعوه الى التعاون معى فى هذا الأمر وأعاننا تيمور باشا على أخذ امتياز الفتح ، ثم هى اليوم تطاردها ثلاث حكومات فى شـــمال أفريقيا وتطاردها أعظم الحكومات فى جنوب المملكة المصرية ، وتراقبها مكاتب اســـتخبارات فى جميـــع دول الاستعمار .

المجلد السادس (١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م)

اتسعت دائرة الجهاد فى قضايا العالم الاسلامى والاستعمار ، وقد وصلت الى الذروة :

أولا : الظهير البربرى فى مراكش ، والوحشية فى طرابلس الغرب ، وأحاديث عن صاحب السجادة الكبرى فى الجزائر ، والوقائع الدموية بين المسلمين والهنادك فى الهند ، وأحوال المسلمين فى سوربابا (جزائر الهنـــد الشرقية) ومدغشقر وتونس واضطهاد الاسلام تحت حكم هولندا وكان من أبرز أحداث اليوم المؤتمر الاسلامى فى القدس .

ثانيا : قضية التبشير التى اتســع نطاقها فى مصر والبلاد العربية ، وأحاديث عن مؤامرات الكاثوليك ، وأعمـــال المبشرين وأخطار المنجـــد ودســـائس الشـــيوعيين فى اللغة وتحذير من جمعية الالحاد فى مصر والمدارس ، وأحاديث عن الجامعة الأمريكية فى القاهرة (وطسون) .

ثالثا : بروز دعايات مبطلة للقاديانيـــة ومؤامرات للمبشرين ودعاة التغريب .

رابعا : مؤامرات التغريب عن طريق أعوانه وأحاديث عن واجـــب العالم الاسلامى ازاء ما نزل به للأســـتاذ البنا ، وأحاديث عن المؤامرة الكمالية فى تركيا .

خامسا : بروز الجمعيات الاسلامية : جمعية نشر الفضائل الاسلامية

وجمعية الهداية وجمعية مكارم الأخلاق وجمعية الاخوان المسلمين .

وهنا تتبارى تلك الأقلام الاسلامية المؤمنة وفى مقدمتها الأمير شكيب ارسلان الذى يواصل كتاباته من لوزان عن قضايا الغارة اللاتينية ، والسيد الخضر حسين ، والحسن بو عباد ومحمد تقى الدين الهلالى وأحمد مظهر انعظمه ، ومصطفى الرفاعى اللبان ، ومحمد حسن التميمى ، وحسن البنا، ومحمد عبد العليم الصديقى ، وعبد الرشيد ابراهيم ، وأحمد توفيق المدنى وعلى احمد باكثير . وأبو النصر مبشر الطرازى ، وسليمان الفدوى ،

ولقد كان كثيرا من هذه الرسائل صادرة من عواصم اسلامية ، فالطرازى يكتب من كابل عاصمة أفغانستان والهلالى من الهند ، ووصول شيخ الاسلام مصطفى صبرى الى مصر وأحاديث عن طه حسين (طريد الجامعة) فى مجلس النواب ، وأحاديث عن ترجمة القرآن ، وعن تمصير القانون المصرى ، وعن التربية الاسلامية فى معاهد التعليم ، وعن موقف الصحافة المصرية من الاسلام .

كما برزت اسماء جديدة من شباب الفكر الاسلامى خريجو دار العلوم ، عمر الدسوقى وعبد السلام هارون وعبد المنعم خلاف ومحمود محمد شاكر .

وقد نشرت الفتح صورة لجامع كنشاوه الذى تحول الى كنيسة وقد رفع الصليب على مأذنته وسمى الآن كاتدرائية (م ٦) .

كتب السيد محب الدين الخطيب افتتاحية المجلد السادس للفتح فقال :

لو كانت يدى أطول مما كان لكان أول ما احرص على اصدار (الفتح) مرتين أو ثلاثا فى الأسبوع ان لم أتمكن من جعله صحيفة يومية ، والفتح مرزوق ولله الحمد بمعونة فحول الكتاب وأبرع المراسلين فيما يعالجونه من بحوث وموضوعات ولو تمكنا من اصداره مرتين فى الأسبوع أو أكثر لصار فى صفحاته متسع لنفائس كثيرة فضلا عما فى ذلك من تحقيق لأمنية الكثير من قرائه فى أقطار متعددة بل لأمنيتى أنا وقد رتبته ست سنوات بلا انقطاع وغذيته بعصارة نفسى متوخيا له أسباب النمو ما لم تتعارض هذه الأسباب مع مبادئه التى التزمناها ولله الحمد بكل دقة وعناية .

وقال : تراكم فى ذمم هؤلاء الأفاضل من قيمة الاشتراك (بعد تخفيضه) ما جعل السفينة تنوء بأثقالها . لا يمر علينا أسبوع واحد تبلغ ما يرد علينا فيه من قيمة الاشتراكات مقدار ما ننفقه فى ذلك الأسبوع على الفتح من ورق وطبع وطوابع بريد وسائر النفقات .

أما العقبة الثانية : يقظة الحكومات الاستعمارية لهذه الصحيفة وقطعها عنا موارد الحياة ، أقطار متعددة منع الفتح من دخولها ولا يزال ممنوعا .

حكومة هولندا منعت دخول الفتح الى جميع أقطار أندونيسيا ولا نجد بلدا فى أندونيسيا الا وللفتح فيه مشتركون . أن الجرائد الأخرى تعيش من الاعلانات أو من اعانة الدعايات ، أما الاعلانات التى تكفى لحياة صحيفة فهى اعلانات بضائع الافرنج وفى مقدمتها الخمور والمراهنات والكماليات التى نحث الناس عن الاستغناء عنها أما اعانة الدعايات فالشىء الذى اخترنا الدعاية له يعين الله عليه بثواب الآخرة ولا يعين الناس عليه بثواب الدنيا فلم يبق أمامنا الا الاشتراكات .

وعلق كاتب (محمد الطيب) على هذا فقال : من بواعث الأسف ودواعى الحزن والألم أن مجلات الخلاعة والمجون والاستهتار بالآداب ومحاربة العفة والكرامات تجد اقبالا وتشجيعا من كافة الطبقات وتحصل على الأرباح الطائلة من أموال الأمة وكان عليها أن تعنى بالشئون الدينية والخلقية والعمرانية بدلا من عنايتها بالهزليات التى تنحط نسبتها الى أسفل الدركات وتهوى الى أحط الدركات بينما نجد الصحف الجدية النافعة محرومة من معونة هؤلاء جميعا .

مبادىء الفتح

- الفتح لأهل القبلة جميعا ، العالم الاسلامى وطن واحد .
- المسلمون الى خير ولكن الضعف فى القيادة .
- أنت على ثغرة من ثغور الاسلام فلا تؤتين من قبلك .
- اعمل ليراك الله وحده وتوار عن أنظار الناس .
- الفتح رسالة الأقطار الاسلامية بعضها الى بعض .
- الفتح رابطة روحية بين قرائه .

المجلد السابع (١٣٥١ — ١٩٣٣)

اولا : تابعت الفتح قضايا العالم الاسلامى مع الاستعمار وحظيت شمال أفريقيا (تونس والجزائر ومراكش) بالقدر الأكبر من الأهمية : الظهير البربرى والحملة الصليبية على شمال أفريقيا وحوادث التجنيس فى تونس .

ثانيا : التبشير والتعلم الاسلامى وأحاديث عن دنلوب ومنهجه فى المدرسة المصرية وما يتصل بالجامعة الأمريكية والطلاب المسلمون ، وكتب جديدة عن التبشير وأصول التعلم الاسلامى والقرآن ومسألة ترجمة القرآن وأحاديث عن جامعة المسجد الأقصى .

ثالثا : أحاديث عن العالم الاسلامى وتأخره ، والأمة العربية ورسالتها وأحوال المسلمين فى الصين والأفغان والهند وبلغاريا ولندن والبوشناق وموقف الأتراك من الاسلام ، وأحاديث عن السنوسية وزعيمها الأكبر والدعوة الى الاسلام فى الغرب والاسلام فى الصحف الأجنبية .

رابعا : قضايا التغريب والغزو الثقافى فى مصر وأحاديث عن البغاء الرسمى وتحريم الزنا فى القانون المصرى ، وأحاديث عن القاديانيين والأحمدية وشبهاتهم ، وأحاديث عن افلاس الشيوعية .

خامسا : قدمت الفتح أبحاثا مستفيضة بأقلام شكيب ارسلان والدكتور عبد الكريم جرمانوس وشوقى وأمين الشنقيطى وخالد شلدريك وبرناردشو وتصريحاته عن الاسلام ومساجلة بين فريد وجدى ومصطفى صبرى .

ومن كتابها وشعرائها : عبد المنعم خلاف ، ومحمد حسن التميمى ، ومحمد صادق عرنوس ومصطفى الرفاعى البنان ومحمد الهراوى وعلى الجندى ومحمد تقى الدين الهدلى . وفى هذا العام صدرت جريدة الاخوان المسلمين (اسبوعية) عن المطبعة السلفية (طنطاوى جوهرى ومحب الدين الخطيب وحسن البنا) ورأس فريد وجدى رئاسة تحرير مجلة الأزهر (نور الاسلام) .

المجلد الثامن (١٣٥٢ — ١٩٣٤)

واصلت الفتح معالجة قضايا العالم الاسلامى وقضايا التغريب والغزو الثقافى وقد اتسع أمامها المجال وظلت القضايا الكبرى كما هى :

اولا : قضايا التبشير والتعليم الغربى فى مصر والعالم العربى والتعلم فى الأزهر ومناقشة هادئة من المبشرين ، موقف المسلمين من كتب اليهود والنصارى ، والبشائر النبوية فى الكتب المقدسة وبراهين جديدة على تحريف التوراة والانجيل .

ثانيا : قضية فلسطين فى الأهمية الكبرى ومحاولة تهويد فلسطين .

ثالثا : موقف تركيا من الاسلام .

رابعا : مؤامرة القاديانية والبهائية .

خامسا : موقف الصحافة المصرية من الاسلام .

سادسا : قضايا المغرب (تونس والجزائر ومراكش) .

سابعا : قضية ترجمة القرآن .

ثامنا : المصرية الفرعونية والحديث عن مكانة مصر العربية وعروبتها .

تاسعا : الدعوة الاسلامية ، وانتشار الاسلام فى اليابان وأوربا والمؤتمر الاسلامى الأوربى والمؤتمر الاسلامى فى القدس .

عاشرا : الجماعات الاسلامية ، فى أندونيسيا ، ودور الجمعية الخيرية الاسلامية .

حادى عشر : قضايا التغريب ، والحديث عن التجديد ، والمحاكم المختلطة .

ثانى عشر : أحوال المسلمين فى شرق أفريقيا وتركستان العربية ومسلمو الهند والمجر وأحوال مسلمو يوغسلافيا والمدارس التبشيرية فى ايران .

ثالث عشر : الحضارة الاسلامية ، اللغة العربية الأدب العربى .

رابع عشر : الشريعة الاسلامية وتوحيد القضاء المصرى ، والمحاكم المختلطة .

وصدرت فى هذا العام مؤلفات اسلامية هامة : حاضر العالم الاسلامى (ترجمة عجاج نويهض) والوحى المحمدى (رشيد رضـــا) نقض مطاعن فى القرآن : الرد على طه حسين (محمـــد عرفة) الانجيـــل والصليب ، الحـــكم على البهائيـــة ، موقف الاســـلام من كتب اليهـــود والنصـــارى (مصطفى الرفاعى) .

وكتب فى هذا المجلد : محمد تقى الدين الهلالى ، شكيب ارسلان ، خالد شلدريك ، محمود شويل ، مصطفى الحمامى ، عبد الكريم جرمانوس ، على أحمد باكثير ، مناقشة عن تركيا بين شكيب أرسلان وفريد وجدى ، مصطفى الرفاعى اللبان .

وقد كتب السيد محب الدين الخطيب فى افتتاحية هذا المجلد يقول :

ظهرت هذه الصفحة الى عالم الوجود يوم لم يكن للدعوة الاسلامية صحيفة من نوعها تجمع حولها الأفئدة وتنعش العزائم .

نزلت الفتح الى الميدان لغرض سامى هو عندها أوج الأمر ومداره وركنه وعماده الا وهو الدعوة الى اتباع الرسالة التى جاء المرشد الأعظم محمد صلوات الله عليـــه وسلامه ليحمـــل عليها البشر تحقيقا لسعادتهم فى الدارين فهى فى كل ما تستحسنه وتستنكره انما تصدر عن مبدأ واحـــد وترمى الى غاية واحدة هما موالاة كل من يوالى صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ومعاداة من يتطاول على هدايته بسوء ، قريبا كان أو بعيـــدا قويا كان أم ضعيفا مستعينين فى ذلك بالله عز وجل أولا ثم بالأوفياء لهداية الاسلام من أهـــل القبلة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم لا ننظر فى ذلك الا الى الأمـــر الجامع بين المسلمين ولا يختلفون على معنى من معانيـــه وهو ما يكون به المسلم مسلما وان زمانا هوجم فيـــه هـــذا الأمر الجامع لخليق بمن اشتركوا فى أصل الاسلام أن لا تفرقهم الفروع فى ميدان الدفاع .

مهمة الفتح هى التعارف والتاليف :

أنشئت الفتح لتنبه بصائر أهـــل البصائر من قرائها الى الأغراض السامية البعيدة المدى التى ترمى للملأ رسالة سيد الخلق أكرم رسل الله

على الله صلى الله عليـــه وسلم وانشئت لتحرك فى قلوب أصحاب القلوب الحية من قرائها بواعث الهمة للعمل فى معسكر هذه الرسالة .

وقد كان من ثمارها تأسيس جمعية الشبان المسلمين التى ما لبثت ان صارت جمعية عالمية ذات فروع وشعب ، وتكاد تكون ترجمان المسلمين فى كثير من آمالهم وآلامهم واعترف لها الغرب بالمكانة والأهمية وسداد الخطا كما سجل ذلك الدكتور كيمفاير من كبار مستشرقى ألمانيا .

كما تأسست جمعية الهداية الاسلامية وأخواتها فى الشام والعراق ، واذا بموجة ثالثة من موجات اليقظـــة الاسلامية يدفعهـــا ايمان الاخوان المسلمين فى كثير من انحاء القطر فيتألف منهم صف آخر من صفوف الجهاد .

هذا واليقظة لا تزال فى بدايتها .

المجـلد التاســع (١٣٥٣ ــ ١٩٣٥)

ان مأساة فلسطين هى أعظم موضوعات هــذا المجلد فقد تناولت الأبحاث : فلسطين والانتداب ، بيع الأرض لليهــود ، الصهيونية ، عرب فلسطين والخطر اليهودى ، وعد بلفور ، هجرة اليهود ، وجاءت بعد مأساة فلسطين قضية مسلمي الهند وخلافهم مع الهندوس ، والأخطار التى تحيط بمسلمى الهند وتوالت بعد ذلك الأبحاث : المسلمون فى الحبشة والمسلمون فى الصين واندونيسيا والأفغان ، وشمال أفريقيـــا ، ومسلمو يوغسلافيا والمسلمون والبلاشفة ومحاولة البلاشفة والعنصريون الروس خنق العناصر الإسلامية ، وموقف اليهود فى الجزائر وابن جلول الجزائرى ، وفى مجال الغزو الفكري والتغريب توالت الأبحاث عن التبشير والأزهر .

وأفردت الفتـــح فصولا مطولة عن البهائية والتيجانيـــة والقاديانية والأحمـــدية .

وعن الجماعات الاسلامية تحدثت الفتح عن جمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية وجمعية التعارف الاسلامى والجمعية المحمدية فى أندونيسيا.

وعن قضايا الفكر الاســـلامى تحدثت الفتح عن الدعوة الاسلامية للوقوف فى وجه البغاء والربا وتحريم الربا وعن التعليم ووزارة المعـــارف

والتعليم الاسلامى والمدارس الأجنبية وعن الجامعة الأزهرية واللغات الأجنبية ، والمرأة وقاسم أمين ، وكتابة التاريخ الاسلامى ، وعن حضارة الاسلام وتلقيح الجدرى الذى أخذه الأوربيين من المسلمين .

وتحدثت المنار عن الصحافة المصرية وموقفها من الاسلام .

وكتب كثير من أعلام الفكر الاسلامى من أمثال محمود محمد شاكر ، محمد حسن النجمى ، عبد المنعم خلاف ، مسعود عالم الندوى ، أبو الحسن الندوى، مصطفى السباعى، عبدالله الزنجانى وشكيب أرسلان، ومحمد على علوبة عن مشاهداته فى الهند .

وعرض لكتاب هيكل (حياة محمد) وما ورد فيه من ملاحظات .

وأوردت الفتح رأى برناردشو فى الاسلام ، والسيد أكبر حسين الاله أبادى ، ومقالة أبو الريحان البيرونى ، ورد على طه حسن والعقاد .

برنامج اسلامى لسبع سنوات :

١ — التشريع الاسلامى أرحم وأعدل من كل تشريع تقدمه أو جاء بعده فيجب على كل مسلم مقتنع بهذه الحقيقة أن يقنع المسلم الذى لا يزال يجهل .

٢ — للحضارة الاسلامية القائمة على أساس من أنظمته وتعاليمه مزايا لا توجد فى حضارة الغرب المحكوم علينا الآن بأن ننضوى تحت ظلها . ومن المزايا ذات صلة عظيمة بسعادة الانسانية . فعلى من يثق بهذه القضية ويعلم أنها حق اقناع البشر بها ولاسيما المسلمين توطئة للنهوض بالحضارة الاسلامية وبعثها من جديد .

٣ — لا يستطيع شباب المسلمين أن يحملوا « أمانة الميراث الاسلامى » عن الأجيال الماضية الى الأجيال الآتية الا اذا تثقفوا ثقافة ذات صبغة اسلامية من جميع النواحى العملية والفكرية والعلمية ، فيجب اقناع المسلمين بهذه الحقيقة وحملهم على العمل بها .

٤ — المسلمون أمة واحدة والعالم الاسلامى وطن واحد وأهل كل قطر اسلامى هم جند الله فى ذلك القطر فعليهم أن يتحروا الخير ويدرأوا

عنه الشرور ولهم مقابل ذلك حق التصرف بمرافقه لأنهم أولى بهـا وأعرف بطرق استصلاحها فالوطن حق .

وهى لا تنافى أخوة الاسلام لأنها لبنة فى جدارها وحلقة من سلسلتها

٥ — عبء الاسـلام ينوء به أهل الرأى وأصحاب الغيرة اذا لم يشاركهم أهل الثروة وأصحاب الوجاهة فيجب على المجاهدين أن يجدوا الطريق الى قلوب الأغنياء والوجهاء ليجعلوا لهم نصيبا فى مفخرة العمـل لنهوض الاسلام .

٦ — أن الفتح أنشئت لمعاشاة الحركة الفكرية الاسلامية تسجيل أطوارها وكان انشاء هذه الصحيفة وليد الحاجة الى حاد يترنم بحقائق الاسـلام ولسان ينطق بآمال المسلمين وفى الأعوام الثانية تم تأسيس جبهة اسلامية لا بأس بها وانطلق لسان الاسلام ببيان أمانى أهله فبدأنا نشـعر اليوم بالحاجة الى الانتقال من طور القول الى طور العمل .

٧ — اقترح على اخـوان الجهـاد من رجـال الجمعيـات الاسـلامية وجنـود الدعـوة الى الحـق المنتشرين من آفاق الصـين الى السـاحل الغـربى فى بلاد المغـرب الأقصى أن يدون كل منهـم فى مذكرته مطلبـا نعمـل كلنـا على تحقيقه ، يجب أن يقتنع كل مسـلم بأن هذه الخطوط التى تفصـل أقطار العالم الاسلامى بعضـها عن بعض على الخريطة ليس معناها فى لغـة الاسـلام أن المسلمين أمم مختلفة ، فالمسلمون أمة واحدة لأن نفوسهم تتصل بآصرة واحدة وعقولهم تشترك فى عقيدة واحدة وقلوبهم تتحرك بأمنية واحدة .

فأهل كل قطر اسـلامى هم جنود الملة كلها يرابطون بالنيابة عنهـا فى القطر الذى هم فيـه ليقوموا بما على المسلمين من خلق الاحتفـاظ به والعمل على انهاضه واسعاده .

٨ — علينا حمل الأمانة التاريخية عن الأجيال الاسلامية التى تقدمتنا الى الأجيال الاسلامية التى ستأتى بعدنا .

٩ — رياح النصر فى الجهـاد لا تهب الا على رجـال يريدون وجـه الله وحـده فى كل ما يعملون ، عرف لهـم النـاس ذلك أو جهلوه وآفة جهـادنا التى تحبط كل عمـل وينقلب الخـير الى شر اعجـاب

المرء بنفسه وانتباه شهوة الظهور فى بعض أهل الفضل ، وبذلك تخمد جذوة الجهاد فالحكيم من يجاهد فى نفسه شهوة الظهور قبل أن يتصدى لأبواب الجهاد الأخرى والتنزه عن شهوات النفس واتهام النفس بالتقصير .

ومن عادة الدنيا أن تفر ممن يطلبها وأن تطلب من يفر فيها فاطلب وجه الله وحده .

المجلد العاشر (١٣٥٤ — ١٩٣٥)

كانت قضايا العالم الاسلامى هى المنطلق الأساسى للفتح حيث ما تزال المعركة مع الاستعمار محتدمة ، وأكبرها قضية فلسطين والوطن القومى اليهودى ووعد بلفور .

وتناولت أمر الهندوك والمسلمين وقضية المنبوذين وتلك مقدمات انفصال المسلمين ودعوتهم الى انشاء باكستان ، وقضايا المسلمين فى طرابلس وبرقة وأندونيسيا وموقف فرنسا من سوريا .

وتناولت الأبحاث أحوال المسلمين فى الحبشة بعد غزوها الايطالى ، وعرب زنجبار وأحوال المسلمين فى بلغاريا ومسلمى البوسة والهيرسك ، ومسلمو بولونيا والدعوة الاسلامية فى انجلترا ، وقضايا المسلمين فى أفريقيا الوسطى .

ولم تغفل الفتح عن قضية التغريب والغزو الثقافى وتناولت عديدا من قضاياه فى مقدمتها شبهات طه حسين ومحمود عزمى، ودعوة سيزانبراوى بنسخ حكم الله فى تعدد الزوجات وما يتصل بأحوال ايران بعد تركيا ودعوة الحزب القومى السورى ، وسموم اسماعيل أدهم أحمد ، وكانت قضية ترجمة القرآن من أهم الأحداث التى استأثرت ببحث العديد من كتاب المنار .

وكانت قضية التبشير ولا تزال أهم القضايا وموقف جمعية الشبان المسيحية .

وتحدثت عن الدعوة الاسلامية والاصلاح الاسلامى عند الشيخ محمد عبده والتعليم الدينى والحركة العربية فى مواجهة الصهيونية ، وأحاديث لماذا اختار الله العرب لحمل الأمانة وأحوال المرأة المسلمة والمرأة التركية والعربية .

وفى هذا العام توفى السيد رشيد رضا صاحب المنار فانفردت الفتح بالجلل من الأمور ، وفى هـذا العام صدر الجزء الثانى من المجلد الخامس والثلاثين من المنار (محى الدين رضا) متضمنا آخر ما قام السيد رشيد رضا مؤسس المنار بتفسيره وكان قد وقف قلمه عند وفاته عند تفسير آية « **رب قد أتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة** » .

وكتب فى هذا المجلد كثيرون منهم حسن البنا ، محمد أحمد الغمراوى ، مسعود عالم الندوى ، محمد على علوبة ، ابراهيم الجبالى ، محمود يسن ، محمد الخضر حسين ، مصطفى السباعى ، مصطفى الحمامى ، على مظهر .

وكتب عن أعلام المسلمين أمثال عز الدين القسام ، وبدر الدين الحسنى المحدث والشيخ محمد رشيد رضا والبيرونى ونشر أول قصيدة لأحمد محرم فى ديوان مجد الاسلام ونشرت شعر العانوس وباكثير .

ما عملته الفتح :

- دحض القاديانية وتبيين دجلها لمن لم يعرفها ولمن كان يحسن بها الظن ولمن دخلها بحسن نية .
- مقاومة الاستعمار وأعداء الملة بكل قواها ، وقد نالها من ذلك عنت شديد وحرم دخولها فى أقطار اسلامية كثيرة .
- الفتح والتعارف الاسلامى : ملتقى المسلمين من جميع أنحاء الأرض : الصين ، وجاوة ، وحضرموت وقد نقلت صحف ايران مقال تعارف علماء الفرق الاسلامية التى كتبها أبو عبد الله البوزجانى .
- الشعر الاسلامى : الدفاع عن الاسلام ، أحمد محرم ، النجمى ، عرنوس ، باكثير .

المجلد الحادى عشر (١٣٥٥ — ١٩٣٦)

واصلت الفتح رسالتها فى قوة وعزيمة واصرار :

معالجة قضايا العالم الاسلامى من وجهة نظر الايمان الكامل بأن الاسلام جنسية وطنية وأن مشاكل المسلمين لا تحل الا بالتماس منهج

الاسلام الاجتماعى فى الاصلاح وفى هذه الفترة برزت فكرة الوحدة العربية فى مواجهة التحدى الخطير الذى نزل بالعرب والمسلمين وهو النفوذ الصهيونى فى فلسطين وقد كانت قضية فلسطين هى أولى القضايا التى استأثرت باهتمام الفتح وتلتها قضية المسلمين فى الهند وبروز فكرة باكستان فى مواجهة التحديات التى تلقاها المسلمون فى قارة الهند ، كما تناولت عديدا من قضايا المسلمين على الساحة الواسعة :

العرب والترك ، المغرب والمغاربة فى المنطقة الأسبانية ، مؤامرة التجنيس فى المغرب ، شمال أفريقيا وفرنسا ، الاسلام فى التبت ، تركستان الصين والاسلام ، الاسلام فى سنغافورة ، اليمن وايطاليا ، الحرب الطرابلسية وقد استأثرت طرابلس الغرب باهتمام بالغ ، الهند والمنبوذين ، اسلام المنبوذين ، منبوذو الهند ، مسلمو يوغسلافيا ، المسلمون فى فنلندا ، اليمن ، مسألة الاسكندرونة وانطاكية ، أفريقيا الشرقية ، الفيلبين حصن الاسلام ، التبشير فى السودان أما بالنسبة لقضية فلسطين فقد تعددت الأبحاث عن اليهود والعالم الاسلامى وصك الانتداب فى فلسطين ، ونداء اللجنة العربية فى القدس ، وبيان السيد امين الحسينى امام اللجنة ، والمؤتمر الفلسطينى الهندى وحكم التوراة والانجيل على اليهود .

وواصلت الفتح عملها الفكرى والثقافى على جميع الجبهات : فأولت اهتمامها بـ :

١ ـ الشريعة الاسلامية وكان هذا المجلد حافلا بقضايا الفقه الاسلامى والقانون المصرى ، وصلاحية الشريعة الاسلامية للتقنيين .

٢ ـ دراسة السنة .

٣ ـ ترجمة القرآن وظهور كتاب حدث الأحداث فى الاسلام للشيخ محمد سليمان .

٤ ـ الجمعيات الاسلامية ، وأحاديث عن الشبان وجمعية الهداية (عبد الحميد السيد) وجمعية أنصار الايمان ، وجمعية مكارم الأخلاق ،

وجمعية الجهاد الاسلامى (أحمد ابراهيم السراوى) وجمعية التعارف الاسلامى (محب الدين الخطيب) .

٥ — التعليم والتربية الاسلامية ، والمرأة المسلمة ، والمدارس الأجنبية والجامعة ودراسة الدين .

٦ — التحديات فى وجه الاسلام : تفسير الدجال القاديانى ، رسالة من حسن البنا الى مصطفى النحاس ، الحذر من الدسائس البلشفية (تقى الدين الهلالى) البرنيطة والسفور ، تركيا وايران ، برنيطة توفيق الحكيم ، التبشير فى مصر ، سلامة موسى وبشارته ، توفيق الحكيم والرسالة ، ومواجهة لطه حسين من الكليات الخمسة (الحقوق ، الزراعة ، الهندسة ، التجارة ، العلوم) لما أعلنه فى المصرى ، يطالبون بضرورة تعليم الدين الاسلامى بالجامعة وفصل الطلبة عن الطالبات أثناء الدروس ويعلنون أن طه حسين لا يمثل الجامعة المصرية .

٧ — أحاديث عن الاسلام فى الغرب والجمعية العربية فى بريطانيا (عمر الدسوقى وعبد الرحمن البزاز) والطلاب فى باريس (عمر بهاء الامرى) .

أما كتاب هذا المجلد فهم : مصطفى حسنى السباعى ، دكتور زكى على ، محمد مكين ، أحمد محرم ، مصطفى الرفاعى اللبان ، محمد الظاهر ابن عاشور ، محمد تقى الدين الهلالى ، عمر الدسوقى ، بهاء الامرى .

وقد قدمت الفتح تراجم للأعلام المتوفين : الشيخ محمد سليمان ، سليمان باشا البارونى ، طنطاوى جوهرى ، ياسين الهاشمى ، رثاء رشيد رضا ، مصطفى صادق الرافعى .

وقد عرضت لمؤلفات جديدة من كتب الشريعة الاسلامية : أحكام الوقف والمواريث (أحمد ابراهيم) النظرية العامة للاعترافات فى الشريعة الاسلامية (شفيق شحاتة) ، التشريع الاسلامى مصادره وقواعده (حسن أحمد الخطيب) .

وقد أشارت الفتح الى أن حكومة أندونيسيا أعادت مراسلاتها

الى جاوة عن خمس أعداد مكتوبا عليها Interdit أى ممنوع دخولها ولم يوجد بها أى حرف ضد الحكومة الهولندية أو بلاد جاوة .

وقد افتتح السيد محب الخطيب المجلد الحادى عشر بكلمات قال فيها :

ان المسلمين لم تكن لقله عدد فان عددها أربعمائة مليون أو ثلاثمائة مليون لا يصاب بالهوان والضعة من قلة وانما تصاب بهما لتفريطهما فى استعمال ما وهبها الله من قوة وأقرب الأمثلة على ذلك ما نراه الآن فى فلسطين من أمة لا يزيد عددها على سكان مديرية واحدة من مديريات القطر فقد أيأسوها فرأو منها العجائب .

نحن المسلمون نفهم التقوى فهما ضيقا ونراها ضئيلة وتنزوى فى ركن واحد من أركان صرحها العظيم ومن حق أولادنا علينا الآن أن يتعلموا منا أن التقوى التى أمرنا الله بها والتى وعدنا عليها بثواب الآخرة لها معنى عام شامل اشتقت منه الوقاية من الأمراض ويدخل فيها اتقاء الأخطار والنوازل ومن هم صون الملة من الانحدار فى مهاوى الذل ومزالق الأخلاق .

المسلمون لم يتجردوا من وسائل النجاح عن فاقة وفقر فان منهم من أهلك الثروة من يصارعون أغنى أغنياء العالم بل هم بمجموعهم ينفقون على الضرورى من الأمور ما يتسرب من جيوب فقرائهم وصناديق أغنيائهم فيضهم الى خزائن مصانع العرب ويكون عده لهم علينا وعونا لحكوماتهم على استعبادنا واستغلال أرضنا وكنوزنا ومن واجب خطباء مساجدنا أن يرشدوا الأمة الى الاستغناء عن الكماليات بقدر الامكان وأن يحرصوا على الضروريات وأن يستثمروا المعطل من ثرواتهم وفيض مواردهم فى تأسيس المصانع الكبرى .

ان الحضارة الغربية لما طغت على الشرق جاءته بقشورها وسفاسفها فأيقظت شهوات بنيه وهيأت نفوسهم لحب المتعة وشغلت أفكار المتعلمين بوباء من النظريات الفلسفية وأفسدت عليهم طمأنينة الايمان ومن حق النسل الجديد على آبائه أن ينشئوه من الآن نشأة تخالف نشأتهم وتحوله من الاشتغال بالقشور الى العكوف على اللباب ولا يكون ذلك الا بقلب نظام

جميع المدارس العربية الاسلامية رأسا على عقب وتكون من جديد تكوينا غربيا اسلاميا تنصرف فيه العقول والمدارك والحواس كلها نحو اكمال تاريخ انبطولة الاسلامى بسلاح العلم المجدى والعمل الجدى » .

ومن خلاصة هذا المجلد نجد ما يأتى :

* اصرار على تطبيق الشريعة الاسلامية منهجا للمجتمع ونظاما للحكم .
* اصرار على مواجهة الغزو الوافد (الصهيونية) .
* اصرار على التحرر من التبعية الفكرية والاجتماعية فى الملبس ونظام العيش .

المجلد الثانى عشر (١٩٥٦ هـ — ١٩٣٧)

تابع الفتح رسالته فى قوة ومضاء وما تزال قضية فلسطين هى أخطر الأحداث السياسية فى العالم الاسلامى كله ، وقد تابعت أحداثها متابعة واسعة فنشرت كل ما يتعلق بتقرير اللجنة الملكية البريطانية والانتداب البريطانى فى فلسطين ، وما يتصل بتاريخ المشكلة وعهود مكماهون ووايزمان وفيلبى ، وتناولت حكم التوراة والانجيل ومؤتمر بلودان .

وتناولت قضايا البلاد العربية (توحيد فلسطين وسوريا) ولبنان وقضية العروبة ، ومسألة الاسكندرية وقضايا المغرب وسياسة فرنسا وغطرسة الاستعمار الفرنسى ،

وتناولت قضية باكستان وكان قلم تقى الدين الهلالى هو المجلى فيها، وأحوال مسلمى شرق أفريقيا ، والثورة الكردية فى تركيا وشئون تركستان الاسلامية .

وتناولت شئون الوحدة الاسلامية ، والنهضة الأدنية فى الهند .

وأولت قضايا التعريب والغزو الثقافى اهتماما بالغا : فتحدثت من تركيا وموقفها من الاسلام وعن المحاكم المختلطة وعن التبشير فى مصر ، والاباحة والالحاد فى اليمن وقضية القبعة الجديدة واعادة على عبد الرازق الى الأزهر ودراسة عن الشيوعية والقاديانية وعلم النحو والمبادىء اللادينية فى سوريا .

وتحدث عن قضايا الفكر الاسلامى والتشريع الاسلامى والحكومة الاسلامية ، ونشرت وثيقة تاريخية مهمة من سلطان المغرب الى أحد ملوك أوربا فى القرن الثانى عشر الهجرى وتوحيد مناهج العلوم ، والمدرسة الدينية والتعليم فى مصر وتحدثت عن النهضة العربية واليقظة الاسلامية والاتحاد العربى والعلاقة بين العروبة والاسلام والتاريخ القومى واللغة العربية ولماذا اضمحلت فى جاوة وسومطرة وفى الجزائر .

وتحدثت عن قضايا المجتمع وما بعد الغاء الامتيازات (الخمور والبغاء) والمرأة والانتخابات وتحدث على الطنطاوى عن عارف العارف خليفة ميشيل عفلق فى الهجوم على الدين والتاريخ .

وأولت الجمعيات الاسلامية اهتماما واضحا فتحدثت عن الشبان ومكارم الأخلاق والاخوان والجمعية الشرعية واحياء السنة والجمعية السلفية كما تحدثت عن اندونيسيا والجمعية المحمدية (الشيخ أحمد دحلان) ورابطة شباب محمد فى دمشق وشباب محمد فى فلسطين وطلبة الاخوان ومنهاج الاصلاح .

وكتب فى هذا المجلد : أبو الوفا الشرقاوى ، محمد الطاهر بن عاشور ، وعجاج نويهض (العرب والانجليز والقضية الفلسطينية) مصطفى السباعى (يوم العيد الأكبر) عبد الحميد السيد (الحملة على القاديانية) محمد مكين الصينى (الاسلام فى الصين) محمد تقى الدين الهلالى (الاذاعة فى البلاد العربية) عمر الدسوقى (يوم العروبة فى لندن) عمر صدقى الأميرى (ذكرى المولد فى باريس) عبد الرشيد ابراهيم (القرآن كلام الله بنطقه العربى) بدر الدين الصينى (ترجمته) محمد طه فياض العينى ، ومن الشعراء محمد الهيهاوى ، محمد السنوسى مقلد (قف فى ربا الخلد واهتف باسم عدنان) سعيد العيسى (عن محمد وعيسى) ومن الكاتبات المسلمات : عزيزة عصفور وزينب على المنصورى .

وتناولت الفتح الترجمة لعدد من الشخصيات الاسلامية : الدكتور محمد اقبال (مسعود عالم الندوى) محمد عبد العليم الصدقهى (عبد الحميد سعيد) خطبته فى بلودان ، الشيخ محمد سليمان .

كما تناولت ذكرى عمر المختـــار ، وتحدثت عن أمين الحســـــينى واعتقاله ، وهجرته الى بيروت وعن فرحان السعدى ، ومحمد أســـــد النمســـاوى وخالد شلدريك وكيف هدى الى الاســـلام والشـــيخ أحمـــد الســـكندرى .

وقد افتتح السيد محب الدين الخطيب هذا المجلد بحديث مستفيض عن رسالة الفتح قال :

« ما وزنت ولا أزن أحداث البشر وآرائهم الا بميزان الاسلام كما فهمه الصحابة والتابعون ولا حكمت ولا أحكم على تلك الأحداث والآراء الا بما تقتضيه وحدة المسلمين ومصلحتهم العامة المجردة من أغراضـــنا الزائلة وأهدائنا الباطلة . ساعة أكتب ما أكتبه للفتح وساعة أقرأ ما يكتبه الكاتبون لينشر فى الفتح لا أجـــد أمام عينى الا ذلك الميزان الذى أزن به الأحـــداث والآراء ولا أقيسها الا بمقياس الاسلام كما فهمه الصحابة والتابعون غـــير ملاحظ شيئا غير مصلحة المسلمين العامة وافقت أهواء الناس ومصالحهم أم خالفتها ، وافقت مصلحتى ومنفعة الفتح المادية أو خالفتهما .

أنا فى نفسى فقير قليل التصبر ولكنى ساعة أدفع السوء عن حقائق الاسلام أو أبتغى المصلحة لعامة المسلمين لا اشعر بأن فى هذه الأرض قوة للباطل أخشاها على الحق الذى أنطق بلسانه وان اللسان الذى أنطق به هو لسان الاسلام القوى وليس لسان الانسان الضعيف .

ان الفكرة التى تمثلها الفتح عظيمة فى ذاتها ، وهى وليدة الاســـلام فليس لنا ولا لغيرنا فضل فى ايجادها وتكوينها ، وانما الفضل كل الفضـــل هو فى الاكثار من العاملين لها والعارفين بمراميها والمجاهدين فى سبيلها . لما صحت العزيمة على اصدار الفتح لم يكن فى مصر صحيفة اسلامية غير مجلة المنار وكانت منتشرة فى دائرة ضيقة لأنها شهرية ولأن قيمة اشتراكها غير متناسبة مع حجمها السنوى ولأنها ذات أبواب محدودة لا تتسع لأكثر مما يكتبه منشئها رحمه الله ولم يكن من السهل فى ذلك الحين الحصول على رخصة باصدار صحيفة سياسية جديدة فى القطـــر المصرى حتى لو كانت سياستها اســـــلامية لا تتعداها لأن وزارة الداخلية كانت قد أقفلت باب

الترخيص باصدار صحف غير الصحف الأوربية ولا تقبل فيه طلبا الا فى ظروف خاصة ولأناس دون آخرين ، وكان احمد تيمور باشا رحمة الله عليه اكثر منا اهتماما بصدور الفتح . وشيخى الشيخ طاهر الجزائرى هو الذى ربى عقلى وهو الذى حبب الى هذا الاتجاه الفكرى منذ كنت طفلا الى ان صرت رجلا ولا اعرف مؤلفا او حامل قلم نشأ فى ديار الشام الا كانت له صلة بهذا المربى الأعظم واهم كتب السلف النافعة التى نشرها الناشرون انما نشروها باشارته وتحريضه ، وانا وكل ما نشرته ما هو الا قطرة من بحر الخير الذى كان يتدفق من صدر هذا العالم والعامل ، استاذى فى الصحافة الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، التحقت بتحرير المؤيد سنة ١٣٢٧ هـ (سبتمبر ١٩٠٩) استفدت من أساليبه الصحفية ومن خطته الاسلامية ما انا مدين له به ما دمت حيا فالمؤيد كان مدرستى الأولى فى هذه الصناعة وفيها صاحبت المنفلوطى ومن فى طبقته من الكتاب الممتازين .

وسبب وجود الفتح : المسلم الكامل والعلامة المحقق انقطع النظير أحمد تيمور باشا ولولا تيمور باشا لما وجد الفتح ، ولولا الفتح لما وجدت هذه الصحف الاسلامية بعده ، وهو الذى سعى جاهدا لاطلاق لسان الاسلام فى صحف منتشرة تؤيد دعوته وتذب عن بيضته وتتحدث عن صديق آخر هو الشيخ محمد كامل القصاب وأمنية النهوض بالاسلام الى ما كان عليه فى عصر التابعين ثم جمعتنا رابطة العربية الفتاة ، والاستقلال العربى .

وكان الشيخ محمد الخضر حسين فى مقدمة الافاضل الذين أمدوا هذه الصحيفة بآثار فضلهم منذ سنتها الأولى الى الآن فما هوجم الاسلام فى وقفة الا وكان للأستاذ حفظه الله دفاع أمتن من الفولاذ وأرسخ من الجبال الراسيات .

واشار الى كتاب الفتح فى هذه الحقبة ،

الدكتور يحيى الدرديرى ، محمد اسماعيل عبد النبى ، مصطفى صبرى ، محمد صادق عانوس ، أحمد محرم ، محمد حسن النجمى ،

أبو اسحاق ابراهيم أطفيش ، عبد الحميد سعيد ، محمد أبو الوفا الشرقاوى ، سليمان البارودى ، مصطفى أحمد الرفاعى اللبان ، محمد تقى الدين الهلالى ، محمد عبد الوهاب الرافعى ، محمد بهجت الأثرى ، على أحمد باكثير ، على الجندى ، عبد الحكيم عابدين ، مسعود عالم الندوى ، عمر الدسوقى .

وقال : ان الحكومات الأجنبية تطارد الفتح مطاردة عنيفة وتمنعها من دخول الأراضى التى تحت حكمها فتحرمها من الموارد التى تستطيع الحياة منها ومع ذلك فهى صابرة مصابرة مرابطة مجاهدة لا تكتب الا ما ينفع الاسلام والمسلمين .

المجلد الثالث عشر (١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م)

كانت قضايا العالم الاسلامى هى مقدمة الدراسات ، وأخطر قضايا الساعة فلسطين فقد دخلت قضيتها فى مرحلة جديدة وجاءت عناوينها على هذا النحو :

المؤتمر الاسلامى للفلسطين ، اليهود والصهيونية ومطامع اليهود فى الأماكن المقدسة ، أوهام اليهود ، يهود مصر وفلسطين تحترق والمسلمون جامدون ، قنابل اليهود فى حيفا والقدس ، قرش فلسطين ، معركة فى فلسطين خطيرة ، (عدد كامل من الفتح سبتمبر ١٩٣٨) مذكرة هامة ودراسات محمد على علوبه وعبد الحميد سعيد ، الأندلس الثانية (ناجى الطنطاوى) .

٢ — قضايا شمال افريقيا . وفرنسا فى المغرب (عدد خاص) الجزائر ومراكش ، البربر فى شمال افريقيا ، أسبانيا فى مراكش ، طرابلس الغرب (فى أخطر مراحل التحدى) .

٣ — قضايا المسلمين فى يوغسلافيا ، والحبشة واليابان ، أندونيسيا والحضارم ، العرب فى أندونيسيا ، عرب أندونيسيا والوطن ، العرب والترك ، يوغسلافيا والمسلمون ، المسلمون فى بلغاريا والحروف اللاتينية،

وفى قضايا التغريب واجهت حملة توفيق الحكيم (هل يوجد اليوم

شرق) كلية الآداب وموقفهـا من النبى ، النصيرية ، البهائيـة وخـدمة الاستعمار ، البكتاشية ، التبشير والفرقة اليسوعية وتاريخها ، القاديانية ،

وفى مصر حركة تحطيم الحانات (مصر الفتـاة) وشرب الخمر فى اوربا .

وفى مجال الفكر الاسلامى أحاديث عن مصر الاسلام والوحدة العربية والتعليم الاسلامى فى المدارس المصرية والشريعة الاسلامية والمحاكم المصرية والشريعة الاسـلامية فى القانون المدنى المصرى ، وأحاديث عن المدنية الاسلامية ، موقف عالم غربى (كمال ولف سخوماكو) وأحاديث عن أن اليهود هم حكام أمريكا الحقيقيون ، وأحاديث عن الجماعات الاسلامية ودار الارقم فى سوريا وشباب سيدنا محمد ، والمؤتمر الخامس للاخوان . وأحاديث عن الصحافة المصرية وموقفها من الاسلام ووفاة أتاتورك .

ومن كتاب هذا المجلد حسن محمد يوسـف (الفن والدين فى مصر) وسليمان الندوى ، ومسعود عالم الندوى ، وتقى الدين الهلالى والدكتور زكى على وعبد الله بن نوح الاندونيسى ، والقصيمى وعبد اللطيف ابوالسمح وشعر لأحمد محرم وعلى أحمد باكثير وعلى الجندى .

ودراسات عن أعلام الاسلام : محمد اقبال (مسعود عالم الندوى) وفاة الاسكندرى ، الدكتور السيد أحمد الشريف أول من كشف القاديانية ، عمر المختار .

وقد افتتح السيد محب الدين الخطيب هذا المجلد بكلمة ضافية قال فيها :

لا اشك أن الفتح يخطو فى سبيل الاسلام خطوات الى الأمام لا بأس بها وان الواقفين فى الطريق — ممن يتسمون باسم المسلمين أو من غيرهم — يشـعرون بضغط هذه الحركة وفيهم من أعلن رجوعه الى صفوفها والاغيار منهم يفكرون فى تعديل خططهم حتى تظهر بمظهر المحاسنة بعـد أن تجاهرت بالمخاشنة ، كل ذلك من نتائج يقظة المسلمين وتمسكهم بعروة جامعتهم ، وكلما ازدادوا يقظة وتمسكا زادهم الله هيبة ، فى نظر أعدائهم

وكافأهم على ذلك بالقوة والعزة والسعادة ونحن فى تقدم نحو الغاية ولكنه تقدم بطىء ولولا دفع الله هؤلاء الأمم القوية بعضهم ببعض . لقضوا على آمالنا وعلى البقية الباقية من حقوقنا منذ دهر طويل .

ودعا صاحب الفتح الى الجهاد لرفع مستوى الأمة واعدادها للحياة وتبوئها المكانة التى تستحقها بين الأمم اذا لم تستمد قوة من الاسلام واذا لم يكن منه قوة للاسلام فمآله الفشل وكل جهد يبذل فهو جهد ضائع لا محالة .

وقال : أربعمائة مليون من سكان الكرة الأرضية يدينون بالدين المحمدى ويرون الخير والسعادة فى اضاءة بيوتهم ومدارسهم واسواقهم ومحاكمهم ومجامعهم بأنواره فمن شاء ان يجعلهم قوة له فيمكنهم من تنوير بيئاتهم بأضوائه ومصابيحه وسيجدهم بذلك من أمضى الأمم واعظمها نهوضا ومن حال بينهم فسيجدهم مكافحين له متقدمين نحو غايتهم مقتحمين كل ما يعترض سبيلها ولو اعترضت سبيلها بحار من نار »

المجلد الرابع عشر (١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م)

ما يزال العالم الاسلامى هو نقطة الانطلاق فى أحداث الساعة ، وفلسطين ما تزال هى القضية الأولى ، ثم أحاديث عن الشمال الافريقى والخطر الايطالى على مصر وتونس ، حيث تصبح طرابلس الغرب هى بؤرة الصراع ، وهناك أحاديث عن تونس ، والمغرب الأقصى والظهير البربري، والسودان والانجليز ،

فى هذا العام اندلعت الحرب العالمية الثانية وكانت لها آثارها فى الأحداث من بعد ، ثم أحاديث عن الاسلام والصين واليابان ، والشرق الأقصى وأحاديث عن الحضارمة ، وعن فيلبى وموقعه من العرب وعن مسلمى الهند وتعصب الوثنيين ، وأحاديث عن الوحدة العربية ، والناطقين بالضاد ، والوحدة الاسلامية .

٢ — أما الغزو الفكرى فهو المنطلق الحقيقى للفتح والتبشير هو القضية الأولى : السودان وحلب والقاديانية والأحمدية ، فى الهند وفى الأزهر ،

وحملة مكثفة يقودها عبد الحميد السيد على الأحمدية وكتبها بعد أن تركها، ودراسات عن محمد على اللاهورى ، (وقد اتسعت الأحاديث عن القاديانية حتى يمكن أن يكون أبرز موضوعات المجلد) وهناك استجواب بشأن طه حسين بعد تعيينه مراقبا للثقافة وحدثت للأستاذ حسن البنا عن كتاب مستقبل الثقافة ورد على طه حسين (محمود محمد شاكر) ، وأحاديث عن خطر ترجمة القرآن وموقف الصحافة المصرية من الاسلام ، وموقف الشيخ مصطفى عبد الرازق من دعوة الشيخ ابو العيون ، وأحاديث عن على الجارم ودروسه فى الحب والصبابة .

٣ — وفى مجال الفكر الاسلامى تحدث الفتح : عن أثر الاسلام فى التاريخ الأدبى والحروف العربية فى تركيا وأحاديث عن كيف عاش النصارى تحت حكم المسلمين فى أسبانيا (حسين لبيب) وأحاديث عن العرب (عبد الرحمن عزام) وكتب ضد الاسلام فى الجامعة وضرورة حماية الاسلام فى الجامعة ، وأحاديث عن جرمانوس ولماذا أسلم ورأى غربى آخر فى الاسلام (لجورج رو) وحديث عن الشريعة الاسلامية (أحمد محمد شاكر)

٤ — وفى التراث قدمت الفتح دراسات عن كتاب الجماهر فى الجواهر للبيرونى ، وكتاب نيلينو عن الأقطار العربية ، والأسبانيون وعلوم العرب ، وحديث للسباعى عن موقف المستشرقين من الامام الزهرى .

٥ — أحاديث عن المجتمع الاسلامى والغاء البغاء فى المملكة المصرية ومسابقة السيقان والخمور وانتشارها (أحمد حسن) وفوضى الاعلانات لترويج المشروبات الروحية .

٦ — أحاديث عن الجماعات الاسلامية ودعوة الى تكوين اتحاد أعلى للجمعيات الاسلامية ، وتفاصيل الحركة الاسلامية فى العراق (محمد شيت الجباوى) .

ونشرت الفتح فصولا عن : الشيخ محمد شاكر ، بمناسبة وفاته ، الحاج أمين الحسينى ، بقلم أجنبى ، علال الفاسى فى منفاه .

ومن كتاب الفتح الدكتور زكى على ، مصطفى الرفاعى اللبان ، مصطفى السباعى ، طاهر الزاوى ، عبد الله المازنى وشعر لأحمد محرم (اعد الرجاء وجدد الأمل) .

ومن ابرز ظواهر هذا المجلد الاهتمام بدراسات واسعة عن الرسول صلى الله عليه وسلم (عمر بهاء الاميرى ، مصطفى الزرقا ، عبد الوهاب النجار ، محمد المبارك ، مصطفى الرفاعى اللبان) .

وقد افتتح السيد محب الدين الخطيب هذا المجلد بتوجيهات حاسمة قال :

« قراءها فى كل قطر هم الصفوة الممتازة من أهل الحجى والفضل وصيارفة الكلام فمن تصدى مخاطبتهم كان جديرا به أن يزن القول بأدق موازينه وأن يتخير له الأوقات المناسبة وأن لا يتجاوز مدى الحاجة ، فقراء الفتح مصابيح بين أيدى كتابه على ضوئها يسيرون وبآلامها يكتبون والى مستواها يرتفعون ، وكتاب الفتح يتقيدون بما يكتبون لأنه فى سبيل الله ولأغراض معينة هم ثابتون علها لا تحولهم عن شىء منها براقش الدنيا ، كتاب الفتح وقراؤه نسيج واحد فى وحدة الهدف . وقال انه اعتذر عن حفلة تكريم للفتح ، وعن قصيدة من الدكتور ابى شادى يعلن فيها ابتهاجه بانشاء الشبان المسلمين ، نشرها بعد أن طوى فيها ابياتا تمنى الكثيرون ان تكون قيلت فيهم ، وقد نشر القصيدة دون نشر أبيات المديح قال : رأيت بعض الأميين من زملائنا الذين يرتزقون من هذه الصناعة يستكتبون أصحاب المناصب الرفيعة والمقامات العالية كلمات صدرت من الالسنة لا من القلوب يؤثرون بها على طبقة من الناس تحكم على الأشياء بأسماعها لا بأبصارها فتحسب الدرهم دينارا والدينار درهما . وقال ان الربح قاصر على بيان محاسن الأهداف التى ترمى اليها هذه الصحيفة وتحريض شباب الأمة على تأييدها .

المجلد الخامس عشر (١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م)

أولى صاحب الفتح هذا المجلد اهتمامه الكبير بآثار الحرب العالمية الثانية على المسلمين وقضاياهم فتناول عديدا من القضايا السياسية ذات الأهمية البالغة ، العرب أمة واحدة ذات أغراض واحدة ، ينابيع البترول فى السعوديه ، مطامع اليابان فى أندونيسيا ، الجيش الفرنسى يلقى سلاحه فى أوربا فى أحرج ساعات التاريخ ، الانجليز يدمرون الاسطول الفرنسى فى وهران ، اتفاقية بين العراق والعربية السعودية ، مستقبل العرب والمسلمين ، المطالبة بتأسيس نظام جديد فى العالم ؛ يقوم على أساس من العدالة والسلام ، أمنية الاتحاد العربى ، القضاء على الجيش الايطالى فى سيدى برانى والسلوم ، مسلمو الهند ينشدون مستقبلا وطيدا ، هزيمة ايطاليا ، السكة السلطانية فى أوربا هو الاسلام .

وفى مجال الفكر الاسلامى تحدثت الأبحاث عن تدوين القرآن الكريم فى العهد المكى ، والتعليم الدينى فى المدارس المصرية واهتمام الانجليز بالعلوم العربية فى القرن الماضى (برنارد لويس) وعن دعاة الجامعة الاسلامية .

وفى مواجهة التغريب والغزو الثقافى جرت الأبحاث حول كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ، وأحاديث عن نشرة جديدة للملحدين وأحاديث عن القانون الجديد لمنع النشر ، وتعليم الدين المسيحى لأبناء المسلمين ، ونشاط البهائية فى مصر وأحاديث عن المستشرقين والاسلام .

كما تناولت الفتح أحاديث عن موقف الغرب من الاسلام : ما كتبه المستشرق أميل درمنجم عن أن الاسلام دين عالمى وما تحدث به زائر مسيحى عن البشائر المحمدية .

وفى مجال التاريخ الاسلامى تحدثت الفتح عن عدد من الموضوعات :

رسل الملك يوحنا الى سلطان المغرب ، صفحة مشرقة من الحروب الاسلامية ، وآثار ملوك مصر الاسلامية فى الشام ، ومن دمشق الى مدينة الرسول برا وتحريف الحقائق الاسلامية فى كتاب فجر الاسلام وأحاديث عن لو فتح العرب فرنسا لتقدمت الحضارة .

كما أولت إهتمامها بالتعليم والتربية وشئون الأزهر فتحدثت عن واجب الأزهر نحو السودان والبلاد النائية وتنظيم الوعظ الاسلامى وقدمت احصاء عن المعاهد الأجنبية فى مصر (٤٠١ معهدا فرنسيا وايطاليا وانجليزيا وأمريكيا وروسيا وهولنديا) وحدثت عن القرآن مادة أساسية فى المدارس الابتدائية ، واقتراح عن توحيد التعليم بعد توحيد القضاء .

وقد عنيت بالحديث عن شخصيات المتوفين من أعلام العصر : سليمان باشا البارونى ، عبد الحميد سعيد ، محمد حسن النجمى ، عبد الحميد السيد ودراسة عن السيد رشيد رضا بمناسبة ذكراه وحديث عن عبد الرحمن المهدى .

وكتب فى هذا العدد أعلام يثيرون فى مقدمتهم محمد عبد السلام القبانى ، محمد اسماعيل عبد رب النبى ، على سامى النشار ، مصطفى الرفاعى اللبان ، أحمد محرم ، عبد الحميد السيد ، مصطفى السباعى .

وقد جاء فى افتتاحية هذا المجلد عرض لمهمة الفتح :

« نعم أعترف بأنى أعارض التيار منذ أربعة عشر عاما وأقف فى طريقه كما يقف المغرور بقوته ، ان لم أقل كما يقف المجنون وما أنا بالمغرور ولا بالمجنون ولكنى رأيت واجبامن واجبات الكفاية انصرف عنه الناس فقمت بما يستطيع مثلى يوم لم يكن فى الميدان صحيفة واحدة تتصدى له وثابرت عليه حتى بعد أن تهافت المتزاحمون على هذا المورد ظانين أن فيه تجارة رابحة فلما علموا أن سبيلنا الى غايتنا لا يرافق النجه ليجتازها ازوروا عنه الى غرضين طمحوا اليهما ، أما أولهما من طلبه من أفراد العامة بما يميلون الى معرفة من أحكام ومواعظ ومناقب حفلت بها وأما التقرب الى أصحاب الكراسى من سدنة الدين والدنيا مدة وجودهم فيهما فاذا تخلوا عنها انصرفوا عنهم الى من يخلفهم عليها حتى يتخلوا عنها . كان فى استطاعتنا أن نسلك هذا السبيل الذى اثرى منه الأميون ولكن كان الهدف الذى نرمى اليه غير ذلك وكان فى استطاعتنا أن نسلك سبيل الصحف الأخرى التى تتجر بالثقافة والأدب وتتنازع ثمراتها المادية وتسير بالرأى العام الى ما يجمع بين المتعة والفائدة تارة والى ما يشاب دسمه

بسمه تارة أخرى ولو أننا ارتضينا للفتح هذا السبيل لأقبل عليه القارئون بعشرات الألوف ولكان فى استطاعة الفتح أن تستخدم أبرع الأقلام وأجود القرائح لارضـــاء القراء ولكننا لم نفعل لأنه كان لنا غرض ان خفى علـــى الناس قبل أربع عشر عاما فان الأربع عشر عاما كافية لأن يستنبئوه •.

قالوا له : كانوا ينتظرون منك أن تتوسع حتى تجارى عصرك لا أن تضيق الدائرة فتصير الى ما رأيناه فى الفتح ، فقلت أنا لم أضيق وليس من شأنى أن أوسع ، وان هناك دائرة رسمها الاسلام وأنا مستعد لأن أتوسع بمقدار ما يتسع لى من الدائرة فأقبل الحقائق كلها كما هى وأرحب بهـــا واستقبل أسباب العلم والحضارة والنهضة والعمران بكل ما تســـتحقه من تشجيع وقبول وانى على بينة من طريقى وسيتبينه الناس مع الزمن ،

كم من صحيفة عربية أو اسلامية صدرت ثم احتجبت فى مصر وفى غير مصر منذ صدرت الفتح الى الآن أما صحيفتنا فباصرار صاحبها الى حـــد العناد استحقت مكافأة الله عز وجل باســـتمرارها هذه المدة كلهـــا بغـــير انقطـــاع •.

المجلد السادس عشر (١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م)

بدأت الفتح مجلدها الســـــادس عشر بقضايا العالم الاســـــلامى السياسية وكان اعلان الحرب العالمية الثانية وتطوراتها واضحا من خلال الموضوعات التى تناولتها هذا العام . فالحرب فى الصحراء الغربية واطلال من القبائل على طرابلس والقتال بين الانجليز والعراق ، بعد الانقـــلاب العسكرى الذى قام به (رشيد الكيلانى) وســـــقوط أديس ابابا واجتياح أديس أبابا والزحف البريطانى على سوريا ولبنان وتوغل الروس والانجليز فى ايران واتساع ميدان القتال من بحر قزوين الى نهر النيل وخطر الغزو الألمانى على انجلترا والشرق وأحاديث عن الانجليز والوحـــــدة العربية وأحاديث عن باكستان والرابطة الاسلامية فى الهند تطالب سياسى الدولة الاسلامية وانهيار فرنسا وسقوط الفرنك الفرنسى وخطط اليابان المريبـــة ومســـــلمو الهند يقولون نحن لنا أقلية ولكننا أمة . ومدينة القاهرة مدينة

مفتوحة ، وأحاديث عن المسلمين فى أندونيسيا والاسلام فى الهند (اقبال على شاه) .

هذا من الناحية السياسية ، وفى نواحى الفكر الاسلامى يواصل السيد محب الدين الخطيب خطته فى الدعوة الى اعادة تنظيم حياتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بعد الحرب ويواصل أحاديثه عن قضايا المجتمع الاسلامى ووجوه فساده : هذه الاغانى المتبذلة ، ومشكلة انبغاء وتهتك النساء فى مصر ، وانتشار أندية القمار وأحاديث عن التبشير والارساليات الدولية وأحاديث للشيخ عبد الوهاب خلاف عن لماذا أخذت قوانين مصر من التشريع الفرنسى ـ والجماعة والاجتماع (لسنتلانا) والحدود الشرعية والتشريع الحديث ، وفضائل اللغة العربية ودعوة الاتحاد العربى فى السياسة والاقتصاد وتحدث عن الجماعات الاسلامية ودار الأرقم فى سوريا ، وكيف نربى الشبان المسلمين (عبد الوهاب عزام) وأحاديث عن التراث الاسلامى : الخطاطون وكتابة المصحف ، والنقود العربية فى الأندلس وبلاد المغرب وتجار الشرق الأقصى التى يدور فيها الحرب وصل اليها العرب قبل ألف سنة وحديث عن معركة تور (حنا خباز) وأحاديث عن الاسلام ونصارى العرب ، وحديث عن وزير مسيحى يصف الشريعة الاسلامية (فارس الخورى) وحديث عن البدو كما رآهم مارك سايكس ، وابن تيمية وطعام التتار .

وقد كتب فى هذا المجلد عدد كبير من الكتاب فى مقدمتهم أحمد محمد رضوان ، وعبد الوهاب خلاف ، وعبد الوهاب عزام .

وقد كتب السيد محب الدين الخطيب فى هذا المجلد كثيراً من التوجيهات النافعة ، فهو يسأل ماذا ينبغى أن نعمل بعد الحرب ، يقول قد تنطوى نتائج هذه الحرب على مفاجآت لم يكن يتوقعها حكم ولا مؤرخ ممن عاشوا فى القرن الماضى وفيما مضى من هذا القرن فلنفاجىء نحن المسلمين أحداث الزمان بأمر عجيب لم يكن ينتظره الزمان منا وهو الرجوع الى الله والتوبة اليه فيما فرطنا فى آدابنا الاسلامية وفيما أسرفنا من تقليد أوربا وأمريكا فى فجورهما والأمر هين اذا جمعت أيها المسلم زوجتك وبناتك

وصبيانك حولك ولفت أنظارهم الى ما يحيق ببنى الانسان من أخطار وما تتوقعه الأمم من دمار وطلبت اليهم أن يتأدبوا معك بآداب الاســلام وأن نعود جميعا الى طهارة الشريعة .

ويدعو صاحب الفتح الى اعادة تنظيم حياتنا الاقتصادية بعد الحرب فيقول : ستنتهى هذه الحرب على كل حال وســتجدد كل أمة بعد الحرب حســابها بينها وبين نفســها وتبنى على ذلك خطتها الجديدة فى الســير نحو المستقبل فاذا أردنا أن نكون أصحاب أوطاننا والمتصرفين فى أنفســنا فيجب علينا أولا وقبل كل شىء أن ننظم حياتنا الاقتصادية تنظيما جديدا ، نجعل معه ثروتنا فى خدمة سعادتها ونهيىء كل يد عاملة للعمــل الحــلال حتى يكون ميسورا أمامها ومفتحــة أبوابه لخــير البيــوت منفردة ولخير الوطن مجتمعا ، ويرى صاحب الفتح أن للمسلم رسالة يجب أن يعرفهــا وأن يقوم بها ، فيقول ان من تمام رسالة المسلم أن ينظر الى أحداث الدنيا من وجهــة المصلحة الاسلامية فيوجه جهــوده وعواطفــه فى كل حادثة الى الجهــة التى تكون فيها تلك المصلحة العامة للاســلام وفى اعتقادنا أن تربيــة النشء الاســلامى على ذلك من أهم واجبات الآباء والمدرسين واذا لم تنشأ الأجيال الاسلامية على هذا الأساس كان المسلمون على خطر عظيم ويقول : المسلمون الى خير ما فى ذلك شــك ولــكن اتجاههم الأولى يجب أن يسير فى طريقهم الأصيل والذين ادركوا هذه الحقيقة قليل عددهم والذين لم يدركوها من المشتغلين وحملة الأقــلام يسيرون فى اتجاه غريب عن الملة ، والاسلام يحب العمل للدنيا كما يحب العمل للآخرة ، وان سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين وتشبثه بالآراء الباطلة فان الدين قوة أدبية لا يستهان بها من الواجب أن تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر وأن تحافظوا على تقاليدكم الحسنة .

المجلد السابع عشر (١٣٦٢ ـ ١٩٤٣)

(هذا المجلد يبدأ فى رجب ١٣٦٢ ـ يوليو ١٩٤٣ ويمتد الى ذى الحجة ١٣٦٦ ـ ١٩٤٧ خلال ست سنوات كاملة) وقد تغير فى هذه المرحلة حجم الفتح ، كما أنه تحول الى مجلة شهرية ، وذلك نتيجة للاعسار الذى حدث

فى الورق والمواد نتيجة ظروف الحرب العالمية الثانية وأثرها على خطوط البريد الممتدة الى المغرب والى سنغافورة حيث تقطعت هذه الخطوط .

كذلك فقد كان للحرب العالمية التى بدأت أواخر عام ١٩٣٩ آثارها على الأحداث فى البلاد العربية والاسلامية وكانت قضية فلسطين هى ذروة الأخطار التى واجهت المسلمين على هذا المدى حتى عام ١٩٤٨ حيث قامت الحرب العربية الفلسطينية التى انتهت بهزيمة العرب وقيام اسرائيل فى فلسطين المحتلة ولقد والت الفتح هذه القضية خلال السنوات الست من هذا المجلد وفى المجلد التالى (١٨) الذى انتهت به مجلة الفتح (١٩٤٨) ولقد كان من أبرز القضايا التى عالجتها الفتح خلال هذه الفترة :

أولا : بروتوكول جامعة الدول العربية (شوال ١٣٦٣) .

ثانيا : قيام دولة جديدة فى باكستان (ربيع الآخر ١٣٦٥) .

ثالثا : قيام دولة اسلامية فى أندونيسيا .

رابعا : الجلاء عن سوريا .

خامسا : تقسيم فلسطين وقيام الحرب بين العرب واليهود .

وقد والت الفتح عام ١٣٦٢ — ١٩٤٣ قضايا المشادة على الدستور اللبنانى بين اللبنانيين والفرنسيين ، وغضبة الأوطان العربية لما وقع فى لبنان من تدابير ظالمة اتخذتها السلطات الفرنسية باعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء واحتجاج البلاد العربية (سوريا والعراق وشرق الأردن ومصر) .

وفى عام ١٣٦٣ — ١٩٤٤ كانت الأحداث السياسية كالآتى :

محادثات حول الوحدة العربية فى بغداد واشتراك السودانيين فى حكم بلادهم ومشروع باكستان وانشاء صندوق الأمة العربية فى فلسطين وانحياز أمريكا الى جانب اليهود فى قضية فلسطين ، وجرائم اليهود فى فلسطين ، وبروتوكول جامعة الدول العربية واحتفال جامعة فؤاد بذكرى الهجرة .

وفى عام (١٣٦٤ — ١٩٤٥) تحدثت الفتح عن عروبة شمال أفريقيا وعن التقدم فى المملكة السعودية وجبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية

وما قرره مجلس الجامعة من الجلاء الشامل لجميع القوات الفرنسية عن سوريا ولبنان وقضية طرابلس الغرب وبرقة ، وقضية فلسطين فى ضوء انتصار الحلفاء . ومصير أريتريا ومقاطعة الانتاج الصهيونى ، كما أصدرت الفتح عددا خاصا عن فلسطين بمناسبة (٢ نوفمبر) وعد بلفور (وقد انتهت الحرب العالمية ووضعت أوزارها فى هذا العام) .

وفى عام (١٣٦٥ — ١٩٤٦) تحدثت الفتح عن استقلال المغرب المسلوب وعن مسلمى الهند وارهاصات باكستان وقيام دولة اسلامية جديدة (ربيع الآخر) وعن الجامعة العربية والوحدة العالمية (عبد الرحمن عزام) وعن الجلاء عن سوريا وأحاديث عن طرابلس وبرقة فى اجتماع ملوك العرب وتهريب اليهود الى فلسطين وتقسيم فلسطين وفظائع الادارة الفرنسية فى تونس ودسيسة سوريا الكبرى .

وكانت أكبر ثلاث قضايا أولتها الفتح اهتمامها : الشريعة الاسلامية ومقاومة الشيوعية والوحدة العربية .

وفى عام (١٣٦٦ — ١٩٤٧) تحدثت عن تقسيم فلسطين : **أفظع جريمة سياسية ترتكب فى هذا العصر ، وتقسيم فلسطين وانشاء دولة** يهودية فيها ومكانة الباكستان فى قلوب العرب ، والأمير محمد عبد الكريم الخطابى فى مصر دولة اسلامية جديدة ، أندونيسيا الشقيقة .

هذا هو الجانب السياسى فى مجلة الفتح خلال هذه الفترة .

أما من جانب الفكر الاسلامى فقد أولت الفتح اهتمامها لعشرات من القضايا الهامة والخطيرة . وكان طابع الحديث كله منصب على الصفحة الجديدة التى سيبدأها العرب والمسلمون بعد انتهاء الحرب العالمية التى انتهت فعلا عام ١٩٤٥ ومن ذلك كانت أحاديث عديدة عن العروبة والاسلام وتقوية الجبهة العربية لتضطلع بعبء الرسالة الاسلامية من جديد وعن عقدة العقد فى الاصلاح الاسلامى ، ومن ذلك مقال « سيدعو الاسلام أولياته » والتطور العالمى بعد الحرب . ونهضة العرب للاطلاع برسالتهم .

وقد أولي الفتح اهتمامه البالغ بقضايا كبري :

أولا : العروبة ومفهومها الاسلامى الأصيل : فى عديد من المقالات حيث كشفت بعض الكتابات عن فساد فكرة الفرعونية ، وان خير منهج هو : العلم عالمى والثقافة عربية والتربية اسلامية ، وحدثت عن سجايا العرب فى التراث الاسلامى ، وأن بيت الابرة اختراع عربى ، وأحاديث عن الفن المعمارى الاسلامى وزورينا فورنس تحدث عن شهامة العربى وأن السيادة عند العرب بالأخلاق وأيام الله التى مرت بالعربية والعرب وأحاديث لدوزى عن حرية العرب ونظام حكومتهم ، وان العرب من أقدم أجداد الانسانية (باسكال) وأحاديث عن العرب فى أسبانيا ، ومحمد لنصارى العرب كما لمسلميهم ومآثر العرب فى العلوم المدنية ، ونصيبا من العلوم الكونية وتطبيقاتها بعد الحرب واستكشافات العرب وأمجد ذكرى فى تاريخ مصر وهى الفتح الاسلامى .

ثانيا : الشريعة الاسلامية : وقد أولى هذا الموضوع اهمية كبرى خلال هذه الفترة ايمانا بأن الطريق أصبح ممهدا لتطبيق الشريعة الاسلامية بعد أن انتهت العوائق التى كانت تحول من نفوذ أجنبى فتحدث عن الاسلام فى الدستور المصرى ، وتحدثت عن اتجاهنا التشريعى فى عصر الاستقلال .

ثالثا : التربية الاسلامية : كما تحدث عن ضرورة تغيير نظام التعليم فى المدرسة المصرية بحيث تكون التربية الاسلامية أساسا له والتخلص من التبعية للمناهج الأجنبية ومدارس الارساليات التى تقضى على وطنية وعقيدة أبنائنا .

رابعا : اللغة العربية : فى مواجهة التحديات وخاصة المشروع الذى تقدم به عبد العزيز فهمى الى مجمع اللغة العربية لكتابة العربية بالحروف اللاتينية . وقد ووجهت هذه القضية بحملة شديدة وقد تحدث السيد محب الدين الخطيب عن القرآن معجزة بين معجزتين ، وتفوق العربية على لغات الدنيا ، وتحدث الشيخ أحمد محمد شاكر عن عبدالعزيز فهمى وعداؤه للعربية .

وفجرت الفتح قضية الخلاف بين الشيعة والسنة بمناسبة ظهور جمعية

التقريب بين المذاهب وكتب فى هذا المجلد عدد كبير من الباحثين فى مقدمتهم عبد الرحمن عزام ، حسن البنا ، وعلى الطنطاوى ، وناجى الطنطاوى ، وحسن يوسف ، واحمد محمد شاكر ومن الشعراء محمد صادق عانوس ، واحمد محرم ، وصابر على رمضان والسنوسى مقلد ، كما تحدثت عن اعلام الفكر الاسلامى : جمال الدين القاسمى ، امين الحسينى ورسالة من جمال الدين الأفغاني الى عبد الله فكري .

* * *

افتتاحية المجلد السابع عشر : يقول السيد محب الدين الخطيب :

ستة عشر عاما قد مضت على الفتح وهى تؤدى رسالتها الشاقة المضنية فى نشاط وقوة غير مبالية بما يعترضها من صعاب وما يصادفها من عتاب ، من ذا الذى يدرك بسهولة أن مجلة اسلامها مشربها اسلامى نبوى صريح استطاعت ان تشق طريقها الى النور فى زمن انتشرت فيه الخرافات والأوهام واستشرى فيها الالحاد والمروق والاستهتار واشتدت يد التخريب تحاول هدم كل صالح نافع . وقال : صحيفة لا مدد لها ولا اشتراكات محبى الاصلاح الواسع ومع ذلك قامت تتذكر الأمر وارشادها الى طريق الاسلام الأول وسارت خطوات موفقة الى الهدف الأسمى الذى يطلبه كل مسلم الا وهو عزة الاسلام وصلاح المسلمين ورفع الضيم عن الأمم الاسلامية المهيضة الجناح ، كانت الفتح قبل نشوب الحرب المدمرة الحاضرة تطوى انحاء العالم الاسلامى الفسيح وتعلم اهله ما يجب عليهم لدينهم ووطنهم وتنير لهم سبيل الفوز فى الدنيا والآخرة فلما شبت نار الحرب المحرقة واقفلت الطرق وامتنع على الفتح أن تجتاز مسلك الجهاد فى معظم جهات العالم وجزع محبوها وهلعوا لبعدها عنهم . وللفتح على مصر فضل لا يجحد فقد ظهرت والالحاد رافع رأسه يريد ان يغزو الحق الذى نام اهله فكانت سيفا بتارا قطع اوداج الباطل وقضى على جراثيم حياته وكان صوتها هو الصوت الأول الذى دوى زئيره فأزعج الملاحدة وأخاف المبطلين . وكل صوت ارتفع بعدها فقد كان رجعا لها وصدى لصوتها الأول . وقد استمرت سنوات تجاهد وحدها فى الميدان

ولا معين لها الا الله عز وجل ففازت فوزا مبينا . وتمتاز الفتح عن غيرها من الصحف بنصاعة منطقها وجمال أسلوبها وسمو معناها وتحرى الكلمات النقية له ، وبعدها عن الاسفاف حتى فى اشد الموضوعات الجدلية خطرا واكثرها تعقيدا ، مبدؤها التوحيد الخالص والتوفيق بين المسلمين جميعا فلا تتعرض لجماعة اسلامية بنقد الا لاصلاحها وتقويتها وتقريبها من ينابيع الاسلام ومبادئه الأولى وازالة ما يعوقها عن بلوغ الغاية المنطوية وهمها الأوحد مقاومة أعداء الاسلام أيا كان مظهرهم وصفاتهم فكل من آذى الاسلام فهو عدو الفتح يجب هتك استاره وتقليم أظافره واطفاء ناره .

وفى خاتمة عام ١٣٦٦ الهجرى (١٩٤٧ م) وهو نهاية العام الثانى والعشرين كتب السيد محب الدين الخطيب يقول : كنا مغلوبين على أمرنا بعد مرور السنة الأولى من الحرب على أن نجعل الفتح نصف شهرية ثم شهرية لأن الورق ارتفع الى اربعين ضعفا عما كان عليه قبل الحرب وعجزنا فى بداية الأمر أن يكون لصحيفتنا نصيب من ورق التموين لأن الايثار به ثم تعيين كمياته كانا خاضعين لاعتبارات عامة وخاصة لا نصيب للفتح فى شىء منها فاضطررنا الى اصداره فى بعض الأحيان على ورق من الوان شتى وثمن الورق وحده قبل تكاليف الطبع أضعاف ما نحاسب به المشتركين فاضطررنا الى اصدار صحيفتنا شهرية وانقطعت المواصلات مع أكثر الأقطار التى كانت للفتح فيها مشتركون وصدر قانون الغيت به الاعلانات القضائية فحيل بين الفتح وبين أكثر أسباب الحياة الا ما يمدها به صاحب الفتح من حياته وعصارة قلبه على أمل أن تكون الحرب قصيرة الأمد ولكنها طالت ثم طالت وصبرنا عليها ثم صبرنا حتى انتهت وها نحن الآن أمام أمر واقع لا نعرف متى تكون نهايته ثمن الورق عشرة أضعاف ما كان قبل الحرب ونفقات الطباعة مرتفعة خمسة أضعاف والاعلانات القضائية انقطعت والاعلانات الأخرى التى تستعين بها صحف المتعة والمجون اما عن موبقات أو محرمات أو عن متاجر لا يستبيح المسلم لنفسه تشجيعها .

هذه الصحيفة لها رسالة لم تحد قيد شعرة عن مبادئها واغراضها لاننا عاهدنا الله منذ اليوم الأول على التزامها والثبات عليها جملة وتفصيلا ،

وقد وفقنـــا الله الى الثبـــات عليهـــا فلم تستطع ان تحولنـــا عنهـــا قوة فى الأرض .

ويرجو صاحب الفتح ان يديم الله توفيقه الى البر على قدر ضعفه بما عاهد عليه ربه من هذه الناحية حتى يخرج من هذه الدنيا وهو على خطة واحدة من بدء حياته الى خواتيمها .

وانه لمطلب شاق عسـير فى زمان اسفت فيـه الصحف الى اهواء الجماهير وسابقتهم فى المباح والحرام وحد متعهم وشهواتهم فأين يذهب من يريد بالصحافة ان تؤثر النصيحة لله ورسوله وعامة المسلمين .

وكان من راينا ان تعنى بنواحى الضعف والقـوة التى غفـل عنها المسلمون التى نراهم انتهوا لهـا واولوها ما يستحق من عنايتهم وهمتهم وحينئذ يتحول الى ناحية أخرى فتنة لها هذه الأمة وقادتها ونظن ان كثيرا من الخير الذى اعان الله العرب والمسلمين عليه كان الفتح وحده يدعو اليه قبـل أن يدعو اليه احد غيره حتى هيـأ الله اسبابه وقرت العيون برؤيته حقيقة ماثلة تشق هـذه الصحيفة طريقهـا بصعوبة وتسير الى أهدافها مثقـلة بالأعباء والموانع ويضـيع صوتهـا الضعيف فى عدد غير قليـل من المسلمين .

لم تظفر بالعون فى الاثنـين والعشرين سـنة الماضية ولا بنسـبة عشر معشار ما كان يستطيعه المسلمون . لقد بذلت من ذات نفسى لهـذه الصحيفة كل ما أستطيع وهى لن تستطيع ولا صاحبها أن تكون من الرواج فى الأسواق وفى أيدى الناس بمنزلة هـذه الصحف التى تقـدم للنـاس كل ما تشوبه من خير وشر وتمتعهم بكل ما يحبون أن يتمتعوا به من حلال وحـــرام .

المجلد الثامن عشر (١٣٦٧ — ١٩٤٧)

هذا المجلد الخاتم من مجلة الفتح الذى ينتهى فى ذى الحجة ١٣٦٧ — ١٩٤٨ فقد فرضت الظروف السياسية توقف هذه المجلة الرائدة فى الدعوة الاسلامية بعد أن أدت دورا هاما وخطيرا فى توسيد مفهوم العمل الاسلامى

وفى احضانهـا نشأت صحف الاخوان المسلمين منـذ عام ١٩٣٣ (جريدة الاخوان المسلمين) ومجلة النذير (١٩٣٩) ثم مجلة الاخوان (١٩٤٥) وجريدة الاخوان اليومية (١٩٤٦) واللتين توقفتا قبل نهاية عام ١٩٤٨ ايضا ، وقد أولت اهتمامها هـذا العـام الى جميـع القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية المثارة بمفهوم الاسلام الجامع فتحـدثت عن قضية فلسطين التى دخلت فى مرحلة الحرب العربية الصهيونية وهزيمة العـرب وقيام اسرائيل ، ونشرت أحاديث مستفيضة عن الجهاد فى شريعة الاسلام **وواصلت الفتح اهتماماتها بقضـايا الثقافة والفكر الاسـلامى ، وتحدثت** عن الحكومة والأمة فى الاسلام ، وتحدثت عن أجناس مصر منذ فجر ما قبـل التاريخ وفقه الدولة والفقـه الاجتماعى فى الاسـلام وأحاديث عن الربع الخالى فى جزيرة العرب وعروبة السودان ورسالة تاريخية من محرر الفتح الى الامام يحيى وأحاديث عن اليمن .

وقدمت الفتح دراسات عن أبطال الاسـلام : الجراح بن عبد الله الحاكمى والأحنف بن القيس .

كما عرضت الفتـح لمؤلفات جـديدة فى التراث وفى مقدمتهـا كتاب « معجم ما استعجم من البلاد والمواضع » .

وأولت الفتح اهتمامها للغة العربية والمحاولات الهـدامة وأحاديث عن الفصحى لغة القرآن ولغة الاسلام ، ومساجلة مع الأستاذ محمد فريد ابو حديد وحديث لحفنى ناصف عن اللغة العربية وسياسة الباب المفتوح .

كما أورد الفتح حديثا لفارس الخورى عن الرسول **محمد صلى الله عليه وسلم وأحاديث عن العرب بين أجناس البشر ، وأحاديث عن ما سمى :** خرافة التقريب بين المذاهب ، وذكريات السيد محب الدين الخطيب بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس جماعة الاخوان المسلمين .

وفى افتتاحية المجلد الثامن عشر (المحرم ١٣٦٧) كتب :

فى استقبال عهـد جديد

- التشرف بالانتماء الى رسالة أكمل المرسلين محمـد صلى الله عليـه وسـلم .

● التخصص بلغة العروبة سيدة اللغات .

● تبوأ أقدس بقاع الأرض وأكملها وأجملها وأكثرها اعتدالا وأغناها بالمجد وخصب التربة وكرم المعدن .

● تقلص ظل الاستعمار الأجنبى واخراج الفرنسيين من الشام والانجليز من مصر والهولنديين من أندونيسيا واقامة الحكومة الوليدة فى باكستان .

نعمة واحدة لا أطمع لأمتى بخير منها وهى أن تؤهلنا لما أنعمت به علينا فلا نكون غرباء عن الاسلام ، ونحن ورثته ، ولا أعداء للغة القرآن ونحن الناطقون بها وأن لا نكون معاندين لله (تبارك وتعالى) فى سننه التى سنها لكائناته ، وسنن الاسلام التى سنها الاسلام لأهله .

نحن الآن فى مقدمة الطريق فأولادنا الذين يولدون فى أحضاننا سيكون فى الغد القريب ، أى بعد عشرين سنة ، اما أذلاء مستعبدين لليهود والاستعمار بشر مما رأيناه بأعيننا فى مصر أيام كرومر وكتشنر وفى الشام أيام غورو ومن جاء بعده ، واما أن يكونوا أعزة يعملون بأخلاق الاسلام ويستعينون بثقافة العلوم ودلالة الأنظمة » .

وكان العدد الأخير من الفتح (ذى الحجة ١٣٦٧ — الموافق ١٩٤٨) وهى نفس ختام هذه المرحلة من تاريخ الصحافة الاسلامية بالنسبة لمجلة الأزهر وصحف الاخوان فقد كان عام ١٩٤٨ عاما حاسما حيث سقطت فلسطين فى أيدى الصهيونية وفى مصر حلت جماعة الاخوان وتوقف العمل الاسلامى فترة من الزمن تقف عندها ثم نواصل المرحلة الثانية من تاريخ الصحافة ونبدأها بمجلة الأزهر فى مرحلتها الثانية ، وصحف الاخوان الجديدة والصحف الاسلامية الصادرة فى مكة والكويت ودمشق وبيروت وأبو ظبى وقطر باذن الله .

الفصل الثانى

الدعـــوة الاســـــلامية

« منهــج الفتح »والايدلوجية الاسلامية عند « صاحب الفتح »

نشأت الفتح فى خضـــم الأحداث وفى قلب التحديات التى كانت بدأت تغزو الفكر الاسلامى وتؤثر على الأحداث وتكشف عن الأخطار التى تتعرض لها الأمة الاســـلامية ، وكان الســـيد محب الدين الخطيب ابن الاســــلام والعروبة الذى عايش مؤامرات الاحتلال الغربى وتقسيم العالم الاسلامى ووقوع الخلاف بين العرب والأتراك ، وتمزق الدولة العثمانية وانفصـــال العرب ليحتويهم النفوذ الغربى فتتقاسمهم فرنسا وانجلترا ، ويشـــترك فى الحركة العربية فى سوريا ثم عندما تسقط سوريا فى يد الاستعمار الفرنسى يخرج مهاجرا الى مصر ليعمل فى ميدان اليقظة عن طريق بعث التراث والكتابة والصحيفة وانشاء الجمعيات ، ايمانا منه بأن هذا هو الطريق الصحيح لبناء مستقبل الدعوة الاســـلامية فانشأ المكتبة السلفية وبدأ فى احيـــاء التراث الاسلامى على خطا السيد رشيد رضا الذى كان قد قطع شوطا طويلا فى هذا وكان له من صداقاته ما حقق له الكثير وما وسع دائرة عمله ، كان معه أحمد تيمور باشا والشيخ الخضر حسين وكثيرون وكان ذلك مقدمة لانشاء الفتح بعد تلك الضربة القوية التى تلقاها المسلمون باســـقاط أتاتورك للخلافة وبروز طابع العلمانية فى تركيا وتأثر المفكرين العلمانيين فى مصر به ، وبروز عملية التبشير الغربى فى الأوساط المسلمة ، هنالك أذن الله تبارك وتعالى بظهور مجلة الفتح لتواجه هذه الأخطار ومن ثم فان كتابات السيد محب الدين الخطيب وخاصة افتتاحيات مجلته التى استمرت أكثر من عشرين عاما تناضـــل بقوة وبدون معاونات مالية حقيقية (من اعلانات أو موارد صحفية) وكان يعتمد على موارد المطبعة السلفية فى نشر الفتح وتحمل نفقاته جزاه الله خيرا وقد أعلن من اليوم الأول أن هدف الفتح هو : الكشف عن جوهر الاسلام :

الكشف عن أن الاسلام دين اجتماعى صالح لكل زمان ومكان وعن أن مدنية العرب أكبر مدنية .

وأعلن عن أهــداف الفتح التى مضى يركز عليها ويثبتها ويوســـــعها ويعمقها خلال حياة الفتح دون أن يخرج عليها وهى :

١ ــ اصلاح المدارس والقضاء على الصحافة الفاسدة

اذا أعطى الزمان فى الاصلاح فيجب أن تبدأ تربية أولادنا وتحــــرر نفوسهم ، ان طريقة التعليم التى يسير عليها شبابنا لم تروعهم عن صرف مداركهم وذكائهم وجميع قواعدهم الفكرية من أن يتجهوا للشـــــهوات عن طريق القوة السيئة ، يجب أن نبدأ انا وانت باصلاح منازلنا وتنشـــــئة صغارنا على تقوى الله واحترام الفضيلة والتحلى بالشهامة ومما يؤسف له كثيرا أن طائفة من الناس ومنهم فريق من العلماء والأعيان يضعون أولادهم وبناتهم فى مدارس الفرير والجزويت والراهبات .

ويتحدث عن ثلاثة فروع للاصلاح : اصلاح منازلنا ، واصلاح مدارسنا ، واصلاح صحافتنا .

ويقول أن الصـــحف المصــورة التى تحض على الفجور وتهــون أمر الأعراض وتملأ رءوس القراء والقارئات بحكايات الشقق كأنه أمر عادى ، وكأنما هو الأصل وما عداه شىء غريب .

هذا الجانب الاجتماعى كان شغل السيد محب الدين الشاغل ، فهو يدعو الى مقاومة تيار التحلل من قيود الشرائع والسير فى غير الطريق الذى يدل عليه الاســــلام بوجه عام ، ويعترض على دعوة المرأة الى السفور وموسم حمامات البحر والعرى على الشاطىء ، هذا التيار المندفع الذى تؤيده السينما وتشجعه الصحافة ، هذا التيار الذى استشرى من بعد حتى وصل قمته ١٩٤٣ حيث يقول : فى الأمة شـــــخصيات محترمة من جميـــع الناس ولكلامها وقع فى قلوبهم ، لا شك فى ذلك ابدا فهل وقف أحد ممن لهم هـــذه المكانة فى الأمة وصار فيها داعيا الى وضع حد لهذا الفحش الذى فشا فى أمة لا يمكن أن يكافئها الله عليه بالاستقلال » .

ويركز السيد محب الدين الخطيب على الاســـــلام بوصـــفه **الدين الاجتماعى** ، يقول :

« هو الدين الاجتمــاعى الوحيــد الذى يصح أن يوصف بهذه الصفة

وحسبنا أن نعلم أن الاسلام جاء للدين والدنيا معا وحسبنا أن نذكر أن نظام الزكاة خاص بالاسلام ، اما الديانات الأخرى فليس فيها غير الحض على الصدقات والاسلام يشاركها فى هذا ويزيد عليها من أسباب الحض على الخير بما لا مثل له فيها : هذا الدين الاجتماعى حتى هان على أهله فجنوا بذلك على انفسهم وصاروا فى بلادهم عالة على غيرهم فمرضاهم فى مستشفيات المبشرين بالنصرانية وأطفالهم فى مدارس المبشرين بالنصرانية وما يقوله أعداءهم فيهم هو الذى يذيع فى الدنيا خطأ ، فيقرأه المسلمون من ابناء الأقطار الأخرى وينطلى عليهم ويحسبونه حقا وصدقا ، وذلك لأن المسلمين نسوا روح الاجتماع الذى جاء بها دينهم فعاشوا أفرادا متقاطعين **وجاء المرض من اهمال أهل الرأى فينا بتنظيم حياتنا الاجتماعية وجعلها ملائمة لديننا من جهة ولمصلحتنا الملية من جهة أخرى : « العيب فى القيادة »** اى فى الذين بيدهم القيادةالفكرية أولا والقيادة المالية ثانيا .

٢ — وفى المجلد الرابع من الفتح يستعرض السيد محب الدين الخطيب احوال المسلمين تحت عنوان « **الأمة اليتيمة** » فيقول : الحق أن المسلمين فى جميع انحاء العالم فى حالة محزنة من جهة مقوماتهم الاجتماعية والملية ، فالسرى النبيل فى بلاد المغرب الأقصى يريد أن ينشىء أولاده تنشأة اسلامية عربية راقية تتمشى مع روح العصر ليأخذوا بأيديهم الى أوج القوة فلا يجد فى بلاده ولا فى البلاد الاسلامية مدرسة يبعث بأولاده اليها فهو بين احدى قضيتين : اما أن يخسر أبناؤه اسلامهم وعروبتهم ويكونوا كما يريد الاستعمار أن يكونوا واما أن يظلوا على خمولهم جاهلين روح العصر وأسباب القوة وكلا المصيبتين شر من أختها . وقد تعود المسلمون أن يعتمدوا على حكوماتهم فى جميع شئونهم العامة ، وحكومتهم فى المائة سنة الماضية لا يعنيهم ما يعنى حاخامات اليهود ونظريات المذاهب المسيحية ، فهل المسلمون عاجزون عن أن يكون لهم معاهد علمية تجمع بين الحسنين .

الأمة اليتيمة هى الأمة الاسلامية : التى امتاز دينها بأنه دين توحيد وسعى وتضامن ، دين العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، هذه الأمة صارت الآن محرومة من أهمأسباب الحياة والبقاء وعالة حتى أوطانها على الاغيار والنزلاء والضيوف (١٩٣٠) » .

٣ — ويصل من هذا الى أن الدعوة الاسلامية يجب أن تكون لهـا خطة عمل .

يقول م ٥ (١٩٣١) خطة ندعو بنى ملتنا الى اتباعها . أساس هذه الخطة ركنان اثنان :

أولا : تعيين طريق واضحة فى الثقافة اللازمة للمسـلمين حتى تكون الأجيـال الآتية تكوينا صـالحا للانتصـار فى معارك الشرق والغرب التى ستنشب فى المستقبل .

ثانيا : عدم تمكين الغرب من أن ينمى قوته على حسـابنا وأن يزيد موقعه رسوخا فى أوطاننا عن رضى منا واختيار .

ويقول ان الثقافة اللازمة للمسلمين هى التى تجمع بالناشئة الاسلامية بين التخصص فى العلوم الكونية والتمسك بهداية الاسلام ، ومعرفة المفاخر القومية والمحافظة على الأمجاد الملية ، ومتى نشأ الناشىء حريصا على دينه شديد الحب لقومه كان ذلك ضمانة كافة لاستعمال معارفه الكونية مما يدفع عن الاسلام صولة المهاجمين وعن الشرق جشع المستعمرين .

٤ — ويصـل السـيد محب الدين الخطيب من هذا الى أن الدعـوة الاسلامية محتاجة فى الوقت الحاضر الى أربعة أمور (١٩٣٣ م ٨) .

الأول : أن تكون لها جمعية ترسم سياسة الدعوة وتدرأ عنها العدوان والشرور .

الثانى : أن يكون هناك مصنع يقدم للاسلام دعاة فنيين يقفون حياتهم على الدعوة (والأزهر وان كان يخرج علماء فى دين الاسلام) لكن صناعة الدعوة أصبحت فى هذا العصر ذات أساليب لا يكفى لها العلم الاسـلامى العـام .

الثالث : الملاجىء والمستشفيات .

الرابع : ايجاد مناعة فى أبناء المسلمين ولا يكون ذلك الا بحمل جميع مدارسنا على جعل الثقافة الاسلامية أساس التعليم والتربية .

ويقول : دعاة النصرانية من رجال السياسة ورجال الحـرب مضى عليهم الآن مائة سنة وهم عاملون على انتهاز غفلتنا وانشاء قلاعهم فى بيوتنا

وتسديد سلاحهم الى حبات قلوبنا وضرب نطاق الحصار علينا من كل جانب حتى لا يفلت من أيديهم من لا يستطيعون انشاء النصرانية فى روحه يكتفون بهدم الاسلام فى روحه . لقد طمع فينا دعاة النصرانية لأنهم كانوا فيما مضى يجهلون بعض دخائلنا ويتصورون أن للأزهر خطة مرسومة فى خطة الاسلام ، تحت تأثير هذا التخيل صرح الأستاذ فمبرى المجرى من بودابست متسترا بلباس درويش مسلم يتكلم اللغة التركية وقطع مفاور آسيا الى أعماق التركستان ليكشف دخيلة أمر المسلمين ويطلع على ما يكتمونه من طرق التعاون وتحت تأثير هذا التخيل ، لبس العلامة هرنجرونجه الهولندى المرقعة وجاور فى الحرم المكى دهرا طويلا منتحلا صفة طالب علم مسلم ليقف على ما لابد أن يكون المسلمون قد رسموه من خطة لخدمة دينهم فلما عرفونا كما نحن وسعوا نطاق العمل بعد الحرب على أمل أن يستولوا حتى على أولاد الأمراء والوجهاء وشيوخ الدين » .

٥ — ويواصل السيد محب الدين الخطيب منهجه لا يتوقف ففى م ٨ (١٩٣٤ — ١٣٥٢) يتحدث عن « **تنظيم الدعوة الاسلامية** » **فيقول** :

أدعو أهل القبلة أن يخففوا من حماستهم المذهبية والطائفية وان تستشعر كل طائفة من طوائف أهل القبلة المحبة الأخوية التى يطلبها كل مسلم لاخوانه المسلمين وان خالفوه فى غير الأركان التى يقوم عليها الاسلام، فالسنى والشيعى والزيدى والأباضى يجب أن يتجنب كل فريق منهم اليوم العصبية الجاهلية التى تنافى أخوة الاسلام ، ولا فائدة لها فى تقرير الحقائق العلمية ، والاسلام الذى سن للمسلمين الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ينكر على كل طائفة من طوائفه الانتصار لما انفردت به من أمور بأساليب تدعو الى سوء التفاهم وتفتح للشقاق أبوابا يدخل منها الأجنبى عليها بمصالحه وماديته فالأمور التى يشترك فى الاعتقاد منها السنى والشيعى والزيدى والأباضى هى الأمور التى تسمى بها الاسلام اساسا ولا يتم الاسلام الا بها . والعالم الاسلامى بحاجة الى تنظيم صفوفه وتسويتها والنفوس الآن اصبحت مستعدة لهذا الأمر وفى بيوت المسلمين ألوف وألوف من الناس ترقب قادة الدين وتحصى عليهم أنفاسهم وتعد العصبية للمذهب وللطائفة جريمة لا تغتفر ، فالعصبية والانتصار للطائفة

يجب أن يتحولا بعد اليوم الى الجامعة الشاملة .

٦ — ويتحدث السيد محب الدين الخطيب فى المجلد الخامس الى الشباب المسلم : فيقول :

أول واجبات الشباب أن يعرف حقه العام وأن يؤمن به وأن يتخذ منه زجاجتين يضعهما أمام عينيه فلا ينظر فى الدنيا الا بهما . اذا آمنت بحقك العام انتفى الناس من قلبك . الواجب نحو الوطن الأكبر ، يجب أن يكون بنو وطنك وقومك وبنو ملتك أغنياء ليستغنوا بذلك عن الأجانب فاحرص على أن لا يدخل فى جوفك شىء أجنبى ، واحرص على الا تلبس على جسمك شيئا أجنبيا الا اذا كان لا غنى لك عنه فقط . يجب أن يكون وطنك وقومك وبنو ملتك أحب الجامعات اليك فلا تدع لأعداء وطنك وأمتك ودينك أى مجال لانتقاص كرامة هذه الجامعات المقدسة أو الحط من منزلتها أو الطعن فى شىء منها وكل الكتب والصحف التى تهين جامعتك الوطنية والقومية والدينية وتمس بكرامتها انما هى كتب سوء وصحف سوء ، يجب عليك دفع شرها ونقض أباطيلها .

ان المهمة التى تنتظر منا العربية والاسلام أن نقوم بها يمكننا أن يقوم كل واحد منا بجانب منها من نفس عمله الذى يتولاه مهما كان نوعه ، ان المرء قليل بنفسه كثير باخوانه . كان أهم قرار الغرب : هو قطع الأواصر بين أهل المشرق دعوة الى التخلى عن هذه الروابط واحياء عصبيات صغيرة كان الاسلام قد أماتها لتحى بعروة الله الوثقى التى لا انفصام لها .

ويتحدث فى الدعوة الى الوحدة العربية بمفهوم اسلامى أصيل (م ٧ — ١٩٧٧) . فهى جزء من الوحدة العربية الاسلامية ، وهى مواجهة لحملات الاستعمار لتمزيق العرب الى أقليات ودحض دعواهم أن ليس العرب أمة واحدة ترتبط برابطة اللغة والثقافة والمطمح المشترك ، بل هى مجموعة أمم هى أشرف من أمة الغرب وأرقى سلفا وسابقة وأن المصرى ليس عربيا ولكنه سليل الفراعنة والعراقى ليس عربيا ولكنه سليل

الأشوريين والكلدانيين والسورى ليس عربيا ولكنه سليل الأرمن واللبنانى ليس عربيا وانما هو سليل الفينقيين ودليل الصليبيين ،

يقول يجب على الناطقين بالضاد من حدود فارس الى رباط الفتح فى أقصى المغرب أن يؤمنوا بأن القومية العربية متكونة منهم ومن سكان جزيرة العرب وأن يعلموا أن لغة القرآن جعلتهم خلفاء على الأمانة التى يحملها المبشرون بالقرآن .

ويولى السيد محب الدين الخطيب اهتماما واسعا بالاحتفال الضخم الذى أقيم احتفالا بذكرى حطين واجتمع به رجالات العرب وقادتها المخلصون وقال أنهم ما اجتمعوا فى هذا اليوم الا ليبرهنوا للغربيين انهم ابناء أولئك الأبطال الفاتحين الذين نشروا لواء العدل والحرية فى مشارق الأرض ومغاربها ، وليثبتوا لهم أن دمهم العربى الذى يجرى فى عروقهم هو دم طاهر شريف لابد أن يتفجر يوما فيعيد سالف مجده وتالد عزه وان الأمة العربية الشريفة مهما أصابها من كبوة فلابد لها ان شاء الله من أوبة .

ثانيا : مهمة الفتح

وقد تناول السيد محب الدين الخطيب مهمة الفتح وتحدث عن متاعب العمل الصحفى الاسلامى :

قال : لقد طبعنا فى السنة الأولى للفتح سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦) سبعمائة نسخة ،

قال له شريكه : ان مجلة أخرى تطبع عشرة آلاف وتباع بسرعة ، ألا ترى طريقة تجعل الفتح مقبولة عند الناس فتروج رواج الأخرى .

قلت : ان أسلوب التعليم الذى تلقيته يعيننى على انفاق التحرير بالطريقة التى تراها فى المجلة الأخرى أكثر مما يعيننى على اصدار صحيفة الفتح ، ولكن أمتنا متخوفة بهذا النوع من الصحف بينما هى فى أشد الحاجة الى صحيفة تنظر الى الأمور من الوجهة الاسلامية المحضة غير متأثرة بأى مؤثر سياسى أو حزبى ، ولا بأى غرض من أغراض ذوى الأغراض ، وأنا لا أنكر أن الجمهور مندفع فى تيار يفضل معه ما يثيره على ما ينفعه ولكن فى العالم الاسلامى عددا كبيرا من القراء الشاعرين بالحاجة الى مثل (الفتح)

وأنا متأكد ان مع العسر يسرا ، وان مع الصبر سيكون للفتح قراء لا يقل عددهم عن قراء المجـــلة الأخرى ، وانقضى على ذلك خمس أعوام ونحن صابرون حتى اتسع ولله الحمد والمنة نطاق انتشار الفتح وسار ذكره وصار يطبع منه بضعة ألوف وكلما اتسع انتشاره فى قطر اسلامى تحكمـــه دولة مسيحية طورد من ذلك القطر وخسر ما ماله هنالك من مشتركين (السودان المغرب الأقصى ، الجزائر ، تونس ، طرابلس الغرب ، سومطرة) . ان مطاردة الفتح فى مختلف الأقطار لم تنل من صبرنا منالا لان هذا هو الشىء الذى كنا قد وطنا النفس عليه من أول الأمر ولكن الذين نالوا من صبرنا هم أناس أقرب الينا من الحكومات الأجنبية وهو العدد الأكبر من مشــــتركى الفتح . ذلك أن الصحف الأخرى تعيش فى الأكثر من الاعلان عن الخمـــر والدخان وبضائع الترف التى تستنفذ أموال الأمة فى بالوعة شــــيكوريل وبون مارشيه ، ومن مســـاعدة أحزاب مخصوصة وجهات مخصوصة ، ثم يكون كل ما يدخل عليها بعد ذلك من المشتركين زائدا عن قدر حاجتهـــا

أما أمثال الفتح من الصحف فلا حياة لها من قراء آلوا أن يتفقوا معها فى وجه تيار الغلالةحتى يثبتوا وجودهم ويكون منهم ســـدا أمام هذا التيار منيع . ان هذا التيار يجرف فى طريقه حرمة الدين والفضائل ، وينـــكر على التاريخ مناقب الاسلام وأهله ، وقد بلغت موجاته بيوتنا وخاض فيها أبناؤنا فلابد لصده من جريدة ولابد للجريدة من قراء : بهذا الحس أصدرت الفتح وبهذا الحس كنت أنفق على الفتح صابرا وبالرغم مما تلقى الفتح من مطاردة حقيقية ، صار للفتح قراء كثيرون ، وقد حســـبنا مجموع ما دخل صندوق الفتح فى سنته الخامسة ومجموع ما أنفق عليها ، أننا أنفقنا من مال المطبعة السلفية ومكتبتها على سنة الفتح الخامسة مائتى جنيه سترا لعجز مصاريف الفتح مع اعتبار أن تحرير الفتح من أوله الى آخره نقوم به مجانا ، ان التيار الذى نحاول مع قرائنا أن نقف فى وجهه لو كتب له الفوز فى المشرق العربى كما فاز فى تركيا مثلا فان ذلك يؤذى جمهور المســـلمين فى دينهم فقط ، أما علماء الشريعة والقانون بالوظائف الدينية فان الأذى ينالهم من دنيـــاهم ودينهم معا .. (٢٢ ربيع الأول ١٣٥٠) السنة ٦ الفتح .

ولكي تكتمل هذه الصورة لابد من حصر كل ما يتعلق بهموم اصـــدار

الفتح : وفى المجلد السادس يتحدث السيد محب الدين الخطيب عن : « ان الذين يريدون فشل هذه الصحيفة أكثر يقظة لها من أصدقائها الذين يريدون لأغراضها النجاح » .

ثم يتحدث عن انخفاض الاشتراكات ، ويقظة الحكومات الاستعمارية لهذه الصحيفة ، وقطعها عنها موارد الحياة فهى أقطار عديدة منع الفتح من دخولها ولا يزال ممنوعا ، فحكومة هولندا مثلا منعت الفتح من دخول جميع أقطار أندونيسيا (٥٠ مليونا أكثرهم من المسلمين ومن مهاجرة العرب ٣٠٠ ألف نسمة) ان الجرائد الأخرى تعيش من الاعلانات أو اعانة الدعايات أو من اعلانات بضائع الافرنج وفى مقدمتها الخمور والمراهنات والكماليات التى نحن نحض الناس عن الاستغناء عنها .

وتحدث صاحب الفتح عن توزيع الفتح فى السودان وكيف منعت من دخول المغرب الأقصى ، وكانت أوسع انتشارا وأكبر تأثيرا من الصحف العربية المحلية فى المغرب ثم منع بيعها فى الجزائر وفى تونس وبطبيعة الحال صارت لا تدخل بلاد طرابلس ، ومقاطعات كبيرة فى جزائر الهند الشرقية تألمت أعصاب حكامها مما نشر فى الفتح خاصا بتلك الديار وقد بدأت الفتح (فى ٢٩ ذى القعدة ١٣٤٤ — ١٠ يونيه ١٩٢٦) .

صاحبها محب الدين الخطيب ورئيس التحرير عبد الباقى سرور نعيم الذى ظل يشرف عليها عاما كاملا قبل أن يرحل وكان من نوابغ الكتاب الاسلاميين ، وقد كتب فى الفتح محمد الخضر حسين ، محمود محمد شاكر ، محمد حامد الفقى ،

وقد أولى السيد محب الدين للتراث اهتماما كبيرا ، فقد نشأت الفتح فى أحضان المطبعة السلفية والمكتبة السلفية ، وقد جاءت الفتح فى الوقت الذى اشتدت فيه حركة التبشير، وأشارت الى ذلك الأجنبى الذى دس نفسه بين الحجاج المسلمين ومعه نسخ الانجيل ، وأخذ فى توزيع كتب التبشير عليهم ، وأشار الى مصر القديمة وطائفة المبشرين التابعين لجمعية التبشير الانجليزية ، ومن كتب التراث الذى أحياها :

ثلاث رسائل للجاحظ : فى الرد على النصارى وفى أخلاق الكتاب وفى القيان .

علل الحديث : أبى محمد عبد الرحمن الرازى .

سيرة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم

ويكشف السيد محب الدين مخططه فى العمل الصحفى الاسلامى كأحد رواده ، بعد رشيد رضا الذى كان مجلته المنار شهرية وتكاد تكون قاصرة على أبحاثه — وان نشرت أبحاثا اخرى كثيرة على فترات — اما مجلة الفتح فهى أسبوعية أولا ومنهجها فتح الطريق امام شباب كتاب المسلمين ، ولذلك فقد كان لها خطة واضحة فى عقل مؤسسها :

يقول : كان مسلكنا فى الفتح منذ البداية أن ننبه المسلمين الى أعدائهم وأن ندلهم على النشرات والمؤلفات التى ينطوى أصحابها على غل وبغضاء للهداية الاسلامية فاذا قامت الحجة على ذلك وعرف الناس عدوهم : وعدو العقل والهدى نعد أن مهمتنا من هذه الناحية قد انتهت ونلتفت الى غيرها ، وكان هذا دأبنا فى أمر مجلة السياسة الأسبوعية فاننا ما نزلنا بين قرائنا الى ما تنشره من مفتريات وأكاذيب حتى امتنعوا بذلك حتى صار أهل الايمان من باعة الصحف فى مختلف الأقطار الاسلامية يرفضون الاتجار بها وينزهون بطونهم من مال السحت الذى يأتى عن طريقها (ويقول لمراسل من سنغافوره) الدواء الشافى هو أن يعمل مسلموا بلادكم على ألا تدخل السياسة الأسبوعية منزلا وأن لا تحملها يد .

وبعد أن بلغت الفتح ثلاثة عشر عاما تحدث صاحب الفتح عن تشييد دار الفتح ومطبعتها وكان قد صدر أول عدد منها ١٣٤٤ (وصدر أول كتاب من مطبعتها ١٣٤١ وقد تأسست مكتبتها ١٣٢٧ يقول : كنت حريصا على أن أرد ما يدخل فى يدى من مال على تحسين هذه الصحيفة ونشر ما أستطيعه من مؤلفات أقاوم بها تيار الأدب الفاسق والمطبوعات الضارة وقد يسر الله — تبارك وتعالى — شراء أرض فى روضة المنيل وراء المقياس من وقف السيد محمد أبى الأنوار السادات رحمه الله) .

ويقول : نحن نكتب فى الفتح ليحاسبنا الله وحده على ما نكتب ، وبهذا نالت هذه الصحيفة الصغيرة اعتبارا عند من يحبها ومن يشنؤها . وقد تحسدها عليه كبريات الصحف ، ونحن لا ندعى العصمة فما نذهب اليه من

رأى فى أى حادث ولكننا نتحرى الصواب والخير وغايتها : اهتمام وافر بكل قضايا العالم الاسلامى والعربى بالذات .

- قضايا الجزيرة العربية فيما بين اليمن والسعودية .
- قضايا تونس والجزائر والمغرب وطرابلس الغرب .
- الجمعيات الاسلامية فى الشام (سوريا وفلسطين) والعراق : شباب محمد والشبان المسلمين والاخوان .
- قضية فلسطين .
- قضايا البهائية والقاديانية وغيرها .
- قضايا مسلمى أندونيسيا والصين وباكستان والهند (ومن كل هذه المناطق كتاب يكتبون) .
- الشعر الاسلامى .
- **كتاب مصريون وعرب فى البلاد الغربية : عمر الدسوقى ، أحمد** عبد السلام بلافريح ، عمر الامرى .
- **التربية والتعليم .**
- **الشريعة الاسلامية .**

فهى صحيفة سياسية اسلامية وصحيفة دعوة مع توجيه كل خدمة المركز العام للشبان المسلمين عن مختلف القضايا السياسية والاسلامية .

وفى كل عام من أعوام الفتح قضايا تتجدد وخواطر جديدة :

الفتح (م ١٠/١٩٣٥)

العالم المسلم الذى يعيش بعيدا عن حركة الجهاد لايقاظ المسلمين وتحريرهم وتحقيق وطأة الاستعمار وسلطانه عن رقابهم مكتفيا باشتغاله **بمسائل الحيض والنفاس واقتعاد حلقات الذكر وتلقين الأدوار وتخدير** أعصاب الأمة بما يحول بينها وبين القوة والثروة والنهضة والتقدم من أسباب **لبواعث الضعف والاستكانة .. ان العالم الذى هذا شأنه هو من أعوان** الاستعمار فى التنصير والتكفير لابد من يرى الحريق ولا يبادر لاطفائه مع

القدرة على ذلك يعد شريكا لمرتكب خيانة الحريق . فمن أراد أن يقـــوم للمسلمين بواجب دينى فعليه أن ينتشـــلهم مما هم فيه ، وأن ينبههم الى أسباب ضعفهم ، وأن يأخذ بأيديهم الى طريق القوة والاســتقامة والنهضة والرجولة . فلتكن لنا أساليب ندفع بها الأمة الى ما يدفعها عنــه أعداؤها وكلما كثر الأئمة الموجهون الى هذه الوجهة تقربت الأمة بهدايتهم الى ربهـــا وخففت عنها من سخطه وتأهلت للسيادة والســـعادة وكانت من عباده الصالحين .

ويتحدث عن الوجهة الصحيحة للأمة : ان الأمة فى بدء نهوضها تضطر الى تقليد الأقوياء فى مناهجهم وخططهم وانظمتهم وقد يتمسك فى هذا النقـل بكثير من الظواهر فيشغلها ذلك عن النظر فى كثير من الحقائق ولـــكن لهذه الحالة دورا تنقضى ثم تنتقل الأمة منه الى النظر فى حالها لتطبيق تلك الأنظمة عليها أو تعديلها بحســـبه فندخل فى دور آخر هو دور التحرير التشريعى الذى نبتعد عن الغرباء عنها ونتقرب من الذين هم منهم وهم منها ثم تعاون بين مصر وشقيقاتها العربيات .

انتقال مصر من دور الاتجاه نحو الغرب الى الاتجاه نحو نفسها ونحو شقيقاتها فى الشرق ، أو بالتعبير الأصح من دور التقليد للغــرب الى دور الرجوع الى مجرى تاريخ مصر الثقافى الذى تشترك فيه مع أقطار الشرق العربى ، ان ظواهر انتقـــال مصر من ذلك الدور الى هذا الدور قد بدت آثارها فى اقتناع الأمة قبل أن يبدو فى اقتناع الحكومة والصحافة المصرية تحت تأثير ميل الأمة واقتناعها — صـــارت تعنى بأخبـــار الشرق العربى وتخصص الصفحات الواسعة .

ويركز الســيد محب الدين الخطيب على اتجــاه الثقــافة المصرية نحو الشرق : فيقول : يعقد لمصر لواء الامامة على أقطار الشرق العربى فى سير قافلة الثقافة الى الأمام ويكون للقومية العربية قدم صدق فى الحضارة الانسانية العامة ،

ويتحدث عن دعوة (محمد على علوبة) وزير المعـــارف اذ ذاك الى تدريس تاريخ الاسلام فى المدارس الأولية والابتدائية والثانوية تدريسا يمزج

بأرواح شباب مصر حس الاحترام والتقدير والاحلال للعبقرية والبطـولة والعظمة التى كانت لسلف هذه الأمة (م ١٠ فى ٨٣٢) كما آزر الدعوة الى توحيد مناهج التعليم فىالشرق العربى .

ويركز على هذه الوحدة العربية الأصيلة التى حمل لواءها الأبرار من الدعاة حين بدأت أزمة فلسطين فيتحدث عن ذلك : (م ١٢/١٩٣٨) .

وطن واحد ، أمة واحدة ، لغة واحدة .

الفت أنظار بنى قومى من الناطقين بالضاد وفى كل قطر وتحت كل نجم سواء منهم المنتشرون غرب روسيا أوفى شـمال أفريقيا ، ان الايمان سر التوحيد وروحه ، وان التوحيد ثمرة الايمان وغايته ، فاذا كنت أنت غـير مؤمن بحقك فلا تلم الطامع اذا أخذ ما لم يعترف لك به واذا كنت أنت غير جاد فى حفظ هذا الحقوهو فى يدك ولا فى انتزاعه من يد مغتصبه اذا كان قد خرج من يدك فلا تلم مغتصبه من حرمانك منه والجد فى حفـظ التراث الموجود ، واسـترداد الحق المفقود وليد الايمان بوجـوب حفظه موجودا واسترداده مفقودا وكلما تضافر ايمان المؤمنين بالحق واتخذوا فى تحقيـق أمنية التوحيد كانت من ذلك القوة الرهيبة التى لا تقف فى سبيلها قوة .

وفى عام ١٩٣٨ وهى أثر سنوات الجهاد وفى فلسطين نرى اهتمـام الفتح واضحا .

يقول : « الخطأ الذى يقع فيه الأقوياء الظافرون يرجع الى اعتقادهم أن فى امكانهم أن يحولوا بين المغلوبين أو المحكومين لهم وبين أن يصـيروا أقوياء فى المستقبل القريب أو البعيد فهم لا يحسـبون لهذا الأمر حسـابا ويبنون النتائج على أن القوى سيظل قويا وأن الضعيف سيظل ضعيفا أبد الدهر ، ولكن قوة الأقوياء وضـعف الضـعفاء أعراض متقلبة يصرفها الله بارادته وتقديره ، كما يصرف سائر خلقه ، والقوى العاقل هو الذى يحسب حسابا لانقلاب الضعيف قويا وانقلاب القوى ضعيفا ، والتصرف بمصـير الأمم تجربة يجرب الله بها الأقوياء فاذا تصرفوا بالعدل والحكمة كان ذلك وقاية لهم من سوء العواقب ، ترى هل يعتبر الانجليز بهذا الموقف فيعدلوا فى فلسطين عن احدى الغلطات التى تورطوا فيها بعد الحـرب العظمى ،

وهل يعتبر الايطاليون فى طرابلس الغرب والفرنسيون فى تونس والجزائر والمغرب الأقصى فيعدلوا عن اضطهاد القومية العربية والملة الاسلامية واستفزازها للدفاع عن حياتها » ..

ولا يتوقف السيد محب الدين الخطيب فى دعوة الأمة الاسلامية الى القوة بالأخلاق والعلم والثروة والمال وبالصناعة والتجارة ، بالنظام والاقتصاد والتخصص ، ليستغنى أبناء ملتكم عن الأغيار فتكونوا بذلك قوة للملة بالنظام والاقتصاد والتخصص وهى المزايا التى قامت بها حضارة الغرب ، ان أمة قليلة العدد تستطيع أن تستولى فى امة أخرى كثيرة العدد لأن الأولى امتازت بالنظام على الأمة المستعبدة ، كونوا أقوياء بالاتحاد ولنذكر انه عضو فى جسم الملة وأن يقوى بها وتقوى به »

ويواصل السيد محب الدين الخطيب رسالته. ففى العام الخامس عشر من الفتح العدد ٧٠١ — ربيع الأول ١٣٥٩ يتحدث عن مهمته ودوره فيقول : أعترف بأنى أعارض التيار منذ أربعة عشر عاما وأقف فى طريقه ، رايت واجبا من واجبات الكفاية انصرف عنه الناس فقمت بما يستطيعه مثلى يوم لم يكن فى الميدان صحيفة واحدة تتصدى له وثابرت عليه حتى بعد أن تهافت المتزاحمون على هذا المورد ظانين أن فيه تجارة رائجة فلما علموا أن سبيلنا الى غايتنا لا يرافق اللجة لنجتازها ازوروا عنه الى غرضين :

(١) مخاطبة أفراد العامة بما يميلون الى معرفته من أحكام وعوائد

(٢) التقرب الى أصحاب الكرسى من سدنة الدين والدنيا مدة وجودهم فيها.

كان فى استطاعتنا أن نسلك هذا السبيل الذى أثرى فيه الأميون ولكن كان الهدف الذى نرمى اليه غير ذلك ، كان فى استطاعتنا أن نسلك سبيل الصحف الأخرى التى تتجر بالثقافة والأدب وتتنازع ثمراتها المادية وتسير بالرأى العام الى ما يجمع بين المتعة والفائدة تارة والى ما يشاب دسمه بسم تارة أخرى ، ولو أننا ارتضينا للفتح هذا السبيل لأقبل عليه القارئون بعشرات الألوف ، ولكنا لم نفعل لأنه كان لنا غرض ان خفى على الناس قبل أربع عشر عاما فان الأربع عشر عاما كافية لأن يستبينوه ، : ان هناك دائرة اسمها الاسلام ، وأنا مستعد لأن أتوسع بمقدار ما تتسع له

هذه الدعوة ، فأقبل الحقائق كلها كما هى وارحب بها واستقبل أسباب العلم والحضارة و**النهضة والعمران بكل ما يستحقه من تشجيع وميول** ؟ وانى على بينة من طريقى وسيتبينه الناس مع الزمن » .

ويتحدث عن الاقلال من صفحات الفتح نتيجة غلاء الورق مائتين فى المائة بعد اعلان الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ، ولو كان العدد الأعظم من مشتركينا يسعف الفتح بقيمة الاشتراك فى أوقاتها لكان ذلك أسرع فى بلوغ ما تتمناه من النهوض » ذلك أن الصحف ذات المبدأ والغاية المعنية تهم قراءها بمقدار ما تهم ناشريها ، يقول : « كم من صحيفة عربية او اسلامية صدرت ثم احتجبت فى مصر وفى غير مصر منذ صدور الفتح الى الآن ، أما صحيفتنا فلاصرار صاحبها الى حد العناد استحقت مكافأة الله عز وجل باستمرارها هذه المدة بلا انقطاع .

ويولى الفتح اهتمامها الى : بناء الفرد المسلم والمجتمع المسلم .

اعادة التشريع الاسلامى الى الحياة

فما أن يدعو اسماعيل صدقى عام ١٩٣١ الى توحيد القضاء فى مصر بادماج القضاء الشرعى فى القضاء الأهلى ؛ حتى ينبرى له السيد محب الدين الخطيب فيقول : « (م ١٥) القضاء الشرعى نوع ثالث من أنواع القضاء وهى المدنى والجنائى والتجارى لا يكون الا اذا أراد المشرع المصرى أن يجعل التوحيد قائما على توحيد المصدر الذى يستمد منه التشريع وهو الفقه الاسلامى الينبوع القومى والمصدر التاريخى للتشريع فى مصر مدة بضعة عشر قرنا وان مصر لم تعدل عنه الى التشريع الأجنبى الا بتأثير **أجنبى منذ نصف قرن فقط . ان الأمم المسيحية فى أوربا لم تأخذ تشريعها من** الفقه المسيحى لأن المسيحية ليست دين حكم ، ولذلك لم يكن للمسيحية فقه يصلح للقضاء ، أما الأمم الاسلامية فكانت ولا تزال تستمد تشريعها من الفقه الاسلامى **لأن الاسلام دين حكم** ومن ثم كان للاسلام فقه فلأطباق الأرض تأصيلا وتفريعا ، ولا يوجد فى تاريخ العقل الانسانى معنى من معانى العدل الا وقد نص على الفقه الاسلامى ولاحظه وأعطاه حقه من البيان والموضوع (كتاب سانتلانا المطبوع فى تونس ١٨٩٩) وقد استقى الفرنسيون منه

قانون تونس المدنى المأخوذ من الشريعة الاسلامية واسطة الأستاذ سانتلانا » .

ويتحدث عن (عقدة العقد فى الاصلاح الاسلامى) وهى قمة منهج محب الدين الخطيب : ان عقدة العقد فى الاصلاح الاسلامى والسبب الأول فيما يشكوه المسلمون من أعراض الضعف التى ينشدون علاجها ويتمنون البرء منها هى فى الدرجة الأولى انصرافهم عن فضائل الاسلام وأحكامه ، وسننه عن الغرض الحكيم الذى ترمى اليه هذه الفضائل والأحكام والسنن ، اى الشكل الذى يمثلها ويدل عليها واكتفاء أكثرهم بهذا الشكل عن ذلك الغرض .

ومهمة الاسلام تتناول اصلاح الفرد فى نفسه وبنيه كما تتناول تكوين المجتمع على أسس ثابتة يصلح معها للفوز فى مضمار الحياة ، فضلا عن مهمة الاسلام فى تصحيح العقائد وتبسيطها ، وايقاظ العقل لحقائقها ودلالته على سيرها مع الفطرة السليمة فضلا عن مهمته فى توجيه قلب المسلم الى العبودية لله وحده وتخليصه من أوهام البشر التى رانت على قلوبهم فى سالف الأعصار من تهويلات الديانات العتيقة المشوب حقها بباطلها ومعقولها بأساطيرها : هذه المهمة التى جاء بها الاسلام جربت فى الصدر الأول فجاءت بأعظم النتائج وان الاسلام لا يزال هو الاسلام ونصوصه هى النصوص التى ثبت نجاحها فى تكوين خير أمة أخرجت للناس » (١٩٤٤ م)

(م ١٦) ١٩٤١

لما انتهت الحرب الماضية لم يكن لنا كيان قائم فى جهة العمل وكل ما نراه الآن من صحف اسلامية وجماعات اسلامية وجماعات تتحدث بخير الملة انما أنشىء بعد الحرب الماضية بزمن غير قليل ، ان كل ما انشأناه من ذلك انما كان من قبيل التجربة ، وكثير منه لم يكن له خطة مرسومة ، واذا كان لبعضه خطة فيها أثر من آثار العقل والبصيرة فهى من عمل أفراد ولما يدخل الايمان فى قلوب سائر العالمين . ان الجبهة التى انشأها أولياء الاسلام فيما بين الحربين استعانوا على انشائها بمن وجدوه أمامهم من شباب وشيوخ انما كانت تجربة ، التجربة دلت على مواطن الضعف

ومواطن القوة فى هذا العمل فعلى من يعمل لوجه الله وحده وتعبدا له بتسوية صفوف الملة وتنظيم قواها فى سبيل طاعته ، وأن يتحرى بعد اليوم أمثاله ممن يحتقرون الظهور ويبتغون العزة والمثوبة عند الله بما يخفونه عن عباده من جهدهم الصالح حتى اذا ما تعارف هؤلاء واتصلوا بمن على شاكلتهم فى الوطن الأكبر كانت منهم النواة التى ينمو غرسها وسيبارك الله فى ثمرها . حتى اذا وضعت الحرب أوزارها تفرغت الأفكار لرسم خطة السير بالمجتمع الاسلامى الى ما يرضى الله عز وجل ويلائم اتجاهنا التاريخي .

م ١٨ الفتح (١٩٤٣) :

يتحدث السيد محب الدين الخطيب عن نشأة الفتح فيقول :

« لما خرج الناس من الحرب العالمية الأولى اخذ المؤمنون بثقافة الغرب من رجالنا وشبابنا يعدون العدة للاستيلاء على الرأى العام وتحويل وجهه عن المكتين وما انزل الله منهما الى المعاهد القائمة على ضفاف التاميز والسين وما يصدر عنهما وواتاهما الحظ بما أحدثته القوة من احداث وما صحت اليه من هوى ولم يكن للاسلام فى مصر صحف غير مجلة المنار ولا جمعيات غير جمعية مكارم الأخلاق ومجلتها .

أما النزعة الأخرى العاملة على تعميم الدعوة الانفرادية وتقليدها فكان فى أيدى رجالها اكثر الصحف وكانوا مشرفين على معظم المرافق والجمعيات وكان انصارهم منبثين فى وزارة المعارف ومعاهدها ، ونظام الاحتلال يؤيدهم فى ابعاد الشباب عن الاسلام وحيوته جهد الطاقة . وكان أحمد تيمور باشا هو الوجه المصرى الوحيد الذى شعر بالخطر الأعظم على مصر والوطن العربى والعالم الاسلامى واشفق من أن يتم فيه — ولو بالتدريج — ما تم فى تركيا وكان رحمه الله لا ينقطع عن زيارة دار المطبعة السلفية يوميا الا لمرض أو لسفر ، وكانت دار المطبعة السلفية فى شارع خيرت فانعقدت فيها اجتماعات حضرها أحمد تيمور باشا وابو بكر يحيى باشا والشيخ عبد الرحمن قراعة والسيد محمد الخضر وعلى جلال الحسينى ونحو عشرة آخرين من هذه الطبقة تذاكروا موجة الالحاد القوية التى طغت على العالم فى الاسلامى وهو على غير استعداد لدفعها لان امره ليس فى يده والذين أمرهم فى يدهم من المسلمين فهموا من الاسلام الفاظ اوراده

وحركات مسابحه وغفلوا عن أهداف جهاده وأسباب حيويته وانتهت هــذه الاجتماعات بتقرير تأليف جمعية لمقاومة الالحاد والتعاون على ذلك مع كل من يؤلمه أمره فى الوطن الاسلامى الأكبر ، وبعد اشهر من هذه المحاولة تبين لنا أن الخطر أسرع من أن يعالج بمثل هذه الجمعية وانه لابد من الاتصــال بالرأى العام والشباب المثقف على الخصوص وان الصحافة هى الوسـيلة الأولى لذلك ، وكنت اصدر فى ذلك مجلة الزهراء غير أنها شهرية أدبيــة ولا تصلح مطية لهذه المعركة ، فضلا عن أنه مشروط فى امتيازها ألا تتعرض للسياسة والدين .

وكان الحصول يومئذ على امتياز بصحيفة اسلامية للغرض الذى نريده اشبه بالمستحيل غير أن أحمد تيمور باشا رحمه الله التمس لذلك الأسباب التى لا يقدر عليها غيره . وتمكنا من الحصــول على امتياز باصــدار الفتح وصدر العدد الأول منها فى يوم ٢٩ ذى القعدة ١٣٤٤ (١٠ يونيه ١٩٢٦) ومر على هذه التجربة عام تبين لنا فيه أن الخطر افدح وأقوى من أن يعالج بهذه الأداة الضعيفة والأمة أعظم وأكرم على نفسها من أن تصغى الى هذا الصوت الخافت وحينئذ فكرنا فى تأسيس جمعية الشــبان المسلمين . وقد استعنا على النجاح فى تأسيسها باثنى عشر شابا منهم الأستاذ محمود محمد شاكر وعبد المنعم خلاف وعبد السلام هارون ومحمود الخضرى وكمال اللبان وعبد الفتاح كرشاه وبعد أن صار للجمعية ثلاثمائة عضو أخذنا بها الدكتور عبد الحميد سعيد والشيخ عبد العزيز جاويش وأمثالهما ودعوناهم للانضمام للجمعية وأعلن عن تشــــكيلها فى غرة جمادى الآخرة ١٣٤٦ (٢٥ يونيه ١٩٢٧) .

ثالثا : قضايا الدعـــوة الاسلامية

وفى عديد من قضايا الدعوة الاسلامية ابدى السيد محب الدين الخطيب وجهة نظر اسلامية اصيلة : نظام الحكم ، التعــليم ، الحركات الوطنية ، الثقافة والعلم ، التحديد ، التقريب بين المذاهب ، الاسلام الاجتماعى .. الخ

اولا : بعث التراث الاسلامى

يقول : يا شباب الجيل : ان من حق جيلكم على جيلنا أن نختصر لكم الوقت ونطوى علم مسافات الطريق ، كانت رسالة الجيل قبلكم منحصرة فى معاونة الاستعمار فكانت مهمة سلبية تدور حول معنى الهدم وانتم واقفون الآن على مفترق الطرق تتساءلون عن رسالة حياتكم ، رسالة ايجابية تتمثل فيها جميع معانى الانشاء والبناء والتشييد ، وستجدون على مفترق الطرق معلمين كذبة ودعاة من الطابور الخامس يسولون لكم الاستمرار فى الهـــدم ويشيرون الى ما ابقى لكم الدهر من تراث السلف ليوسوس لكم الشيطان هدمه وسيشير آخرون عليكم بالبناء ولكن على أسس غير اسسكم وباذواق غير أذواقكم ، ولأغراض غير اغراضكم ، نحن أمة امتازت على غيرها من الأمم بأن آخرها متصل بأولها ، وأن تراث ماضيها من ثروة حاضرها ، وأن أهداف مستقبلها مرسومة فى سنن أسلافها ، وانها كل يقوى جديده بقديمه ويحيى قديمه بجديده ويمتص قديمه وجديده من ينابيع قـــوة الحـــق والخير يقوم البناء الجديد حول مهمتين :

اما (أولاهما) : فبعث تراثنا القومى من تاريخ واخلاق وعلوم وسنن ووصايا وتعيين أهداف الى أن نعرف كياننا القومى كما كان فى الماضى وكما يجب أن يكون فى المستقبل . ان هذه النظم الأجنبية التى الزمنا الاستعمار العمل بها فى عشرات السنين الأخيرة هى خليط من مبادىء وأحكام واتجاهات اقتبس أقلها من المعانى الأولية كالعدل والحق والخير ووضع اكثرها بتأثير القوى التى تطور الاستعمار تحت سلطانها كالراسمالية وشهوة تحكم الأقوى بالأضعف والديكتاتورية وتملق أهواء الجماهير ..

اما (المهمة الثانية) : فهى مطاردة آثار الاستعمار فى نفوس ابنـــاء الجيل وفى مرافقهم وفىبيوتهم ومعالجة الخلاص منها ، ثم مطاردة معـــانى

الضعف التى طرأت على مفهوم الدين فى عقول العامة وأشباه العامة مما لم يكن للصحابة والتابعين علم به .

ويقول : أنا منذ خمسين سنة الى الآن أتتبع نصوص الاسلام وأطيل النظر فى عقائده وقواعده وسننه ، وفى فهم الصحابة والتابعين لها ثم فى الألاعيب التى اخترعها الزنادقة والدجالون والجهلة لتحويلها عن أهدافها وقد يكون فى قلبى اليقين بأنه ليس فى عقائد الاسلام عقيدة ولا فى عبادته عبادة ، ولا فى مبادئه وسننه مبدأ أو سنة ولا فى نصوصه وتوجيهاته نص أو توجيه الا وله أثر عملى فى تكوين الفرد الصالح والبيت الصالح والأمة الصالحة وما أخر الاسلام المسلمين ، ولكن المسلمين عطلوا دينهم وشوهوا جماله .

ولو لم يكن من المسلمين غيرى وغيرك لوجب علينا أن نبدأ به من أنفسنا وندعو اليه كل من يصغى الى دعوتنا وأن نحتال على أهل القابلية من الأصفياء الأذكياء فنبث هذا الايمان الاسلامى فى قلوبهم ، ومتى كثر هؤلاء وعادوا شيئا يذكر أكرمهم الله بالولاة الصالحين « وكما تكونوا يول عليكم » .

(م ١٧) ١٩٤٤ :

ثانيا : نظام الاسلام الاجتماعى

وكانت دعوته الى التركيز على نظام الاسلام الاجتماعى من أكبر همومه وأهدافه :

يقول : ان علماء الاسلام ووعاظهم وجهوا عنايتهم الى بعض الاسلام دون بعض وأهم ما حجبوا عنه عنايتهم (الجانب الاجتماعى فى الاسلام) وهو جانب واسع جدا فبقى مجهولا من الناس ولا يعرفون أنه من صميم الاسلام وثمين تراثه . ان اهمال النظام الاجتماعى فى الاسلام بدأ من صدر دولة بنى العباس (أى فى أوائل عهد التدوين فى الاسلام) ولذلك لم تفرد له مؤلفات مبسوطة خاصة به ولم يعن بابرازه العناية الواجبة لأنه لم يكن له فى المجتمع الاسلامى سوق ، بل انه يصطدم مع منافع الكثيرين ، غير أن علماءنا من السلف رضوان الله عليهم بثوا مبادىء الاسلام الاجتماعية وأنظمته السامية فى أشتات مؤلفاتهم حتى لم يضع شىء منها فهل لمحبى

جمال الاسلام أن يتفرغوا لجمعها وتنظيمها وحسن عرضها على الأمة حتى اذا عملت بها كانت الأمة الصالحة التى يؤهلها الله للخلافة فى الأرض ، ويوم ينتهى الباحثون من استقصاء أسانيد الفقه الاجتماعى ويحسنون عرضها وعرضه على ولاة أمر المسلمين ويوم توجد فى العالم الاسلامى أمة ودولة تولى هذا الجانب عنايتها وتحققه فيومئذ تتحول الشمس لتشرق من أفقها الأول كما كانت يوم بسطنا حضارتنا وعمراننا ومبادئها السامية فى أطراف أوربا وآسيا وأفريقيا ». ان كيان الدولة لا يقوم على عواتق الساسة وحدهم بل ان العلماء بجهودهم العلمية والثقافية السديدة الاتجاه يجذمون بنيان دولتهم بما لا يقل عن عمل اخوانهم من الساسة ، ان أكثر المسلمين يظنون أن الجانب الاسلامى من أوامر الاسلام ونواهيه جانب اختيارى لا يأثم المسلم بالتهاون به كما يأثم بالتهاون بما يعرفه من شعائر العبادات ومن هنا دخل الشيطان على المسلمين وأفسد عليهم دينهم وسعادتهم وجمال مجتمعهم . ان علينا أن نقدم النصوص المتعلقة بنظام المجتمع وآدابه وما ينبغى أن يتحلى به أفراده من خلائق وسجايا وفضائل ، وخاصة أوامر المصطفى ونواهيه فى تكوين الأسرة وتوجيهها وفى تناول العقود بين المتعاملين فى الأسواق والمعايش ، فى نظام المجتمع وآدابه فان السنة هى الطريق الأعظم (م ١٧) .

ثالثا : نظام الدولة فى التشريع الاسلامى

ويتحدث عن نظام الدولة والجماعة فى التشريع الاسلامى فيقول :

ان عصور الضغط والانحطاط وما ترتب على الضعف والانحطاط من تحكم الاستعمار ببلاد الاسلام قد حرم المسلمين من طبقة أهل الحل والعقد على ما كانت عليه فى عصورنا الذهبية ، فاضطررنا لأن نبقى فى النظام النيابى الأجنبى عنا ، وأن نتحمل كل ما نراه بعيوننا من عيوبه التى فرقت بين الأهل والأصدقاء وأوجدت الاحن والعداوات وترتب على النظام نفسه قيام الحزبيات فانتشر على ألسنة خطبائها وفى صحفها منطقها الذى لم يكن لنا عهد بمثله ، ولن ينقذنا من هذا النظام الأجنبى الا رجوع الأمة الى ما دعوت اليه من العناية بالأخلاق الفردية ليتكون من مجموعها المجتمع الصالح فتنبع فى الأمة طبقة أهل الحل والعقد ، وحينئذ يكون لنا نظامنا

القومى الذى يغنينا عن النظام الأجنى ، الذى لمسنا ولمس الأجانب أيضا عيوبه ، أما نحن فان رجوعنا الى قواعدنا وسننا بعد رجوعنا الى أخلاقنا وسجايانا سيعيدنا الى أنظمتنا التى كانت لنا فى عصورنا الذهبية ، ويومئذ نباهى بنا أمم الأرض ، وأظنك تعود الى أن الطريق طويل وجوابى على ذلك أن كل طريق آخرأطول منه ، بل لا طريق لنا الا هذا الطريق ، ومهما أبطأت نتيجته فهى محققة ثم انها لا تكون بعيدة اذا بدأنا بها من الآن ، ان الأمم التى تعد نفسها للعظائم تستعين على ذلك باحيائها أنظمتها الخاصة وتبتعد كل البعد عن الأنظمة الأجنبية والآن وقد بدأنا نستقل فيجب علينا أن نعود الى تعرف أنظمتها واستخراج كنوزها لنقدمها للمثقفين منا هدية لدولتهم المستقلة التى نهضت تفاخر بعروبتها . ان ما أكرم الله هذه الأمة من فتوح واتساع وحضارة وعلوم ونهضة وسعادة انما كان وليد هذه الرسالة الكاملة ونتيجة تخلق الأفراد بأخلاقها واغتباط المجتمع بقواعدها وسننها ونهوض الدولة بأنظمتها . (م ١٧)

رابعا : فساد التعليم فى مصر

وتناول صاحب الفتح نظام التعليم الذى كان من أعمال النفوذ الأجنبى فيهاجمه داعيا الى التحرر منه مع تحرر الأمم من الاستعمار : يقول : لأنه أقيم منذ البداية على أسس رسمت لنا تحت نظام الاستعمار لتكون متمشية مع مقاصده ، وما كانت مقاصد الاستعمار لتضمن لأوطاننا تربية جيل صالح للاضطلاع بأعباء السيادة ، وعلينا أن نعمل الآن على تخريج الجيل الصالح لحمل تكاليف السيادة والاستقلال .

ان خضوع العالم العربى حقبة طويلة من الزمن للثقافة الأجنبية التى أدخلت عليه تحت رعاية الدول الغربية المختلفة جعل مدارسه وكلياته وجامعاته تجرى على سياسة تعليمية توافق أغراض منشئيها . ان اصلاح التعلم فى الأوطان العربية لا يكون الا بنقض أسسه الأجنبية واستئناف تأسيسه على أساس عربى يضمن للمستقبل نشأ قوى النفس مستقيم الأخلاق يحسن التوفيق بين العمل لنفسه والعمل لأمته وتساعده أساليب التعليم على أن يكون منه رجل كفاح فى ميادين العلم والبحث والصناعة والتجارة والاقتصاد .

ان العيب الأساسي في مدارسنا انها معاهد تعليم لا معاهد تربية وان التعليم فيها نظرى فما يستفيد منه صاحبه في معترك الحياة وميادين العمل ، والتربية لا تكون الا عملية ، ولا تكون التربية عملية الا اذا كانت المدرسة (الأولية والابتدائية) للتلميذ كالبيت الصالح للابن الصالح .

ان المدارس الأجنبية والتبشيرية تعنى بالتربية ، والمدرسة الوطنية لا تعنى بها ، ليس المقصود التربية البدنية ، المقصود هو التربية الخلقية التى تعنى بانسانيتهم ، ان مدارس الفرير والجزويت والاليانس تعنى بالتربية المسيحية والتربية اليهودية ، أما وزارة المعارف فلا تعنى بالتربية الإسلامية والعلوم الرياضية والطبيعية لا يقال في مقدمتها فضل العرب عليها والتعليم عندنا فاسد من أساسه ، فأبناؤنا في المدارس الابتدائية لا يجدون المناعة التى تحول بينهم وبين جراثيم هذا الشر ، وتلاميذنا في الثانوى اذا أدخلوا الجامعة ولا سيما كلية الآداب تلقفهم جو موبوء ، ان الأمة العربية تستقبل في حياتها العقلية الحاضرة مهمة التنقيب عن تراث العروبة والاسلام لتبنى عليه بنيانها العلمى فتصل حاضرها بماضيها .

خامسا : قضية التجديد

ان التجديد القائم الآن تجديد مزيف لأنه ليس الغرض أن يأتوا الى جدار القلعة أو سور المدينة فيخرجوا منها الحجارة المحطمة ويحلوا محلها حجارة أخرى قوية فيتجدد بذلك بنيان القلعة والسور بل الغرض منه ازالة القلعة من أساسها على زعم أنهم سيبنون في المستقبل غيرها .

ان الاسم الحقيقى لهذا العمل هو الهدم والقائمون به مخربون ، ومن المعترف به عند البشر أن مثل هذا التخريب من عمل الشيطان ، أما التجديد فمما أرشد اليه الرحمن ، وقد بشر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة في كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها وعلى كل حال فان الشرق الاسلامى عازم عزما أكيدا على الدفاع عن هداية الإسلام ورد كل ما يناقضها وسيحثوا التراب في وجه كل متآمر عليها ، لهذا نحن نقول ان طريقة مصطفى كمال مكتوب عليها بالفشل والساخطون عليها موجودون في منازل دعاتها أنفسهم . خالده أديب ذهبت الى أمريكا لتستعطف الأمريكيين على مصطفى كمال ولتقول لهم أنا تلميذتكم المتعلمة في

مدارسكم التبشيريةفى الأستانة ، أشهد أن مصطفى كمال يسـير بالمسلمين الى الغاية التى كنتم تحاولون سوقهم اليها فلا تستطيعون وها هو قد حقق أغراضكم فى تركيا وأصبح جديرا بعطفكم عليه ، ان هناك جمودا أصيب به المسلمون منذ عصور ، فالذين يعرضون الدين الاسـلامى وتاريخه يقولون ان هذا الجمود « علة طارئة » على الاسلام وليسـت منه ، وان المسلمين كانوا متمتعين بالسلامة من تلك العلة يوم كانوا متمسكين بدينهم فسعدوا به وارتقوا فلما تهاونوا بتعاليم هذا الدين نقصت قوتهم وازدادوا ضعفا حتى صاروا الى ما هم عليه الآن .. ان البقاء على الجمود هو الذى جعـل ديار الاسلام تحت حكم غير المسلمين ، ولا خلاص للشرق الاسلامى الا بالاسلام ، والتجديد على طريقة مصطفى كمال مظهر على مؤامرة سرية واسعة النطاق يراد بها ازالة هداية القرآن (١٩٤٤) .

سادسا : قضية التقريب بين المذاهب الاسلامية

ان القرآن الذى هو الكتاب المشترك بين أهل السنة والشيعة نفهمه كما فهمه أبو بكر وعمر وسائر الصحابة من النبى صلى الله عليه وسـلم وأئمتنا المهتدون أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس ومحمد بن ادريس وأحمد ابن حنبل بنوا أقيستهم واجتهاداتهم فى مذاهبهم على هذا الفهم للقرآن من طريق أصحاب رسـول الله ، وقد عنى مدونو دواوين السـنة وفى مقدمتهم أصحاب الصحاح وكتب السنن بعقد أجزاء وأبواب فى جوامع كتبهم للأحاديث الصحيحة فى تفسـير القرآن وما يقرره عن الصحابة كما نقلوه عن النبى صلى الله عليه وسـلم أو كما فهموه هم ، أما الشـيعة فلا يعترفون لنا لا بصحيح البخارى ولا بصحيح مسلم ولا بسائر كتب الحديث التى عنى بها رواتها أكثر من عناية أى أمة أو أى ملة تحفظ أخبارها ومأثوراتها ، وللقرآن عند الشيعة تأويلات وتفسـيرات مدونة فى أمهات كتبهم المعتبرة عندهم تخالف فى مجملها وفى بعضها ما ثبت عندنا فى صحاح الأحاديث وحسـانها ما يكذبونه ويلعنون أصحابه الذين نقل الصـادقون عن الصـادقين هذه الأحاديث مروية عنهم ، فاذا كان هذا اختلافنا معهم على فهم القرآن واذا كان فهمهم للقرآن مأخوذا من دفاع مجهول ومتناقضـة وغير معقولة كانوا يزعمون أنهم يحصلون عليها من طفل مختبىء فى سرداب فكيف يمكن التقريب

بين مذهبنا ومذهبهم ما دمنا مختلفين معهم حتى فى فهم القرآن وهو الجامع الوحيد الذى يجمعنا بهم .

سابعا : مواطن الزلل فى الحركات الوهنية

علينا أن ننظر الى شئون العامة من الوجهة الاسـلامية ، وأن نعالج كل أمر من أمور الشرق الاسلامى على قدر اتصاله بدعوة الاسلام وكرامته وآدابه وعقائده ، وشعائره ، وما كان من ذلك بعيدا عن هذه الدائرة فيجب الخوض فيـه ونحرص كل الحرص الا يكون لصحيفتنا أى صـفة حزبية أو سياسية فكل حادث فيه يصلح الاسلام نسارع الى تشجيعه وتأييده مهمـا كان مصـدره وكل ضرر يلحق بالاسـلام وأهله فنحن عاملون على درئه ومقاومته بلا تردد ولا محاباة ، ان الشرق الاسلامى وقع كثير من أقطاره تحت تصرف الغرب ، ونال الاسـلام من ذلك وهن فى دعوته وآدابه وعقائده وشعائره ، ولذلك نحن نرى فرضا دينيا علينا طلب انقاذ الشرق الاسلامى من تصرف الغرب منه ، الاسلام نفسـه يأبى على المسلم أن يكون محكوما لدول غير اسلامية ولأجل هذا المعنى انضوت الشعوب الاسلامية تحت لواء الأحزاب الوطنية الداعية الى الاستقلال ، فالأحزاب السياسـية فى كل بلد اسلامى مدينة للاسلام بكونه العقبة الحقيقية فى سبيل الاستعمار وبكون المسلمين لبوا نداء الدعوة الاستقلالية بدافع من دينهم فاذا رأينا فى قطر من أقطار الشرق الاسلامى حزبا سياسيا يتجاهل قادتهويتشدق زعماؤهبالنكير للاسـلام فان حكمنا على ذلك الحزب ورجاله أنهم اما كاذبون فى دعوى جهادهم الاستقلالى لأن الذى يجاهد للاستقلال لا يعمد الى أقوى أسلحته فيتجرد منه ، واذن ذلك الحزب ورجاله يجهلون هذه الحقائق فهم غير أهل للقيادة ولا صالحين لأن ينضوى اخواننا المسلمون تحت لوائهم .

لما تم لأوربا غزو الأقطار الشرقية أرادت أن تصـدع صـفوف الأمة الواحدة فاستخلصت من أهل الهوى وأسرى الحاجة والمفطورين على التزلف والطامعين فى المناصب والجاه الكاذب أعوانا لها تصطاد بهم أهل السذاجة وقصار النظر ليكثر سواد الموطدين لسلطانها ، ولم تكتف سلطات الاستعمار باستخلاص أعوان لها على الباطل ولا بشق عصا الجامع بل أرادت أن تغزو القلوب وتحتلها فرسمت مناهج التدريس للبنين والبنات فجعلت أشد الشباب

والشابات اخلاصا للوطن وأكثرهم حماســـة فى الدعوة الى الاســـتقلال مشغولين بالسفاسف والمساعى العقيمة .

ان الوطنيين فى أندونيسيا صاروا قدوة للمناوئين فى التفرنج واستعمال مصنوعات هولندا وأقمشتها وخمورها وما يحمله سكانها الى جزر جاوه من أدوات موسيقية وزينات كمالية ، هذه الهيئات تنقص من ثروة الأمة المادية مقدار ما تزيد فى ثروة الأمة الهولندية فهم بكل كأس يشربونه من الخمـــر الهولندى يضربون مسمارا فى سلطة هولندا ليثبتوها فى أرض وطنهم ، وبكل كلمة سوء يقولونها فى الاسلام يقوضون من جيش الوطن جنديا .

ثامنـــا : النظـــام الاسلامى

ان تاريخنا القومى دست فيه دسائس غريبة عنه شوهت جمال عصر الصحابة وحطت من قدر معجزات الفتوح، وجعلت ورثة لغة العرب يجهلون ميزات هذه اللغة وحملة أمانة العروبة فيخشون قدر هذه الأمانة ، وبيننـــا اليوم طوائف من المؤلفين والمدرسين مستمرون على هذا الدرس ومثابرون على هذا التشويه ، وهؤلاء شر على الأمة وعلى الدولة من الاحتلال الأجنبى المسلح لأن الأمة كانت تعلم أن الاحتلال المسلح شر عليها وعدوا لها ولكن أطفال المدارس وشباب الجامعة ينظرون بعين الحرمة الى هؤلاء الثعالب الشعوبيين الذين يشـــوهون تاريخ العرب فلنعتبر تعليم التاريخ أقدس أمانات الأمة وأمضى أسلحتها .

تاسعا : النظـــام الاســـلامى

أرى من الطبيعى لكل بلد اسلامى أن يثبت فيها النظام الاسلامى الذى ظل معطلا أكثر من ألف سنة وصار للاسلام بتعطيله مفهوم فردى بعيد عن جمال الاسلام فى تكوين المجتمع الصـــالح وفى اقامة الدول المحترمة ، ولابد للنظـــــام الاســـــلامى فى المجتمــــــع وفى الدولة المحتـــــرمة ، أن يعـــــود اليـــــه جمـــلة النظـــــراء الأول فى كل بلاد اســـــلامية ، أحب أن تعلم الجمعيات الاسلامية أن اقامة هذا النظام وبعثه يحتـــاج الى رجال غير موجودين الآن ، ويحتاج الى استعداد علمى لم يعن به أحد حتى ولم يلتفت اليه دولة اسلامية ولا جمعية اسلامية ، وان هذا النظام لا يمكن

أن يعود بمجرد فوز الجمعيات الاسلامية فى الانتخابات لأنها على فرض فوزها وتسلمها مقاليد العمل سنرى أن العمل يحتاج الى رجال لو بحثنا عنهم لا نجد أشباههم واذا وجد بعضهم أو وجد أشباههم ستضطر الجمعيات عن فورها ، وستضطر القائمون الى العمل بالأنظمة الأجنبية الموجودة ، أما الأنظمة الصالحة والمبادىء الاسلامية الرحيمة وقواعد سلفنا التى يجب أن تحل محل ما هو متعارض الآن فان المثقفين وحملة الأقلام من الاسلاميين وغيرهم لا يبحثون عنها ولا يبالون بها لأنهم لا يجدون لها شوقا . وكنت أرى من الخير أن يتقارب الطيبون فى جميع الهيئات والجماعات مع الحكومة على الاصلاح التدريجى فى التعليم وتحويله عن مناهجه وأغراضه الأجنبية الى أن ينشأ جيل يعرف نفسه ويعرف تراثه القومى وأنظمته التى ساد العالم بها ليختار منها ما يطبقه وما يبعث به قوميته وسجاياها وأن يتعاون هؤلاء وهؤلاء على اكتساب قلوب هذا الشعب واقناعه بأنهم سيكونوا عند حسن ظنه بهم حكاما وعلماء وكتابا وخطباء وصحفيين (١٩٤٤) .

٢ — المخرج مما نحن فيه أن يبدأ جيل من المثقفين بدراسة سنن الاسلام وأنظمته الاجتماعية والحكمية ومقارنتها بسنن الغرب وأنظمته وأساليب حكمه ، وستدلهم هذه المقارنة على أن الذى أهملناه هو الذهب الابريز والذى أخذنا به لا يساوى فى جانبه شيئا . فاذا تمكنوا بعلمهم وحسن نياتهم من تفهيم الأمة هذه الحقيقة واقناعها بأن تكون حينئذ الرأى العام الاسلامى وأصبح جديرا بأن يكون له الحكومة اللائقة به العاملة بسنن الله وأنظمة الاسلام ، وكما تكونوا يولى عليكم وأنا أعرف بأن هذا طريق طويل ولكن ان لم نبدأ بالسير عليه الآن تأخر وصولنا الى غاياته بمقدار تأخرنا فى سلوك بداياته .

عاشرا : الثقة فى نصر الله

ان الاسلام لا يحتضر ، واذا كان من يقصر فى أداء واجبه ، فان الله سينصره برجال غيرنا بعد ان يذهب بنا لأن فى الاسلام من القوة الذاتية والمناعة الخالدة فلو تخلى عنه الناس جميعا ما يكفى لاعادة مجده ونشر لوائه عشرة رجال فقط . انا لا انكر ان تيار الاباحة والالحاد تيار شديد ولكن شدته هذه لن تكون خطرا على الاسلام الا اذا امتلأت نفوسنا يأسا ،

واستقبلنا هجومات خصومنا بسلاح الجهل والعجز وبالنفوس الصغيرة ؟ أما اذا كان فى الاسلام رجال يتخذون من ماضيه سراجا لمستقبله ومن أبطاله أئمة يقتدى بسيرتهم فان التيار الحاضر يكون أحقر من أن نرى معه الاسلام محتضرا ؟ الا تستطيع أن تقنع الغنى المسلم الذى يتعلم فى المدرسة الثانوية أو العالية بأن ما خلفه لنا التاريخ الاســـــلامى فى أربع عشر قرنا هو أثمن تركة حصل عنها وارث ، وان الذى يتخلى عن هذه التركة جاهل أو مجنون، ان وقعه ازاء كل حادث تكشف عن ذلك ، وما أن ظهر كتاب (فى الشـــعر الجاهلى) حتى مزقته الأقلام تمزيقا ؟ وكشفت عن مقدرة صاحبه فاذا هو جاهل ومدلس وسارق وسفيه وملحد وفيه مخاز لو نسبت الى أرسطو أو ألصقت بأفلاطون لكانت كافية فى اسقاطهما ومحو اسم كل منهما من تاريخ العلم والفلســـــفة ، وهكذا ما تكاد تظهر حركة من جانب الهاجمين على الاسلام حتى تعامل بأشد منها .

الباب الثانى

القوى المناهضة للإسلام

أولا : التبشير والاستشراق

ثانيا : التغريب والغزو الفكرى

ثالثا : قضايا الغزو الفكرى

رابعا : دعاة التغريب

خامسا : تغريب الجامعة

سادسا : مطاعن طه حسين فى الاسلام

سابعا : الفرق الضالة

ثامنا : قضايا متعددة

الفصل الأول

مؤامرة التبشير والاستشراق

كان التعريب والغزو الفكرى هو كبرى القضايا التى أولاها الفتح اهتماما ، وجند لها القوى ، وحشد لها الحشود ، وواجه قضاياها فى مختلف المجالات : الاستشراق والتبشير والدعوات الهدامة كالقاديانية والبهائية ، كما واجهت حملات الالحاد والكتب الضارة ، خلال فترة من أدق فترات الفكر الاسلامى ١٩٢٧ — ١٩٤٧ واجهت فيها حملات التغريبيين : طه حسين ومحمود عزمى وسلامة موسى وعلى عبد الرازق وغيرهم .

وكانت مؤامرة التبشير من أكبر القضايا التى أولتها مجلة الفتح اهتمامها ، نظرا لخطورة الدور الذى قامت به فى المرحلة نفسها فقد كانت هذه السنوات من أشد السنوات التى قامت به منظمات التبشير فى ضغطها على البلاد الاسلامية وعلى مصر بالذات ، وكانت الكنيسة البابوية قد حصلت على مبالغ ضخمة من حكومة ايطاليا وقد أعلنت أنها ستوجهها للتبشير فى البلاد العربية ومن ذلك اقتحام القس زويمر لكليات الأزهر وتوزيع منشوراته المعروفة ، فضلا عن التسهيلات الضخمة التى كانت تقوم بها الحكومات فى هذه الفترة للبعثات التبشيرية فى اقامة معاهدها وفى السماح لها باستيراد مواردها .

بل انك لتحس من مراجعة وقائع الأحداث فى هذه السنوات ان التبشير يحاصر العالم الاسلامى محاصرة تامة بارسالياته الكاثوليكية والبروتستانتية فلا يدع مكانا دون أن يحاول بنفوذ الحكومات الاستعمارية السيطرة عليه ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت خطوات أتاتورك فى تركيا والشاه فى ايران وأمان الله خان فى أفغانستان فى محاولة تحويل للبلاد الاسلامية الى بلاد مغربة ، فضلا عن الدعوة الى التنصير فى جزر الهند الشرقية وجاوة وتغيير حروف اللغة من العربية الى اللاتينية .

هذا فضلا عما كان يحدث فى المغرب : طرابلس تحت وحشية الايطاليين ، الظهير البربرى فى مراكش لاخضاع المسلمين البربر الى محاكم

ومدارس غير مدارس العرب ، المؤتمر الامخارستى فى تونس ، مائة عام على الاحتلال الفرنسى فى الجزائر .

فاذا جاءت معاهدة١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا على تنظيم الاحتلال ، برزت قضية الارساليات التابعة للدول الأجنبية فى مصر ، ودعوى عريضة لفرنسا لحماية هذه الارساليات والمطالبة أن لا تخضع للدولة وأن تظل حرة فى عملها ،

وقد تقدمت فرنسا فى مؤتمر الامتيازات بطلب حماية هذه الارساليات وذلك (كما يقول الفتح م ١١ — ١٩٣٧) بالرغم من مصر أتاحت للهيئات والمعاهد الكاثوليكية والبروتستانتية وغيرها أقصى ما هو مباح لهما فى كل بقعة من بقاع أوربا من ادارة الكنائس ومزاولة الطقوس والحرية فى التعليم وتأسيس المستشفيات والملاجىء وغيرها ، تسارع هذه الهيئات الى مؤتمر مونترو تطلب حمايتها وهى التى تدرس فى كتبها ما يجافى الحق فيما يتعلق بالاسلام ورسوله ، كما رأينا فى كتاب (التاريخ المقدس) الذى يدرس فى مدارس الفرير والجزويت فى مصر .

ومنذ العام الأول للفتح (١٩٢٧) : كان الاهتمام بهذا الخطر ومواجهته واضحا فهى تشير الى أن جمعية التبشير الانجليزية قد بثت منشورا حوى من المثالب والقذائف فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وان الغرب يعد أكبر حملة صليبية لتنصير العرب ويعد لها أضخم عدة ويرسل معها أقدر الرجال وقد وجه قائد حملة التبشير لبلاد العرب مستر اشنين للتنصير فى العالم وبلاد الغرب منشورا يهدف الى نشر التبشير فى بلاد العرب التى لم يدخلها التنصير بعد وسكانها من٤ الى١٢ مليونا لم تبلغهم دعوة الانجيل وأعلن الحاجة الشديدة الى مائة مبشر يذهبون الى بلاد العرب المهملة التى لم تبلغها الدعوة بعد .

ويعلق السيد محب الدين الخطيب على هذا الاعلان لاقتحام بلاد العرب فيقول : (م ٢ الفتح) لما نشرت الدعوة فى لندن لارسال مائة مبشر الى بلاد العرب لم ننظر نحن الى ذلك من الوجهة التى نظر اليها الطائفيون فى مصر ، لذلك لم يخامرنا أى خوف على بلاد العرب من هؤلاء ، لأن تلك البلاد فيها من المناعة الكافية تجاه هذه الغزوة ، ولا يستطيع دعاة النصرانية

أن يعملوا هناك الا فى الأماكن التى فيها للأجانب سلطة وذلك فى بعض السواحل كجزيرة البحرين وبلاد العراق وثغر عدن . أما البلاد العربية المستقلة فلا يستطيع هؤلاء أن يدخلوها الا كما يدخل اللص بيت الرجل القوى فهو أبدا تحت خطر الهلاك .

يقول الأستاذ المشرقى : ان الاستيلاء على بلاد العرب هو غاية الغايات عندهم وان الغاية التى تهمهم هى دوام قبضتهم على ما تمكنوا من احتلاله من الأقطار الاسلامية وهم (مبشرين وسياسيين) بدأوا يحكمون الكيد للاسلام ويرسلون الحملات التبشيرية سياسية وعلمية منذ قرن ونصف من الزمان ، وان عمل المبشرين والسياسين هو محاربة القوة الاسلامية المادية ، وذلك بغزو الاسلام وانتقاض أطرافه قبل الانقضاض على قلبه . ان خطتهم فى أساسها أن يربو من أهل بلد من يتولى عنهم فتح ذلك البلد بالتدريج اذ قد علمتهم تجاربهم القاسية ما يقرب من قرن ، ان ما بينهم وبين أهل كل قطر اسلامى أو شرقى من الفروق الكثيرة فى اللغة والجنس والعادات والتقاليد وطرق التعبير تقوم حائلا بينهم وبين نفوس الناس فلا يصلون اليها بتأثير أساس خطتهم فى غزو الاسلام والوصول الى نفوس أهله عن طريق مدراسهم التى أنشأوها فى طول بلاد الاسلام وعرضها الا الوسيلة العملية لتخريج تلك الفئة التى رجوا أن تنوب عنهم فى الدعاية أو على الأقل أن تنشر بين الناس ثقافتهم فتمهد الطريق لتخريج تلك الفئة التى ينشدون . وهم بنشر تلك الثقافة يخدمون الفتح السياسى والفتح التبشيرى فى آن واحد . تلك المدارس التى أنشأتها جمعياتهم التبشيرية من فرنسية وانجليزية وأمريكية وألمانية وايطالية كانت اذن أداة لتحقيق الفتح التبشيرى وتوطيد الفتح السياسى عن طريق ايجاد خطط الثقافة للأقطار المراد فتحها واعانتهم على ذلك تلك البعثات المختلفة التى كانت ترسلها الممالك الاسلامية الى أوربا ، ان أكثر النازحين الى معاهد الغرب والمتخرجين من معاهد جمعيات التبشير هم اذن فى الحقيقة تلك الفئة التى قام ويقوم عليها الفتح التبشيرى فى الشرق عامة وفى بلاد الاسلام خاصة وهم القائمون ببث دعاية الغرب فى الشرق بما لم يسبق له فى التاريخ مثيل ، فقد انسلخوا عن دينهم وروحه كما انسلخوا عن قومهم وحضارتهم وان بقيت لهم أسماؤهم

الاسلامية ، ودعاواهم الوطنية كما يبقى من النسر المحنط ريشه وهيئته ، وقد ادى ذلك أن نشأت فى مصر وفى غير مصر فئة كفت جمعيات التبشير كثيرا من مؤونة الجهاد ومشقته فحاربت الاسلام بدلا منها حربا دينية شعواء لا باسم الدين ولكن باسم (التقدم والتجديد) .

فتح العالم الاسلامى (٢)

ولما كان السيد محب الدين الخطيب هو من أوائل من أولوا الاهتمام بهذا الخطر منذ سنوات بعيدة فقد كان من الضرورى أن يعيد نشر كتاب (الغارة على العالم الاسلامى) الذى كتبه شاتليه وترجمه الخطيب وسليم الباقى ونشر عام ١٩١٢ فى جريدة المؤيد حتى تتضح الخطوات أمام قراءه : يقول :

فى مجال الصراع بين جمعيات التبشير الكاثوليكية والبروتستانتينية فى العمل على ازالة الاسلام من الوجود أصدرت مجلة العالم الاسلامى الفرنسية مئات الصفحات أوردت فيها أعمال المبشرين البروتستان ، واطلقت على هذا البحث اسم : الغارة على العالم الاسلامى أو فتح العالم الاسلامى ، هذا المعنى يجب على كل مسلم أن يطيل التأمل فيه وأن يزنه بميزان الأعمال التى تجرى فى العالم الاسلامى ، وما أقل عدد المسلمين الذين بلغت بهم اليقظة ورقة الشعور الى الحد الذى ينظرون فيه الى الحوادث من هذه الجهة .

نشر هذا البحث فى مجلة العالم الاسلامى ، وترجمته الى العربية جريدة المؤيد ١٩١١ وكان له وقع عظيم فى العالم الاسلامى وبعث اليقظة فى كثير من الناس ونقله عن المؤيد صحف ومجلات متعددة منها المنار فى القاهرة وجريدة الاخاء العثمانى فى بيروت وقد كشف عن أعمال ارساليات التبشير البروتستانتية الأول فى القاهرة ١٩٠٦ ، الثانى فى أدنبرج ١٩١٠ الثالث فى لكنو ١٩١٣ .

وقد كان طبيعيا أن يتابع السيد محب الدين الخطيب اعادة نشر فصول هذا الكتاب فى هذه الأعوام حتى يعرف الشباب المسلم جذور

المؤامرة ، فاذا فرغ منها كان عليه أن يعرض وقائع المؤتمر التبشيرى العام الذى عقد عام ١٩٢٤ كمقدمة للمؤتمر الذى عقد ابريل ١٩٢٨ فى القدس والذى افتتحه القس جوت موت الزعيم الدولى لجمعية الشبان المسيحية تحت عنوان : الهدف توحيد السياسة بين الكنيسة القديمة والجديدة لجعل الضغط الغربى على سائر انحاء العالم مرتكنا الى القواعد المسيحية .

المؤتمر التبشيرى العام ١٩٢٤

قد دعت الضرورة أن تتخذ جمعيات التبشير شكلا جديدا ملائما للحالة الجديدة فى الشرق الاسلامى وان الانقلابات الكبيرة السائرة سيرا حثيثا كان من شأنها ان جعلت النظر فى الحالة أمرا جوهريا ، حضرت المؤتمر وفود بلاد العرب والعراق وايران وتركيا والصين والهند البريطانية وجزائر الهند الشرقية الهولندية (٨٠ شخصا) من اعاظم رجال التبشير ومعلميهم وأطبائهم والقائمين بالأعمال الاجتماعية والتبشيرية وزعماء الكنائس المحلية وجماعة من المسلمين المتنصرين الكبار (هكذا)

عرض المؤتمر خطة قوامها هذه المغالطات :

أولا : ان الروح القومية أصبحت تدحر روح الجامعة الاسلامية وتحل محلها (تجربة تركيا) فقد كان لالغاء الخلافة أكبر الأثر ليس فى تركيا بل على العالم الاسلامى فالظواهر كلها تدل على انحلال الرابطة الاجتماعية فى الاسلام .

ثانيا : تطور مكانة المرأة وعلى الأخص فى الجديد

ومن ثمار هذا الانقلاب العدول عن الزواج الباكر والتوسع فى الحرية على المرأة .

ثالثا : الانقلاب الفكرى فى الاسلام ومظاهره لا تحتاج الى برهان فالآن تتكون عقلية جديدة من المسلمين نتيجة الاحتكاك والاتصال بالعلوم الغربية والحضارة الغربية خلال الحرب العامة وظهور انحلال العروة الدينية في الاسلام والثورة ضد كل مأثور قديم .

ثم أشار التقرير الذى نشرته الفتح نقلا عن مجلة الجامعة الاسلامية فى القدس الى التوجيهات للخطة التالية :

أولا : فى كل حقل من حقول العمل يجب أن يكون العمل موجها نحو النشء الصغير من المسلمين وموزعا فيما بينهم ليحيط بهم وليكونوا منه على صلة مباشرة ، ويجب أن يقدم هذا كله على كل عمل سواه فى الأقطار الاسلامية ، فان تنور روح الاسلام فى الناشىء الحديث تبدأ باكرا من عمره فيجب والحالة هذه أن يؤتى بالنشء الصغير من المسلمين الى المسيح قبل ان يتكامل نمو عقليتهم وأخلاقهم حينئذ ويستعصى على العامل المبشر .

ثانيا : كان التعليم التبشيرى وسيلة لا مندوحة عنها لتنظيم قيادة القوات المسيحية ورفعها الى مستوى عال من الكفاية ، ولم يزل التعليم المسيحى هو أفضل وسيلة للوصول الى المسلمين ، وان الحاجة الى توسع هذا التعليم وزيادة نشره تتزايد وتتعاظم يوما فيوما من كل جهة حتى ان الحاجة الى اتخاذ مناهج التعليم المسيحى من حيث الأخلاق وبثها لم تزل محسوبة من الحاجات الماسة فى البلدان التى تكامل نظام التعليم الحكومى فيها واستقر على شكل ثابت فاختيار نوع الكتب والمطبوعات التى تنشر والأعمال الطبية التبشيرية من أقوى الوسائل .

ثالثا : الذين يتنصرون من المسلمين يجب أن ينقلوا الى جهة أخرى اجتماعية متكاملة الأوضاع لتلك التى خرجوا منها حتى لا يشعروا بعد انتقالهم الى الهيئة الجديدة بنقص أو ضرر .

رابعا : يرى المبشرون أن الطريق فى كثير من الأقطار الاسلامية غدت سهلة منفسحة للتبشير وعلى نطاق واسع فان عقلية المسلمين وصلت الى حالة كبيرة من الطواعية واللين وتقبل بالسهولة الصورة التى تعطى لها فيجب أن تغطى هذه العقلية الجديدة كلمة المسيح لتنطبع فيها .

خامسا : حاذروا من كل نوع من أنواع الجدل السلبى العقيم ، واعتمدوا على التبشير الايجابى بكلمة المسيح المصلوب والمقتضيات التى يوجبها صلبه واستعمال روح المحبة من خلال الصلاة التى تصله بدين المسلمين ، وعلى المبشر أن يقصد الطيع القلب والفضلى من المسلمين حتى اذا أصبحت هذه الطبقة فى قبضة أيديهم اتخذوا أساسا ينبنى عليه سائر بناء التبشير الذى يراد اقامته .

سادسا : القضية محصـــورة فى مواجهة واحدة هى تعبئة صـــفوف جديدة من المبشرين وحسن التصرف فى توزيع القوى المجهزة وبذل الجهــد فى جعل العمل مدبرا تدبيرا حســـنا ولجعل القوى الروحانية فى صفوف المبشرين حية متكاملة فى جميع الجهات .

سابعا : من مظاهر الانفتاح أن بعض الحكومات الاستعمارية كانت فيما مضى مصادرة للتبشير فى الأقطار الاسلامية وقد تغير حالها الآن وباتت صديقة للتبشير وعضده القوى تمده بالمعونة اللازمة للقيام بالأعمال الطبية والاجتماعية التبشيرية الخاصة .

ثامنا : الدستور الذى أنشىء فى مصر قد اشتمل على نصوص قاطعـــة تكفل الحرية الدينية وصيانتها .

تاسعا : خير الوسائل هى اقتباس الكتاب العرب دسائس الدعاية المبثوثة فى كتب المبشرين ونشرها فى كتاباتهم ومحاضراتهم كالآراء التى كتبها جرجس سال ونقلها طه حسين فى كتابه (الشعر الجاهلى) .

عاشرا : الحرب الكبرى جعلت العديد من المسلمين على صلة مباشرة بالحضارة الغربية فانفتحت عيونهم على عالم جـــديد ما كانوا يعرفونه من قبل وغدا أهل الغنى والمكانة يردون الأقطار المســـيحية زرافات ، الألوف من الطلاب يهاجرون من آسيا وأفريقيا الى أوربا لطلب العلم وتحصـــــيل المعارف ، وسيل عظيم من العمال والصناع يتدفق من شمال أفريقيا عـــلى فرنســـه .

وقد أشارت صحيفة الجامعة الاسلامية التى تصدر فى يافا أن المؤتمر استتبع توجيه المطاعن الفاشية الى الاسلام ورسوله وقالت ان المسلمين فى حيفا قد واجهوا انعقاد المؤتمر باحتجاج شديد وأنه أحدث غليانا شديدا بين المسلمين يخشى أن يؤدى الى فتنة عظيمة وطالبوا بحله ومراعاة تقاليد البلاد وعواطف أهلهـــا وان الغرض من هذا احداث فتنة بين المســـــلمين والنصارى تحقيقا لغايات سياسية . وقالت الصحيفة أن القس زويمر قام بتوزيع كتب وأوراق كلها طعن بذىء فى الاسلام .

حركة التبشير العالمية

وواصلت مجلة الفتح الحديث عن مؤتمر التبشير الجديد (المنعقد فى ابريل ١٩٢٨) فى القدس وفيه ألقى بيانا يكشف عن هزيمة التبشير فى مخططاته التى نظمها وسعى اليها قال :

ان الطريقة التى سرنا عليها الى الآن لا توصلنا الى الغاية التى ننشدها فقد صرفنا من الوقت شيئا كثيرا وأنفقنا من الذهب قناطير مقنطرة والفنا ما استطعنا أن نؤلف وخطبنا ما شاء الله أن نخطب ومع ذلك كله فاننا لم ننقل من الاسلام الى المسيحية الا عاشقا بنى دينه الجديد على أساس الهوى ، أو نصابا سافلا لم يكن داخلا فى دينه من قبل حتى نعده قد خرج منه ، ولا محل لديننا فى قلبه حتى نقول أنه قد دخل فيه . ومع ذلك فان الذين تنصروا لو بيعوا بالمزاد لا يساوون ثمن أحد فيهم فالذى نحاوله من نقل المسلمين الى النصرانية هو أشبه باللعب منه بالجد فليكن عندنا الشجاعة الكافية لاعلان أن هذه المحاولة قد فشلت وأفشلت .

وعندى أنه يجب علينا قبل أن نبنى النصرانية فى قلوب المسلمين أن نهدم الاسلام من نفوسهم ، حتى اذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا أو على من يأتى بعدنا أن يبنوا النصرانية فى نفوسهم أو فى نفوس من يتربون على أيديهم .

ان عملية الهدم أسهل من عملية البناء فى كل شىء الا فى موضوعنا هذا لأن هدم الاسلام فى نفس المسلمين معناه هدم الدين على العموم وهى خطة مخالفة لما ندعو اليه لأنها خطة الحاد وانكار للأديان جميعا ولكن لا سبيل الى تخليص المسلمين من الاسلام غير هذا السبيل فانظروا ماذا أنتم فاعلون » .

ويقول السيد محب الدين الخطيب معلقا على هذه النتيجة :

« أنهم نتيجة ذلك عمدوا الى عقد الأواصر مع دعاة الالحاد ، فتح الأندية ، جمعيات يزعمون أنها ليست للدعوة الدينية ـ كجمعيات الشبان المسيحية ـ استمالوا من لا يقترب من معاهد التبشير حتى مؤتمر ١٩٢٤

نشطت هذه الطريقة وكثر عدد الملاحدة من المسلمين ، وكان اعتقادهم أن هدم الاسلام فى نفوس المسلمين انما هو خطوة واسعة الى قبول النصرانية.

والكماليون كادوا للاسلام أعظم كيد وساروا فى الاساءة اليه على خطة محكمة منظمة أتقن تنظيم ، ان الشعب التركى الذى أسكتته المشانق فى الخطوة الأولى فان المشانق التى تسكته فى الخطوة الثانية لم تخلق بعد ».

خطوات فى العالم الاسلامى

وأشارت الفتح الى مقال نشرته مجلة العالم الاسلامى التى يصدرها القس زويمر (ابريل سنة ١٩٣٠) تحت عنوان (المساحات التى لم تحتل بعد) أشار فيها الى الأقاليم التى لم يزرها المبشرون بعد ويجب أن تكون موضع اهتمام الكنيسة وميدان جهادها قالت : لا ينبغى أن يبقى فى هذا القرن العشرين للتاريخ المسيحى مكان على وجه الأرض لا تطأه قدم المبشر ، وغالب البلاد التى لم يحتلها المبشرون انما تقع فى دائرة العالم الاسلامى (شمال أفريقيا وغرب آسيا ولايتا قنصوه وسنكيانغ فى الصين ، الهند الصينية الفرنسية وسيام حيث يوجد ما يقرب من مليون مسلم ، الأفغان ٨ ملايين ، فارس ، بلاد الأكراد) الخ .

وأشار الدكتور زكى على الى مؤامرة التبشير فى السودان (الفتح م ١١ — ١٩٣٧) فقال :

« جاهر غوردون بضرورة تنصير السودان ١٨٧٨ وبمجرد استرداد السودان ١٨٩٩ نشطت حركات المبشرين وتعدتها الادارة الانجليزية فى مصر والسودان بالتشجيع المادى والأدبى ، وأرسلت الكنيسة الانجليكانية ١٨٩٩ البعثة التبشيرية الكاثوليكية حيث أنشأت مراكز تبشيرية فى الخرطوم وأم درمان وواد مدنى وعطبرة وفى عام ١٩٠٥ دعا اللورد كرومر رجال الكنيسة الانجليكانية لانشاء مراكز للتبشير فى مديريات جنوب السودان وتنصير قبال الزمطا .

هذا وفى نفس الوقت فتحت مجلة الفتح أبوابها لدراسات واسعة حول التبشير وشبهاته المثارة وكان فى مقدمة من تصدى لذلك الشيخ مصطفى

الرفاعى اللبان فكتب عددا من الدراسات : م ٤ و ٥ (١٩٣١/١٩٣٢) منها

مناقشة هادئة للمبشرين .

دعوى الوحى فى الانجيل .

دعوى ألوهية المسيح .

دعوى ان مدنية أوربا مسيحية .

حيل المبشرين وتضليلاتهم .

وناقش الشيخ اللبان مطاعن المبشرين : حول تعدد الزوجات ، وزوجات الرسول والطلاق ونشأة النبى فى قوم وثنيين والسيف وانتشار الاسلام ومستقبل الاسلام .

فقدم اجابات وافية حول هذه الشبهات .

كارثة أكبر من ضياع الأندلس

وفى ١٥ مايو ١٩٣٠ وجهت الفتح سهامها للخطر الكبير الذى واجه المسلمين وهو عقد المؤتمر الافخارستى الصليبى التبشيرى فى عاصمة تونس فقال :

« نحن اليوم أمام كارثة أكبر من كارثة الأندلس ، هذه الكارثة العظمى هى أن شيخ الاسلام فى تونس وعدد من حملة علوم الشريعة قبلوا أن تتألف منهم لجنة شرف لمؤتمر التبشير الكاثوليكى الذى عقد منذ أيام فى الديار التونسية واعتمد له مليونان من الفرنكات أخذت من بيت مال المسلمين فى تونس وأعطيت لمؤتمر التبشير الافخارستى فضج لذلك الحزب المعارض فى مجلس النواب الفرنسى وبقى المسلمون أمواتا ، شرف عظيم لشيخ الاسلام فى تونس وعصابته وأى شرف أعظم من أن يكونوا لجنة شرف لتسهيل مهمة كاثوليكية يقوم بها خمسين ألف قسيس من حملة الصلبان العاملين بهمة واخلاص لاخراج المسلمين من الدين المحمدى وادخالهم تحت راية الصليب ».

لقد كان انعقاد المؤتمر الافخارستى فى بلد اسلامى مما أفسح الأمل لرجال الكنيسة فى امكان تنصير المسلمين ، ومدى أهمية هذه المظاهرة

الكاثوليكية الكبرى على مستقبل المسيحية ، وقد قوبل المؤتمر بالفشل المخزى ، أما تونس الحرة فلم تحضر من وجهائها وأفاضلها وعامة أهلها أحد قط ، وأضرب رجال الصحافة ، وتونس أفهمت الملاحدة غير الصادقين فى الحادهم انها لا تزال بلدا عربيا اسلاميا اذا سيم الضيم قال بملء فيه : « لا » .

ليس التبشير دعاية دنيوية استعمارية كما يظن بعضنا

وكتب الأمير شكيب أرسلان (م ٥) ان هذه الرسالات فى جميع أمم الافرنج تجاهد فى نشر الدين المسيحى بنشاط يقصر عنه كل وصف ، أحب أن لا ينخدع المسلمون بكلمة ان هؤلاء انما يعملون للدنيا وان الدين انما هو ستار لها فانه يكون من قبيل تشخيص المرض بغير حقيقته وعند ذلك يتعذر كفاحه . ان الحكومة الفرنسية عندما تسهل للقسوس والرهبان الاتصال بالقبائل حتى ينصروها وتمنع دخول الفقهاء وحفاظ القرآن ومشايخ الطرق الصوفية بين البرابر حتى يخلو الجو للقسوس والمبشرين لا شك أنها ترمى الى عرض دنيوى هو توطيد استعمارها للمغرب فأما القسوس والمبشرون فان الغاية التى يسعون اليها انما هى أن يحولوا البربر للمسيحية .

سنوك هورمزونج : عدو عاقل ولكنه شديد الخطر

وكتب الأمير شكيب أرسلان م ٥ الفتح ص ٦٧٤ (١٩٣٢) م .

« أقام بالبلاد الاسلامية مدة طويلة أسلم خلالها وحج وجاور بضع سنوات فى مكة واطلع على الدقيق والجليل من أمر المسلمين وتلقى كثيرا من العلوم العربية على المدرسين بالحرم الشريف ، قرأت له أربع محاضرات بالفرنسية فىكتاب صدر عام ١٩١١ تحت عنوان (سياسة هولنده بازاء الاسلام) وقد اعترف هورترونجه بأن حزبا فى هولندا قائما لجمعيات التبشير يحث الحكومة على أن تحمل مسلمى الجاوى على النصرانية قسرا فبين الخطر العظيم من ممارأة جمعيات التبشير على ما عليها من تنفير المسلمين وطعن فى مزاعم بعض النواب كون اسلام أكثر أهل الجاوى والجزائر/البيز لانديه/ لا يزال اسميا فلا بأس بمعاملتهم بغير ما يعامل به المسلمون . ولا نرى شغلا لدول أوربا المدنية فى هذا العصر أهم من المسائل الدينية والاهتمام بالتبشير ومعاضدة القسوس فى دعايتهم ببلاد الاسلام .

الاســلام والبعثات الكاثوليكية

واشارت الفتح الى الكتاب الذى أخرجه المجمع الكاثوليكى فى باريس مجموع محاضرات بشأن الاسلام (درمور دولانويارى) فى المجلد الخامس ص ١٩٢ فأورد ما أشارت اليه الأبحاث من أن الحرب العالمية الأولى قتل فيها اثنى عشر مليون قتيل وجرح ثلاثون مليونا ، وأشــار الى حكومة البحث وهو قولهم :

ان التجارب حققت لنا أن المسلمين الذين فى ممتلكاتنا فى أفريقيــا لا يصيرون أبدا رعايا مخلصين لفرنسة ان لم يصيروا مسيحيين فعلى هذا قد تضافرت شهادات القسوس والمبشرين والاشــخاص العالمين الذين عرفوا الاسلام حق المعرفة .

الحــرب الصليبية الجديدة

وفى الفتح م ٥ ص ٧٥٤ (١٩٣٢) كتب الأستاذ عبده عليوه أبو الخير فقال : حذرنا خالد شلدريك من حرب صليبية تتولى زعامتها ايطاليا وجاءت فظائع الايطاليين فى برقة مؤكدة لهذا الرأى وصرح (أوجين يونج) فى كتابه الاسلام فى آسيا أمام المطامع الأوربية بأن هناك غارة صليبية جديدة تدبر للقضاء على العقيدة الاسلامية وتبديد شمل أمم الاسلام وقيام حركة للتنصر واسعة المدى تتزعمها الكنيسة الكاثوليكية . وتنظر الشعوب اللاتينية الى الكنيسة الكاثوليكية كنصير يجب أن يساعدوه حتى ينشر الدعوة المســيحية ويكون من ورائها التوسع الاســتعمارى ، وقد رأينا بوادر هذه الحركة فى بلاد المغرب ، ويدعى أصحاب هذه الحركة أن البربر من سلالة أوربية لذلك يجب أن يخضــعوا للقانون الفرنسى وبمحو اللغــة العربية من أذهانهم ويستعيضوا عنها باللغة الفرنسية أو بلهجاتهم البربرية .

والآن تتقدم ايطاليا الى الاسلام كزعيم للكنيسة الكاثوليكية بعد أن سوت مسائل الخلاف بينها وبين البابا .

وهناك عدو آخر فى فلسطين هم اليهود وكأننا نرى اليهود والكاثوليك جنبا الى جنب يسيرون للقضاء على الاسلام .

حقا انها حرب صليبية جديدة : ارساليات كاثوليكية تشاد يوما بعد يوم فى الأراضى المسلمة وثروة الولايات المتحدة تسند هذه الارساليات .

حملة التبشير الكبرى : الجامعة الأمريكية فى القاهرة

وسرعان ما انفجرت حركة التبشير الكبرى فى القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية وقد أحدثت أصداء واسعة فى الصحافة وحفلت الفتح شوال ١٣٥٠ المجلد السادس (١٩٣٣) بالنتائج التى وصلت اليها صيحة المركز العام للشبان المسلمين وموقف الأمة الاسلامية تجاه عدوان المبشرين، فقد قدمت عدة توصيات هامة فى مقدمتها :

(١) مراقبة سير التعليم فى مدارس المبشرين والمؤلفات التى تقدم اليهم .

(٢) منع المدارس المسيحية من مطالبة المسلمين بأداء العبادات المسيحية .

(٣) مراقبة مستشفيات المبشرين وأماكن محاضراتهم ومنع اتخاذها وسيلة للتعدى على الاسلام بأساليب خبيثة .

(٤) انشاء مدارس اسلامية لتغطية حاجة المسلمين وحتى لا يدخلون مدارس التبشير .

(٥) قصر جهود الارساليات على أبناء الديانة التى تتبعها الارساليات .

وقد ألقى الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس الشبان خطابا هاما فى مجلس النواب عن هذه التحديات وكشف عن الاساليب التى استعملوها فى تنصير أبناء المسلمين ومنها استعمال طريقة التنويم المغناطيسى .

٢ — وكتب السيد محب الدين الخطيب معلقا قال :

ان أعداء الحقيقة الاسلامية استعدوا لمكافحتها بأحدث أساليب الطى والنشر ونظموا القوى التى تشترك فى هذا الكفاح وصنفوا لذلك كل أداة لاح لهم أنهم سيحتاجون اليها أثناء العمل من دورات عملهم مدارس جامعة أنفقوا عليها الألوف وجمعيات غنية منظمة مجهزة بالصحف والمطابع ودور

الكتب ومكاتب الاستخبارات ورجال العمل المتمرنين عليه وان لها أعوانا فى صميم بيوتنا .

ويزعم كاتب جريدة الشرق (المشرف عليها الدكتور طه حسين) ان الجامعة الأمريكية بريئة من التبشير مع أن مدير تلك الجامعة له كتاب مطبوع يفخر فيه بأنه داعية .. وان الجامعة الأمريكية معترفة بكتب هى من كتب التدريس عندها وفى هذه الكتب طعن على دين الاسلام ورسوله . أن أعداءنا يهاجمون أبناءنا فى عقائدهم وفى حقيقتهم ، وصاروا يخطفونهم من بين أحضاننا ويفسدونهم علينا . يجب على كل مسلم يرى فى نفسه استعدادا للمنافحة عن حقيقة الاسلام أن يجند نفسه بالمعدات اللازمة لذلك وأن يهب نفسه لله (م ٦ الفتح) .

٣ — ويواصل الفتح حملته كاشفا عن كتب المبشرين ومساعيهم فى المدارس الأجنبية وخاصة كتب جماعة الفرير : « هذه الكتب المحشوة بالطعن على الاسلام يبيعونها للناشئة من شاء منهم ومن أبى ويغرسون مغزاها فى نفوسهم كى ينشأوا كارهين لدينهم وبلادهم أو ليخرجوهم من ملتهم .

وكان الأستاذ محمد عبد الحميد قد مر بهذه التجربة معهم فهو يكشف خفاياهم ، وقد عرض أسماء مجموعة من الكتب تباع فى المكتبات منها كتاب باسم (توبيخ الاسلام) وعدد من الكتب التى ترمى الى تقريب المسيحية الى ذهن المسلمين وكلها تدور حول سوء القصد فى التعبيرات حول الاسلام والنبى واللغة العربية والأزهر .

وقال ان الجامعة الأمريكية فى القاهرة تعد مصيدة دينية باسم العلم

٤ — وكتب الأستاذ عجاج نويهض فى هذا الصدد فقال :

ان شر القوى المتسلطة على التفسير العام هى المدارس الأجنبية بمختلف علاقاتها وأنواع جمعياتها التى تنتمى اليها : هذه المدارس مراكز مسلحة بأحدث آلات الافساد وعملها الغارة على الأمة وناشئتها مما لا يقل بوجه من الوجوه عن الغارة العسكرية الحربية ، بل غارة المدارس الأجنبية

اقتل وانفذ وأستر عن العين واخبث وسيلة واكبر شرا . فالناشىء الحدث الذى شب بعـــد الحرب العالمية والذى يدخل المدارس الأجنبية المجهزة بكل الوسائل المدرسية للاستيلاء على عقول الطلاب فهو عندما يدرك الثلاثين أو الأربعين قد انقلب ليس فقط الى أن يكون عاملا مسخرا للأجنبى يؤدى للمسيطر عليه الضريبة ، بل هو مســــلوب الدين والعقيدة ، فاقد الانفة العربية الصحيحة ، يرى من الثقافة القومية وتاريخ العرب وتاريخ الاسلام فى رأيه ساقط مكذوب والتقاليد القومية يراها ضحكا وسخرية .

كذلك فقد مضى الأستاذ مصطفى الرفاعى اللبان فى تفنيد الشـــبهات التى أوردتها كتب المبشرين وكان له باع طويل فى هذا المجال اتسع له مجال البحث أعواما طويلة يعرض لشبهات كتب النصارى والمبشرين والملاحـــدة وغيرهم .

وقد أشار فى الفتح م ٦ (فبراير ١٩٣٣) الى مجموعة الشبهات التى أوردتها كتب المستشرقين ورد عليها واحدة واحدة :

(١) الاسلام دين جمعت مبادئه من الأديان كلها حتى الوثنية والاباحية

(٢) « محمد » صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يكون نبيا لأنه من الأمم غير الاسرائيلية ومحرم على غير بنى اسرائيل ان يخرج منهم نبى أو مصلح .

(٣) المسلمون أتباع شهوات وعبيد لذات وأقران قســـوة وغلظة وشـــدة .

(٤) القرآن كلام محمد وأعانه عليه قوم آخرون من الأعاجم العارفين بالأديان الســـابقة .

(٥) الاسلام جنى جناية لا تغتفر بوصفه المسيح بالعبودية والرسالة فقط .

(٦) رجال العلم من المسلمين يتعلقون بآيات من التوراة والإنجيـــل مدعين أن فى طياتها بشارات فيهم مع أن الأمر ليس كذلك .

موقف الجامعة الأمريكية بعد حوادث التنصير

كشفت الدوائر الاسلامية موقف الجامعة الأمريكية وخروجها عن حدود الرسالة المنوطة بها ، ومخالفتها لمذهب حرية الأديان فى التعليم ، وطالبت الهيئات الاسلامية الجامعة الأمريكية بعدم التعرض للاسلام والا كانت خليقة بتقليم أظفارها ومنع التعليم فيها حماية للمسلمين : وقال السيد محب الدين الخطيب : هبوا أننا أسسنا مدرسة فى أمريكا تتعرض للديانة المسيحية وتحرض المسيحيين على تعلم الديانة الاسلامية فهل تصبر علينا حكومتها .

٢ — وعلق الشيخ مصطفى الرفاعى اللبان (م ٧ ص ٣٤٩) على أحداث التبشير فقال : منذ قرن ونيف كان النصارى العرب فى الشرق الأدنى يعيشون مع اخوانهم العرب المسلمين فى وفاق تام فلا نرى نصرانيا يسىء الى الاسلام الحنيف بكلمة بل يدافع عنه فلما جاس المضللون خلال الديار وعاثوا فيها فسادا ونشروا مؤلفاتهم السخيفة المشحونة بالأكاذيب المفتريات والنقول الخاطئة عن الدين الاسلامى وانتشرت مدارسهم هنا وهناك جعلوا من مواطنينا النصارى شيعا وطرائق قددا ووضعوا فى نفوس بعضهم بذور الطعن المرفوض على الاسلام ورجاله .

٣ — ولما كانت حركة التبشير استمرت للعام الثالث ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ فقد واصلت الفتح حملاتها لم تتوقف .

ففى المجلد السابع ص ٧٩٦ نجد هذه الصورة عن تعليم الفتاة المسلمة فى مدارس الراهبات : بعد دخول البنات المسلمات مدرسة الراهبات الكاثوليكية وتعودت آذانهن نغمات كلمة الصليب والأيقونة والقديسين والثالوث والعذراء ولا ريب أن قلوبهن وعقولهن لم يوضع فيها شىء عن محمد صلى الله عليه وسلم ولم يسقط عليها شعاع من القرآن وهداية الاسلام ، وما برح دعاة النصرانية يعرضون على بعض الفتيات المسلمات فى مدارسهم صور شباب مسيحيين على شىء من الجمال ويرغبوهن فى أن يكون خطيبات لهؤلاء الشبان وبين عشية وضحاها تسمع صراخ الآباء التيوس يتردد صداه على صفحات بعض الجرائد بأن مدرسة الراهبات الكاثوليك أو مدرسة الأمريكان البروتستانت نصرت بناتهم ومنعتهم من

الاتصال بهن ويحاول الأب التيس الذى اختطفت ابنته من تحت ذقنه ان يعيدها الى سلطته ولكن هيهات ، فان البنت استأنست بالصليب والأيقونة والقديس والثالوث والعذراء وصارت غريبة عن محمد صلى الله عليه وسلم وعن القرآن وهداية الاســـــلام وقد وعدوها بأن تكون مدرسة فى احدى مدارسهم او ممرضة فى احدى مستشفياتهم او مبشرة بالصليب وستقول لكل من تتصل به من المسلمين والمسلمات أنا بنت فلان وكنت مسلمة ، ولما علمت ان دين الاسلام دين قذارة ووحشـــية وشـــهوات ونفاق تحولت عنه الى النصرانية ، كل هذا حدث لأن اباها جعلها فى محيط لم يفكر فى نتائج وجودها فيه فطارت من يده وصارت حربا عليـــه وعلى دينه ومن ثم فان كل جريمة تقع على الاســـــلام فى مدارس دعاة النصرانية ومعاهدهم ومصايدهم فان المجرم الأكبر الذى يعد أصيلا فى ارتكابها هو المسلم الذى كان يمكنه ابعاد الابن المسلم او البنت المسلمة عن مصايد التنصر وتهاون فى ذلك » .

٤ ـــ وتواصل الفتح فى العام الثامن (١٩٣٥) الحديث عن اخطـــار التبشير فتقول تحت عنوان (المسلمون يساعدون محمدا صلى الله عليـــه وسلم بالدعاء لا غير ، والنصارى يبذلون مئات الملايين كل ســـنة لتنصير الكرة الأرضية) (شكيب ارسلان) : من الذ ما يلذ المبشرين وأهم ما يهمهم تنصـــير المسلمين خاصة فانهم لو نصروا مائة بوذى أو خمســـمائة غيتشى ما سرهم ذلك بمقدار تنصير مسلم واحد ، لذلك نجد لهم فى العالم الاسلامى مجاهدات فى هذا السبيل تحار فى أمرها العقول ، وحاضرى فى الأيام الأخيرة فى مصر الا هو صفحة من صفحات هذا التاريخ الذى مضى عليه وقت طويل والمسلمون غير غافلون او متغافلون . ولو لم تكن قلعة محمـــد صلى الله عليه وسلم أمنع قلعة روحية بناها مؤسس شريعة فى الدنيا لكانت الحملات التبشيرية قد أتت على الاسلام من قواعده لكثرة وسائلها وأدواتها وتصرفها فى المال والجاه مما هو فوق الاحصاء على حين ان الاســـلام نائم يغط فى سبات عميق ولا ينفق على الدعاية لنفسه واحدا من مليون من الأموال التى يبذلها المسيحيون » .

التبشير فى كل مكان

وقد مضت الفتح تواصل ضمن أبوابها المتعددة قضية التبشير لا تغفل عنها فهى تشير فى أحد أعدادها الى التبشير فى بغداد فتقول : انهم جعلوا ٣٠ روبية شهريا لكل من يعتنق النصرانية فى لواء العمارة ، وقد سجل بعض الفقراء أسماءهم ليتقاضوا هذا الراتب بدون مقابل اللهم الا وقوفهم مدة خمسة دقائق ليصورهم المبشر ويرسل صورهم الى أنحاء العالم وحضورهم كل يوم الى أحد مراكز المبشرين لاستماع المواعظ .

خالد شلدريك يفحم قسيسا

ويقول الدكتور خالد شلدريك : كنت مسافرا فى باخرة متجهة الى الشرق وكان عليها مسافرون كثيرون من ملل مختلفة واتفق جلوسى فى أحد الأيام على مقربة من قسيس مسيحى رآنى انتقد أمورا دينية عن المسيحيين فظن أنى يهودى وأخذ يقارن بين المسيحية واليهودية ورددت عليه قوله ثم أخذ يقارن بين المسيحية والبوذية فرددت عليه ، ومازال ينتقل من ديانة الى أخرى ليعلم دينى فصارحنى بالسؤال ودهش اذ علم أنى كنت نصرانيا وأسلمت وأخذت أفيض فى بيان محاسن الاسلام وفضله على جميع الأديان حتى ألجمته ، وقال ان الذى يغير دينه لا شك امرؤ سوء ومنافق فقلت يا حضرة القسيس أنت مسافر من أوربا الى الشرق لتدعو الشرقيين الى تغيير دينهم والدخول فى المسيحية فأنت تدعو اذن كل شرقى لأن يكون امرؤ سوء ومنافقا فخجل جدا وضحك عليه الكثيرون » (م ١٣ الفتح) ١٩٣٨ .

واشارت الفتح الى أن المبشرين جعلوا من كتاب الشيخ على عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) محاضرة ينتصرون فيها للسفاسف الواردة فى هذا الكتاب لأنه مما يساعدهم على بلوغ مآربهم فى الاسلام وذلك بدار المبشرين (٣٣ شارع الفلكى أمام محطة باب اللوق) .

وذكرت الفتح نقلا عن جريدة (أزفستيا) موسكو — بتوقيع كانديدوف تحت عنوان البابا يتولى ادارة مدرسة للجاسوسية أن (الأب بيوس الحادى عشر) أقام مدرسة خاصة تدعى روستكوم يدرب فيها العاملون من الحرس الأبيض على الجاسوسية تمد عددا من الدول المتاخمة لبلادها لحدود روسيا

الشرقية والغربية ظهر فى المحكمة العسكرية بموسكو ان للرهبان شركة فى استخدام الارهابيين والمجرمين وان الجواسيس الكاثوليك لا يقلون عن اخوانهم الأرثوزكس ومن محاكمات الكهنة البولنديين الارثوزكس والباتست اوضحت ان مكاتب الجاسوسية فى الدول المجاورة لروسيا كانت على اتصال مع المتهمين .

معاهدة مونترو لالغاء الامتيازات الاجنبية

ولما عقد مؤتمر مونترو لالغاء الامتيازات الأجنبية تعالى صوت معاهد الهيئات الدينية التبشيرية فى مصر من كاثوليكية وبروتستانتية تنذر بالخطر وتطالب بالحماية . وكتب السيد محب الدين الخطيب يقول : لم تكن معاهد الهيئات الدينية الأجنبية فى مصر فى حاجة الى من يحميها من مصر حكومة وشعبا ولكن مصر هى التى كانت ولا تزال فى حاجة الى الحماية من هذه المعاهد فالمسيحى واليهودى فى المدارس المصرية — حكومية واهلية — لا يفرض على احد ما يخالف دينه ولا يجبر على اداء عبادة او القيام بطقوس ليست من دينه ولا يطلب اليه دراسة كتب شريعة أخرى غير شريعته ، وعلى العكس من ذلك مدارس هذه الهيئات الدينية الأجنبية التى تتسابق الدول فى مونترو الى طلب حمايتها فانها هى التى تدرس كتبا فيها وقاحة وقلة أدب ومخالفة للحق ، والواقع فيما يتعلق بالاسلام ورسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم كما رأينا فى كتاب التاريخ المقدس الذى يدرس فى مدارس الفرير والجزويت ، فضلا عن أن هذه المعاهد تجبر من هو على غير دينها من تلاميذها على اداء صلاة وتلاوة ادعية لا يعتقد بصحتها وعلى درس كتب دينية تفسد عليه دينه وتجعله فى نظر نفسه وذويه وبنى وطنه كافرا ، وعلى كثرة ما صدر عن هذه الهيئات التبشيرية من استعمال الأساليب ومنها التنويم المغناطيسى والاغراء والخطف والتهريب الى خارج ارض الوطن « مايو ١٩٣٧ » .

اليسوعيون ودورهم فى معركة التبشير

وكتب الأستاذ محمد روحى فاضل عن جهود اليسوعيين فى التبشير فقال منذ نيف وأربعمائة عام اجتمع سبعة اشخاص من امم مختلفة فى زاوية من زوايا كنيسة مونمارتر فى باريس وبحثوا فى امر دينى خطير ، اتفقوا على

ان يرحلوا الى فلسطين لتنصير المسلمين وان يطيعوا البابا فى كل ما يأمر به ، وكانت الكاثوليكية قد ضعفت وأخذ الأوربيون يدخلون فى البروتستانتية أفواجا ، قرر هؤلاء السبعة القيام بحركة دينية بابوية تنصيرية يعيدون بها النفوذ القديم للكنيسة الكبرى ومن بينهم شخص اسمه (ايتيمياس دولويولا) أوسعهم علما الباعث الأكبر على هذا الاجتماع ، يعده المؤرخون الثقاة مؤسس الفرقة اليسوعية التى لعبت على مسرح العالم أدون دور وشغلت أرفع منصب وتفردت بين الفرق الدينية بصرامة نظمها وشدة اخلاصها وبعد غاياتها وقد حض فى القرن السادس عشر (عصر النهضة) على أن يتوموا بنهضة دينية تقاوم تيار البدع والهرطقة وينشئوا الجمعيات التبشيرية المنظمة ويوطدوا دعائم الكنيسة الكاثوليكية وينشروا اللغة اللاتينية فى الصلوات والأعياد بين الأمم كافة لتبقى حية يتدارسها الناس ويقرءون بها الأناجيل وقد ولد (دولوبولا) أبو اليسوعيين ١٤٩١ وترعرع فى بلاط فرديناند الكاثوليكى الملك المتعصب الماكر الذى أخرج من الأندلس البقية الباقية من المسلمين والمعروف بكراهيته للعرب والاسلام ، وقد توجه بعد أن ترك العسكرية الى خدمة المسيحية ، وقرر انشاء فرقة اليسوعية ، التى تقوم على الطاعة العمياء أول ما يجب على الأفراد أن يقوموا به والرؤساء محترمون لهم هيبة القادة فى نفوس الجند ، والسلاح الذى حمله اليسوعيون فى هذه الحرب هو العلم ، فقد أسسوا الجامعات العالية وربوا أبناء الأشراف والملوك فحببوا لهم الكاثوليكية وكان لهم أثر قوى فى صفوف المانيا وفى النمسا والبلجيك وجاءوا الى لبنان ومصر (وأسسوا المعاهد والمدارس والارساليات التى حملت لواء الحرب الشديدة على الاسلام)

قاموس المنجد

وقد كان من أكبر أعمال اليسوعيين « قاموس المنجد » الذى تعرض له أكثر من كاتب من كتاب الفتح فى هذا الوقت الباكر فكشفوا عن سمومه وأهدافه الخفية .

ففى مجلد الفتح السادس (١٩٣٣) يكتب محمود يس فيقول :

دس اليسوعيون الدسائس فى الكتب التى يضعونها أو يؤلفونها بغية

انحط من الدين الحق الذى يريدون محاربته بنشر مبادىء دينهم ، هذا الكتاب (المنجد) الف ليكون معجما مدرسيا للغة العربية والعمل على اعلاء شأنها ونشر ثقافتها ، والمبرر لدس الدسائس من خلال سطوره ومعانيه ، وما هو وجه تفسير كلمة (الطلقاء) بأنهم الذين دخلوا فى الاسلام كرها ، وهو تفسير عار من الصحة لا يقصد به غير تشويه سمعة الاسلام مما هو منه برىء .

ما وجه تحقيقه كلمة النصرانية فى قوله : دان ودينا وديانة وندين بالنصرانية : اتخذها له دينا ، ما وجه قوله فى مادة ع. م د (وعمد الولد غسله بماء المعمودية وقوله فى هذه المادة (والمعمودية أول أسرار الدين المسيحى وباب النصرانية) مع أن الذى ذكره علماء اللغة فى هذه المادة هو ان لفظ المعمودية معرب ، من كلمة معموذيت بالذال المعجمة ومعناها الطهارة وهو ماء أصفر للنصارى يغمسون فيه ولدهم معتقدين انه تطهر له ، أما أن المعمودية أول أسرار الدين وأنها غسل الصبى بالماء باسم الأب .. الخ . فهذا ما لا وجود له عند علماء اللغة ، وليس هو من موضوع الكتاب فى شىء ، وما وجه قوله فى مادة (جدف) جدف على الله تكلم عليه بالكفر والاهانة وهو اصطلاح كهنوتى لم يذكره أهل اللغة والذى ذكروه أن التجديف هو الكفر بالمنعم أو استقلال عطاء الله تبارك وتعالى (من القلة) وحقيقة نسبه النعمة الى التقاصر ولم أر من ذكر أن التجديف يجمع على تجاديف ، ومادة (مسح) قال المسيح لقب الرب يسوع ابن الله المتجسد . ومادة قدس : قال : قدس الكاهن عند النصارى أم القداس ، وقوله (الروح القدس عند النصارى) الأقنوم الثالث من الأقانيم الالهية . كل هذا ليس من اللغة العربية التى ألف الكتاب لبيان مفرداتها فى شىء وانما هو اصطلاحات كنائسية ولو فعل هذا لخلص من وصمة التدليس » .

ويشير الأستاذ محمد تقى الدين الهلالى الى خطر كتاب المنجد ويقول أنه مثل على دسائس دعاة النصرانية وتحريفهم للكتب التى يطبعونها تحريف يفسد معناها . ويقول : ان المعجم المسمى بالمنجد مأخوذ من (اقرب الموارد) وفى كتاب المنجد أغلاطا وتحريفات كنت أحملها على قصور المؤلف

الى الأمس فبينا أنا أراجع فى المنجد نقطة وقع نظرى على لفظ (الطلقاء) فاذا الأب الحنون على أولاده يقول : الطلقاء هم الذين دخلوا فى الاسلام كرها . واستغربت هذا التفسير ولم أشك أنها دسيسة لطيفة من هذا الأب ولفظ الطلقاء : الطليق الأسير أطلق عنه أساره وخلى سبيله كما ورد فى مختار الصحاح بالحرف .

ومرة أخرى تعرض الفتح لقاموس المنجد فيقول أحد كتابها :

ان كتاب المنجد المنتشر انتشارا هائلا على ما فيه من الاصطلاحات الكنائسية والألفاظ الفظيعة التى لا يجب أن تقع عليها أنظار الأحداث ، الف فى خدمة التبشر واقحام مفاهيم كنسية على اللغة العربية ومن الكلمات التى دسها صاحب المنجد ليكون كالنموذج فقط .

مادة (انبثق) : وعند النصارى الروح القدس ينبثق من الأب والأبن أى يصدر .

مادة (صعد) : وعند النصارى خميس الصعود ، اليوم الذى صعد فيه الرب المسيح على السماء .

مادة (صلب) : الصليب العود المكرم الذى صلب عليه السيد المسيح
مادة (دلى) : تعال الله دليك أى حافظك .

مادة (سدر) : وسدرة المنتهى عندهم شجرة من نبق عن يمين العرش

وهكذا يعبر اليسوعى عن معتقدات المسلمين تارة بعبارات : (يزعمون أو بزعمهم ، أو يتقولوا ، وفق اعتقادهم) وغير خاف أن هذه الألفاظ لا تستعمل الا فى الأمور المشكوك فى صحتها وغرض المصنف فى ذلك تشكيك المسلمين فى عقائدهم .

الاستشراق

كان الاستشراق جزء من حركة التبشير وكان دهاقنة التبشير هم الظاهرون فى هذه المرحلة ، وقد ظل الاستشراق يعمل من وراء ستار زمنا

طويلا ليقدم تلك (السموم) التى كان يذيعها المبشرون عن طريق المدارس والجامعات والصحافة ولكن هذا لا يمنع من القول بأن جميع الذين ذهبوا الى أوربا تلقوا تعليمهم على المستشرقين وان أغلبهم أدخل معهد الدراسات الشرقية الذى خصص لطهو عملاء الاستشراق ، وهؤلاء هم الذين عرفوا مخططات التبشير والاستشراق وخلفياته والوسائل التى يدخلوا بها مفاهيمه فى الفكر الاسلامى عن طريق تحقيق كتب معينة من التراث أو اثارة قضايا محددة فى اللغة والأدب وفق مفهومهم الذى يقول بأن الكاتب العربى يستطيع أن يكون موضع ثقة أهله ومن هنا فان كل القضايا التى أثارها التبشير لم تلبث أن انتقلت الى أيدى طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق واسماعيل أدهم أحمد وتوفيق الحكيم وغيرهم ، وهذا هو التبشير يلبس قفازا من حرير ويظهر من خلال كتابات لها ظاهر براق وباطن مسموم .

ولقد كان طه حسين هو أجرأ هؤلاء الكتاب على الدعوة الى كتابات المستشرقين واذاعة آرائهم والدفاع عنهم .

وقد أشارت الفتح الى مهمة الاستشراق حين قالت :

ان مهمة المستشرقين الحقيقية أن يكونوا عيون أوربا الناظرة الى عقول سكان الشرق الاسلامى ، والباحثة عن الثقافة المؤثرة فى قلوب المسلمين وان أهم أعمالهم تأليف دائرة المعارف الاسلامية ، ومدارس اللغات الشرقية لتخريج الساسة والقناصل والمستشرقين الذين يعملون فى بلاد تلك اللغات ولا تقوم أمة بعمل يتعلق بالاستشراق الا تبادر الأمم الأخرى الى مثله ، وهناك مجلات خاصة بالشرق وعلومه وأحواله والمكتبات الاستشراقية فى لندن وباريس والمتحف البريطانى ومكتبة الفاتيكان والاسكوريال ومن أبرز مظاهر خضوعها للاستشراق فلا يطلع مسلم عليها وكان أول الاستشراق ببسط سلطانهم على علوم العرب فى الأندلس والحروب الصليبية .

(٢)

وتحدث الأستاذ أحمد عبد السلام بلافريح من المغرب الذى يدرس فى باريس عن كتاب (حياة محمد) لأميل دوركايم فقال : أنه أقام مدة الحرب الوطنية بالريف كمراسل لجريدة الالفورماسيون فتعرف فى فاس ببعض شبابنا وخالطهم ودرس بعض عاداتنا ، وهو مسيحى مغرق فى مسيحيته ، معجب بمتصوفينا ، وأشار الكاتب الى أن كتابه يحتوى على أغلاط وهناك ما يخالفه فيه ، وقال : أوربا لم تعرف الا صورة للاسلام مشوهة مكذوبة عن طريق جماعة المبشرين أو المثقفين الذين ينتسبون الى الاستشراق وأن الكتب التاريخية المقيدة فى مدارسهم محشوة بالخرافات والأباطيل فى كل ما يرجع للاسلام ، ومن ذلك قولهم عن محمد فى المدرسة الافرنسية أنه كان محتالا وأن كتابه ملفق من التوراة والانجيل ، لذلك فان كتاب درمنجم سيكون له أثر حسن عند قرائه الفرنسيين فى تصحيح بعض ما يتخيلونه عن سيرة النبى أو فى مواطن كثيرة وغلط فيه كثير من المواطنين وقد لاحظت فى كتاب (حياة محمد) خطأين عظيمين :

(الأول) قوله أن محمد تأثر بمن عرفهم من المسيحيين دون أن يبرهن على شىء ومن المعلوم أن المسيحية فى عهد البعثة كانت فى حالة انحلال ، وكان المسيحيون مشتغلون بالسفاسف والمجادلات اللفظية وكان مسيحو انجزيرة أعرق المسيحيين فى الجهل ، فهم يجهلون كل شىء عن دينهم وغير دينهم ، وكانت صلتهم بالمسيحية واهنة جدا ، ونبينا كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولذلك لا محل للقول بأنه رجع الى كتبهم بصرف النظر عن هذا فان آفاق القرآن فى ملكوت آخر .

أما (الخطأ الثانى) فهو ذهاب درمانجم الى أن الاسلام لا ينافى العقيدة الأساسية المسيحية (التثليث) وهو زعم غريب فى بيانه مع صراحة القرآن فى نفى ذلك . ان المؤلف يريد أن يفهم (روح الله وكلمته) فهما خاصا يخرج هذا القول عن مدلوله فى البيان العربى ويخالف قول الله عز وجل فى صريح القرآن :

(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)

والحقيقة هى أن عيسى عليه السلام فى القرآن ليس الا عبداً أو نبيا ورسولا كسائر أنبياء الله مع ما هنالك من التفصيل المنصوص عليه وليس فى القرآن ما يرفعه فوق البشر . ومسألة الصلب التى هى واضحة فى القرآن كل الوضوح ، يريد المؤلف أن يراها مبهمة ويريد أن يشكك فيها وما كان أغناه عن ذلك ، وأى اتهام أو غموض فى قوله : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)

ولعل الحامل للمؤلف على هذا سعيه فى التوفيق بين الناس .

(٣)

وفى بحث آخر نشرته الفتح عن أميل درمنجم وكتابه تحت عنوان :

المستشرق أميل درمنجم الفرنسى يشهد بأن الاسلام دين عالمى :

قالت : بعد أن نشر أميل درمنجم بحوثا ، درس الاسلام ، بعد أن نظر فى كل ما صادفه من عادات المراكشيين وتقاليدهم الدينية وترجم همزية عمر بن الفارض وشرحها للشيخ عبد الغنى النابلسى ، ثم نشر (حياة محمد) وهو الأصل الذى اعتمد عليه الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه (حياة محمد) .

ومما قاله درمنجم :

ان المسلمين باعتبار كونهم أمة وسطا بتسمية القرآن يلوح لى أنهم معدون جغرافيا وروحيا لأن يكونوا جماعة اتصال بين الغرب والشرق وبين شعوب شمال البحر المتوسط وأفريقيا ، فهذا الارتباط الذى لابد منه دون شك لحفظ التوازن الروحى للعالم ، وهذا الموضوع من قلب الكوكب الأرضى من جاوه والهند الى المغرب يظهر أنه أضفى هذه الكتلة المؤلفة من (٣٠٠ مليون) من البشر ، أن يكونوا مركز الثقل للعالم القديم ، ولهذا السبب نجدها محل عناية العناصر المختلفة وقد صار ذلك أشد وضوحا اليوم فى أوربا التى يمزق بعضها بعضا أمام نظرها الآن .

وعلق الكاتب على ذلك فقال : ننكر عليه صرف مدلوله آية (وكذلك

جعلناكم أمة وسطا) عن مرماها الدينى الى مرمى اجتماعى وخاصة فى موطن كبير الدلالة على مهمة الاسلام وعلى ميزته على سائر الأديان ، ليس معنى الآية أمة وسطا فى بلاد تصلح لأن تكون جماعة اتصال بين الشرق والغرب. ولكن معناه أمة هى فى عقائدها وأحوالها وآدابها على الصراط السوى بعيدة عن الافراط والتفريط وهذه أمانة أدبية لم تحملها أمة غيرهم وخروجهم من سواء السبيل فى عقائدهم وتقاليدهم ليكونوا شهودا على غيرهم فى غلوهم وتعضيدهم : تلك هى الأمة الاسلامية .

وللمؤرخ ظاهرة فى هذا الموطن تفرض على تشخيصها وهى أن أساس التقليد التاريخى المشترك بين دول أوربا والعالم الاسلامى ، هو الوحى الذى أنزل الى ابراهيم ومن جاءوا بعده ومنهم موسى وغيره ، والثقافة اليونانية التى نقلها العرب الى الغرب من رياضييهم وفلاسفتهم : أفلاطون وأرسطو .. وفكرة القانون والنظام الشرعى الذى كان قائما فى روما ، فليس يدهشنا والحالة هذه أن الضمير الاسلامى يستنكر حربا على مبدئه وعزيرته كل مذهب يدعو الى العنصرية والنيتشية والى الفلسفة المادية لتاريخ البشرية والى أية حكومة استبدادية ذهابا الى أن الله قدس الشخصية الانسانية والهيئة الاجتماعية معا ... الخ (م ١٥ الفتح) .

(٤)

وتحدث الفتح عن ما كشفه الأستاذ مصطفى السباعى من افتراءات المستشرق اليهودى جولد زيهر على الامام محمد بن شهاب الزهرى (م ١٥ الفتح) حيث قال :

هؤلاء المستشرقون عكفوا على دراسة كتبنا دراسة واسعة ونزعوا لذلك وتقاسموا التخصص بينهم الى حد عجيب فاذا أراد أحدهم أن يظهر للناس برأى جديد عزم عليه يلفق من هذا الكتاب رواية ومن هذا الأثر كلمة ومن هنا ومن هنا ثم يربط بعضها ببعض ويحورها كما يشتهى أو يحاول فهمها كما يشاء مع ضعفه فى اللغة وقصوره باعه منها ثم يستنتج منها المطلوب الذي يسعى جهده ويبثه بين الناس .

وهدفهم من هذا التحريف وقلب الحقائق التاريخيـــة ، ومن هذا ما يتعلق بالامام محمد بن شهاب الزهرى ، فان الشيخ على حسن عبد القادر أثناء دراسته لتاريخ التشريع الاسلامى ، نقل عن المستشرق المعروف جولد زيهر زعم أن الصحابة كانوا يكتبون الحديث كما يكتبون القرآن وقوله أن عبد الملك بن مروان وجد الزهرى مستعدا الأن يضع له أحاديث فى فضائل بت المقدس مع أن تصنيف التاريخ يقطع بأن الزهرى لم يكن يعرف عبد الملك ولا رآه بعد وأنه وفد على عبد الملك فى حدود سنة ثمانين أى كان بعد مقتل عبد الله بن الزبير ببضع سنوات وهذه قضـــية فصـــلها الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه عن السنة ومكانها فى التشريع (م ١٤ الفتح ص ٩٢٦) .

(٥)

كذلك فقد عرض الأستاذ أحمد عبد الســـلام بلا فريح لخمرية ابن الفارض التى ترجمها المستشرق أميل درمنجم الى الفرنسية وصدرها ببحث عن التصوف عموما والتصوف الاسلامى خصوصا ، وقال أنه تأثر بأستاذه ماســـنيون الذى ينكر فى كثير من المواقف التأثير الفكرى ، ويخالف الكاتب درمنجم فى قوله ان التصوف المطلق هو غاية التدين فمن رأيه أنه ما يزال الانسان يتهون الى أن يصير الى التصوف المطلق الذى يرمى الى فناء الفرد فى اللانهائية ويكتفى بالتجربة الباطنية وبالمكاشفة — عما ظهر من العبادات وذلك عن مثله الأعلى ويقول : ونحن نرى أن التصوف بهذا الشكل ينـــافى كل دين ، فالدين وان يكن مبنيا على اعتقـــاد باطنى واخلاص لله فى السر والعلانية فانه لابد فيه من أداء الفروض الظاهرة فهى دليل الخضوع والانتماء لقوانين شرعها الله أما الصوفية المطلقة فهى الثورة على كل قانون وذهب بعض المتصوفة الى القول بترك الشرائع كيلا تحول بين المرء والشرع وهو غلو يخرج صاحبه عن الطريق ، وكل ما ترمى اليه الصوفية من الانعزال والرهبانية والتوكل المجرد هو مناف لحكمة الاسلام العملية .

ولقد تعجب مسيو درمنجم من انكار علماء السلف الصالح أفكار غلاة الصوفية وهو تعجب فى غير محله ، نعم ، الاسلام لا ينافى التصوف المبنى على مكارم الأخلاق والمثل الأعلى فى ذلك ما كان عليه رسول الله وأصحابه مـــن تواضع من غير خنوع وبساطة فى العيش لا تتجاوز فضيلة الاعتزال ومخافة

لعقاب الله مع رجاء فى عفوه وثوابه ، وهذا مذهب المتصوفة الأولين مثل الحسن البصرى ومالك بن دينار وانما فسد التصوف بدخول الفلسفة اليونانية والهندية عليه ، فبعد أن كان الغرض منه تطهير النفوس واعدادها لعبادة الخالق أصبح مذاهب ترمى الى فناء الفرد واتحاده مع معبوده وادعاء حلول الخالق فى الكائنات الى غير ذلك مما هو مشهور عندهم . ويبدى مسيو دورمانجم تخوفه من اضمحلال الطرق الصوفية أمام هجمات المصلحين عليها وخاصة فى أفريقيا ، ولقد أصبح كثير من المصلحين يرون أن الطرق الصوفية لازمة لمقاومة التبشير المسيحى ولدرء هجمات المبشرين وهكذا وجدت الكنيسة بين فريقين تكونت منهما جبهة واحدة أمام هجوم الصليب وأهله ».

الفصل الثانى

التغريب والغــــزو الفــكرى

يمكن ان يقال بغير مبالغة أنه فى هذه الفترة تم انشـــاء هيئة للتغريب والغزو الفكرى أطلق عليها الشيخ رشيد رضا صاحب المنار جمعية الالحاد فى مصر وأســماها الســيد محب الدين الخطيب (صاحب الفتح) حركة الالحاد . وقد كان مقرها الحقيقى : كلية الآداب حيث يوجد الدكتور طــه حسين ونفوذه وأتباعه وجريدة السياسة حيث يوجد أئمة الحركة : وكانت الجريدة اليومية والمجلة الاسبوعية لسان حال هذه الدعوة الخطيرة ، وقد استمر هذا العمل سنوات طويلة — حتى بعد أن خرج الدكتور محمد حسين هيكل بكتابه حياة محمد عن هذه الزمرة ، فانها قد استمرت بزعامة طه حسين وأمين الخولى وحسين فوزى وسلامة موسى واسماعيل أدهم أحمد وتوفيق الحكيم وعبد العزيز فهمى الى أوائل الحرب العالمية الثانية فى صحف المجلة الجديدة ومجلة الرابطة الشرقية .

***

وقد كتب السيد محب الدين الخطيب فصلا مطولا كاشفا لهذه القضية تحت عنوان : (الاستعمار الفكرى فى الشرق) المجلد الرابع من الفتح (٩ يناير ١٩٣٠) وهى أول طلائع الكلام عن الغزو الفكرى وقد بدأت الفكرة فى مجلة فتى العرب الدمشقية (معروف الأرناؤط) وتلقفها السيد محب الدين الخطيب يقول :

الاستعمار الفكرى فى الشرق أعظم خطرا من الاســـــتعمار الأرضى فالأرض يمكن استردادها أما اذا تمكنت القومية الغربية من استعمار قلوب الرجال والنساء فذلك هو الخسران الأكبر . انها طلائع الزحف الفــكرى الذى تزحفه أوربا الى قلوب الشرقيين بوجه عام والمسلمين بوجه خاص — الاستعمار الجديد الذى ينبه العرب على الدعاية عن طريق الكتب الأدبيـــة وعن طريق الروايات القصصية والمسرحية ثم عن طريق لوحة الصـــــور

المتحركة ، الاهابة بنى قومنا أبناء الضاد وبنى ملتنا المسلمون أن يفتحوا عيونهم لهذا الجانب الخطر قبل أن يستفحل .

ويقول السيد محب الدين الخطيب : ان شـــبابنا يتعلمون فى جميع المدارس الحديثة لغات الغرب المختلفة فاذا أتموا دراستهم تنبهت فيهم الرغبة الى مطالعة ما يقع فى أيديهم من كتب ويومئذ يكون قلاعنا الحصينة وأعنى بها قلوب شـــبابنا مفتحة الأبواب لدخول جنود الفكر فيها وفيها جنود الحق وجنود الباطل ، هذا الاستعمار الجديد : الدعاية عن طريق الكتب .

الغاية من الزحف الفكرى ليست موجهة الى الفصل بين الشـــعوب الشرقية وبين حاضرها بل الغرض هو توسيع نطاق هذا الزحف أن يفصل بين هذه الشعوب وبين الماضى لأن أشد ما تخافه أوربا المستعمرة هو هذا الماضى الذى أخذ يستفيق فى قلب جزيرة العرب .

آن أوان اليقظة الحقيقية المبنية على العمل وعلى العمل بأســاليب الجد من المراقبة الفكرية وسد الثغرة . ان زحف الغرب الفكرى على الاسلام يعد من شر ما هوجمنا به فى كياننا القومى والوطنى لأن الاســـلام هو العاصم الأكبر لهذا الشرق من أن تتم فيه ارادة الاستعمار الغربى (م ٤ / ٤٨١) .

حركتان : التبشـــير والالحاد

أشارت الفتح الى الاهتمام الموجه الى جماعة التجديد بمؤازرة دعاة التبشير وان وليم ويلكوكس المهندس البريطانى الداعية الى العامية ، لـه كتاب انجيل للتبشير ترجمه فى مستشفى المبشرين البروتستانت فى مصـــر القديمة واهتم به سلامة موسى .

كما أشارت الى أن جمعية التبشير الانجليزية أذاعت منشورا يحوى عددا من المثالب والقذائف فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، اســـتنكرت الرابطة الشرقية هذا المنشور ، واستنكرت أمر الدفاع عن الاسلام وحرصت على التوفيق بين الغرب والشرق فى المصالح والمنافع . (والرابطة الشرقية يشرف على صحيفتها على عبد الرازق)

وهاجمت الفتح الرابطة الشرقية : لانها لو فهمت سياسة الغرب لما حرصت على التوفيق بين من يريد ابتلاع الشرق وجعل سكانه خولا وعبيدا لاسـيادهم فى الغرب ، ان الغرب لم يحرص يوما على التوفيق بينه وبين الشرق فى المصالح والمنافع .

وان الغرب يهيىء اكبر حملة صليبية لتنصير العرب وتعد لها أضخم الخزائن ويرسـل معها اقدر الرجال ، فاذا ما فكر فى مقاومة تلك الحملة ارتفع صوت الرابطة تقول : دعوا المقاومة حرصا على التوفيق بين الغرب والشرق فى المصالح والمنافع .

وقال الشيخ عبد الباقى سرور نعيم (أول رئيس تحرير للفتح) فى المجلد الأول (١٩٢٧) ان الاسلام يواجه اليوم حركتين من أخطر الحركات انهدامة هما :

حركة المبشرين وحركة الملحدين .

الأولى : تتجه نحو تحويل المسلمين عن دينهم الى النصرانية والثانية ترمى الى تجريدهم من الدين ، تقوم بالحركة الأولى جمعيات منظمة تؤيدها شعوب متحمسة وتحكمها حكومات متعصبة ويباشرها رجال باعوا نفوسهم فى سبيل تأييد غايتهم والوصول الى مطلبهم ، ويقوم بالحركة الثانية رجال تعلموا فى الغرب وأحكموا طرق الدعاية وتمرنوا على أسـاليب التمويه من ورائهم قوم أولوا نفوذ يحمون ظهورهم ويدفعون عنهم ما يصيبهم ، ولا غرض من وراء هذا او ذاك سوى أن يفسحوا المجال لدعاة الالحاد كيما يباشرون مهمتهم بكل هدوء وطمأنينة ، لا يبالون بغضب الجماهير ولا بسخط الشعب، ولا بهيجان المتدينيين .

ولقد كان لخبر حملة التبشير على بلاد العرب من الضجة والاستياء ما يكفى لتكوين الجماعات واثارة التحمس الدينى وتنظيم دعوة قوية لمقاومة تلك الحملة التى لم يأتنا تاريخ البغض المسيحى بأخطر ولا أجرأ منهـا ، انها حركة موجهة نحو بلاد العرب وهى قلب الاسلام ومهد الديانة المحمدية وفيها بيت الله والمشعر الحرام ومسجد رسوله .

ان واجب كل مسلم مستنير ان يعمل على بعث الشعور الاسلامى واثارته من مكامنه ، فان هذا الشعور هو الكفيل بحماية الدين ومقاومة خصومه ورد عادية المهاجمين عليه .

واشار الكتاب الى الفرق بين حرية الراى والطعن فى الدين فقال :

هل دعاة الالحاد من انصار حرية الراى حينما يطعنون فى الأديان ولا يكونون من أنصار هذا المبدأ فى السياسة أو الصناعة فيضطهدون على اصحاب الاستقلال فى الرأى ثم يعمدون الى عقائد الناس التى يقدسونها فيؤذونهم فيها ويستعينون بالشيطان على استنباط أساليب الطعن فيها عملا بحرية انراى .

واشارت الفتح الى نشرات تبشيرية مرسلة من مدن لندن الى بلاد العرب تقول ان المسلمين يصلون صلاة كاذبة ويتوجهون الى مكة باغراء الشيطان وان القرآن كتاب مزيف اخترعه الشيطان وان مكة ولد فيها النبى الكاذب ، ويصدر هذا من رجل هو مستر شيلد رئيس الجمعية العالمية الصليبية للتنصير بمدينة لندن .

وقالت الفتح : هذه النشرة صادرة من سفهاء ومثل هؤلاء لا نخشى عداءهم ولا نعبأ بمساعيهم ولو كان هؤلاء صادقين فى الدعوة الى المسيح لكان أولى لهم أن يدعوا الى دينه ملاحدة بلادهم لأن الملحد سيىء الاعتقاد بالمسيح ومكذب له فى كل ما دعا اليه من الايمان بالله واليوم الآخر ، اما المسلم فانه اذا ذكر ابن مريم عليه السلام قال سيدنا عيسى وسيدتنا مريم

ونشرت الفتح (٢٩ الحجة ١٣٥٠) تحت عنوان :

جمعية للالحاد فى مصر تعلن الحرب على الاسلام وسائر الأديان واعتمدت فى ذلك على نصوص أربعة لطه حسين ولهيكل ولسلامة موسى ومصطفى عبد الرازق .

١ — قال طه حسين : ظهر تناقض كبير بين نصوص الكتب الدينية وما وصل اليه العلم من النظريات والقوانين فالدين حين يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء يثبت أمرين لم يعترف بهما العلم فالعالم الحديث ينظر الى

الدين كما ينظر الى اللغة وكما ينظر الى اللباس من حيث أن هـذه الأشياء ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة واذن نصل الى أن الدين فى نظر العلم لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى وانما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها وقال : أرجو أن يكون بيننـا عهد كما أرجو أن يبلغه الحاضرون اخوانهم الا نؤمن الا بالعلم .

٢ ــ قال مصطفى عبد الرازق : ان علم الدين لم يقم الى يومنا هذا على خطة ثابتة ولا وضع له تعريف جامع ولا يزال الباحثون يحاولون أن يضعوا للأديان شجرة أنساب كتلك التى وضعوها للغـات دون أن يوفقوا .

٣ ــ قال الدكتور محمد حسين هيكل : كنا نود أن يوقفنا مؤلف كتاب (آداب اللغة العربية) على الأصول التى استمد منها هذا الكتاب (القرآن) وجوده ، بل كنا نود أن يسرد شيئا عن (النبى) وحياته من جهتهـا الدينية والمصادر التى استمد منها وكيف وصل ليكون أسلوبه كمـا كان .

٤ ــ قال سلامة موسى : من القيود التى تغل الحرية الفكرية منع تمثيل أى درامة على المسرح ما لم تقرها المكرمات فاذا كان فيها أشياء تخالف ما يحب من أديان أو أنظمة منعت الدرامة من التمثيـل ، ان الأديب يجب أن يكون حرا واذا خالف الأخلاق فليكن له ذلك .

رجل مسلم يقول : ان الدين لم يقم الى يومنا هذا على خطة ثابتـة وان الباحثين استطاعوا أن يعرفوا اللغات أصلا ولم يحددوا أصلا للدين يطمئن اليه . وان الدين فى نظر العلم ظاهرة كسائر الظواهر الاجتماعية ، لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى .

ومسلم آخر يقول : ان القرآن من وضع بشرى وان بيئات معينة تأثر بها رسول الله فعلمته البلاغة حتى وصل الى ما وصل اليه ، ثم زعم أنه من وضع سماوى ليؤثر على المؤمنين .

وآخر هو صوت الاباحية والتمرد على الأديان والأخلاق .

هذا قليل من كثير مما ينشر ويذاع فى الصـحف والمجلات وعلى منابر بعض الجمعيات لتهديم صرح الايمان وتمتلىء نفوس شباب الاسلام بغضا للدين وتعاليم الدين .

ان حلبة السياسية الحزبية أعمت الكثيرين فمكن ذلك غربان الالحاد من اعلان سمومهم ، ان دعاة التبشير ما نالوا شيئا لأنهم جربوا فعلموا أنه من الصعب أن يخرج مسلم من دينه وعقيدته ، ينشرون آراءهم باسم المدنية وباسم التجديد والحرية وما هى الا السم يسرى فى نفوس الآلاف من شباب الاسلام ، وهم على اتفاق على هدم الاسلام وازالته من النفوس .

ان للقوم صحف وألسنة مرنت على الضلال والمهاترة وسوف ترتفع متحدثة عن الدجل من تجار الدين ، ان لدى من المعلومات عن مقدار الصلة الفكرية الدائمة بين الجمعيات اللادينية فى روسيا وأمريكا وبين فئة الالحاد فى مصر ما يجعلنى لا أتردد فى اذاعتها من قريب . (محمد محمود بدير) .

(٣)

ولم يتوقف الأستاذ محمد محمود بدير عند هذا بل انه عقد اجتماعا بحديقة يلدز مع نخبة من رجال الصحافة والعلم الذين يهتمون بشئون الاسلام وقال للمجتمعين : ان مصر بلد اسلامى والشعب المصرى من أشد الشعوب الاسلامية وفاء للاسلام ، رجال الأقلام والصحافة ، ما منكم الا من يمثل مصر بوفائها لعقيدة الاسلام وآدابه . ولكن هناك فئة هى فيكم أقلية ، لا أقول انها ملحدة ، ولا أقول انها تتعمد الشهرة ، ولكنها ولا ريب مستهترة بآداب الاسلام سالكة سبيل من لا يبالى به ، وهى مع ذلك نشيطة عاملة حتى يخيل الى من لا يعرف مصر أن ما تكتبه هذه الأقلية بعيد عن الروح الحقيقى فى مصر ، ان شبابنا أمانة فى يد فئتين : المدرسين على اختلاف مظاهرهم والصحفيين ، فهاتان الفئتان هما اللتان تكونان الرأى العام وان مصر المسلمة يلائمها أن تسير فى طريق فكرى يتمشى مع اسلامها ، لعلكم ملبون طلبى وجاعلون الروح الاسلامية غرضكم الأول من الصحافة وعلى مقاعد التدريس معترفين معى أن مصر مسلمة ومسلمة قبل كل شىء .

وقال الدكتور منصور فهمى :

مسلمون قبل كل شىء .

عرب قبل كل شىء .

مصريون قبل كل شىء .

ان خدمة الاسلام والانتصار له لا يكون بالكلام بل يكون بالقـــدوة فعلى سادتى علماء الأزهر أن يكونوا قدوة للناس بسيرتهم وحينئذ يحسنون الى الاسلام ، ما لا يحسنون اليه بالكلام .

يقول محرر الفتح : وبعد أن كانت شكوى من أقلية تعمل على هدم حرمة الاســلام فى النفوس ، ومسألة تفكير فى التعاون على اظهــار مصر بالمظهر الاسلامى اللائق بها فى صحفها وثقافتها تحولت أنظار الحاضرين بدعاية الدكتور منصــور فهمى الى شــكوى من أن علماء الأزهر لا يعنون فى أن يكونوا قدوة للناس والى ارشادهم بأن يتركوا تلك الأقلية تعمــل عملها وحينئــذ ترجع هى بنفسها الى الصراط المسقيم كما رجــع الدكتور منصور بتأثير ذلك الحلم من الشيخ حسونة .

وقال الشيخ على محفوظ (من علماء الأزهر) ان المسئولية موزعة بيننا جميعــا ، لأن أبناء الأمة أمانة تحت أيدينا ، عن الأزهر فى الازهر ، وتحت أيدى الدكتور منصور وزملائه مدرسى الجامعة فى الجامعــة وعقول الأمة ورأيها العام كله أمانة تحت أسنة أقلام الصحفيين والمؤلفين فى كل ما يكتبونه ليبسر على الناس ويؤثر فى عقولهم وقلوبهم . ان الاسلام ليس فيه رئاسة دينية وكل أبنائه عند الله سواء ، لا فرق بين أحدهم والآخر الا بالعمل الصالح فتطهير نفوس أبنائنا من أردان العــداء للاسلام ليس من وظيفــة الأزهر ، أنتم يا دكتور أصحاب التأثير اليوم فى عقول النــاس ، أما نحن فعندنا بضاعة ولكن ليس لها مشترون وبنسبة اقبال الناس على ما عندكم وبنسبة استعداد الناس للتأثير بأقوالكم ، على نسبة ذلك ستكون مسئوليتكم غدا بين يدى الهكم ، اطلبوا الخير ، ولكن ما هو مقياس الخير ، وهل ترضى أن تقيس الخير بمقياسى أنا ، ان الله قد رحمنا فدلنا على الخير ولا خــير الا فيما اختاره الله وبين لنا قواعده ومقاييسه ، هــذه القواعد والمقاييس هى الاسلام ، الذى دعينا للتعاون على أن نكون أعوانا له وأن نكف عنه شر أقلية تسىء اليه والى نفسها من حيث تشعر أو لا تشعر .

وقال لطفى جمعة : ان أوربا لا تزال متمسكة بدينها بل متعصبة له وتتظاهر بأنها على غير ذلك وتخوفنا نحن بكلمة التعصب .

(٤)

ويتحدث الأستاذ عبد الباقى سرور نعيم (وهو من أرصن كتاب الفتح) عن هـــذه الظاهرة فيقول : ان جماعة الالحاد ودعاته اذا استطاعوا أن يجدوا فى البوذية أو فى اليهودية أو فى المسيحية مطاعن ومغامز ، وأن يأخذوا على كتب تلك الديانات خوضها فى مباحث يخالفها العلم اليوم وذكرها أشياء متناقضة ما اكتشف وما أظهرته التجارب فـــلا يستطيعون مهما أجهـــدوا أنفسهم ومهما بلغوا بالممكن وغـــير الممكن ان يجدوا فى القرآن مغمزا لغامز أو مطعنا لطاعن فانه لم يتعرض للمباحث التى يخوض فيها علماء طبقـــات الأرض وعلماء الهيئة وعلماء الطبيعة وعلماء الكيمياء .

وما ذكره خاصا بالسماء والأرض ، والكواكب والســحاب والرعد والبرق والجبل والبحار والأنهار لم يكن يقصد بذكره الخوض فى ماهيتـــه أو فى كيفيته أو فى أوضاعه أو فى كميته ، أو عد ذلك مما تتعرض له العلوم وتبحث فيه وانما أتى على ذكر ذلك من ناحية خاصة هى ارشاد العقول الى ما فيه تلك الأشياء من الدلالة عن جهة اتقان صنعها أو ايجادها من العدم أو موافقتها لحال البشر » .

وكان هـــذا ردا على دعاوى الملاحدة واتهـــام القرآن وانتقاصه . ومما يتصل بهذه الجماعة نرى حديثا فى الفتح عما أطلق عليه :

« نادى الفـــكر الحر فى القـــاهرة »

يقول : كل أعضائه من الكافرين بالله والأنبياء والأديان ، وكان منهم المنتسبون الى النصرانية واليهودية ، والاســـلام ، واذا أرادوا أن يسبوا النصرانية ندبوا خطيبا أبواه نصرانيان فيلقى محاضرة فى ذم النصرانية ، وكذلك الاســـلام ، وعلم جمهرة الشـــبان الكاثوليك فى القاهرة أن أحـــد الخواجات ألقى أو سيلقى محاضرة فى التشنيع على الكاثوليك فاجتمعوا وذهبوا الى نادى الفكر الحر فغسلوا بأيديهم هذه الاهانة التى لحقت بدينهم ثم ذهبوا الى القســـم واعترفوا للبوليس بما فعلوه . وذلك راجـــع الى المدارس التى ربتهم تربية دينية وكانت لهم بيتا وكان رجالها لهم أهلا .

لابد من تربية اسلامية تقترن مع التعليم الدينى .

العمل بالتربية الاسلامية يحتاج الى اعـــداد رجال يتولون القيـــام على ذلك ويحتاج الى مناهج تهذيبية ترسم لهم بدقة .

يجب وضع حد لحركة الالحاد

ولما تعددت الأحداث التى تقوم بها كلية الآداب كتب الأمير عمر طوسون خطابا الى وزير المعارف جاء فيه :

كتب الينا رهط كبير يطلبون الينا أن نرفع صوتنا لايقاف تيار الالحاد فى الدين والخروج عن حدوده ، بمناسبة المناظرة التى وقعت فى كلية الحقوق بين الأستاذين محمود عزمى ورشيد رضا فى مسألة مساواة المرأة بالرجل وما كتبه أحمد الصاوى فى الأهرام ١٩٣٠/١/٩ يلفت النظر الى أن ترك الحبل على الغارب للمتناظرين واعطاء الحرية المطلقة للمحاضرين ، دون أن يراعى الشعور الدينى وما يجب من الحرمة للمعتقدات مما يلقى فى روع الأمة سوء الاعتقاد فى الحكومة وانها ترضى بالخروج عن الدين والاستهتار بنصوصه ، كيف يسوغ الجدل فى نصوص الاســـلام القطعية كمسألة نقص حظ المرأة فى الميراث عن الرجل فى معهد يتبع حكومة مصر الاسلامية ، على أن المرأة المسلمة لا ترى حظهـــا فى الميراث قليلا بالنسبة لحظ الرجل الذى جعلت الشريعة الاسلامية عليه مغارم كثيرة بجانب هذا الحظ أعطيت النساء منها ولم نسمع لا فى القديم ولا فى الحديث من النساء المسلمات شكوى فى ذلك (م ٤ ص ٥٥٠) .

دعويان تسلطتا على مصر والعراق

وأشار الفتح الى المخاطر التى نتجت عن التغريب والغزو الثقـــافى على امتداد البلاد العربية فى مصر والعراق فأشار الى خط طه حسين فى مصر وساطع الحصرى فى العراق فقال : الأولى : دعاية طه حسين عن وجوب الانصراف عن الشرق الى الغرب وقطع الأواصر الجنسية بالشعوب العربية للأخذ بمدنية الغرب كاملة غير منقوصة على أنها كل لا يتجزأ .

الدعاية الثانية التى انتشرت فى العراق فهى عربيـــة عنيفة ولكنها

موبوءة بالجراثيم اللادينية التى كانت منتشرة فى تركيا وقويت فيها واستفحل خطرها أيام الاتحاد والترقى ثم تحولت فى القرن الأخير الى ما صار اليه الكماليون وحامل لواء هذه الدعاية الثانية هو الأستاذ ساطع الحصرى « دنلوب » القطر العراقى الشقيق ومؤسس معارفه فى العشرين سنة الأخيرة .

وقد تحولت ثقافة العراق تحت تأثيره من روحها القوى الخالد وهو الاسلام ونحن نستطيع أن نتصور تجرد أى ثقافة عربية ما من روح الاسلام لأن العروبة والاسلام شىء واحد وماضيهما ماض مشترك ومتلازم وأية قوى تبقى للعروبة اذا تحررت من الاسلام فكما أن الدعاية التى تبث فى مصر وكان الدكتور طه حسين يحمل لواءها سارت فى طريق التباعد عن العروبة والاسلام والشغف بانتحال مدنية أوربا بجمالها وقذراتها فان الدعاية التى تبث فى معارف العراق وكان ساطع الحصرى يحمل لواءها سارت فى طريق العصبية العنيفة للعروبة مشوبة بجراثيم الالحاد التى سرت عدواها من تركيا الى مصر (م ١٤ الفتح ١٩٤١) .

تركيا الكمالية هى المثل الأعلى

وقد دارت هذه الحركة التغريبية التى صورتها الفتح فى اطار المؤامرة التى قام بها كمال أتاتورك فى تركيا بالغاء الخلافة الاسلامية والحروف العربية والشريعة الاسلامية وهى التى رفعت رءوس دعاة الالحاد والتغريب واتخذوا منها منطلقا ومثلا .

وقد نقلت الفتح عن مجلة فتى العرب فى دمشق مقالا تحت عنوان :

بوادر خطيرة : هل تقتفى مصر أثر تركيا ؟

جاء فيه :

استعملت السياسة الغربية الغاشمة السيف والمدفع فى سبيل توطيد أركان استعمارها فى الشرق فلم يجدها السيف والمدفع نفعا ، وجربت النفى والتعسف والارهاق فلم يمد كل ذلك عليها بفائدة وعمدت الى التقسيم الاقليمى سياسيا فباءت باندحار فاضح وكان أن عملت على فصم عرى الائتلاف بين العالم الاسلامى والترك وذلك باحلال الأحرف

اللاتينية الغربية مكان الأحرف العربية عملا على انسحاب تركيا النهائى من عصبة الاتحاد الاسلامى العام ، ثم راى القوم ان مصر تبوأت فى الآونة الأخيرة منصب الزعامة العربية فباتت قبلة الأنظار فى العالم العربى بما يقوم به كبار مفكريها فراحوا يفتلون لها فى الخفاء شباك التفريق والتخاذل .

الذين يسافرون الى أوربا يعودون مشبعون بروح الكراهة الأدب العرب ومدنية الاسلام ، وتبين أن الجامعة المصرية تبث الآراء الشاذة التى يريدها الاستعمار الأوربى . وانما اتخذت آلة هدامة للكيان العربى عن طريق الأدب والعلوم .

والسؤال هو : هل تتبع مصر تركيا أم تصطبغ بالأدب الفرعونى كما اصطبغت تلك بالنزعة الطوانية ، لقد واصلت مجلة (السياسة الأسبوعية) نشر كلمات حية من اللغة المصرية ، بقصد اذابة مصر فى بوتقة المدنية الغربية والفرعونية .

لقد تعالت صيحتهم : ان مصر فرعونية بحتة ، والآداب العربية واللغة العربية دخيلة ، السياسة الهيكليقية (نسبة الى هيكل)اتخذت ثكنة حربية ترابط بها مجاهدوا القومية الفرعونية .

ليس بامكان العروبة والعربية التخلى بتلك السهولة التى يتصوروها هيكل وسلامة موسى وأذنابهم .

تركيا المثل الأعلى

وكتب الأمير شكيب أرسلان يقول : أن الميسر والخمر ولحم الخنزير ثلاثة من أركان الترقى عند أنقرة ، طالما ذكرت الصحف التركية أن المقامرة والمعاقرة هما من ضرورات المدنية الحديثة ، وانه لا مندوحة للأمة التركية اذا شاءت أن تعلو فى درجات الرقى العصرى من أن تسوق أبنائها الى اللعب والشرب وتهزأ بالأوهام والخرافات القديمة التى معناها أن لعب القمار وشرب العقار هما من الرزائل ، وأعد قصر يلدز الفسيح بجميع مغانيه ومرابعه لجعله مقامرا شهيرا تضارع به مونت كارلو ، وان بعض المطاعم

فى أنقرة لا تطبخ من اللحوم الا لحم الخنزير ولا تستعمل لسائر الأطعمة سوى دهن الخنزير ، ويذهب عشاق الرقى العصرى عمدا الى هناك ليأكلوا لحم الخنزير لا تلذذا به بل ليبرهنوا للغازى (أتاتورك) أن عقولهم قد أطلقت من عقال التقليد ، فأكل لحم الخنزير فى أنقرة صار رمزا للترقى وحتى على الخلاص من الهمجية » .

وكشفت الفتح عن عناصر التحرر والتغريب التى خطت اليها تركيا بعد خروجها من اهابها الاسلامى بعد التحول الكمالى (م ١٢ الفتح ص ٧٧٥ — ١٩٣٩) تحت عنوان تركيا وموقفها من الاسلام :

أولا : كشفت عن الصلبان والصور الدينية المسيحية فى جدران ومبانى أعظم مسجد فى استانبول وهو مسجد أياصوفيا بحيث صارت هذه الصلبان قائمة وظاهرة فى هذا الوقت لكل من يدخل جامع أياصوفيا الذى عطلت فيه الشعائر الاسلامية واتخذ متحفا للآثار النصرانية وغيرها .

ثانيا : ابطال العمل فى محاكمها الشرعية والغت مجلة الأحكام العدلية المأخوذة من فقه الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان وأحلت محلها القانون السويسرى حتى فيما يتعلق بالزواج والطلاق والميراث وما الى ذلك من الأحوال الشخصية الداخلة فى صميم أحكام الدين الاسلامى .

ثالثا : اباحت زواج المسلمة بالدرزى والنصرانى وجعلت نصيب الأنثى كنصيب الذكر .

رابعا : الانحراف عن الشرق والاتجاه نحو الغرب .

خامسا : معاقبة المؤذن اذا أذن للصلاة بالألفاظ التى كان يؤذن بها مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى يفهمها كل تركى على وجه الأرض .

سادسا : منع مطابع استانبول من طبع المصحف واعتبار طبعه جريمة .

سابعا : لا يحق الأبناء العرب الذين يعيشون فى اطنة ومرسية ومرعش وعين بات وغيرها أن يقرأوا كتاب الله بلغتهم العربية .

الفصل الثالث

قضايا الغزو الفكرى

تناولت حركة التغريب والغزو الفكرى قضايا متعددة من أبرزها قضية الفرعونية التى ركزت عليها القوى الشعوبية وحمل لواءها عدد كبير من الكتاب .

وقد حملت الفتح لواء التصدى للكتابات المسمومة التى توالت على صفحات جريدة السياسة ومن كتاب التغريب . ففى المجلد الخامس (رجب ١٣٤٩) ١٩٣١ قالت : ان محاولة اقناع مصر بأنها غير عربية ليست الا دسيسة دستها يد من مصلحتها أن تتمزق الشعوب العربية وأن تتقاطع وأن لا تتعاون بعضها مع بعض ، انها دعوة الى أن يكون لوادى النيل قومية منفصلة عن كيان القومية العربية ، لقد حمل لواء هذه الفكرة بعض الأقباط والملاحدة بما سموه الفكرة الفرعونية ، وقد تبين أن ثلاثة أرباع الكلمات التى ينطق بها قدماء المصريين توجد فى لغتنا العربية الحديثة ما يقابلها لفظا ومعنى فيكون اعتقاد جازم بأن العرب والمصريين من أصل واحد .

وقد أقيمت مناظرة فى الجامعة المصرية : هل من مصلحة مصر أن تأخذ بالحضارة الغربية أو أن تحيى الحضارة الفرعونية (بين رشيد رضا ولطفى جمعة) .

وفى بحث آخر تحت عنوان (الفكرة الفرعونية فى مصر فكرة عقيمة) قالت : من مصلحة مصر أن تهمل عبادة الحجارة الميتة وتستعطف القلوب الحية (محمد على علوبة) أن تركيا ببعدها عن الاسلام تخلت عن مركز القيادة فى الشرق وان الشرق العربى ينشد ذلك فى مصر وان مصر مقصرة فى تحقيق فكرة الرابطة بين الأقطار العربية .

وأشارت الفتح الى أن محمد على علوبة زار فلسطين بمناسبة مسألة البراق وبدأت الدعوة الى الوطن العربى الكبير ، ان السياسة التى

قد فرقت بين أوطاننا فانها بالرغم من ذلك وطن واحد تجمعه خريطة. واحدة وهى لغة القرآن من حدود فارس الى أقصى بلاد المغرب ومن سيف البحر فى حضرموت الى البلاد التى تندفع فيها نيران الثورة الآن فى تركيا .

وقال : علينا أن نسعى سعيا حثيثا لانتزاع الفكرة الفرعونية من مصر لأنهـا فكرة عقيمة لا يمكن تحقيقها ، ومن المصلحة الأدبية والمادية لمصر أن تهجر عبادة الحجارة الميتة وتستنطق القلوب الحية فى الشرق العربى وعقب مواجهة أخطار اختلاف اللهجات ومحاولة المستعمرين افساد اللغة وتقطيع أوصالها أو الاستعاضة عنهـا بلغات دخيلة كما هو الحال فى بلاد الجزائر حيث تشجع هنالك اللغة البربرية .

وقد علق السيد محب الدين الخطيب فقال : ما دام الشرق العربى من القرآن أمام خالد فان هـذا مستحيل ، حاول الكثيرون من ملاحدة مصر أن يتخلصوا من سلطان لغة القرآن فأخذوا يبتكرون ألفاظ وتراكيب يزعمون أنهم يمصرون بهـا اللغة وقد مات ذلك قبل أن يصل الى الأقطار الأخرى وستبقى العربيـة ، ملك الاتحاديين الناطقين بالضاد الى أبد الآبدين .

من أخـلاق الفراعنـة

ونشرت الفتح (م ١٤) بحثا عن فساد تاريخ الفراعنة .

قال الدكتور سليم حسن : ان رعمسيس الثانى كان يأخذ آثار الملوك الذين سبقوه ويكتب عنها اسمه ثم أتى ابنه منفتاح ومحا اسم والده ونقش اسمه بدلا منه ، وانتهز الملك نسخيو فرصة نقله موميات فراعنـة الدولة الحديثة من مراقدها الأصلية فى طيبة الى مخبأ سرى بمعبد الملكة حتشبسوت المعروف بالدير البحرى غرب الأقصر فجرد هو هذه الموميات من ذخائرها الذهبية ووضعها فى مقبرته الخاصة لتنسب اليه وكانوا يزيلون آثار وحلى السابقين أسماء أصحابها ويكتبون عليهـا أسماءهم وكانوا يزيلون أسماء مدائن الأولين ويطلقون عليها أسماء جديدة منتحلة .

ولم تتوقف الفتح عن الكشف عن فساد دعوة الفرعونية (م ١٥) (١٩٤٢) .

فأشارت الى أحد الكتاب الذين كانوا يجاهرون بالدعوة الفرعونية ، ثم تحول عنها .

قالت : كان ينطق تقليدا بمثل ما ينطق به غيره من أكذوبة الأمجاد الفرعونية وبعث الاله — فى كتابه (كاهن آمون) ثم اتجه الى الفهم الاسلامى فأصدر (قناع الفرعونية) — حاول فى كاهن آمون أن يوفق بين نقيضين لا يتفقان ، وهما الاسلام والفرعونية ، وانتصرت اسلامية الفطرة على الأخطاء المكتسبة ، فرعون ليس الا رمزا لنوع من الحكومات الاستبدادية البائدة فالفرعونية هى نوع من النظم التى ينهض عليها الحكم الاستبدادى الجائر ، وهذا النظام يقترن بما يليق به من الأوضاع الاجتماعية والصور العقلية التى تبرر الظلم وتستطيب الخنوع وتساعد على الترفع عن الطبقية المحدودة الحاكمة التى تستند الى ما تحدثه من أسانيد الحقوق المقدسة .

ويتساءل : هل يجد المصرى المسوق للحياة الصحيحة أن يجد فى شعار الفرعونية من قوة الدفع الى الحرية والمساواة ما يجبه المسلم فى كلمة الاسلام ومن تاريخ هذه الفكرة ، عقد المؤلف فصلا لمصادر التاريخ الفرعونى وفصلا لدور الانتقال من الفرعونية الى النصرانية فى مصر وفصلا لخرافة التوحيد المزعوم عند الفراعنة .

تحرير المرأة

وشغلت قصة تحرير المرأة جانبا كبيرا من اهتمام مجلة الفتح وذلك حين عقدت كلية الآداب مناظرة حول المرأة أحد طرفاها توفيق دياب الذى نادى بالسفور والحرية المطلقة للمرأة وكان فى الطرف الآخر الشيخ رشيد رضا الذى تحدث عن حقوق المرأة فى الاسلام .

وأشار الفتح (م ١٠ ، ١٩٣٥) الى ضرورة مقاومة تيار « هدى شعراوى وسيزا نبراوى » وقولهم بخطأ الشريعة فى الزوجات الأربع والسخرية بقطع يد السارق ورجم الزانى ، وأشارت الفتح الى أن الاتحاد النسائى صاحب الولاء الغربى والمشبوه ، وقد قابلت احداهن رئيس الوزراء « توفيق نسيم » وطلبت سن تشريع ينسخ حكم الله فى تعدد الزوجات تنفيذا لما قرره مؤتمر سنوى عقد على ضفاف البسفور فى خلال حكم أتاتورك باقتراح من مندوبات الهند (م ١٠ — ١٩٣٥) .

وكتب محمد محمود شاكر فقال : ان البلاء الذى أصاب بلادنا فى ملابس حشمتها انما أصابها بواسطة رجال سموا أنفسهم السفوريين فجعلوا يخادعون المراة المصرية ويستفزونها لهتك الحجاب حتى ثارت على ملابس الحشمة وبرزت للجماهير فى أطيب الروائح العطرية وفى الشفاف الهفهاف من الملابس حاسرة الوجه مزججة الحواجب عارية الصدر مكشوفة الساعد .

وعندما تقدم الشيخ محمود أبو العينين رحمه الله بمقترحات اسلامية لتنظيم الشواطىء والحيلولة دون الفساد الذى استشرى فى المصايف .

كتب الشيخ مصطفى عبد الرازق يقول : انه لا يقر الشيخ أبو العينين على مقترحاته بخصوص الآداب على الشواطىء ولا يذهب مذهبه .
وقالت مجلة النذير (الاخوان المسلمون) فيما نقلته عنها (الفتح) :

لقد عودنا الشيخ مصطفى عبد الرازق أمثال هذه الأحاديث والمواقف التى تبعد عن الاسلام أحيانا فما عدنا ندهش مما يقول أو يفعل . ولقد عرف الناس جميعا عصريته التى قد تخالف الحياة الاسلامية الصحيحة وخروجه وتسامحه فيها ، ولكن أدهشنا أننا ما كنا نتصور أن يذهب الشيخ مصطفى عبد الرازق الى هذا الجواب الملتوى ، كنا نتصور أنه موافق على اختلاط الجنسين فى الجامعة وكنا نتصور مثلا انه داعية من دعاة حرية الفكر كما يفهم هذه الحرية ولكنا ما كنا نتصور مطلقا أن الشيخ مصطفى لا يقر الشيخ أبا العيون على اقتراح من مقترحات ترمى الى القضاء على الزنا العلنى الذى يرتكب فى الشواطىء أمام بصر الحكومة وسمعها ، وما كنا نظن مطلقا أن الشيخ مصطفى عبد الرازق خريج الأزهر الأغر يسكت عن ابداء رأيه فى مقترحات الشيخ أبو العيون بما يفهم عدم رضاه عنها .

اليونسكو وتآلف الثقافات

ولم يفت السيد محب الدين الخطيب خطورة اليونسكو ومحاولاته فكتب فى المجلد ١٨ (١٩٤٥) يقول : الذى أفهمه أنا ان اليونسكو للثقافات الغربية كالاسبرنتو للغات الأوربية ، فكما أن الاسبرنتو على ما فيه من تصنع لا يمكن أن يخرج عن دائرة اللغات الأوربية التى تكتب بالحروف

اللاتينية . كذلك اليونسكو لا يصلح الا لثقافات الغرب ، العلم عالمى ما فى ذلك شك (الطب والهندسة والكيمياء) وأمثال ذلك من العلوم لا تتفاوت الأمم فى تعلمها وتعليمها ، أما الثقافة فستبقى للصين والهند ثقافتهما التى لا تنسجم مع ثقافة أمريكا وسيبقى للعرب والترك والفرس ثقافتها التى لا تنسجم مع ثقافة أوربا .

ذلك لأن ثقافات الأمم قوام كيانها ومادة تاريخها وكل ذلك غذاء دائم لنوعى القومى وقد تفاوتت ثقافات الألمان والانجليز ، وثقافتا الايطاليين والفرنسيين ، أما ثقافة العرب فستبقى ثقافة عربية ومهما استفادت من حيوية الثقافات الأخرى ومختلف نشاطها فمن الواجب أن تظل مستقلة بنفسها ، وأن لا يكون لغيرها سلطان عليها ، اذا كان الدافع لليونسكو الحد من سلطان الاثرة والجشع فى بعض القوميات فان ثقافة العرب انسانية فى أساسها وأهدافها ، ونحن نترقب اليوم الذى تخلص فيه ثقافتنا من القيود التى كبلها بها الاستعمار فى مناهج التعليم ولا مصلحة لنا فى أن نمد أيدينا وأرجلنا لقيود حديدية تجر ثقافتنا داخل المدارس وخارجها الى فخ آخر باسم اليونسكو بعد الفخ الذى فرضه علينا دنلوب فى مصر وأمثاله فى العراق والشام .

علامات كثيرة فى أفق التغريب

ولم يتوقف السيد محب الدين الخطيب عن رصد كل العلامات التى تكشف عن مخطط التغريب ومن ذلك ما سجله فى (المجلد ٢ — ١٩٢٨) .

قال رئيس وزراء مصر لمحرر ديلى ميل فى لندن :

لم تعد مصر جزءا من بلاد المشرق فكل ما فيها يصطبغ بصبغة الغرب وقد أخذ أهلها يشعرون بقيمة الآداب الانجليزية ووجوب التعلم وقبول مصر يتمثل فى قول الخديو : ان بلادى لم تعد جزءا من أفريقيا بل صارت قطعة من أوربا ، لقد مضى أكثر من مائة عام وهو يعمل على جعل أنظمتها طبقا للأنظمة الجديثة ونحن ننهج منهج الغرب دون أن نفقد تقاليدنا القديمة وخير مثال حالة النساء الحاضرة فان عددا كبيرا من بناتنا يتمم دروسه الآن فى انجلترا ونجد المرأة المصرية تتمتع بكل ما تتمتع به المرأة الأوربية ويتلقى النشء الحديث عندنا علومه طبقا للقواعد الانجليزية ..

كذلك فقد أشار الى ظهور مجلة فى القاهرة (مجلة التطور) تحرص على الغاء الأزهر وتزعم أن الله هو الطبيعة وأن الانسان هو الذى اخترع الالوهية ، كما ألف أحد الدعاة الاباحيين كتابا فى غضون ١٩٣٦ دعا فيه الى الاباحـــة المطلقة ، والتجرد من الأديان والتخلص من الفضيلة والطهر فى سبيل انتصار الشهوات الجسدية .

كتاب فجر الاسلام وتحريف الحقائق

نالت الكتب التى أصدرها المجددون اهتماما كبيرا من الفتح فقد عرضت لكتب طه حسين : الشـــعر الجاهلى ومستقبل الثقــافة ، وكتاب على عبد الرازق : الاسلام وأصول الحكم وعرض الأســـتاذ مصطفى السباعى لكتاب فجر الاسلام لأحمد أمين وكشف أخطائه (م ١٥ الفتح) .

يرى القارىء فى بحوثه (أولا) تأثره الى درجة كبيرة ببحوث المستشرقين وكتاباتهم فى علم الحديث . (ثانيا) تأثره بآراء رءوس المعتزلة وطوائف الشيعة من صحابة رسول الله . (ثالثا) استنتج من عنده بعض آراء ليس لها أســـاس علمى ولا مستند تاريخى صحيح . (رابعا) لم يلتزم الأمانة ولا الدقة فيما نقله من النصوص والآثار . (خامسا) لم يعتمــد فى تاريخ الحديث على كتب الحديث بل على كتب الأصول وقد كان يستطيع الرجوع الى معرفة هذه النصوص الى مراجعها الحقيقية لولا أنه يسعى الى غرض معين فهو يتصيد الأدلة من هنا ومن هناك من غير تحقيق ولا تدقيق .

٢ ــ للأستاذ احمد أمين أسلوب خاص فى بث آرائه التى يخالف فيها الجمهور متبعا فيها بعض ذوى الأهواء من المسلمين أو من ذوى الأغراض من المستشرقين ومن خصائص هـــذا الأسلوب أنه يأتى بالفكرة فلا يلقيها اليك فى كتابه دفعة واحدة ولا يظهرها لك على أنها رأى لمبتدع أو لمستشرق ولكنه يوزع شيئا منها هنـــا وشيئا هنـــاك متلطفا فى الأسلوب متظاهرا بالبحث والتحقيق ولا ينسى أن يستند فى خلال ذلك الى نص محرف أو حديث ضعيف أو الى رأى هزيل أو ينسب الى العلماء قولا لم يقولوه ، والى بعض المذاهب آراء لم يذهبوا اليها فلا ينتهى من بحثـــه حتى يكون قد أحكم بث الفكرة فى ثنايا كتابه من غير ازعاج للقارىء ولا استفزاز لشعوره ، وبهذا

الأسلوب استطاع الأستاذ ان ينجو مما لحق بزملائه من سخط الجمهـــور وأن ينال ثقته باخلاصه وتجرده للحق والعـــلم .

وكان الأستاذ بارعا فى التشكيك بأحاديث السنة مما يدل دلالة قوية على أنه كان يشك فيهـــا جملة كما يقول كثير من المستشرقين ، وكما قال من قبل بعض رؤساء المعتزلة والفرق الضالة المبتدعة .

وهناك موقفه من اسماعيل أدهم أحمد وتأييده لرأيه المسموم .

ملاحظة : (وهكذا نرى أن طه حسين سلط زبانيته كل على ناحية : أمين الخولى : القرآن . احمد أمين : السنة . أحمد الشايب : الأدب) .

الفصل الرابع

دعـــاة التفـــريب

لقد وقفت مجلة الفتح بالمرصاد لدعاة التغريب واخذت تحصى عليهم اعمالهم ، ووالت بالمتابعة خطواتهم ، سواء فى الصحف التى كانوا يكتبون فيها أم فى الأندية التي كانت حافلة بمحاضراتهم ومساجلاتهم .

لطفى السـيد والقـرآن

قالت الفتح (م ٢ ص ٦٢٨ ــ ١٩٢٩) :

تولى دار الكتب احمد لطفى السيد شيخ ملاحدة مصر واقتضى الحال أن يشرف على طبع المصحف فى مصلحة المساحة فطلب الى احـد الموظفين الانجليز أن يطلعـه على صفحات من المصحف فامتنع الانجليزى من مس صفحات المصحف وكلف بذلك أحد الموظفين المسلمين فعجب شيخ الملاحدة من هذا الأمر ولما علم السيد قال للانجليزى : لا تبالى بما قيـل لك ومس المصحف كما تشـاء واستعمله لكل ما تريد ، ويقول بعض الواقفين على الحقائق ان كتاب الله قد ناله بعد ذلك من الاهانة ما لا نستطيع أن نذكره هنا .

سـلامة مـوسى

قالت الفتح : انه يدعو الى شيوعية النساء ويقول ان هـذه الدعوة ينشأ عنها أدب نزيه خلو من القيود (فيوحى) الى الكتاب والأدباء روح الفكر النزيه الحر الجرىء ، ويكتب محمـد على ثروت فى مجلة الحـديث عن سلامة موسى ان له عظمة النبوة .

وفى كتاب (أحلام الفلاسفة) يدعو سلامة موسى الى نظام تعـدد الأزواج ويقول ان نظام تعدد الأزواج موافق للطبيعة البشرية اذ يستريح الأبنـاء من الاستبداد فلا يكون للولد أب معين فتنتفى المنفعـة الشخصية والاثرة الأبوية .

توفيـق الحـكيم

وأشارت الفتح الى أخطاء توفيق الحكيم :

وفى مقال لمحمود أبو رية أشـار الى مقال (نجم أحمد) الذى نشره توفيق الحكيم فى الرسالة وقد عرف الاسلام والأديان تعريفا لم نجـد له من قبل مثيلا وقال ان كل الأديان تتحـد فى الجوهر وتختلف فى المظهر ، وقال ما معناه : وهـل تجوز المفاضلة بين الأثواب وكلها من صنع الخالق المعصوم ، أما الأسلوب الذى يعرض على الناس فهو من شأن الرسـل والأنبيـاء .

ومعنى هذا الكلام انه ما دامت الأديان تختلف فى المظهر فان هـذا الاختلاف لا يكون من الله وانما مصدره الرسل ، والأسلوب الذى يعرض به الأديان على الناس هو من شأن الرسـل فقط ، وكل شىء خاضع لطبع الرسول ومزاجه وخلقه .

هذا هو الاسلام فى نظر توفيق الحكيم فليس هو وحى من الله وليس هو منزل من عند الله وأن محمدا هو الذى وضع شكله وصنع قالبه ثم خرج يدعو الناس اليه .

وهذا الرأى بدع جديد فى تعريف الاسلام وقد أتى به غيره من علماء الغرب والحقيقة أن الدين الاسـلامى ليس من طبع النبى ولا من مزاجـه ولا خلقـه ولا من شخصه ولا من ظروف عيشة عاشـها ، انما هو وحى نزل عليه وأوجب الله عليه اتباعه والدعوة به وتبيينه للناس ، والاختلاف فى الأديان لم يتناول أصولها ولم يمتد الى أركانها وانما كان هذا الاختلاف فى بعض الأحكام والتكاليف أما أصول الأديان هى الايمان بالله واليوم الآخر والعمـل الصالح (م ١١ الفتح) .

حسـين فـوزى

وتحدث الفتح عن دعوة حسين فوزى لاعادة مجد الفراعنة والروح الفرعونية ودعواه أن العرب دخلاء على مصر ، شأنهم فى ذلك شأن الرومان والانجليز ، والاشادة بحكم الفراعنـة بما أسماه الزمن الذهبى أو عصر

النور الذى شمل مصر ، وتقديم أمجاد الفراعنة فى ثوب زاه فى كتابه السندباد العصرى لكى يعيد تلك الحضارة الى الحياة فى نفوسنا ، انها محاولات للعمل على اعادة الروح الى مومياء الفراعنة .

عبد العزيز فهمى

ويفتتح الفتح صفحات مطولة لتلك السقطة الشديدة التى سقطها عبد العزيز فهمى فى دعوته الى كتابة العربية بالحروف اللاتينية (م ١٧ — ابريل ١٩٤٤) وكيف كشف عبد العزيز فهمى عن عدوانه للعربية وقوله : ان حل كل مشاكل اللغة العربية ينتهى الى طريقة واحدة هى اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات بدل حروفنا العربية كما فعلت تركيا .

نشرت الفتح أبحاثا فى الرد عليه (عدد ٨١٦ ، ٨١٧ ، شوال ١٣٦٣) .

ونشرت مثل ذلك « الترك وحروف الكتابة » عدد ٧٤٢ (المحرم ١٣٦٠) وفى العدد ٨١١ من الفتح (جمادى الأولى ١٣٦٣) عن حكمة اصطفاء الله تبارك وتعالى للعرب ليكونوا أصحاب نبيه الأولين واختيار اللغة العربية لينزل بها القرآن ، اقرأ مقال السيد محب الدين الخطيب (القرآن معجزة بين معجزتين) .

ميشيل عفلق

كما حاصرت الفتح ميشيل عفلق فى هجومه على الاسلام وهو يعمل كمدرس للتاريخ فى ثانويات دمشق (م ١٢ الفتح ١٩٣٨ ، ص ٧١٨) .

خليفة ميشيل عفلق « عارف العارف » (م ١٢ ص ١٩٥٠) .

يفصل أخطاء ميشيل عفلق (الفتح م ١٢ ص ٧٠٤) على الطنطاوى .

تعليق آخر ص ٧٥١ لمحب الدين الخطيب وتعليق آخر لعلى الطنطاوى ٨٠٢ .

وخلاصة القول : تقول الفتح : ان المطاعن والأباطيل التى يوردها ميشيل عفلق فى شعبة الآداب للصف الأول التمهيدى أثناء القائه ما عهد اليه من دروس الحضارة الاسلامية ، ما لقنه للطلاب من طعن فى القرآن الكريم وجرح للأحاديث الشريفة واخراجها عن صفتها المقدسة الى صفة وضعية

مجردة من كل المجاز وليس أمام الطلبة من قدرة تساعدهم على رد هجماته على الدين الحنيف فيصدوا بالبرهان مطاعنه فى كتاب الله وسنة رسوله ، ومن ذلك تعريض شباب الاسلام للتبشير بمذاهب الشيوعية والاشتراكية .

حديث مع ملحد يكتم الحاده

فى المجلد التاسع (١٩٣٦) ص ٦٩٦ يورد الفتح حوارا جرى بين على أحمد باكثير واحد كبار أدباء العصر لم يرد أن يذكر اسمه وقال انه كان جالس أمام المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على ، قال :

وصلنا الى موضوع الدين واثره فى تهذيب الأمة وخطر الالحاد عليها ونحو ذلك فكان مما قاله باكثير : انه يجب على وزارة المعارف بمصر أن تعنى العناية الكافية بتربية النشء تربية اسلامية صحيحة تعصمه من فتن المدنية الأوربية ورزاتها ويجعل له ميزانا يأخذ به فضائلها ومزاياها النافعة حتى تكون النهضة المصرية تامة من جميع الوجوه .

فقال : ان الأمة ليست بحاجة الى الدين ولكنها بحاجة الى الأخلاق ، فالأخلاق وحدها هى التى ترفع الأمة الى مستوى الأمم الراقية وليس الدين .

قلت : اننى لا افهم فارقا بين الدين والأخلاق ، فالدين الذى نتحدث عنه هو الدين الاسلامى الذى هو دين الأخلاق فى اسمى مظاهرها واصدق مدلولاتها ، وحسبك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل : انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، قال : هذا الأزهر وهؤلاء علماؤه قضوا دياتهم بين جدرانه فى دراسة الدين فما بالهم لم ينهضوا بالأمة .

قلت : اننى قلت تربية اسلامية صحيحة ، ولم اقل دراسة عيون الكتب وشروحها وحواشيها ، فان سبب التأخر هو النظام العقيم فى دراسة الدين الذى يمسك بالقشور ويفتت الألباب ، يجب تربية الناشئة على المثل العليا فى الاسلام وتاريخه فى التضحية والصبر والشجاعة والكرم والايثار والصراحة ونكران الذات وتنشئتهم تنشئة عملية على الطهارة والصلاة .

قال : ان اوربا العظيمة لم تنهض نهضتها الجبارة الا بالأخلاق بعد أن عاشت قرونا بدينها فى الظلام :.

قلت : لا قياس مع الفارق ولا اظنك تجهل الفارق العظيم بين الدين الاسلامى والنصرانية ، ولعلك تذكر جمال الدين حين قال : ترك النصارى دينهم فتقدموا وترك المسلمون دينهم فتأخروا ، على أن أوربا لم تترك العصبية الدينية بل هى على العكس من ذلك تتحمس لها أكثر من تحمسنا لديننا وتجعل دراسته فى مدارسها من المواد الأولية وما ينفقونه من الوف الجنيهات للتبشير بدينهم فى مختلف أصقاع العالم .

محمود عزمى

وأشارت الفتح فى المجلد العاشر (١٩٣٥) الى مذكرات محمود عزمى التى بدأ ينشرها فى جريدة روز اليوسف وكيف كشف عن دعوته الالحادية فأشار الى اشتراكه فى جماعة السفور التى تشرف على تحرير جريدة السفور لصاحبها عبد الحميد حمدى مع منصور فهمى ومصطفى عبد الرازق والى محاولة انشاء حزب اشتراكى .

يقول عزمى : كنت عاكفا على قراءة كتاب فى الديمقراطية الحديثة لمفكر غربى معروف ، وقد عدل صديقى منصور فهمى عن تسمية المولود بالحزب الاشتراكى الى تسميته بالحزب الديمقراطى ، ويقول : قد انتهزت فرصة عرض المجتمعين لمبدأ توحيد الشريعة فى مصر ، قلت للمشايخ : هل تفهمون كل ما لهذا المبدأ من مدى ؟ فأجابوا بالايجاب ، معناه تطبيق التشريع الواحد على المصريين والأجانب فحسب ، بل معناه قبل هذا وفوق هذا تطبيق التشريع على جميع المصريين مهما تكن اديانهم ومعتقداتهم ، بمعنى أن تكون للمصريين كلهم احكام زواج وطلاق واحدة ، بمعنى انه اذا رغبت مسلمة ولتكن احدى أخواتنا مثلا أن تتزوج من قبطى فلا يكون هناك مانع ولا اعتراض ، وسكت المطربشون وهاج المعممون وقالوا : بل التوحيد فى كل شىء الا احكام الأحوال الشخصية ، فقلت : ليس هذا من الديمقراطية فى شىء ، فانسحبوا واستراحوا وأراحوا ، هذا هو حزب محمود عزمى ، الذى اجتمع فى بيت مصطفى عبد الرازق والسكرتير عزيز ميرهم ، وكلهم جماعة من تعلموا فى باريس وليون ١٩٠٨ (وعزيز ميرهم من كبار الماسون فى مصر) .

اسماعيل ادهم احمد

وتنبهت الفتح الى دعاية اسماعيل أدهم احمد الخبيثة ، فى اثارة الشبهات حول الاسلام وتأليفه كتابا عنوانه « لماذا انا ملحد » وكتابه عن الحديث النبوى حيث يطعن فى الحديث وفى رواته وجمع مصادره ويرميها بالكذب وينكر السنة بتاتا ، وقد جمع فى ذلك مذكرات مصدرها المستشرقون والمبشرون تحوى هذه الطعون والانكارات ، وقد كشفت الفتح دعاواه واشار الذين تناولوا آثاره بدعوته الى اختلاق القول وتهويله وتحكيم الهوى فضلا عن بغضه الواضح للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ومحاولة نطح صخرة الاسلام وقد وصفه بشر فارس فى مجلة الرسالة بأنه الداعية الى البولشفية والعلمية والمتشرد الفكرى (م ١٥ الفتح) .

وقالت الفتح : انه تركى من تلاميذ الروس الشيوعيين له دعاية خبيثة يبثها فى جنبات وادى النيل للنيل من الاسلام وايقاظ روح الشعوبية فيه ، ولما نشرت الفتح هذا تحت عنوان خطر آخر على الشريعة الاسلامية العدد ٤٩٢ (١٧ محرم ١٣٥٥) تلقت منه رسالة أشارت اليها فى العدد ٤٩٤ (٢ صفر ١٣٥٥) قالت : تلقت الفتح رسالة من المتطاول على سنة رسول الله ، هذا الشيوعى يدافع عن نفسه ، وقد أعلن أمره بعد أن أخذ مصطفى السباعى ينبه الناس الى ما فى كتاب فجر الاسلام من تحريف للحقائق الاسلامية فيما يتعلق بتاريخ السنة النبوية (أشار اليها فى العدد ٧١٢) أشار الى سخافات هذا المسكين ، وقد أشار بشر فارس فى مقالته التهكمية البليغة التى نشرها فى الرسالة لاقناع هذا الشعوبى بأنه جاهل وقالت الأهرام انه كان يميل فى أدبه الى الفلسفة اللادينية وكان ينتمى الى جماعة نشر الثقافة ، وكتب الصحفى العجوز فى الاهرام (أغسطس ١٩٤٠) فوصفه بالداعية الى البولشفية العلمية ، وقال مصطفى السباعى : ان أحد المنتسبين الى الاسلام فى مصر ممن تلقوا علومهم فى جامعات روسيا الشيوعية .

الفصل الخامس

تغـريب الجامعـة

ولما كانت الجامعة هى المركز الثانى للتغريب بعـد جريدة السياسة فقد كانت هناك عصابة طه حسين ، أمين الخولى ، أحمد أمين ... الخ . وكان كل واحد له اختصاصه فكان أمين الخولى يتحدث عن القرآن على أنه كتاب بشرى ، وكان مصطفى عبد الرازق يحتفل بذكرى رينان الذى لم يهاجم الاسلام بمثل ما واجهه به هذا الفيلسوف الملحد ، وكان العمـل الخطير قد بدأ بكتاب (فى الشـعر الجاهلى) ثم (مستقبل الثقـافة) وبما نشره فى السياسـة عن أن القرن الثـانى الهجرى كان عصر شـك وفجور ، الى غير ذلك مما واصله الدكتور طه حسين .

وقد أشـار الفتح (م ١٣ ــ ١٩٣٩) الى أن رواية انجليزية اسمها « سان جوان » تدرس فى كلية الدكتور طه حسين تحمل الطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى محاورة بين شخصين يعرض فيها للنبى صلى الله عليه وسلم بعبارات غير لائقة ، وقد طير الجامعيون برقيات الى الصحف يشكون فيها من وضع هذا الكتاب بين أيديهم ، وقال طه حسين فى الرد على ذلك : نحن نعلم آداب اللغة الانجليزية فهل من أجـل عبارات طعن فى الاسلام نمنع تدريس هـذه الرواية وليس الدين الاسلامى من الضعف الى حـد عدم احتماله مثل هـذه العبارات ، وقد طالب طلبة كلية الآداب عدم الخلط بين حرية الفكر وحرية الفحش والاجرام فى حق أقدس شخصية فى العالم وقالوا : لسنا نريد أن يحيا العلم الزائف على حسـاب الكرامة ولكننا نريد أن تحيا الكرامة فى ظلال العلم .

وأشارت الفتح الى موقف الشباب المسلم فى الجامعة بالنسبة لأخطاء طه حسين فقد قدم طلبة وطالبات كلية الحقوق بالجامعة المصرية الى مدير الجامعة مذكرة يطلبون فيها عدة طلبات أهمها :

أولا : ادخال الدراسة الدينية فى جميع الكليات .

ثانيا : توحيد زى الطلبة فى الجامعة مع تمييز طلبة كل كلية عن الأخرى باشارة خاصة .

ثالثا : توحيد زى الطالبات .

رابعا : تحديد دراسة خاصة للطالبات فى كلية الآداب .

وقد أفاضت مذكرة الطلبة فى هذا المعنى فقالت :

طالما تاقت نفوس النشء الى التعليم الذى حرم منه فى مراحل التعليم الابتدائى والثانوى وقد نص الدستور فى المادة ٤٩ على أن الاسلام الدين الرسمى للدولة والمشرع أبعد أن يحشوا الدستور بمواد لا يريد معناها ونتائجها ومن المسلم به أن مصر للشرق كله نبراس يضىء تعلمها ودينها ، والجامعة المصرية تنتهى بها مراحل التعليم فى بلادنا ويتخرج منها أكبر عدد ، وكان من الواجب أن يلم فى هذا الميدان الآخر بشىء من دينه القويم ، حتى لا يقضى حياته جاهلا بأصوله مخالفا لقواعده وقوانينه ، بعد أن استوعب فلسفة أرسطو وأحاط بنظريات ديكارت ولا تأتى معرفة الدين وأصوله الا عن طريق ادخال الدراسة الدينية ضمن منهاج الدراسة فى جميع الكليات ففى الدين نجد الوازع الأكبر للشباب فى مرحلته الأخيرة التى تتصادف وساعات الطيش ، وتتقابل وفترات النزق والرعونة ، ويرجع طبعا كل ذلك الى عامل السن فى هذه المرحلة ، ومن شديد الأسف أن تنتهى مراحل العلم فى بلد اسلامى اشتهر بين بلاد العالم بالدين وما يعلمه الطالب فيها من أمر دينه شيئا ، واننا لا نجد عوضا لنا عن هذا الاهمال بين جدران منازلنا اذ أن من مر الحقائق أن سواد الشعب أعرض عن الدين وانغمس فيما نهى الله عنه ولا شك أن خير طريق للسعادة هو الدين فبدراسته يتحقق قوله تعالى : ((**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**)) .

ان ترك الحياة الدينية والقاءها ظهريا سوف يجر علينا الويل لعصياننا أمر الله ورسوله ((**ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**)) ان الطريق المعبد لاصلاح الحال السير على الطريق السوى والتعلق بأهداب الدين فيرفع الله سخطه عنا ((**وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**)) .

تحديد دراسة خاصة للبنات فى كلية الآداب :

وقد يمكنكم أن تجدوا للفتاة فى كلية الآداب دراسة خاصة بها لأنه مهما يكن من الأمر فليس كل المواد التى تدرس فى كلية الآداب تتفق ومستقبل الفتاة ونعنى بصراحة القول أن نجد لهن دراسة تتفق وكونهن أمهات المستقبل . ان الاختلاط بصورته الحالية فى جميع الكليات يتنافى والشرع الاسلامى ، ان فى الدراسة الخاصة بالفتاة لخير تحديد لمصيرها وخير معين على حياتها المستقبلة التى خلقت من أجلها » أ. هـ .

كذلك فقد جرت مناظرة : هل الأفضل للفتاة أن تتعلم تعليما جامعيا أو تنفرد بثقافة خاصة بها ؟ ورجحت كفة الثقافة الخاصة .

وكتب عمر بهاء الأميرى الطالب فى كلية الحقوق بباريس يقول : ان الأساتذة فى جامعة باريس شعروا بأن الاختلاط له أخطاره العملية وكيف أنه يجر الى فساد فى الأخلاق وتعطيل الدروس وصرف الطلاب الى ضروب اللهو وأفانين الاستهتار حتى ان أستاذ القانون الدستورى جوزيف بأرتلمى ترك قاعة الدرس عدة مرات لاستحالة القاء محاضراته فى جو دراسى ملائم ثم وضع أخيرا فاصلا بين مقاعد الطلاب ومقاعد الطالبات وهكذا فصل الجنسان وأخذ كل منهما ناحية من المقاعد .

موقف طه حسين من الحجاب

وما كاد الدكتور طه حسين يعرف بشأن هذه المذكرة حتى كبر عليه أن يجرؤ أولئك على تقديمها الى مدير الجامعة ، ثم هاله تأييد رجال الأزهر وعلى رأسهم الأستاذ الأكبر لاخوانهم الجامعيين ، قال الدكتور طه :

أنا لا أعلم فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم نصا يحرم اجتماع الفتيان والفتيات حول أستاذ يعلمهم العلم والأدب والفن .

وقد ووجه طه حسين بعشرات من الرسائل التى تدحض مفهومه الخاطىء .

وأولت الفتح اهتمامها بالرد على الدكتور طه ، قال الكاتب :

اذا كان الدكتور طه لا يعرف ذلك النص فهل معناه أنه غير موجود ،

وهل يلزم من عدم معرفة الدكتور على شىء عدم وجوده ، واذا لم تر الهلال تسلم لاناس رأوه بالابصار .

ومن قال هل الدكتور طه عالم من علماء الدين أو فقيه من فقهاء المسلمين حتى يقام لرأيه وزن فى الشئون الدينية ، وبعد فنحن نتولى تعريف الدكتور ما جهله حتى يعلم أنه تطفل وتدخل فيما لا يحسن الكلام فيه :

وقال الباحث ان الأدلة الشرعية ليست محصورة فى الكتاب والسنة ولا مقصورة عليهما فحسب بل الأدلة الشرعية المتفق عليها هى الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع والقياس الصحيح وانه مما امتاز به الاسلام فى قواعده العامة أنه جعل درء المفسدة أساسا للأمور الأدبية الشرعية فاختلاط الجنسين وهو ينبوع المفاسد ومصدر الشرور محرم بهذه القاعدة الشرعية وان القرآن أورد آيات كثيرة حول هذا المعنى وهذه الآيات واضحة المعنى دالة على تحريم الاختلاط : اختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات مطلقا اذ الأمر بالشىء نهى عن ضده ولا ننسى أن العبرة بمفهوم اللفظ أما حكمة التشريع فى تحريم الاختلاط فهى أن الشريعة الاسلامية تريد للمرأة المسلمة أن تحيا حياة الطهر والعفاف والصيانة والفضيلة والدكتور طه بهذا يصادم شعور المسلمين وحرية آرائهم .

وقال الكاتب : لماذا أثار الدكتور طه هذه العاصفة فى وجه المطالبين بعدم اختلاط الجنسين وتخصيص فصول للبنات فى الجامعة المصرية .

وقال : ان السر فى ذلك انه رجل تلقى العلم فى فرنسا بعد الأزهر وانه متزوج من فرنسية وقد خبرها طبعا وأعجبته نتيجة الاختبار فلابد من تعميم ما أعجبه وما استحسنه ... الخ (محمد اسماعيل عبد النبى) .

مشكلة المتعلمين فى مصر

وأشار الفتح الى رأى طه حسين الذى أبداه للكاتب الفرنسى (روم لاندو) من أن الشباب المسلم فى مصر لا يهتم بالدين وان الاسلام لم يعد عاملا هاما فى حياتهم . قال روم لاندو : لقد أعرب لى الدكتور طه حسين وهو على الأرجح يعرف روح مصر الحديثة أكثر من أى رجل آخر عن ارتيابه الشديد

فى هل للاسلام نفوذ انشائى ما فى شباب اليوم مما يدل على أنهم يجدون أنفسهم فى الهواء تماما .

قال الكاتب محمد اسماعيل عبد النبى الذى تصدى له :

اما أن الدكتور طه حسين يعرف أكثر من غيره روح مصر الحديثة على الأرجح فهو نظريا أمر مرجوح فان الدكتور طه له هوى خاص فى هذه الأمور وقد عرفه المسلمون فى جميع انحاء الأرض بأنه فى جميع الحقائق الاسلامية لا يصدر عن حكمة واتزان وانما يفاخر بالتعصب لرأيه ويعاند الناس جميعا ، ويعتقد أن تلك الخطة هى طريق شهرته وسبيل ظهوره ولا يبالى ما يكون بعد ذلك فها هو يقرر للمستر لاندو أنه شديد الارتياب فى أن للاسلام نفوذا انشائيا فى نفوس شباب اليوم ، ثم هو يعلن فى نفس الوقت انه حسن الظن جدا بأخلاق الشبان المصريين فتيانا وفتيات ، فانظر الى عقيدة الدكتور فى شباب اليوم ، يشك ويرتاب فى مسلكهم وفى نفوذ الاسلام الانشائى منهم ، ويحسن الظن جدا بأخلاقهم ولا يشك فيها وفى رشدهم فاذا قام الشباب يطالب بالتعليم الدينى حتى يكون للاسلام نفوذ انشائى فى نفسه غضب عليهم الدكتور ورماهم بالسخف فيا ضيعة الشباب بين غضب الدكتور ورضاه وبين حسن ظنه بأخلاقهم وشدة ارتيابه فى نفوذ الاسلام الانشائى بينهم (مجلة الفتح م ١١ — ١٩٣٧) .

* * *

كما أشارت الفتح الى احتفال الجامعة برئاسة طه حسين بذكرى الفيلسوف الملحد رينان .

قالت الفتح : لقد عقدوا الرأى على أن يقيموا للفرنسى رينان حفلا تذكاريا يدرسون فيه مآرب أخرى ، وزينوا للشيخ مصطفى عبد الرازق أن يكون نصيبه فى هذه الحفلة القاء كتاب يقال أن الشيخ جمال الدين الأفغانى بعث به الى رينان ، ذلك لأن هذا الكتاب الذى توجد فيه نسخة باللسان الألمانى يحتوى على أن الشيخ جمال الدين يرى أن بين الاسلام والعلم خلافا ، ولقد فهم الناس من صيغ الشيخ مصطفى انه يقصد الى اساءة سمعة الاسلام بما يعزى الى الشيخ جمال الدين من أن الاسلام والعلم قد يختلفان ولو ذهب ذاهب الى أن مقصدهم من حفلة التذكار يدور على

اشاعة هذا الكتاب لم يكن ظنه اسما وبعض الذين فهموا من الشيخ مصطفى هذه النبذة كتبوا فى دفع أن الاســلام والعلم الصحيح قد يختلفان وعادوا على هذا الباحث المدقق بالملام (م ٢ الفتح — ١٩٢٩) .

(٢)

وأوردت الفتح رأى زكى مبارك فى كلية الآداب (الفتح م ٦ ص ٣٠٨).

قال : اننا فى كلية الآداب نعالج بنفس الطريقة التى يعالجها الأساتذة فى كلية الطب هم يسمون عملهم التشريح ونحن نسميه التحليـل والفرق بيننا وبينهم أنهم يشرحون الأجســام ونحن نشرح الأعراض وهم يشرحون أجساما فانية ونحن نشرح أعراضا غالية كان ينبغى لهــا الصون التــام فى ظــلال الحلوق ، وليس شق جسم الميت فى كلية الطب بأقسى وأقطــع من اهتمام أساتذة كلية الآداب باثبات أن أبا نواس كان سيىء الأخــلاق وأن البحترى كان قذر الثيــاب وأن المعرى كان من الملحدين وأن المتنبى كان صعلوكا يتصيد المال وهو يدعى سمو الملوك ، ولو مضيت فى دراسته لصرت مع الزمن طبيبا يحترمه الانسان ولكنك حين تمضى فى دراسة الأدب تصبح أديبا والعياذ بالله ورجال الأدب قوم يعيشون فى ظلمات بعضها فوق بعض ولا ينجح من بينهم الا من يحسن القيــل والقال وجوهم فى الغالب جو فتن ودسائس ونذالات يندى لها الجبين والبارز منهم هو الرجل الوقح الذى يعرف كيف يخلق الأكاذيب للنكاية بزملائه الأبرياء (يقصد طه حسين) (الفتح م ٦ ص ٣٠٨) .

وفى كلمة أخرى لزكى مبارك عن كلية الآداب أوردتها الفتح قال :

ســـأل سائل بما معناه : « لو أراد الله أن ينزل قرآنا فى زماننا هــذا فبأى لغــة كان يمكن نزوله ان كان بالعربية امكان نزوله بالنســخ الذى نزل به » .

من سوء نيــة الانسان أن ترك الجواب للطلبة أنفسهم حتى يضـل من يضل وتحدث الفتنة وهو من عبثها متخل وعنها بعيــد ، فقال انه كان ينزل بالفرنسية لأنها هى اللغة العامة لحسن لفظهــا وقرب مأخذه ودقة تركيبه ، وقال آخر انه كان ينزل بلغة أحسن من التى نزل بها وهى العربية التى نستعمل نحن فى كتابه .

وقال ثالث : ان القرآن نزل فى بيئة جاهلة فنزل بلفظه هذا الذى يروى عليه اليوم وانه لو نزل فى أيامنا هذه فلا شك فى نزوله بصورة مغايرة للتى نزل بها وبنى على هذا أن القرآن لا يوافق كل العصور بل يوافق العصر الذى نزل فيه .

ولقد سمعت من بعض الطلبة أن مثل هذه الأسئلة توضع قبل الدخول الى الدرس ويلقيها تابع من أتباعهم ليعلنها أثناء الدرس حتى تزيغ العقائد فالطلبة ليسوا من التمكن فى الدين بحيث يدققون هذا لأول نظرة : الهدف هو التشكيك وزكى مبارك يقصد طه حسين وجماعته فى كلية الآداب .

من أين أخذ المسلمون

وكتب الأستاذ محمد حامد الفقى فى المجلد الأول من الفتح يقول :

كثر التهجم على المسلمين وعقائدهم وكتابهم من الصحف بتلك الأقوال الآثمة والجامعة المصرية ترفع صوتها بالتشكيك من بعض أساتذتها بالطعن فى القرآن وفى اخباره وعظاته وارشاده . والبلاء منبعث أيضا من العراق على لسان الزهاوى وزميله الرصافى ولم تبق بلدة اسلامية الا وقد أمطرها أولئك الملاحدة بآسن أفكارهم وفاسد مبادئهم المبنية على قواعد الاباحة .. وكان للصحف السيارة فى هذا الشر الأثر العظيم فهم لا يفترون ساعة عن العمل الجاد لنشر مبادئهم التى لحمتها وسداها كره كل دين سماوى وبغض كل تشريع الهى ولا سيما الاسلام ، من العار أن لا يكون الاسلام أمام هذه الصحف التى هى ألسنة طاعنة فيه الا الاصمعيان (الأخبار والفتح) المتدينون فى غفلة بينما ترى الطائفة الأخرى جادة فى مقاومة صحفها ونشرياتها .

ما سر الغفلة ، تبين لى اننا لم نعن أولا بتشخيص المرض تشخيصا صحيحا بطريقة يمكن لكل مريض أن يعلمه ويصل الى مقره فى نفسه .

كتب ضد الاسلام فى الجامعة

فى سنة ١٩٣٩ وزعت الجامعة كتابا لبرناردشو الكاتب الانجليزى على طلبتها ليدرس لهم وقدم على لسان قسيس معاصر لجان دارك سب قبيح فى رسول الله ، وليس محل العجب أن شو أو غير شو يوجه فى كتبه

الطعن الى رسول الله ولكن محل العجب أن وزارة المعارف فى مصر تعجز عن أن تجد فى كتب الأدب الانجليزى كتابا خاليا من الطعن فى رسول الله يقرأه طلبة الجامعة .

ورأيت العجب العجاب عندما أثير هذا الأمر فى مجلس النواب بجلسة ٥ يونية ١٩٣٩ فقد رأينا بعض النواب المحترمين يدافعون عن ذلك الكتاب بطرق مختلفة ويبررون بها شتم شو لرسول الله .

م ١٣٤ الفتح (١٩٣٩)

حماية الدين الاسلامى فى الجامعة وكلية الآداب

قال الدكتور عبد الحميد سعيد (رئيس جماعة الشبان المسلمين) الهين الذى يكفى للاهتمام به تقديم سؤال واستجواب والقاء رد ثم يهمل ويركن فى زوايا النسيان ، ولكن الأمر أعظم من ذلك لأنه يتعلق بأمر ديننا وشرفنا وعقائدنا وعقائد أبنائنا وأهلينا وذرياتنا ، ان الأمر أمر دستورنا المحترم الذى ينص على أن الاسلام هو دين الدولة الرسمى وليست نظرية فصل الدين عن التعليم الا ستارا للالحاد والاباحة والخروج على الآداب والأخلاق والتقاليد الدينية والقومية ، ولهذه النظرية قال أولئك المخربون المدمرون انه يجب تحرير العلم من سلطان الدين ، كأن الدين نير ثقيل أو حاجز منيع فى وجه العلم ، انما الدين هو كل شىء ، لا نريد أن نسمع بعد اليوم تلك الدعوة الفاسدة : دعوة حرية الفكر التى فى ظلها تنتشر الكتب التى تدعو الى الكفر والتى تطعن فى سيد الأنبياء والمرسلين والتى فى ظلها تهدم الفضيلة والأخلاق والعقائد ، أنا لا أريد الحجر على حرية الرأى بحال لأشكو ممن ينشر الالحاد فى الجامعة ولكنى أشكو منهم أن يتخذوا من الجامعة حصنا يقذفون المجتمع من وراء أسواره بالقنابل المفرقعة المدمرة ويصيبون من الأخلاق مقتلا ، وليس الفساد كان قاصرا على الجامعة بل تعداها الى سائر المدارس المصرية ، ان ما يقوم به المبشرون وما يرموننا به من شر وبلاء لا يقاس مطلقا بجانب ما أصابنا مما يلقى من دروس فى الالحاد والاباحة ، ان الجامعة تسلم هؤلاء الشبان الذين لم يتعلموا شيئا من أصول دينهم الى رجل يلقى فى نفوسهم الزندقة والكفر فيفسد عقائدهم وأخلاقهم ووزارة المعارف هى المسئولة عن ذلك لأنها لم تعلمهم

اصول دينهم وتقاليـــده والله لو كان هــذا الرجل فى بلاد أخرى لما عاش ليـلة واحــدة .

وقف كثيرون فى وجه هــذا التيار : عبد الخالق عطيـــة ، الأستاذ القاياتى ، السيد خشبة ، عبد الحميد البنـــان ، عبد العزيز الصـــوفانى ، وكان دور النيابة الذى أثبت التهمة على المعتدى والمسفه لآرائه الفاسدة النجسة ، ومع ذلك لا يزال الرجل على رأس كلية الآداب ولا يزال صاحب هذا التاريخ الدنس ينشر آراءه الفاسدة المنحرفة فى الجامعة المصرية .

مضى على ذلك ثلاثة عشر عاما (١٩٢٦ — ١٩٣٩) .

ان صاحب هــذا التاريخ لا يزال يلقى على أبناء الجامعـــة تعاليمه الخبيثة ، فى ظل هذه الاباحة وتحت ستار حرية الفكر ينشر المبادىء الضارة المخربة ، ويجندون ما يسمونه بحرية المرأة واختلاط الجنسين ، ان ما يحدث فى كلية الآداب لا يستطيع مسلم أن يهضمه ، كما لا يستطيع انسان له ذرة من العقل والفضيلة والايمان أن يسكت عنه ، وقد أثبتت اللجان التى ألفت لبحث كتب طه حسين وأعماله أن كتبه ملأى بالكفر والالحاد .

واجب الجامعة نحو البيئة التى نشأت فيها
محب الدين الخطيب فى الرد على توفيق الحكيم
(م ١١ ص ٩٩٤)

الجامعة المصرية مطالبة وكل جامعة فى الدنيا مطالبة من البيئة التى نشأت فيها بأمرين : (الأول) أن يتنزه القائمون بهـــا عن كل موجـــدة نحو دين البلاد ومقدساتها وحقوقها فلا يتخذوا من البحث العلمى وحرية الرأى وسائل لتوهين رابطـــة النشء المثقف بدينه وقوميته ومقدساته لاســـيما اذا كان دينهم صديقا للعلم وداعيا الى الحق وآخذا بيـــد المعرفة ينشطها ويرفع مقامهـــا .

وهل يجهل أحـــد أن فى مصر ناسا نعرفهم بأعيانهم ونعرف أتباعهم بسيماهم لا يفتأون يعملون على توهين رابطـــة النشء بالدين وتهوين أمره عليهم وتشكيكهم فيـــه وتنفيرهم منه وقطع سلسلته من أن نجـــد قط سبيلا الى تفاهم وما فتئوا يحاولون اقناعهم بأن الحقائق تخالفـــه ، وانه واقف حجر عثرة فى طريقها .

والأمر الثانى : الذى تطالب به كل جامعـــة فى بيئتها ان تقوم بمهمة البحث لمفاخر تلك البيئة وان تجـــدد صلتها المعنوية ، فالجامعات الايطالية تنحو اليوم بالفعل نحو احياء مجد الرومانيين والجامعات الألمانية تعلم ان لها طبيعة روحيـــة .

ان واجب الجامعة المصرية للاسلام الذى هو دين المصريين وللعربية التى هى لغة المصريين أن تحمل لواء محاسنها وامجادها كما تحمل لواء العلم المجرد والعقل الحر والفكر المطلق ، كما أن الاسلام لا يقف فى طريق المسلم الذي يريد أن ينشئه مسلما عربيا .

الفصل السادس

مطاعن طه حسين فى الاسلام

كانت اكبر اخطـــاء طـــه حسين هو كتابه (فى الشـــعر الجاهلى) وقد اثيرت قضيته مرة اخـــرى عام ١٩٣٢ فى البرلمان واشـــارت الفتـــح الى ان قرار النيابة ينص على ان الكتاب خطا محصن فى مادته وفى أسلوبه وفى معانيه وفى غاية مؤلفه . وعلق الأستاذ حسن البنا على الحادث فقال : لم يقل أحـــد ان معنى حرية الفـــكر ابطال الجق واحقـــاق الباطل وخرق النواميس وانتهاك حرمات الشرائع والقوانين والاســـاءة الى الصحابة ، وطالب بضرورة مصادرة الكتاب الثـــانى (الأدب الجاهلى) لأنه لا يخالف سابقه الا فى التسمية ، أما اقصاء الدكتور طه عن التدريس فى الجامعـــة فأمر حتم يقتضيه واجب الوزارة فى المحافظة على عقائد الطلبـــة وأخلاقهم فان المدرس ينظر اليه من ثلاث جهات : (١) من مواهبه الخاصة فى المـــادة التى يدرسها . (٢) وفى مادته التى يقدمها لتلاميـــذه . (٣) وفى طريقتـــه فى التفكير وما يبثه فى نفوس طلبته من أخلاقه وطبائعه ، والدكتور طه حسين متهم فى ذلك جميعـــا فهو لا يحسن الشـــعر وان حاول ذلك فأتى بالغث المتكلف الذى يمجه الطبع ويستثقله السمع على نمط لاميتيه التى يقول فيها :

ومالى وما للبـــدر أطلب رده

بل ما لا ملاك الســـماء ومالى

الى آخر ما قال من هذا النظم المهلهل النسيج المتنافر اللفظ والضئيل الغاية وهو لا يجيد أسلوب الكتابة اذا حاكمته الى الذوق العربى والبلاغة اللغوية وقسته بما وصفه الأئمة من أوزان البيان ومقاييسه ، أما فى حشو القول والاتساع به واطالته بالتشدق والتفهيق فالرجل فى ذلك لا يشق له غبار وأعتبر ذلك بما كان فى قضية المعلمين وقصتهم التى كتب عنها فى السياسة فأعيدت القصة وذكرت القصة بضع مرات مما لا يزيد على عشرة أســـطر من أسطر الجريدة .

وما هو بالناقد الذى يحسن النقـــد الصـــحيح فى الشـــعر والنثر ،

وان أحسن التهجين والتجريح والرزاية على غـيره من الأوباء والكتاب وان الذى يقرأ بيت شوقى فى ميميته التى يقرظ فيها كتاب الأخلاق :

بألطف أنت هو الصـدى   لن ذلك الصـوت الرخيم

فنفهم أن الشاعر يقول ان أرسطو كان ذا صوت رخيم ولو رد على ذلك أنه لا هو ولا شوقى سمع هـذا الصوت ثم لا يدرك ما فى هـذه الاشارة البليغة من عذوبة وجمال وتناسب احرى به أن يدع النقد لأهله وأن يعلم ان دعواه فيه كدعوى آل حرب فى زياد .

وبعـد فليس الدكتور متخصصا بدراسـة تاريخ العرب لم يتلقـه عن استاذ ولم يلم به فى مدرسة ولما علم من ذلك ما يعلق بذهنه من مطالعة كتب الأدب لا ليدرسـها ولكن ليراها ، وما سأل الدكتور اجازته فى تاريخ اليونان أو تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده أقوى الدعائم التى يستند اليها الكاتب اذا أراد أن يكتب فى الأدب العربى فمن فاته روايته ودرايته فقد فاته اس البحث ونبراسه وسار على غير هدى .

وعرضت الفتح لاستجواب مجلس النواب لكتاب الشـعر الجاهلى (قدمه مصطفى القـاياتى) ومأرب الكتاب والباحثين وما نشرت الصحف من مقالات فى الرد عليـه استمرت فى جريدة كوكب الشرق ثلاثة شـهور : كتب فيها مصطفى صادق الرافعى ويوسف الدجوى ومحمد حامد وأحمـد خيرى سعيد والف الخضر حسين ولطفى جمعة وفريد وجدى والرافعى كتبا قائمة بذاتها .

وقال الشـيخ يوسف الدجـوى : ما فى الكتاب من مسألة ابراهيم واسماعيل مسروق من كلام جهلة المبشرين كصاحب مقالة فى الاسـلام ، وما ذكر عن الشعر الجاهلى مسروق من كلام متعصبى المستشرقين لمرجليوت فالفكرة على سخافتها ليست له فى الموضعين . وقال ان ما قرره ديكارت هو مذهب الاسلام والمسلمين قبل ديكارت بمئات السنين ، الا ليجعله آلة لهدم الأديان والطعن فى التوراة والقرآن والا فهو أول من خالفه .

وفى المجلد الثالث أشار باحث الى نظرية ديكارت فى الشـك فقال : ان الشك لأجل الانتقال منه الى اليقين ، سبقه الى ذلك الغزالى وهو أخذ من الغزالى ، هذه النظرية أساء فهمها طه حسين وكشف ذلك محمد أحمـد

الغمراوى ، وترجم الخضيرى كتاب المنهج لديكارت ليثبت كذب طه حسين ، لقد نسب طه حسين نوعا آخر من الشك السخيف ، كذب طه حسين قسيس يوسف سلام وخطب فى الجمعية الخلدونية فى تونس (الفتح ٢٨ مارس ١٩٢٩) .

(٢)

وموقف طه حسين امام النيابة جرى حوله حوار كثير المت به الفتح فى اكثر من مقال :

قال : فأنا كمسلم أعلن انى لا أرتاب فى شىء مما اشتمل عليه القرآن ولكنى كعالم اسلك الى البحث مناهجه العلمية ، قال ذلك امام النيابة العامة (٢٨ اكتوبر ١٩٢٦ جريدة السياسة) بصدد دفعه عن نفسه تهمة انكار وجود ابراهيم واسماعيل وانكار أن تكون الكعبة من بنائهما وانكار هجرتهما الى مكة مع وجود ذلك فى القرآن ، اذن فهو لا يرتاب اذا كان الأمر كذلك فكيف ذكر فى كتابه (للتوراة ان تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ولكن ذلك لا يكفى لوجودهما ، ان ما ورد عنهما فى القرآن اسطورة حدثت قبل الاسلام أحدثها اليهود لغرض سياسى واستغلها الاسلام لغرض آخر، كل هذا يفيد تكذيبه لوجودهما ولبنائهما الكعبة ولهجرتهما الى مكة ، وهكذا دافع عن نفسه الدكتور بأن يعتقد الشىء وضده ويجمع بين المتناقضين فى الاعتقاد ففى عقائده اعتقاد بوجود ابراهيم واسماعيل واعتقاد بعدم وجودهما وعدم بنيانهما الكعبة ، هل رأى الناس اهدارا للعقول وجناية على البديهيات اكبر من هذا، ان بديهيات العقول تقول ان النقيضين لا يجتمعان فى الواقع ولا فى الاعتقاد والقائل بامكان اجتماعهما فى الواقع او فى الاعتقاد بمنزلة من ينكر ان الواحد نصف الاثنين هم يبنون دفاعهم عن انفسهم على انكارهم للبديهيات التى هى حاصلة للصبيان والبله ثم هم بعد ذلك علماء يسلكون للبحث مناهجه العلمية (محمد عرفه) .

طه حسين يكذب القرآن بين يدى النيابة

(نقلا عن الأهرام — ٢٩ أكتوبر ١٩٢٦) سئل طه حسين عما اذا كان يعتقد أن القرآن وحده كافيا لاثبات الوقائع التى وردت فيه فأجاب :

الحوادث المعاصرة لنزول القرآن وهو صحيح، أما الحوادث التى حدثت قبل نزول القرآن فهى عبارة عن قصص أراد الله بها اقناع عبيده وهدايتهم بها وهى تنطبق على مسالة الهجرة وخلافها من المسائل .

وعلقت الفتح : وهـذا اعتراف صريح من الدكتور طه بأن القـرآن لا يعتد به ولا يقام له وزن فى اثبات ما يخبر به ، ويصرح بأنه موجود وواقع فاذا أخبر الله بأنه أرسـل ابراهيم الى قومه ، وأرسل نوحا الى قومه ، اذا بين فى محكم تنزيله أن هؤلاء كانوا رجالا أوحى اليهم وانهم كانوا موجودين فى الدنيا ولهم وقائع وكتب وآثار ، واذا أخبر فى القرآن تلك الأخبار ساغ للباحث العلمى أن يقول له ان هؤلاء الأشـخاص لم يوجـدوا فى الدنيـا ولم يعرفهم التـاريخ ، لأنهم لم يثبتوا بما يقنع الباحث العلمى وتسـلم به المناهج العلمية الحديثة .

ما هى المناهج العلمية فى البحث التاريخى ـــ يراد بالمفاهيم العلمية ما يراه بعض الباحثين فى التاريخ من أنه يجب أن يقـام على أساس مادى فلا تثبت حوادثه الا بالأدلة المحسوسة كالآثار والنقوش ، فما لم يثبت بالآثار أو تشهد بصحته النقوش لا يعترف التاريخ بوجوده ولا يسلم بصحته نزولا على حـكم تلك المناهج ، اذا ففى القرآن على زعمه وقائع غـير صحيحة ووقائع كاذبة ذكرها الله بقصص مكذوب اقناعا لعباده ورغبة فى هدايتهم ، وسجل على نفسه أنه يرى أن القرآن يشتمل على الكذب ويحتـوى على غير الواقع والصحيح من الأخبار مخالف ما أجمع عليه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها من أن القـرآن كلام الله وأن كلام الله صـادق (م ١ — ٤ نوفمبر ١٩٢٦) .

اتهـام دامـغ

قال محمد بك نور رئيس نيابة مصر فى صلب التحقيق مع طه حسين ما يلى :

حيث انه بالرجوع الى الوقائع التى ذكرها الدكتور طه حسين والتى تكلمت عنها تفصيلا وتطبيقا على القانون يتضح أن كلامه الذى بحثناه تحت عنوان الأمر الأول فيه تعد على الدين الاسلامى لأنه انتهك حرمة هذا الدين بأن نسب للاسـلام انه استغل قصة ملفقـة هى قصـة هجرة اسماعيل

ابن ابراهيم الى مكة وبناء ابراهيم واسماعيل الكعبة واعتبار هـذه القصة أسطورة وانها من تلفيق اليهود وانها حديثة العهد ظهرت قبل الاسلام ... وهو بكلامه هـذا يرمى الدين الاسـلامى بأنه مضلل فى أمور هى عقـائد فى القرآن باعتبار انها حقائق لا مرية فيهـا » .

واشارت الفتح ۲٥ نوفمبر ۱۹۲٦ فيما أسمته مراجعـة ما قاله طه حسين أمام النيابة :

[ان الله يستعمل فى كتابه قصصا مكذوبة لهداية عبيده] .

ان العلماء لا يرضوا أن يهان كتاب مثل تلك الاهانة مهما وجد فى مصر من الكتاب من ينتصر لها أو يحاول أن يسميها حركة تجديد ، ان فى مصر حركة ترمى الى بذر بذور الشك فى القرآن ونشر الشكوك فيما جاء فيـه والحملة على تعاليم الاسلام وانظمته .

قال بين يدى النيابة : ان الحوادث الواردة فى القرآن تنقسم قسمين : ما كان منها معاصرا لنزول القرآن فهو صحيح ، وما كان منها متقدما على نزول القرآن فغير مأذون له بالدخول فى حرم التاريخ .

بلاغ النيـابة

وأوردت الفتح بلاغ النائب عبد الحميد البنان الذى رفعه الى النيابة بشأن كتاب (فى الشعر الجاهلى) جاء فيـه :

لم يكن تسمية ذلك الكتاب بالشعر الجاهلى الا ستر لما وراءه من غرض شنيع وهو :

۱ ـ مهاجمـة القـرآن الشريف وارادة المساس بمقداره فى نظـر المسـلمين .

۲ ـ المساس بالنبى صلى الله عليـه وسـلم حيث اتهمـه بالكذب وقال انه أورد هذه الوقائع التى كانت للعرب والفرس (والتى تحدث النبى عن بعضها وهو يوم ذى قار) ومع اعترافه بأن النبى صلى الله عليه وسلم تحدث عن بعضها يدعى أنها أيام مكذوبة والواقع أنه لميكن للعرب على الفرس قبل الاسلام الا هذا اليوم الذى قال فيه عليه السلام :

هذا أول يوم انتصر فيه العرب على العجم وبى نصروا .

٣ — انه جعل الاسلام مما حمل المسلمين على الكذب ليؤيدوا اخباره وذلك كثير جدا من الكتاب فانه طعن فى علمائهم ومفسريهم ورواتهم ولم يترك منهم أحدا الا سدد اليه ذلك السهم غير مستند الى دليل ولا شبهة بل الى فروض لا قيمة لهـــا .

٤ — اراد ان يثبت انه كان فى الجاهلية تغاير بين لغتى قحطان وعدنان، هذه النظرية يمكن اثباتها بالمقدمات العلمية المبنية على المقارنة بين اللغتين فى الألفاظ أو الأساليب اذا وجـــد ولا يقف فى ســـبيل ذلك حادث ابراهيم واسماعيل الذى ينص عليه القـــرآن ولكن المؤلف تعرض للقرآن تعرضـــا قبيحا فان المسلمين جميعا يعتقدون فى القرآن أنه من عنـــد الله وانه حق وصدق وان ما أتى به من الأخبار يدل قطعا على صحة مضمونه ولكن المؤلف حاصرهم بطعن هذه العقيدة حيث قال فى نص القرآن على حديث ابراهيم واسماعيل انه لا يدل على اثبات ما تضمنه .

ولم يكن هذا التكذيب الصريح مقدمة لنظرية تتوقف عليـــه صحتها ولا نتيجة لازمة لتلك النظرية حتى يقال ان البحث العلمى اضطره الى ذلك وانما هى النية السيئة وارادة مصادرة المســـلمين فى عقيدتهم والطعن فى كتابهم .

كما أوردت الفتح وقائع النيابة وتحقيقها مع طه حسين : هذا التحقيق الذى انتهى الى الحفظ وعلق على ذلك الشيخ يوسف الدجوى فقال :

ينكر طه حسين وجود ابراهيم واسماعيل ويطعن فى القرآن والتوراة طعنا مرا فلا يقدم للقضاء بل تحفظ قضيته أمام النيابة فى مصر التى دينها الاسلام ، وينكر رجل فى بولونيا وجود الشيطان فيعاقب بالسجن ثمانين يوما وبالغرامة ، أفلا ينفطر قلب من يحب مصر ويغار على شرفها وسمعتها مما وصلنا اليه ويعجب الانسان كل العجب عندما تقرأ قرار النيابة فى قضية الدكتور طه حسين : ذلك القرار الذى آلم احساس الأمة وصادم شعورها ، يا وزير المعارف ان طه حسين قد أفسد التاريخ والعلم والأدب فكان يجب عليك ان لم تخرجه من الجامعة مراعاة للدين أن تخرجه منها صيانة للعـــلم ومحافظة على التاريخ والأدب .

(٣)

واشارت الفتح الى ما يتصل بحادث كتاب (فى الأدب الجاهلى) (١٣ سبتمبر عام ١٩٢٦) فى مجلس النواب ، ثم دعوة المجلس فى مايو ١٩٢٧ ، (محمود رشاد) ٢٩ يونيو ١٩٢٧ (عبد الحميد سعيد) ثم دعونه مرة اخرى ٥ مايو ١٩٣٠ (عبد العزيز الصوفانى) .

وقالت الفتح : لا ريب أن طه حسين جاء شؤما على الملاحدة والعاملين على الكيد للاسلام فأفسد عليهم فى ست سنوات ما بنوه فى أكثر من ستين سنة ونبه الروح الاسلامى الى مراقد كل حركة وسكنة يكاد بهـا للاسلام فى مصر وغير مصر .

واشارت الفتح (ديسمبر ١٩٢٦) الى أن رئيس تحرير اكبر جريدة تصدر فىالصباح (يعنى الأهرام) انه ورد اليه ما يزيد على خمسمائة مقالة كلها فىالرد علىالدكتور على اعترافاته أمام النيابة ، وان جريدة السياسة هى وحدها التى انفردت بالدفاع عن الدكتور وعن آرائه لأنها تدعو الى مثل ما دعا اليه فهما شريكان فى الدعوة متعاونان ومتناحران .

واشارت الفتح الى أن محمود رشاد باشا ١٩٢٨/٥/٢٩ وجه الى وزير المعارف سؤالا فى مجلس الشيوخ عما نسب الى طه حسين من تعرضه للقرآن الكريم بكلية الآداب قال ان الصحف نشرت ملخصا لمحاضرات القاها طه حسين فى الجامعة وأتى فيها بما يمس المسلمين فى شعورهم اذ قال فيها صراحة ان القرآن منقول عن كتاب كان موجودا فى ذلك العهد وقال : نحن منذ ثلاث سنوات نئن من عبث طه حسين المسلم بالدين الاسلامى فى الدولة التى دينها الاسلام ، وقد طرح هذا الموضوع من ثلاث سنوات على مجلس النواب فوعدت الحكومة بتشكيل لجنة ثم ثانية ثم ثالثة ولكنا لم نر نتيجة لأعمال هذه اللجان ولا يزال الدكتور طه يقول ان القرآن منقول عن كتاب آخر ، انهم يبشرون بالمسيحية فى الأزهر وينتهكون حرمة الاسلام فى الجامعة (أشار الى اقتحام القس زويمر الأزهر الشريف فى ١٩ ابريل ١٩٢٨) .

(٤)

لم يلبث الدكتور طه بعد مصادرة كتاب الشعر الجاهلى أن أصدره بصورة أخرى تحت عنوان (فى الأدب الجاهلى) بعد أن رفع منه بعض الفصول التى حوت كلماته الخاطئة .

ولكن الباحثين تعقبوه مرة أخرى وكشفوا حقيقته فكتب فى الفتح (٢٤ نوفمبر ١٩٢٧) السيد عبد الرازق الحسنى من علماء العراق يقول :

حسب أن العبث القليل الذى عبثه طه حسين بكتاب فى الشعر الجاهلى عند تحويله الى كتاب الأدب الجاهلى يسدل على عيون الناس غشاوة تحول بينهم وبين ما فيه من دسائس ، كنت ممن يحترمون طه حسين وممن يعدونه سائرا فى طريق يؤدى به الى منزلة المعرى وبشار وملتون ، وسرعان ما استحالت هذه الحرمة الى عكسها يوم قذف بتلك القنبلة التى تناثرت شظاياها فى أنحاء البلاد الضادية وأحدثت هذا الدوى الهائل . أجل قرأت كتابه المملوء سما ناقعا وهو الأدب الجاهلى فبان لى طه حسين رجلا مغرضا هداما يريد الشهرة ويحلق وراءها فى فضاء الحياة فحجبته عنه أنواره وقد ظهر لى أن الرجل يراوغ روغانا فلا هو بالصريح ولا هو بالمتكتم، واذا كان قد طوى فى الطبعة الجديدة بعض الخزى الذى كان فى الطبعة القديمة كزعمه أن ما ورد فى القرآن عن ابراهيم واسماعيل هو أسطورة فان فى الطبعة الجديدة من العداء للاسلام والعرب ومن السفسطة المستورة والمكشوفة شيئا كثيرا . أراد أن يستدل على أن الشعر الجاهلى مكذوب وأن المسلمين اخترعوه فأخذ يبحث عن أدلة فرأى أن العرب أمة جود وكرم فأراد أن ينفى ذلك عن مجموع تلك الأمة فاستدل على أنها غير جوادة ولا كريمة لقوله تعالى : ((**ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**)) والطفل الصغير لا يخطر على باله أن هذه الآية تنفى عن تلك الأمة الكريمة فضيلة الجود والكرم الخالدة بخلود شعرها وبيانها . وما غاظنى بعد ذلك كما غاظنى انكاره وقعة كليب وجساس وجليلة ولعمرى ما أراد بذلك الا القضاء على فضيلة يفخر بها أبناء هذا العصر من العرب ، ومن راجع هذا المصر علم أن مغزاها الوحيد هو حفظ الجوار وقد كان من أخزى الأمور نكران هذه المكرمة بلا دليل

او برهان جلى أو حجة ناصـــعة والكتاب مشـــحون بالأغلاط والفضائح التى لا تدل على سلامة نية كاتبها ..

(٥)

وتصدت الفتح لشبهات أخرى أثارها الدكتور طه حسين عقد مقارنته بين العلم والدين .

قالت : أثار طه حسين قصة جديدة : هى قصة الدين والعلم فزعم أن العلم لا يثبت وجود الله وان ما لا يثبته العلم لا يسوغ اعتقاده ، ولا يمكن الجزم به ورد على ذلك عبد الباقى سرور فقال : ان وجود الله تتشـــهد به الدلائل الكونيـــة ، فالموجـــودات من قبـــل فاعـــل قاض لذلك مريد له اذ من المستحيل أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق .

وكتب الشيخ محمـــد عرفة (الفتح م ١ — ١٣ يناير ١٩٢٧) يقول :

منهج الدكتور فى البحث ضلالات ومغالطات ، ليس يسلك هذا المنهج الا الذين لم يتمرســـوا بضاعة المنطق ، ولم يمرنوا على صناعة البرهان وكانوا سطحيين فى نجدتهم ولم يتعمقوا الى الغور وعرضنا فى أمور ثلاثة :

اولها : أن تسقط دعوى الدكتور طه بأن ما سلكه فى البحث منهـــج علمى حديث وانه بذلك يحشر نفسه فى زمرة العلماء حشرا فى عداد المخترعين والمفكرين ، وليس يعلم الا الله ما ينال هؤلاء العلماء من الأذى فى مضاجعهم بانتساب الدكتور اليهم .

ثانيا : أن أحمى شباب مصر من عدوى ذلك المنهج ومن أن يتابعوا الدكتور فى طريقه الفكرى فان مستوى البحث فى مصر لما ينقح بعد .

ثالثـــا : أن يعلم الذين يؤمنون بالاسلام فى مصر أن دينهم لم يصادمه علم ولا عقل وحاشا الاسلام أن يصادمه علم أو عقل،وان كان ثم لم يصادمه فليس العلم والعقل وانما هو الجهل المخزى والباطل الشائن .

وليس يدخل فى عرضى أن يقتنع الدكتور طه حسين فانه ليس ممن يرجى منهم اقتناع .

وأشار الى مقاله عن العلم والدين ، قال : ذكر أن بين العلم والدين تناقضات فى أمور منها خلق الانسان وصورته ومادته وخلق الســـموات

والأرض وذكر أن العلم يخالف الدين فى هذين الأمرين وغيرهما خلافا لا يمكن معه أن يتفقا الا أن ينزل أحدهما للآخر عن شخصه . وذكر أن العلم يتناول الدين بالبحث والنقد والتحليل ويرى الدين ظاهرة كاللغة واللباس لم ينزل من السماء ولم يهبط من الوحى وانما خرج من الأرض .

وقد كتب الشيخ محمد عرفة وعبد الباقى سرور نعيم مفندين فكرة الدكتور طه وكاشفين عن أن العلم التجريبى والدين لا تنافر بينهما ولا تنازع وأما هذه النظريات الفلسفية التى هى عبارة عن فروض يراد خداع الناس بتسميتها باسم العلم فانها ليست علما فى الحقيقة . وان هذا التوسع فى اطلاق اسم العلم على الآراء الالحادية لبعض أصحاب النيات الفاسدة فانه يتنافر مع الدين لأنه ينقصه ويبطله ، ولأن الدين ينهى عن اتباع مثل هذا النوع من الوهم والضلال .

(٦)

ومن مطاعنه ما كتبه فى مجلة الحديث (حلب) يتذمر من النص الموجود فى الدستور المصرى على أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام ويذكر ما لحق الالحاد من ضرر بسبب هذا النص الذى جعل رجال الدين يحرصون على أن يكون معمولا به ، وقال : ان دستورنا قد نص فى صراحة على أن الاسلام دين الدولة ، وكان هذا النص مصدر فرقة ، لا نقول بين المسلمين وغير المسلمين من أهل مصر ، فقد رضيت القلة المسيحية وغير المسيحية هذا النص ، ولم تر فيه مضاضة أو خطرا وانما نقول انه كان مصدر فرقة بين المسلمين أنفسهم فهم لم يفهموه على وجه واحد ولم يتفقوا على تحقيق النتائج .

وأشار الى بيان اقرار هذا النص فى الدستور والاعتراض على وجوده وزعم أن القصد منه هو الاحتفال بالمحمل وعدم اغلاق المساجد .

(٧)

ومن شبهاته ما أثاره حول زعمه أن القسم المكى من القرآن يمتاز بالهروب من المناقشة وأن القسم المدنى قد ارتقى ارتقاء فجائيا لاتصال النبى بالبيئة اليهودية فى المدينة وان القسم المكى يمتاز بميزات الأوساط

المنحطة بالعنف والقسوة والسباب والتهديد ، أما القسم المدنى فهادىء وديع مسالم ، وان القسم المكى يمتاز بتقطع الفكرة واقتصار المعانى وقص الآيات والخلو التام من التشريع والقوانين وان القسم المدنى على خلاف ذلك .

وقد نقض الشيخ محمد عرفة هذه الشبهات جميعا ورد عليها الكثيرون وزيفوها .

وكان رد الفتح فى هذه القضايا بالغ الأهمية فقد وجدت صحافة اسلامية (المنار والفتح) تواجه هذا التيار التغريبى بقوة وظهر مجموعة من الكتاب يردون عنه وينقدون آراءه فى مقدمتهم محمد أحمد الغمراوى ، مصطفى صادق الرافعى ، عبد الباقى سرور نعيم ، محمد على غريب محمد محمود الخضيرى الذى زيف انتسابه الى ديكارت ، وكانت جريدة السياسة هى التى تحمل لواء هذه الحملة التغريبية وتدافع عن على عبد الرازق وطه حسين .

(٨)

ولم يتوقف طه حسين عن بث سمومه فقد ذهب الى المدرسة اليهودية فى الاسكندرية واشاد بدور كاذب لليهود ، فى الأدب العربى .

وفى مؤتمر المستشرقين الثامن عشر (١٩٣١ — ١٩٣٢) تحدث عن تأثير بيان اليونان فى البيان العربى وذهب الى أضاليله فى اخضاع البيان العربى لليونان وقد رد عليه السيد محمد الخضر حسين بمحاضرات قيمة نشرها فى مجلة الهداية (مجلد ١٣٥٠ هـ) .

وحين يقول طه حسين فى محاضراته فى المدرسة اليهودية (السياسة ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٨) : ولكن سائر العرب أسلموا اما رغبة أو اما رهبة خوف السيف أو محبة المال حتى كان الرسول يتألف القلوب بالمال ، فانه لا يتعدى أن يردد ما نشره المبشرون وما أذاعوه من أكاذيب حول انتشار الاسلام بالسيف وأن الناس أسلموا خوفا على حياتهم .

(٩)

وقد صدق زميل دربه الدكتور زكى مبارك الذى رافقه فى مطالع حياته الأدبية حين قال عنه (م ١١ الفتح — ١٩٣٨) : انى أراه قليل الصلاحية للأستاذية فى الأدب العربى لأن اطلاعه على الأدب اطلاع ضئيل جدا وبعرف انى أشهد له بالبراعة فى تأليف الحكايات ، ومن العجب أن يكون طه حسين أستاذ الأدب العربى فى الجامعة وهو لم يقرأ غير فصول من كتاب الأغانى وفصول من سيرة ابن هشام .

وهذا هو الرأى الذى أبداه الأستاذ حسن البنا قبل ذلك بسنوات طوال .

وكتب زكى مبارك فيما نقله الفتح (م ١٠ — ١٩٣٥) ان طه حسين شعوبى مقلد ولكنه متقلب حائر ، يختطف كل ما يراه فى طريقه من الآراء لاسيما الآراء التى تصله من بلد بعيد ، فهو اليوم تلميذ فلان وغدا تلميذ علان وكان بالأمس تلميذ ترتان ونستطيع أن نجزم بأنه لا يتشيع لأية فكرة الا وهو فيها تبع لشخصية يتوهم أنها مستورة عن الناس .

(١٠)

وقد وجد طه حسين دائما من يزيف آراءه المسمومة ويكشف وجهة نظره المبطلة .

وعندما القى محاضرته (الغذاء العقلى والروحى للشباب) واجهه محمود محمد شاكر (م ١٤ الفتح — ١٩٤١) قال : اذا أردنا أن نجعل النظام الاجتماعى الاسلامى فى العمل والتشريع والسياسة هو النظام فمن الخطأ الذاهب فى الفساد أن نخضعه لتطور مدنية أخرى قد بنى اجتماعها على المسيحية فى التشريع والسياسة والأخلاق فمصر والشرق الاسلامى اذا أراد أن يستعد وينهض فلابد أن يستمد نهضته من أصول الاجتماع الذى يربطه به التاريخ والدم والوطن واللسان والدين والوراثة واذاساير فانما يساير فى فكره النهضة والحضارة والمدنية الاسلامية على الطريق الذى يوافق طبيعة هذا الاجتماع ، أما المدنية الحديثة فقد بنيت على غير ذلك ، وقد تطورت على أصوله ، ولقد قال جورج الخامس ملك بريطانيا

(ديسمبر ١٩٣٩) : انى أؤمن من أعماق قلبى بأن القضية التى تربط شعوبنا معا وتربطنا بحلفائنا المخلصين الأمجاد هى قضية المدنية المسيحية وليس ثم قاعدة أخرى يمكن تبنى عليها مدنية صحيحة .

وكلام الملك جورج هو أدق التصوير لحقيقة الحضارة الأوربية فى نظر كل باحث نصرانى أو يهودى أو مسلم فاذا أردنا أن نتابع تطور هذا الضرب من المدنية بتبديل اجتماعنا الذى دعا اليه الدكتور طه فى حديثه ليطابقه فكأنما ندعو الى تنصير الاسلام ، والعجب أن يذكر الدكتور طه الحضارة الأوربية الحديثة فلا يدعو الى الأخذ بشىء فيما فيها دعوة صريحة الا فى الذى يتصل بالخلق . الا أن أخلاق المدنية الأوربية قد استعلنت جميعها فى هذا البغى المتفجر فى الحرب ، واذا أردنا أن نأخذ — اى أن نقلد — فلنأخذ من تاريخنا ومن ديننا ومن أخلاق رجالنا .

* * *

وأولى طه حسين اهتماما بالغا بالفرعونية فقال فى محاضرته : (م ١٤ الفتح) .

من حق مصر أن تعنى بالفن الفرعونى كالتصوير والتمثيل وغيرهما فتحييه وتيسره وتلقنه لأبنائها وشبابها ، وفى الحضارة الاسلامية أمور كثيرة يمكننا أن نقيسها ونهذبها ونأخذ منها ما يوافق أذواقنا ومقتضيات عصرنا . ان الذين يستنكرون الأخذ بحضارة أوربا أناس يكذبون على أنفسهم لأنهم يستفيدون من ثمار هذه الحضارة فاستنكارهم لحضارة أوربا مع استفادتهم من ثمراتها يعد من النفاق .

وعلق السيد محب الدين الخطيب على هذه الوجهة فقال :

يريد الدكتور طه أن تأخذ مصر من حضارة الفراعنة شيئا وان تدع أشياء وأن تأخذ من حضارة العرب والاسلام شيئا وان تدع أشياء ، أما حضارة أوربا فهى عنده كل لا يتجزأ ويجب أن تبدأ منها بالخلق والغذاء الروحى فنربى ناشئتنا عليه واذا ذكره أهل الذكر ورثته مصر من تراث الاسلام ما يكفيها من ناحية الخلق وغذاء الروح وانها انما تحتاج من أوربا الى العلوم التى تتقدم بها الصناعات وتضطلع بأسباب القوة قال لهم : انكم منافقون .

ان الخلاف القديم بين الدكتور طه حسين وبين جميع الذين عارضوه منذ بضعة عشر عاما الى الآن يدور حول هذه النقطة . وهو يريد أن يكون النشىء الاسلامى كالنشىء الأوربى فى كل شىء ، ثم يتحلى بمظاهر من حضارة الفراعنة وحضارة الاسلام والذين عارضوه يريدون أن يكون نشئنا تنشأ اسلاميا وأن يتحلى بعلوم أوربا التى يتوقف علمها أسباب القوة والتقدم العلمى والاقتصادى والعمرانى .

وهو يرى ان الحضارة الأوربية كل لا يجوز أن يتجزأ ويجب أن نبدأ منه بالغذاء الروحى ومعارضوه يرون أن المعارف تراث انسانى ليس خاصا بالغرب ، دون الشرق ، ولأوربا دون آسيا وأفريقيا ، وكما أخذت الحضارة الاسلامية من معارف اليونان أو غيرها من الأمم القديمة وبقيت اسلامية ، وكما أخذت أوربا من معارف المسلمين وبقيت غربية مسيحية ، كذلك نحن فى هذا العصر يجب ان نأخذ هذا العلم العالمى المشاع الذى هو تراث الانسانية فنستفيد منه ونقوى ونبقى مع ذلك عربا شرقيين مسلمين والغذاء الروحى فى الاسلام أنقى وأمتع من الغذاء الروحى فى الغرب وان فى غذاء أوربا الروحى ما تمنى الأستاذ هكسلى أن يكتسحه مذنب عظيم فيريح الانسانية من شروره .

مستقبل الثقافة

ولا أظن أن كتابا اثار نقدا شديدا بعد كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين كما أثاره كتاب مستقبل الثقافة الذى يدعو فيه أن ننصهر فى الحضارة الغربية خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب ، وقد القى الأستاذ حسن البنا محاضرة فى نقد هذا الكتاب فى جمعية الشبان المسلمين ولخصت الفتح بعض ما جاء بها (م ١٤ ــ ١٩٤١) .

قال : ان تاريخ كل أمة يكسبها آخر الأمر مزاجا خاصا لا فكاك لها منه وقد ظلت مصر أربعة عشر قرنا اسلامية التاريخ والسياسة والمجتمع والثقافة الى أن جاءت نظم التربية الحديثة فأرادت ان تنتزع منها هذا اللون المميز لتميل بمزاجها الى الشيوع فى جميع الثقافات الاخرى ، ولما كانت التربية الاسلامية على ضوء المنطق وصوت العلم الحديث تشتمل فى جميع أحكامها ومنابعها الثقافية والاجتماعية على جميع عناصر التربية

الكاملة اصبح لزاما انه تخلص من هذا الخلط فى سياستها التعليمية وأن تشرع فى ايجاد سياسة جديدة أساسها هذا المزاج الاسلامى ودعامتها هذا الروح الاسلامى . وللمزاج الاسلامى قابليته الفريدة من نوعها لكل تطور واحتفالها بالعلم وتقديسه ، لا تقبل العقلية المصرية البديل على طابعها الاسلامى من حيث المزاج والتصور ولا فرق فى ذلك بين المتدين من المصريين وغير المتدين . ان مصر بتاريخها الاسلامى الباهر تدحض كل زعم بتأثرها بغير هذه العقلية ولعل تاريخها الحديث ونهضتها الحاضرة بين الأمم التى قامت على دعامة من فكرها الاسلامى وثقافتها الاسلامية خير دليل لمن يريدون الميل بها عن الينبوع الذى استمدت منه مئات السنين مادة قوتها وتماسكها واشراقها الخاص بين دول الشرق والغرب .

الفصل السابع

الفرق الضالة

واجهت الفتح فى قوة واصالة الفرق الضالة التى كانت تعمل فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى فى هذه الفترة (١٩٢٧ ــ ١٩٤٧) وفى مقدمتها البهائية والقاديانية فمنذ المجلد الأول ، بدأت هذه المتابعة اليقظة لكشف زيف هذه الدعوات فقالت الفتح : هذه النحلة من ولائد الباطنية تغذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية ثم اخترعت لنفسها صورة من الباطل وخرجت تزعم أنها وحى سماوى ، تقوم دعوة الباطنية على ابطال الشريعة الاسلامية ، أصلها طائفة من المجوس راموا عند شوكة الاسلام بتأويل الشريعة على وجوه تعود الى قواعد أسلافهم ، وقالوا لا سبيل الى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك ولكننا نحتال بتأويل شرائعهم الى ما يعود الى قواعدنا ويستدرج الضعفاء منهم فان ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم وعمدوا الى امرين :

(١) التشكيك فى أصول الدين ، (٢) اسقاط الأعمال البدنية وتظاهر هؤلاء بأنهم من شيعة أهل البيت وهم لا يؤمنون بنبى من الأنبياء ، ومن الباطنية المتظاهرين بالتشيع لآل البيت من ادعى النبوة ، ومنهم فرقة كفرقة الاسماعيلية ، وقالوا بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر ، والف الغزالى فى الرد عليهم (فضائح الباطنية) ولأبى بكر بن العربى مع بعض زعمائهم مناظرات ذكرها فى كتابه (العواصم من القواصم) وتناول الشيخ ابن تيمية مذهب الباطنية ورد على بعض فرقهم فى بعض مؤلفاته والباطنية يستدلون بكلام النبوة ويحرفون كلم القرآن والحديث عن مواضعه .

ودعاة هذا المذهب قد استهووا فريقا من أبناء المسلمين ، واصبحوا يدعون الى مذهبهم فى النوادى والصحف والفوا كتبا تقع فى أيدى بعض الشبان وقد نهجوا مقتفين اثر اخوانهم الباطنية بهذا النوع من التأويل

ليدخلوا منه الى العبث فى تفسير القرآن والحديث وصرفهما عما يراد بهما .

وتحدث الفتح عن مجموعة كبيرة من الفرق منهم الاسماعيلية ، والبكتاشية واليزيدية :

قال عن الاسماعيلية أن مؤسسها ميمون بن ديصان وابنه عبد الله بن ميمون القداح ، أسلاف أغا خان من عهد الحسن بن الصباح شيخ الجبل ، لا يجرءون على دعوى الألوهية ، بل ولم يكونوا يجرؤون على انكار القرآن ومنهم من كانوا يقولون أن باطن القرآن غير ظاهره .

وجاء أغا خان يكلف الاسماعيلية بأن يعبدوه باعتباره الههم ، بينما هم ينظرون اليه فيرونه عبدا لحاكم الهند البريطانى ويزعم أنه يعمل كتابا كالقرآن فى ست سنين ، وقد أسرف أغا خان فى ارهاقهم واستعبادهم وابتزاز أموالهم ، وقد تنبه الخوجات الذين يمثلون أهل الفضل وتشجعوا أخيرا وخرجوا فى وجه صاحب السمو بكتاب مفتوح هو الأول من نوعه منذ أحد عشر قرنا « ان أنصاركم هم فى الظاهر من الطوائف الاسلامية ولكن المبادىء التى تسربت اليهم الآن انتهكت حرمة الأركان الاسلامية الجوهرية وقد جاء هذا من الاختلاط القديم بالطوائف التى أشرنا اليها ، ومن البديهى أن الاسلام يوجب على معتنقيه أن يعتقدوا باله واحد ويؤدوا ما فرض عليهم من صلاة وصوم وحج فكيف يستطيع أنصاركم أن يعملوا بالوصية الأولى الهامة فى حين أن مرسليكم ينادون فى الناس أن سموكم الاله القدير الذى يجب أن تقدم اليه كل عبادة وصلاة .

الفرقان الذى وجهتموه الى أنصاركم منذ بضع سنين وفحواه أن القرآن الحالى ليس صحيحا ، اخواننا الفقراء يرغمون على أن يعطوا نصف دخلهم لله فى شخص سموكم وتدفع أهل كراتشى وحدهم ٢٠ الف روبية ...

وهناك فصل مطول فى الفتح عن الاسماعيلية والباطنية (م ١٠ ، ٨٠٦ ، ٨١٦ — ١٩٣٧) من شاء فليرجع اليه .

كذلك أولت الفتح اهتمامها بالطريقة البكتاشية للغموض الشديد الذى أحيط بها ولعل كشف هذه الحقائق يمكن أن يلقى الضوء على الخطة التى كان يسير عليها أمثال أحمد رامى فى عمله لاشاعة أغانى الحب والعامية ومن ذلك اهتمامه بشعر عمر الخيام . ففى الفتح م ١١ (١٩٣٨ — ص ٦٩٢)

يتحدث سليمان عبد الرحمن عن هذه الطريقة ويقول أنها طريقـــة باطنية ويرمى كثير من رجالها بالاباحية الفها أحمد سرى باشا الأشمى، هذه الطريقة فرع من فروع الرافضة الباطنية التى اتخذت من الأناضول فى العصـــور الغابرة مرتعا خصيبا لبث روح الضلالة وبذر بذور التواكل والمسكنة والذلة والاباحية بين أتباعها من شرب الخمر ، والتوقيع على الأناشيد المقيتة ، وفى البكتاشية مذاهب متطرفة على درجة كبيرة من الاباحية واطفاء الشموع فى ليالى خاصة حيث تكون الساحة حافلة بالرجال والنساء فيخلع الكل العذار تحت جنح الظلام .

وبين البكتاشية ومذاهب الأرثوذكس فى النصرانية شيء من المشابهة، يقولون أن الله وعليا ومحمد شيء واحد ويحضرون الألوهية فيهم جميعـــا ، وهم يعتقدون بعقيدة التناســـــخ فيقولون ان أرواح الحواريين الاثنى عشر لسيدنا المسيح تناسخت بعد الاسلام فى أرواح الأئمة الاثنى عشر وآخرهم محمد المهدى بن الحسن العسكرى ..

وتحدث الفتح عن اليزيدية (عبدة الشـــيطان) ومحـــاولة دعاة البروتستانتية والكاثولوكية استمالة بعض أفرادهم وكانوا قد طالبـــوا الى الدولة العثمانية ١٢٨٩ اعفاءهم من الخدمة العسكرية لأن ديانتهم تمنعهـــم من الاختلاط بغيرهم فى الأكل والشرب والملبس .

القاديانيـــــة ...

أما نحلة القاديانية فقد كانت موضع اهتمام كبير على صفحات الفتح حيث كان دعاتها يشرعون أسهمهم المسمومة فى وجوه المسلمين فى قارة الهند وفى غيرها وكان لها أولياء فى مصر هداهم الله وكشف عنهم الغمامة فأصبحوا جنودا للاسلام يحاربونها ويكشفون زيفها وفى مقدمتهم الدكتور السيد أحمد الشريف وعبد الحميد الســـــيد . ويمكن القول بأن المجلد الرابع عشر من الفتح (١٩٤١) قد حوى تفاصيل واسعة وأحاديث متصلة ورســـائل هامة من الهند .

ومنذ المجلد الخامس (١٩٣٣) وقد بدات الفتح تكشف عن القاديانية وأضاليلها « ادعى ميرزا غلام أحمد النبوة وانه هو المسيح الموعود ، وبعد

أن أدعى النبوة وأنه أوحى اليه من الله تعالى بدأ يدعو الناس لأتباعه فلم يعدم أنصارا بسبب الجهل من جهة وبفضل أولياء أمره وأمر تابعيه من جهة ثانية وقد تمكن من ايجاد جماعة سماها الأحمدية يقولون باستمرار النبوة غير التشريعية وبعدم انقطاع الوحى » .

وقد كتب (مسعود الندوى) من لكنو بالهند يكشف ما أخفاه الأحمدية من أنهم فرقة مختلفة عن القاديانية فقال : (م ٧) :

مما لا ريب فيه أن الأحمدية القاديانية التى رئيسها الميرزا بشير الدين محمود هم من نحلة الكذاب الميرزا غلام أحمد (والأحمدية اللاهورية) واليها ينتمى الخواجة كمال الدين السيد عبد المجيد امام مسجد ووكنج وغيرها التى يرأسها محمد على اللاهورى (والذى ترجم القرآن فأفسد الترجمة) كلتاهما متحدة فى المبدأ والغاية وان تظاهر أصحاب التالد الذكر بالبراءة من أعمال الأحمدية القاديانية .

سؤال جريدة النور : لسان الأحمدية اللاهورية :

س : أى فرق بينكم وبين القاديانية الأحمدية فى الفكر ؟.

ج : اخواننا القاديانيون يعتقدون بنبوة مؤسس هذه الحركة أى الأحمدية ويكفرون الذين لا يتلقون نبوته بالقبول ونحن نعتقد أنه مجدد مصلح أتى لخدمة الاسلام ونفخ روح الحياة فى جيل عصره المنحط وكل من يقول لا اله الا الله نرى أنه مسلم غير مبالين باعتقاداته الفرعية الخاصة » .

وقد أشارت الفتح الى الدعاية القاديانية فى مصر ، ورصد مبلغ من المال لصرفه على الديانة وأنهم دفعوا لمجلة معروفة تنشر الآراء الشاذة .

وقد دعا الى مقاومتهم والتحذير من دعايتهم الشيخ محمد الخضر حسين وكشف عن خطر دعوة جماعة لاهور التى تعلن أن غلام أحمد مصلح ومجدد لا دينى ففطن الناس أنهم دعاة للاسلام بحق وربما أثنوا على سعيهم وعاتبوا من يكتب فى تحذير المسلمين من أباطيلهم ، وهدفهم صرف الناس الى الاعتقاد برسالة غلام أحمد وما يتبعها من ضلالات ،

وقد بعثوا بدعاتهم الى سوريا وفلسطين ومصر وجــدة والعراق ، وقد وجدت دعايتهم صدى ، ونحذر من هـــذه الطائفة حذرنا من الطائفـــة البهائيـــة .

وكتب السيد محب الدين الخطيب تحت عنوان :

« القاديانية دين يخالف دين المسلمين » .

تصـــدى للرد على من يحاول التأثير على المسلمين ويلبس عليهم دينهم .

وقال : ان الذى عليه القاديانية هو أن مجنونهم السخيف غلام أحمد مسيح محمدى ، كما أن عيسى بن مريم مسيح موسوى ، ويقولون عن دجالهم انه ما جاء لينقص الاسلام بل يكمله .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

« سيكون فى أمتى ثلاثون كذابا كلهم يدعي أنه نبي وأنا خاتم النبيين ولا نبى بعـــدى » .

أنتم أيها القاديانيون لستم مسلمين لأنكم تكذبون أقوالا ثابتة عن نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم مع علمكم اليقينى أنها خرجت من فمه الشريف ، اسلامنا مبنى على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه فيما جاء به واسلامكم مبنى على مخالفة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبه فيما جاء به .

وقال الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامى : ان هذه الفئة فتحوا لهم مركزا فى شارع محمد على توشك اذا التف بعض الزعانف حولهم أن تأخذ رجال الدين الاسلامى فى الاجماع بهم للدفاع عن الاسلام .

وقال شكيب أرســـلان انه دجال من كبار الدجالين وهو من جملة المتنبئين الكاذبين ليحصل له الرئاسة .

وكتب محمد تقى الدين الهلال (م ٧ الفتح) : تحت عنوان القاديانيون بعض ما لهم وما عليهم ، قال :

هل يستفيد الاسلام من الحركة القاديانية ؟ وجوابى ان الاســـلام يستفيد وينتصر فى وقت واحد من أعمال هذه الفرقة ، أما ضرره فمن العقائد

اباطلة التى ينشرونها ، أما نفعه واستفادته فلأن أهـل أوربا وأمريكا وكثير من أهل الشرق غير المسلمين لا يعرفون من دين الاسلام وسيرة النبى الا أساطير خلقها تعصب القسيسين الأعمى ورددتهـا الحروب الصليبية التى لا تزال آثارها تهدم صرح الاسلام حتى الآن ولا ينبغى أن نهمل حركة القاديانيين بأن نتبعها باهتمام فنقر منها ما كان حقا ونهدم ما كان باطلا »
ويبدو أن الأستاذ الهلالى كان فى هذه المرحلة حسن الظن بدورهم فى نشر الاسـلام فى أوربا وأفريقيا ولكن الكتابات توالت فى الفتح تنقض خططهم وتكشف زيفهم وكان مقال الشيخ محمد الخضر حسين الذى انتشر من بعد من أهم المراجع فى كشف حقيقتها التاريخيـة كذلك فان جماعة فى مصر من الشباب المثقف فى مقدمتهم (عبد الحميد السيد) قد استطاع السيد محب الدين الخطيب اطلاعهم على المرامى الخطيرة وراء القاديانية وخاصة فى المرحلة الثانية التى تصدرها محمد على اللاهورى والتى ادعى أصحابها أنهم أحمديون وليسوا قاديانيون فانصرفوا عنهـا وحاربوها حربا عنيفة ومن ذلك ما كتبه (م ١٤) تحت عنوان :

« محمد على اللاهورى : والدور الذى يمثله فى العالم الاسلامى » .

جاء فيه أن ترجمة القرآن التى كتبها اللاهورى تخالف مفاهيم القرآن فى موضعين :

١ — ادعى امكان نزول الوحى على غير الأنبياء عليهم السـلام .

٢ — انكر معجزة شق القمر .

هـذا فضلا عن أنه انتهز فرصة ترجمة القرآن باللغـة الانجليزية ليدخل فيها مفاهيم العقائد القاديانية فى مواضع كثيرة بذكاء ومكر شديدين وقال ان جماعة الأحمـدية اللاهورية يقولون للمسلمين ما لا يعتقـدون ويظهرون لهم ما لا يبطنون ، وهم فى نفس الأمر متفقـون مع القاديانيين الغلاة فى جميع عقائدهم الفاسدة فقالوا انهم يؤمنون بأن المسيح الموعود والمهدى المعهود هو المرزا غلام أحمد القاديانى وهم يؤمنون بأن المسيح الموعود القاديانى كان رسـولا صادقا ونبى زمنه بعث لهداية الدنيـا .
ولكن محمد على اللاهورى عندما يتوجه الى عامة المسلمين يتظاهر باتهام

جديد لتلبيس الأمر عليهم فيقول انهم يعتقدون أن المسيح الموعود معهود اليه ومأمور من الله وملهم ومجدد ومحدث وامام زمانه غاية ما يعتقد أنه نبى وبر ورأى ولا تقول انه نبى كامل وصاحب شرع جديد .

ويقول أبو الحسنات محمد محيى الدين الهندي : ونحن معشر مسلمى الهند قد اختبرنا دسائس الجماعة وجاهدنا حق الجهـاد فى صدها ولكنا تحت استعمار الانجليز بعد أن كنا نملك الهند كلها فأصبحنا لا ناقة لنـا فى الحكم ولا جمل لذلك لا توجد فى يدنا القوة لقمع هـذه النحلة فى أصلها بعد أن رفعنا منذ عهد بعيد راية الاسلام وعلم الفتح فى جميع أنحاء الهند .

وقد كشف عبد الحميد السيد أضاليل محمد علي اللاهورى فى تفسيره للقـرآن .

فقد قال عن الآية **(وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم)** قال : ان القرآن لا يمنع المسلم من اطاعة الحاكم غـير المسلم ، هـذا ما كتبه خوجة كمال الدين اللاهورى عن مركز الانجليز فى الهند وخطته فى ضرورة الاخلاص والولاء للحكم البريطانى دواما ثم تأويله آيات الجهاد فى القرآن وآيات الحكم والتشريع مخالفا بذلك ما فقهه المسلمون من عهد محمد صلى الله عليه وسلم الى يومنا هـذا .

لقد كان خوجة كمال الدين هو المدافع الأكبر عن ترهات غلام احمد فى حياته والمساعد الأيمن لمحمد على اللاهورى والناشر لآرائهما فى انجلترا وسواها من البلاد .

وأشار الى قول المبشرين الأوربيين للمسلمين : كيف لا تعتقدون بألوهية المسيح وقرآنكم يقرر انه ولد من غير أب ، لقد رد القرآن على هذا فقال : **(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقـه من تراب ثم قال له كن فيكون)** وعلى المسلمين الاذعان لحكم القرآن والتمسك بالرد الحاسم القاطع المعجز الذى ذكره اليه (تبارك وتعالى) فى كتابه ولا يتراجع أمام النصارى والمبشرين ويقرر عقائد ليست من الاسلام فى شىء .

كذلك فقد أشارت الفتح الى نشاط الأحمدية والقاديانية فى بريطانيا وانشاء مسجد ووكنج حيث كان أمثال خواجة كمال الدين وغيره فقالت :

هنـــاك شبهة دعوة الأحمديين فى انجلترا الى الأحمدية تحت ســـتار الدعوة الى الاسلام ، وأشارت الى المجلة الاسلامية الانجليزية التى يحررها خوجة كمال الدين امام مســـجد ووكنج وزعيم المبشرين الاسلاميين هنـــاك والذى اعتنق بواسطة الدكتور خالد شلدريك الاسلام ، ومن بينهم لورد هدلى وكانت المرحومة ملكة بهوبال هى التى أنشأت مسجد ووكنج ووالدها صديق حسن خان ملك بهوبال من أكبر علماء الســـنة ، والمسجد الجـــديد دفع له اللورد هدلى ستون ألفا من الجنيهات لشراء أرض المسجد .

وقد دعاهم الســـيد محب الدين الخطيب الى أن يعلنوا تبرئهم كتابة من غـــلام أحمد القاديانى .

ومن المعروف أن جريدة الأهرام — وغيرها من الصحف — كانت تؤيد دعواهم وتنشر فصولا فى الدفاع عنهم (بعنوان الأحمدية وعقائدهم) بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٣٣ وما بعدها تحاول الاستدلال على بعض عقائدهم بتفسير المنار وبكلام بعض الصوفية وقد رد السيد رشيد رضا على هـــذا الزيف وهكذا قامت فى الفتح عصبة كريمة فى مواجهة هذا الخطر الذى كان يزحف زحفا شديدا فى هذه الفترة على البـــلاد العربية حيث يوجد فى المجلد ١٤ (عام ١٩٤٠ — ١٩٤١) تفاصيل واســـعة وأحاديث مفصلة عن المســـيح الدجال غلام القاديانى وبين أحمدية لاهور وأحمدية قاديان ، والنبوة والوحى والدعاية اللاهورية ورسائل عديدة من أهل الغيرة على الاسلام من الهند وغـــيرها نشرت مفصلة فى الفتح وكان الدكتور السيد أحمـــد الشريف وعبد الحميد السيد هما اللذان فضـــحا النحلة القاديانية فى مصر وكشـــفا زيفها وقد كتبا مفصلا فى جريدة وادى النيل (الاسكندرية) ومجلة الفتح .

وقد نبه الرجلان الأمة المصرية الى خطر هؤلاء الدعاة وكان بعض دعاتهم قد مر بالقاهرة ، فكتب الشريف عدة مقالات كان لها الفضل العظيم فى ايقاظ المسلمين مما جعل أذناب الاستعمار يتراجعون الى الوراء وحوت مقالاته معلومات فريدة عن الخدمات الستعمارية التى أداها غـــلام أحمـــد

القادیانی (المتنبیء الكذاب) وأذنابه من بعـــده ســـواء كانوا قادیانیین أو لاهوريين .

وقال انهم يقولون : ان من يرفع السيف فى وجـــه بريطانيـــا حرام وكذلك الجهـــاد (م ١٣ — ١٩٣٩) .

وقد كان التركيز واضحا على أن الأحمدية مثل القاديانية كلاهما مذهب أقحم على الدين الاسلامى فى هذا العصر اقحاما ، وأنتج الشر بين المسلمين فى غير جانب من جوانب الأرض والذين يدعون لهذين المذهبين هم من أنشط الدعاة يجمعون الى الالحاح على الدعوة ضروبا من البراعة التى تستأهل كبحها وازاحة أثرها من الجماهير وقد تمكنوا من تركيز دعايتهم بين جمهرة المسلمين فى انجلترا والمانيا وأمريكا وأفريقيـــا عن طريق انشاء المساجد وبعث البعوث .

الباب الثالث

قضايا العالم الإسلامى الكبرى

(١٩٢٧ — ١٩٤٧)

الفصل الأول : تطويق العالم الاسلامى وهدم الوحدة الاسلامية

الفصل الثانى : تغريب تركيا وسقوط الخلافة

الفصل الثالث : قضية فلسطين والصيهونية

الفصل الرابع : قضايا شمال افريقيا (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)

الفصل الخامس : قصة مسلمى الهند وقيام باكستان

الفصل السادس : مسلمو أندونيسيا .

الفصل الأول

تطويق العالم الاسلامى وهدم الوحدة الاسلامية

لا ريب أن قضايا العالم الاسلامى فى حياة مجلة الفتح (١٩٢٧ ـ ١٩٤٧) كانت تمر بأخطر مراحلها بين نهاية الحرب العالمية الأولى وخلال الحرب العالمية الثانية وبعدها ، وكان أعظم ما تمخضت عنه الحرب الأولى هو تمزيق الدولة العثمانية والقضاء على الوحـــدة بين الترك والعرب ، ثم سقوط الخلافة الاسلامية الذى كان من أخطر الأحداث التى زلزلت كيان الأقطار العربية وعرضتها للغزو الاستعمارى والعثمانى على السواء ، وقد ظهرت الفتح عام ١٩٢٧ فى ابان الخطر الذى نشأ من اسقاط الخلافة وتمزيق الدولة العثمانية وتغريب تركيا وتحولها عن الاسلام الى الغرب ، وتصديرها هذا التغريب الى البلاد الاسلامية والعربية وفى مقدمتها مصر ثم كانت قضية فلسطين التى بدأت تظهر ملامحهـــا الخطيرة بعـــد تطبيق وعد بلفور على فلسطين وكيف بدأت القوى الصهيونية فى انتزاع فلسطين من أبنائها وتداعى العرب بعـــد سقوط الخلافة الى وحدة عربية لمقاومة الخطر ، وكيف أتسع خطر التغريب الى ايران وأفغانستان ، كما برزت خطة التبشير الواسعة التى حملت لوائهـــا الفاتيكان والتى وصلت الى القـــاهرة عن طريق جمعية الشبان المسيحية والجامعة الأمريكية وبروز جمعيات اسلامية كثيرة لمقاومة الخطر فى مقدمتها الشبان والاخوان والهدى الاسلامى وغيرها وفى نفس الوقت بدأت أقطار المغرب العربى (ليبيا) الواقعـــة تحت نفوذ ايطاليا والأقطار الثلاثة الواقعـــة تحت نفوذ فرنسا (تونس والجزائر ومراكش) وكانت أخطر المجاهدات هى جهاد الجزائر التى كانت فرنسا تعتبرها جزءا منها وتنص فى دستورها على أنها بمثابة فرنسا الجنوبية .

جاهدت هـــذه الأقطار وقاومت أعنف المقـــاومة ، وكانت الفتـــح هى الصدر الرحب لكل صيحاتها ، وكانت هناك الى جوار حركة التبشير

حركة الماسونية ومحاولة تطويق جزيرة العرب ومحاولات النفوذ الأجنبى فى مصر والبـــلاد العربية لفرض الاقليمية والقوميـــة والتجزئة والتبعية للاستعمار والولاء له والارتداد الى الحضارات القديمة باحياء الفرعونية فى مصر والفينقية فى لبنان ودعوات أخرى كالأشورية والبابلية ، وكانت هناك موجات خطيرة لتمكين النفوذ الأجنبى من السيطرة وفتـــح الطريق لاسرائيل لاقامة دولتها فى فلسطين .

وفى ابان هذا الجو المضطرب كانت أضواء الحق ونور الايمان لا تلبث أن تبرز حيث تلاقت العواطف والمشاعر على ان يلتمس المسلمون منهج الله الذى هو وحـــده القـــادر على كشف الغمة وقد اجتمعت آراء المخلصين من المصلحين على أن الطريق الوحيد لخروج المسلمين من محنتهم هى العودة الى كتاب الله والتماس منهج الله الحق : الاسلام نظام مجتمع ، وعلى هذا الطريق مضى السيد رشيد رضـــا فى المنار حتى غاية ١٩٣٦ ، ووســـع السيد محب الدين الخطيب هذه البابة ودرس الوسائل الى الغاية الكبرى على هذا النحو الملح المتصل أسبوعا بعد أسبوع خلال أكثر من عشرين عاما لا يتوقف ولا يلين ولا يغفـــل عن التحديات التى تواجه المسلمين ، وعلى نفس الطريق سارت صحف الاخوان ، ومجلة الشبان ومجلة الأزهر ، وكانت كلها تواجه الخطر وتدحض الشبهات وتكشف خطط التآمر وتدعو الى الوحدة الجامعة فى مواجهـــة زحف الصهيونية على بلاد المسلمين .

وفى هذا المجال تنشر الفتح ما يقوله برناردشو (م ٧ — ٦٥١) — ١٩٣٤ الاسلام لا نستيقظ الا اذا عمـــل المسلمون بصفتهم مسلمين فقط وتجنبوا ما نسميه الروح الوطنية والغلو فى القوميـــة ، الاســـلام شىء والمسلمون شىء آخر ، الاســـلام حسن ولكن أين المسلمون ، ليس فيما أعرف من الأديان نظام اجتماعى صالح كالنظام الذى يقوم على القوانين والتعاليم الاسلامية .

ويقول المستشرق هاملتون جب : لاشك فى أن البلاد العربية المتجانسة (كمصر والجزيرة وفلسطين وســـوريا والعراق) ستلعب دورا يكون له الشأن الأول فى مصير الاسلام ولهذه البلاد المتجانسة ثقافة راقية تتقـــدم

يوما فيوما بفضل اللغة العربية الفصحى وسهولة المواصلات . ان يقظة الاسلام فى مصر وفلسطين والجزيرة والعراق وسوريا حقيقة لا تنكر ، ولن تقف فى سبيل هذه اليقظة عقبة خصوصا وانه من المستحيل أن يجرى فى البلاد العربية ما جرى فى بلاد الأتراك . العرب متمسكون بلغتهم وأدبهم ويتغنون بمجد الاسلام ، ولم تقم فى بلادهم أية حركة وطنية الا وكانت الروح الاسلامية أساسها ، فهل يفكر العرب بعد هذا بابدال حروف لغتهم بالحروف اللاتينية أو أن يتنحوا عن لغة القرآن التى تربطهم بالعالم الاسلامى كافة . هذا مستحيل ، وتبقى الروح الاسلامية تسود بلادهم وتتقدم أبدا بلا كلل ولا ملل ولن يطرأ عليها أى ضعف أو وهن » .

— ٢ —

كان التركيز على سلخ مصر من العروبة والاسلام بدعوات الاقليمية الضيقة والفرعونية وقد عاشت اقلام كثيرة فى هذه الفترة تحاول احياء هذا التراث الميت واخراجه من قبور الفراعنة ونفخ الروح فيه والادعاء بأن لهم لغة وتراثا وثقافة ، ولكن مصر كانت أصيلة العروبة والاسلام .

وكتب السيد محب الدين الخطيب (م ١٥ الفتح ص ٦٥٧ — ١٩٤١ م) روج فريق من الكتاب دسيسة روجها الاستعمار وجازت على البسطاء انهم اذا أرادوا أن يستعرضوا تاريخ مصر قالوا انها كانت مستقلة ثم احتلها الاغريق والفرس ثم البطالمة والرومان ثم احتلها بعدهم العرب فالكرد والترك والجركس ، ومضى المستعمرون الانجليز من هذه الدسيسة أن يقولوا للمصريين انكم فقدتم ملكة الاستقلال منذ عهد طويل فاذا خرجنا من هذه الديار فسيحتلها غيرنا من الدول الأخرى ، فنحن خير لكم من غيرنا .

وقال جرجى عنايت فى المقطم : ليس المصريون عربا .

هذه الدعوة الى أن تترك مصر مدنية الاسلام حالا وترجع فرعونية فى قوميتها افرنجية فى انتمائها وثقافتها .. هل توافق مصر على هذه الرغبة وتخلع عن جسمها ثوب الاسلام حالا لتكون متفرنجة فى ايمانها ومذاهبها ، وان معرفتى بمصر كافية لاقتناعى بأن الاسلام روحها الذى يحيى بها ،

وانها تعتبر انتزاع هذه الروح شرا عليها من الانتحار . مصر عربية بقدر ما العراق عربية وبقدر ما الشام عربية وهذا أمر واقع ليس فى يد أحد تغييره ، ان الرابطة بين الشعرب الناطقة بالضاد موجودة بالفعل .

كذلك فان (قضية الوطنية) التى كانت مؤامرة لقطع مصر عن الوحدة الاسلامية الجامعة لم تلبث أن تنكشف فقد ورد الزعيم محمد على الهندى الى مصر وألقى محاضرة فى جمعية الشبان المسلمين فتحت أمام السيد محب الدين الخطيب باب الفهم لخطورة الأمر تقول (١٤ يونيو ١٩٢٨) عندما رسم الغرب لنفسه خطة اكتساح الشرق فى القرنين الأخيرين اكتفى بالاستعداد العسكرى والدهاء السياسى ، استعد القوم لغزونا بمصنوعاتهم وملاهيهم وخمورهم ومخدراتهم ثم بالمكر السياسى بعد ذلك التأهب الحربى . أما امتناعنا عن أن نكون مغلوبين لهم بشهواتنا فيما تحمله مراكبهم الى بلادنا من صنوف الخمر وأنواع المخدرات .

أطل الغرب على الشرق بعد فشل الحملات الصليبية فرأى الشرق متماسكا بعروة الله الوثقى التى لا انفصام لها وهى العروة التى شعارها فى القرآن : **(انما المؤمنون اخوة)** فحكم بأنه لا يستطيع أن يكتسح الشرق وأن يفتحه وأن يجعله تحت تصرف الغربيين ، الا اذا توصل الى حل هذه العروة والى أن يفرق بين المسلمين فتزول عنهم نعمة الله التى جعلتهم اخوانا .

لقد اخترع الغرب طريقة للوصول الى هذه الغاية .

قال للترك صلاتك عربية وقال للمصرى مالك وللعرب انظر الى آثار الفراعنة وتاريخ قدماء المصريين ، أساليب التعليم المؤيدة من السلطة الخاضعة للادارة الأجنبية جعلت الصوت الاسلامى يخفت والدعاية الغربية تعلو .

بعد أن كان شعار المسلمين انما المؤمنون اخوة ، صارت وحدة العالم الاسلامى منقطعة ومتوزعة على أجزاء كثيرة ، وبعد أن كان الاتحاد قوة صار التفرق ضعفا ، والقضاء على الاخاء بين المسلمين .

جاءوا الى لبنان فقالوا : أنتم سلالة الفينيقيين والعراقيين قالوا لهم أنتم وارثوا الكلدانيين والأشوريين وجاءوا الى المغاربة فقالوا لهم ان البربر أصلهم كذا وكذا ونجح الغرب بعض لنجاح فى دعايته الاجتماعية فاستعان على الشرق الاسلامى الضعيف بما زاده ارتكاسا فى ضعفه .

قال محمد على الهندى : ان الاسلام رابطة عقدها الله فيما بيننا ومهما تهاونا فى أمرها فسنعود اليها ، أما الوطنيات فانها رابطة دعانا اليها الشيطان ومهما خدعنا بها فسنتنبه عما قريب الى أن الغرض منها هو تمزيقنا وتفريق قوانا .

وما من حق الا ويشوبه باطل ، وما من باطل الا ويشوبه حق ، وانما يحكم العاقل على الأمور بما يغلب عليها ، نحن قبلنا مبدأ الوطنيات لحق كان مطليا به ، وهذا الحق هو الأقربون أولى بالمعروف .

الوطن الاسلامى : وطن واحد لكل مسلم وعلى المسلم أن يكون جنديا فى هذا الوطن الأعظم حينما تنتقل اليه هذه الوطنية التى كانت معروفة فى التاريخ الاسلامى ، وكل معنى آخر للوطنية فهو من دعاية الشيطان وقد كنا مسوقين الى هذه الوطنية الشيطانية باليد التى رسمت خطة واسعة النطاق لتمزيق وحدتنا وتوهين قوتنا وقد كفانا ما حل بنا الى الآن .

ويمضى صاحب الفتح ليتحدث عن عبرة التاريخ (الفتح صفر ١٣٦٥) كيف أضعنا من حياتنا القومية أكثر من مائة سنة :

أولا — تعتبر لغة الدولة السلامية واحد من الأحداث الذميمة التى وقعت فى تاريخ الدولة الاسلامية وترتبت عليها نتائج خطيرة .

ثانيا — التعامى عن نهضة أوربا عندما كانت فى بدايتها كان من أعظم الجنايات على الاسلام ، لأن المساهم فى هذه النهضة من أوجهها العلمية والصناعية كانت ميسورة لولاة أمر المسلمين ، وكان اللحاق بها بعد بدايتها بعشرات قليلة من السنين سهلا على أمم لها فى العلوم والصناعات تراث وسابقة عظيم شأنها .

لقد عمل محمد على بطلب القوة لبلاده بتيسير أسبابها وأول أسبابها النهوض بالصناعات وتعليم الأذكياء .

ان قوة الأمة الاسلامية فى كل زمان ومكان بشيئين :

أولا — فهم الدين الاسلامى فهما صحيحا وتخلق الأمة بأخلاقه النبيلة التى لابد منها للسعادة .

ثانيا — الاستمساك بأسباب القوة والقوة فى هـذه العصور قائمة على الصناعات .

وفى مراجعة هذه القضية كتب الأستاذ عبد الرحمن عزام (م ١٧ سنة ١٩٤٢) تحت عنوان علل النظام العالمى الحالى قال :

لما كان اقتناع البشر بالنظام الاسلامى العالمى لا يتم الا بعـد معرفة علل النظام الحالى والايمان بفساده : فهناك الاجماع على فساد الرأسمالية الحالية وخطر الرأسمالية الآن ، لأنهـا مادية لا سند لهـا من الروح ، وحيث رجال الكنيسة الانجيلية الآن يتحولون الى اليسار .

« فلابد للمسلمين الذين اندفعوا على غير هدى الى تقليد الغرب من الرجوع الى الاخاء والزكاة والتوازن بين الطبقات : ذلك التوازن الذى أقام شريعتهم على أساس أن البر حق معلوم فى أموال الأغنياء ، والى ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصـة وعلى مسئولية الامام وسلطته الواسعة فى النظر الى حاجات المسلمين . **فلابد من نظام اقتصادى جديد يحل محل النظام الحالى** ، فان السيطرة الاستعمارية على العـالم باسم الحضارة انما تسعى لاشـباع شهوات الرأسمالية الحديثة فى الأسواق والموارد العامة .

وقد وضعت الرأسمالية والاستعمار متساندين أسس هذا الاضطراب العالمى الذى قد يقضى على الحضارة كلها » .

ويذهب السيد محب الدين الخطيب فى مجال عرض وجهـات النظر الى تقـديم ما كتب عن مستقبل الامبراطورية البريطانية المظلم (م ١٢ ص ٩٨٤) حيث كتب الجنرال لودندرون مقالا عنوانه (فخامة الانحطاط الانجليزى) قال :

ان الامبراطورية البريطانية كناية عن اجهـاض يهودى ماسونى ،

فمنذ عهـد غير بعيد كانت لانكلترا أقوى امبراطورية فى العـالم شادتها فى خلال القرون على أنقاض الامبراطورية الكاثوليكية التى نشأت بعـد اكتشاف أمريكا على يد كولمبس اليهودى ، وكذا كان اليهود ينوون مقاسمة انجلترا السلطة وفى أواسط القرن الماضى تشبعت انجلترا بالروح اليهودية حتى صـار دزرائيلى يملى ارادته على السياسة البريطانية وقد دفعت سياسـة اليهود والماسون انجلترا الى خوض غمرات الحرب العالميـة وبعد الحرب ظن اليهود أنهم وجدوا الفرص سانحة لانشاء جمهورية عالمية فهودوا قوى الشعب البريطانية بحملته على التمسك بالنصرانية والآن اخـذوا يخضعونه بقوة الكنيسة العليـا التى ليست سـوى انبثـاق من التعاليم الكاثوليكية واليهودية وبعد سنين رأينا المبراطورية الرومانية الفاشية تظهر للعيان وتقرر نفوذها فى شبه جزيرة أسبانيا حيث الأسطول البريطانى يمنع من دخول البحر المتوسط » .

كما نقلت مجلة الفتح (م ١٣ ص ٧٦٧ سنة ١٩٣٩ م) من جريدة العلم الأخضر التى تصـدر فى الاسكندرية أنهـا تلفت نظر يهـود مصر الى اجتماعاتهم الصهيونية المستترة فى محافل البنـاية الحـرة فى غفلة من الماسون والى ما يقررونه فى هـذه الاجتماعات المحرمة على غـيرهم والتى لا يقصد بها الا محاربة الاسـلام والعرب والقضاء على فلسطين وانا نسأل زعيمهم المستر بولى لما قرره اخيرا وهو يتفق مع حسن نيتهم وتبرئهم من الصهيونية وهل هو شخصيا يوافق على اقوال قطاوى باشا والدكتور زكى عريبى .

وأشارت (العلم الأخضر) الى اليهود الأربع العالميين فى تاريخ مصر (فروهنج جوش ، أوبنهايم ، روتشيلد ، دزرائيلى) الذين أقرضوا اسماعيل ١٢٥ مليونا من الجنيهات لم يصل اليـه سوى ٥٤ مليونا ، وقد أغفـل المؤرخون حقيقة هذه الديون ولم يذكروا أسماء الدائنين مع أن صندوق الدين من عمل هؤلاء اليهـود المرابين الذين قبضوا أكثر من ٦٥ فى المائة أرباحا وسمسرة ، وفضلا عن ذلك فالماليون اليهود هم الذين ارتهنوا أموال الدولة واشتروا ممتلكات اسماعيل وأسمائهم لا تزال مسجلة : سوارى ، موصيرى ، شملا ، بلاكشى ، شكوريل ، مكاوى ، كوهين ، ليفى ... » .

وهكذا مضت مجلة الفتح فى توعية المثقف المسلم وكشف أبعاد القضية الاسلامية والمؤامرات التى تواجهها .

— ٣ —

وفى فصـــل مطول عن الماسونية (٧ نوفمبر ١٩٢٩ م ، ص ٣٣٧) تقول الفتـــح :

« ان جل نبغاء المسلمين المستورين كانوا يدينون بالماسونية أكثر مما يتظاهرون بالاسلام ، والماسونية بنيت قواعدها على صرح سليمان لأنها ظاهرا انسانية وباطنا صهيونية محضة ، والدليل على ذلك أنها اليوم لم تتظاهر بعاطفة نحو ضحايا اليهود وانما تظهر الجمود وتعمل سرا لقمع التعصب الاسلامى ابتغاء حماية اليهود ، فكان المسلمون يخافون من كلمة التخويف (التعصب الاسلامى) التى كان يلقيها الأوربيون لارهاب العالم فلذلك اجتنبوا كل سعى شريف ارضـــاء للأجانب لكيلا يكونوا متعصبين فى نظرهم وما رماهم الأجانب بالتعصب الا لكونهم هم المتعصبين ، اذ لولا التعصب ما رأوا غيرهم ومخالفهم بعين الاحتقار ولا رموهم بنقيضة .

أخافوا المسلمين من لفظة (تعصب) فأهملوا أمرهم وتذللوا حتى صاروا عبيـــد أرقاء وتلاعب بهم أعداؤهم فصاروا الى ما هم فيـــه اليوم فى فلسطين والشام وغيرهما فهم العقـــلاء الذين أثاروا مسألة فلسطين عام ١٩٠٥ ونهوا عنها .

(أعلن عاقل هذه المسألة عام ١٩٠٥ فى الجرائد الأفريقية والمصرية وتحدث فيها مع رفيق النظم ولم يحصل على طائل) ولكن صحف عربيـــة اسلامية فى مصر والعالم كان يمدها ليفى وشالوم ويكتبون فيهـــا المقالات لانشـــاء دولة يهودية والمسلمون يقولون لا نهتم بأقوال اناس ضـــعفاء وهم يعلمون قوتهم الفعلية ، كأنهم كانوا يخاذلون الناس بأقوالهم بل منهم من أعانهم .

واذا كان رجل فى أقصى المغرب كتب كتابا فى المسألة عام ١٩١٦ أيام الحرب وقد قرأته وفى تفاصيل المســـألة ونهـــاية الحرب ونتيجتها فكيف

بالمشـــارقة والسوريين لا يعلمون أن الكتاب وياللأسف لم يطبـــع ولكنه موجود .

وملخص ما أقوله الآن هو أن خلع عبد العزيز السلطان العثمانى (خلع صهيونى) وأن انقـــلاب ١٩٠٨ فى تركيا انقـــلاب صهيونى وخلع عبد الحميد صهيونى ، ويكفيك أن الذين خلعوه اثنان من اليهود ، أكبرهم (كاراسو) النائب العام عن الصهيونية فى تركيا والخبير الخطير لطائفـــة اسرائيل ، أما أنور وشوكت ... الخ فكانا ألعوبة .

وحروب البلقان فى عصر الوزارة اليهودية التى كانت ترسل قصـــدا العطـــور والصابون فى صناديق الزخائر الحربية هى حروب صهيونية ، والحرب الكبرى هى حرب صهيونية يهودية ومنتجاتها يهودية لأن السلاح لا تأثير له أمام المال ، فاذا علمتم هذا تعلمون المسألة الصهيونية وتلفتون مثلى الذين تغافلوا عنها ولم يعملوا فى أول الأمر لابعادها خشية أن يرموا بالتعصب . والسبب الأساسى هو أن المسلمين كانوا ماسونيين أكثر مما هم مسلمون بخـــلاف اليهود (مع كون الماسونية صهيونية أصـــلا) فكانوا فى كل الأحوال يهودا أكثر مما هم ماسونيون .

قلتم انه ينبغى للمسلمين أن يتبصروا ويعملوا ، ألم يكن بين أيدى المسلمين كتاب الله ونصائحه وقد اطلع عليه الغالب من المسلمين وسمعه ملكهم لأنه يتلى على الأموات فلماذا لم يعملوا به ولم يصغوا الى ارشاداته .

المسلمون اليوم بلا اسلام ، ويكفيك أنهم يفرون منه كأنه العار .

يقول الله تعالى : **« ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود »** ومع ذلك فان من المسلمين من يحترمون ســـياستهم ودسائسهم ويعملون لمرضاتكم فأين الاسلام .   (افريقى حزين) .

— ٤ —

وأشارت الى ما أطلق عليه (خطر الحلف اللاتينى اليهودى) والذى تحدث عنـــه الدكتور خالد شلدريك وهو من كبار المثقفين الغربيين الذين اعتنقوا الاســـلام بعـــد بحث ودراسة مستفيضة وقبل تطأ ديار الانجليز

الارساليات التبشيرية الاسلامية وقد أعلن الاسلام ونطق بالشهادتين (١٣٢١ هـ ١٩٣٠ م) فى حضور الدكتور عبد الله السهدوردى أول داعية للاسلام فى الغرب فهو رئيس الجمعية الغربية الاسلامية ، ورئيس المسلمين البريطانيين حيث انتخبه ٣٠ الف من المسلمين المقيمين فى انجلترا من انجليز وعرب وهنود لعرض مسألة العرب وفلسطين أمام الحكومة البريطانية .

قال : يهدد العالم اليوم (حلف) هو الأول من نوعه فى التاريخ ، اذا استمر سيبعث المسلمين ويوقظهم من سباتهم ويشعرهم بواجبهم . لا مراء فى أن سياسة الشعوب اللاتينية اليوم (فرنسا وايطاليا واسبانيا) متفقة ازاء الشعوب الاسلامية وازاء الثقافة الاسلامية أيضا . لقد وقعت طرابلس والجزائر وتونس فى يد أولئك الذين طالما تاقوا الى صبغ شمال أفريقيا صبغة لاتينية . وحوادث المغرب القريبة العهد تشعرنا بأن شبح روما كان يعمل من وراء الستار ، لقد حلت بركات البابا على الحكومة اللادينية وستكون قوى الكنيسة بأجمعها مساعدة على تنفيذ رغبات الايطاليين وقد استغلت فرنسا اسمها القديم (حامية المسيحية فى الشرق) حامية حمى روما وابنة الكنيسة البكر فزعمت أن البرابرة (فى المغرب) من أصل أوربى واتخذت من ذلك مبررا فى جعل هذا الشعب فريسة سائغة للدعاية الكاثوليكية وأعانت الحكومة هذه الدعاية بكل ما أوتيت من قوة .

وأصبحت مسألة فلسطين عاملا جديدا وأدخل تصريح بلفور اليهود فى صف أعداء الاسلام وشغلت الصهيونية أفكار اليهود من امريكا الى روسيا فجعلتهم ينسون اضطهادهم وتشتتهم على يد الشعوب اللاتينية .

والصهيونية جعلت اليهود يساهمون فى المؤامرة الكاثوليكية التى ترمى الى اذلال شعوب الاسلام واحلال الثقافة اللاتينية مكان الاسلامية ، وأقفلت الصحافة الغربية بابها فى وجه كل من اراد أن يدافع عن مسألة فلسطين ، ذكر بعضهم أن اسم موسيلينى مشتق من اسم أجداد كانوا مسلمين استوطنوا شبه الجزيرة الايطالية ردحا من الزمن ثم ارغموا على اعتناق المسيحية ، والظهير الذى يرغم البربر فى المغرب على اعتبار

أنهم لاتينيين ، هو جزء من هذه الحرب الصليبية اللاتينية ، ويسير اليهود أمور العالم المالية اليوم ولو ذكرنا كم أذل الغرب اليهود لعجبنا كيف اتخذ اليهود والنصارى للنكاية بالاسلام ومن السهل أن نفهم ذلك ، وأن نقف على سر هذا الاتحاد الذى لم يسمع بمثله فى التاريخ ، ففى الساعة التى تمكن فيها نفوذ الكثلكة وغيرها من الفروع النصرانية فى أرض الاسلام يسهل على اليهودى أن ينفذ رغباته فى المسلمين ايضا ، ليس فى يد اليهودى سلاح ولا جيش اللهم الا سلاح المال وقد استعملوه أحسن استعمال (ترجمة يوسف عليوة أبو الخير) م ٦ ص ٥٣١ الفتح سنة ١٩٣٣ .

— ٥ —

وتعددت اشارات الفتح الى مؤامرات الاستعمار عن طريق التبشير على امتداد العالم الاسلامى وكان أخطر هذه الاشارات تحت عنوان :

« تطويق جزيرة العرب »

قالت : كان الانجليز قد انتهزوا فى المائة سنة الماضية غفلة الدولة العثمانية فأخذوا منها ثغر عدن ليجعلوه مخزن فحم يمولون منه سفائنهم التى تسافر الى الهند ثم تمكنوا من ايجاد علاقة لهم مع سلطنة مسقط ثم وسعوا نفوذهم من مسقط الى الكويت والمحمرة والبحرين وما بين ذلك والآن انتقلوا من دور العقود والعهود الى دور التطويق باسم سهولة المواصلات ، الضالع ، بلاد الفوزال ، حضرموت ، ظفار ، ضرب الانجليز حصارا اقتصاديا على هذه المنطقة « عدن » التى أخذها الانجليز من سلاطين آل عثمان ليجعلوها مخزن فحم (م ٧ — ١٩٣٤ ص ٧٩٢) .

٢ — ومن الجزيرة العربية الى السودان : (م ٣ — ١٩٣٠ ص ٧٠٤) السودان طريق النصرانية « بدات الغزوات الدينية المسيحية تنفذ الى اشهر رقاع العالم الاسلامى دينا وايمانا وهو السودان . حاكم السودان ينادى أبناء وطنه لتشييد الكنائس فى أهم مدن السودان أحياء لذكرى غوردون ، جريدة التيمس تستثير الهمم لتلبية النداء ، تصرح التيمس بأن « غردون » بذل نفسه فى سبيل تنصير السودان وعلى نغمتها تضرب بسائر الصحف الانجليزية ، وأخيرا ها هى جنود المسيحية تهاجم الاسلام فى القطر المصرى الذى كان من أحصن معاقله .

وهناك من اكتتب فى السودان لمساعدة الارسالية الانجليزية ومن بينهم ابن أحد زعماء الدين .

٣ — وتشير الفتح الى جمعية الشبان المسيحية فى القدس وتقول انها احدى معاقل الحركة الاستعمارية ، ومعقد الحركة التبشيرية العالمية المجهزة ببرنامج اجتماعى خطير للعمل فى حقل المجتمع الاسلامى فى بلاد اسلامية خاضعة للحكم البريطانى ، هذه الجمعية رائدة لهذا الاستعمار وممهدة له حتى يقع العراك بين اهل البلاد والمستعمر الأجنبى وجها لوجه . وتغزو هذه الجمعية ضعاف الشباب العربى غزوة روحية شنيعة فتعمل بأساليبها الخاصة على تخدير روح التراث العربى الاسلامى باغراق نفسية الشباب العصرى فى ضروب الملاهى والتسلية الاجتماعية مع توفير ما يمكن توفيره من أبواب المغريات ، حتى يصبح صاحب آراء فى الوطنية والوطن ثم لا يلبث أن تجهر بكل وقاحة برأيه أيضا بأن الانجليز فى بلادنا يملكون أرقى طراز من مدنية الانسانية ، وأن لا علاقة بين مدنية الانجليز وبين اقدامهم على جرم ابادة العرب ، الا أن السياسة فى نظرهم شىء والمدنية شىء آخر ، هذا الأسلوب من التبشير الاجتماعى هو أحدث الأساليب التى قررتها المؤتمرات الاستعمارية العالمية (مؤتمر أدنبرج ١٩١٠).

٤ — وتربط الفتح بين الخطة التخريبية الخطيرة التى قام بها أتاتورك فى تركيا المسلمة وبين خطط أخرى تجرى فى نفس الوقت فى ايران وأفغانستان فكتبت تحت عنوان **((ايران بعد تركيا))** (م ١٠ الفتح ص ٧١١ سنة ١٩٣٦) : بالأمس قامت تركيا بمحو كل أثر للاسلام وتقاليده فى ديارها ولم تتورع عن اعلان جفائها للاسلام والشرق وانحيازها للغرب تعيش فى أزيائه وتشريعه ولغته وتقاليده ، وما زالت تمعن فى التنكر للاسلام وما يتصل به حتى انقلبت عليها كثير ممن كانوا يتطوعون للدفاع عنها وأراد ضعاف الأحلام فى بلاد الأفغان أن يقتفوا أثرها فى ذلك المسلك الأعوج الا أن الله أراد بالأفغان خيرا فعصمها من الانزلاق فى تلك الهوة السحيقة ، كان لعمل الترك الأثر السيىء فى غيرهم من الامم فقد بدا اعتزام ايران على ابدال الحروف العربية باللاتينية وتنقية اللغة الفارسية من الكلمات العربية والغاء الحجاب وتعميم القبعة ، ان الحركة الجديدة

فى ايران ترمى الى الغاء الحجاب ومعنى هذا ان ايران مقبلة على انقلاب خطير ينذر بشر عظيم ، فلن تقف عند الغاء الحجاب وابدال الحروف بل سيتعدى ذلك الى ابدال الشريعة الاسلامية واحلال قوانين الغرب محلها والذى يظهر ان بعض من بيدهم الأمر فى ايران قد تشبع بأفكار الكماليين واستحسن خطتهم ، اما بغضا فى الاسلام او جهلا بأسراره ، ان هؤلاء لم يتشبعوا بروح الاسلام ولم يتذوقوا من ثقافته فأنكروا على الاسلام أمورا هى من أبرز محاسنه .

ولكن مجلة الفتح عادت فأشارت (م ٣ — ١٩٣٠!) الى أن الحكومة الايرانية بدات تسير على سياسة لادينية بحتة فى مشروعات القوانين الجديدة . وقد وضعت قانونا مدنيا اقتبسته من القوانين الأوربية كما فعلت تركيا .

٥ — وعرضت لموقف أفغانستان التى عارضت الغزوة التغريبية فقالت : « ليس أمان الله هو الذى يخشى مقاومته لثورة الاسلام الحق على التحديد الكاذب فى الأفغان فان النتائج التى وصل اليها ابانت له وعورة ذلك المسلك وجعلت الأفغانيين على بينة من امرهم مهما تطورت الأحوال ، وانما المقاومة التى لا تهدأ ولا يعتريها الملل هى دسائس جماعات من الشرق والغرب لهم هوى فى انتصار التجديد الكاذب على الاسلام الحق فما برحوا يحاربون الأفغانيين جميعا ومن هنا كانت ثورة الاسلام فى كابل على التحديد الكاذب فى الأفغان فان النتائج التى وصل اليها أبانت له دعوة فهم يحاسبون من يكذب عليهم ويسمون عمله بالاسم الموضوع له فى معاجم اللغة ، كل خبر يخالف هذه الحقائق الجوهرية فهو مصنوع فى مصنع الأكاذيب التى يذيعها فى العالم الاسلامى صحفيون يرغبون فى تقليص ظل الاسلام حاسبين أن من الممكن هدم اركانه بهذا التجديد الكاذب وجريدة الفتح هى الجريدة الوحيدة التى استطاعت الا تقع فى أحابيل هذه الأكاذيب .

٦ — ومن ناحية أخرى أولت الفتح اهتماما بأخبار انتشار الاسلام فى انجلترا وما كتبه القس اسحق تيلور عن الاسلام ونشرته جريدة التيمس

اللندنية كما عرضت لتوسع الاسلام فى افريقيا (م ٧ ـ ١٩٣٤) قالت :
« لما كان الاسلام داعيا الى نفسه فقد انتشر فى قسم كبير من الدنيـا ، وفاق النصرانية فى النجاح ، وليس تفوق الاسلام منحصرا فى أن الداخلين فيه اكثر عددا من الداخلين فى النصرانية من الوثنيين ، بل ان النصرانية فى بعض الأقاليم تتقهقر تقهقرا حقيقيا أمام الاسـلام فى حين أن التجارب التى أجريت لتنصير المسلمين قد حققت اخفاقا تاما ، لقد امتد دين الاسلام من المغرب الى جاوة ومن زنجبار الى الصين ثم هو ينتشر فى أفريقيـا بخطوات العباقرة فقـد استولى على قسم من كونغو وزامبيس فى حين أن أوغندة وهى أقوى دول الزنوج قد صارت محمدية منـذ عهـد قريب والتمدن الذى هو جاد فى هدم الوثنية الهندية انما هو يمهد السبيل للاسلام (٥٠ مليون من ٢٥٥ نسمه) هم اليوم مسلمون أى خمس اهـل الهنـد تقريبا واكثر من نصف سـكان أفريقيا هم اليوم مسلمون . ان الاسـلام متى رفع فى كفه احد قبض عليه أبدا بيد من حديد فلا يفلته ومتى دخلت قبيلة من السودان فى الاسـلام اختفت عنها فى الحين الوثنية وعبادة الشيطان وعبادة البشر وأكل لحم الانسان وتقديم الضحايا البشرية وقتل الأولاد والسحر وصارت طهارة المرض من أعظم الفرائض وذهبت البطالة والكسل وحل العمل والكد محلهما وانتزعت الدعارة وحل الانهماك بالانقياد للشرع ويغلب النظام والرزانة على الشقاق .

فالاسلام اقوى وأكمل دين أجتماعى .. القناعة والاعتدال فى تداول اللذات ولكن كلما امتدت واتسعت التجارة الأوربيـة يمتـد معها السكر والرذيلة واحتقار الناس ، اما الاسلام فان تمدنه خال من غمطهم واحتقارهم وحاض على تعلم الكتابة والقراءة ولبس الثياب اللائقـة وعزة النفس ، ان تمدن الاسلام وتقويمه للنفوس لعجيب ، ماذا ربحناه من انفاق الأموال الطائلة والنفوس التى صنعناها فى أفريقيا ، اذا عددنا المتنصر من الوثنيين بالآلاف نرى الداخلين فى الاسـلام يعـدون بالملايين ، يجب أن نأخـذ فى الاعتراف بالحقيقة وهى أن الاسلام ليس عدوا للنصرانية بل هو نصف النصرانيـة ، الاسـلام نسخة طبق الأصـل من دين ابراهيم وموسى اما اليهودية فهى دين خاص ، أما الاسـلام فهو دين عام لجميع الأقوام ليس منحصرا فى شعب واحـد مثل اليهودية بل عام شامل لجميع أهـل

الأرض وليس فى تعاليم محمد شىء يعـادى النصرانية أو يضادها . جاء الاسلام فجرف ذلك الكوم من الخرافات الفاسدة وجاء بعقيدة الدين الأول القائم على توحيد الله وتعظيمه ، وابدال التبتل والرهبانية بالرجولة وفتح باب الأمل للرقيق وباب أخوة النوع الانسانى واعتراف بالحقائق الجوهرية للطبيعة البشرية » .

٧ — ويطالب السيد محب الدين الخطيب بعد انشاء الجامعة العربية بانشاء الجامعة الاسلامية ويقول بعد أن تكتلنا فى جامعة اللغـة والدم نستطيع أن نخطو خطوة أخرى بتكتل جديد فى جامعـة أوسع من الأولى ونعنى بها الأمم الاسلامية المتمتعة بنعمة الاستقلال مثل حكومات باكستان وأفغانستان وايران وتركيا وأندونيسيا فان الرابطة الاسلامية التى أوجدها الله بين هذه الشعوب تنطوى على محبة صادقة فطر عليها المسـلمون بعضهم البعض .

الفصل الثانى

تغريب تركيا وسـقوط الخـلافة الاسلامية

- ١ -

كانت قضية الدور الذى قامت به تركيـا الكمالية فى تغريب تركيا وآثارها البعيدة فى البلاد العربية والأقطار الاسلامية ، من أهم القضايا التى أولت (الفتح) اهتمامها البالغ وتابعت أحداثها يوما بعد يوم فقد سقطت الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ ولما ظهرت الفتح ١٩٢٧ كان الكماليون يمضون فى مغامرتهم الشديدة فى ضرب الاسلام فى الدولة العثمانية التى كانت تحمل لواء الخلافة ولقد تابعت الفتح أحـداث التغريب التى قام بهـا أتاتورك وقد تكشفت لها حقائق كثيرة .

يقول السيد محب الدين الخطيب م ٣ (١٨ يونيو ١٩٢٨) :

« رجل من ضباط الجيش زعم أن سـلاطين آل عثمان مستعبدونه فجاء لينقذ الترك من استعبادهم ولكن ما لبث أن جاءهم بشر اسـتبداد على وجه الأرض وهو استبداد ديوان التفتيش الاسبانى الذى يحيز للبشر أن يتحكموا بايمان اخوانهم البشر ويستعملوا قوة الحكومة فى حملهم على تغيير عبادة العباد ، وقد عمد الى تحويل المساجد الى شـكل الكنائس لأن مصطفى كمال يريد أن تكون المعـابد مقاعد يكتفى المصلون بالجلوس عليها وتلاوة بعض الرطانات التركية مصحوبة بالموسيقى ، لا يسجدون على الأرض لأن مصطفى كمال لا يريد ذلك . فاذا أراد التركى أن لا يضع على رأسه هذه البرنيطة لأن يراها شـعار أمم اذلت الاسلام والمسلمين يجد أن مصطفى كمال الذين يزعمونه محررا للترك ، قد نصب له جنودا فى الطريق يأخذونه الى بيوت العقاب جزاء اسـتعمال حقه فى الحرية بأبسط مظاهرها وهو يعيد الى أياصوفيا عزف الآلات الموسيقية كما كان أيام البطاركة البيزنطيين باعتبار أنه عبادة ويبطل من يحب فيه أياصوفيا السـجود لله .

ويشير الأمير شكيب أرسلان الى أن مصطفى كمال يحث الأمة التركية على السكر ويرى فى الخمر احدى وسائل المدنيـــة ويطعن حسب عادته على سلاطين آل عثمان ويجعل من جملة سيادتكم أن منعوا الترك من شرب الخمر ، وكذلك محاربته للغة العربية ، وظنه أن الغـــاء مادة الاســـلام وهو الدين الرسمى يدر عليه ملايين الدولارات من أمريكا حسبما وعده المبشرون كالمبشر برد والجامعة الأمريكية .

ويشـــير السيد محب الدين الخطيب الى تواطؤ مصـــطفى كمال مع صاحبى ايران والأفغـــان فى المشرق الأوســـط وعلى القوة الشيوعية فى آفاق روسيا لأداء مهمة معلومة فى أوربا ، ومحاولة نقل هـــذه الفكرة المسمومة الى بلاد البوسنة والهرسك .

وقد أعلن مراسل المقطم فى تركيا أن اقتباس المدنية الأوربية فى المدن هو الذى قذف بهؤلاء النساء المستحدثات الى هذه الهاوية بسبب انتقالهن الفجائى من نعمة الايمان الى شـــقوة الكفر والالحاد . ومن ذلك انتحار النساء فى تركيا عندما فرض عليها بيع عفافها .

— ٣ —

وقد أشـــار السيد محب الدين الخطيب الى خطـــة مصطفى كمال أتاتورك فى خداع المسلمين حيث بقى الى حين عقد معاهدة لوزان يتظاهر بالدين والقيم شعاره وينشر المنشورات الرسمية بأن هذه الحرب هى جهاد فى سبيل الاسلام وعمل بالكتاب والسنة ، وليس بصحيح أن أوربا نبذت الدين وأنهـــا خرجت عن النصرانية كما يريد مصطفى كمال اخراج تركيا عن الاسلام فكل يوم عندنا شواهد على تمســـك أوربا بالدين المسيحى ، ولو لم يكن من برهان ساطع على كون هذا الدين لا يزال عمدتها سوى قصة كتاب الصلاة فى انجلترا لكان ذلك كافيا على دفع دعوى مصطفى كمال . أن هدف مصطفى كمال لا يزال هو هدم قواعد الاسلام والحيلولة بين الشعب التركى وبين التعليم الاسلامى كما هو جار الآن ، حتى لا تمضى بضع عشر سنة الا كان النشء الجديد فى تركيا ، أملس من الاسلام خاليا من العقيدة القرآنية بالمرة ، ولما كان غير ممكن أن يبقى شعب بدون عقيدة ،

فمن بعد أن يطمس آثار الاسلام فى تركيا لا يعود صعبا أن يميل الأهالى الى دين من أديان الأمم الغربية ، لو أعلن مصطفى كمال هدفه لثارت عليه تلك الأمم فى أربع وعشرين ساعة ، أما اذا تلاشى الاسلام تدريجيا من تركيا فسد منابعه عنها وأعلن بعد ذلك قوم من الأتراك اتخاذهم أحد الأديان التى يدين بها أهل أوربا لم يتولد عن ذلك هذه الهرائر ، وقيل ان بعض جمعيات التبشير الأمريكية التى فيها المستر برد الأمريكانى كان لها يد فى حمل أنقرة على القرار الأخير من جهة الغاء كون الاسلام دين الدولة وتسويته فى نظر الحكومة بالنصرانية واليهودية (م ٢ / ٧٢٢) .

— ٣ —

وكشفت الفتح عن أهداف الاتحاديين الذين لوثهم الفهم العنصرى للطورانية والدسيسة الماسونية بولائهم للدونمة ، ويقول الأمير شكيب ارسلان : هذه العصبية التركية التى ذابت فى الدين الاسلامى ، لقاء جريمة العداوة التى تتأجج فى قلوبهم للعرب هى من العوامل الخطيرة فى تحولهم عن الاسلام لأنهم يرون الاسلام دينا عربيا ، ولو تأملوا قليلا ، وتقصوا الكبر الذى فى رؤوسهم لرأوا أن الأمم الأوربية التى هى نحو سبعمائة مليون من أرقى أمم لم تأنف أن تنتمى الى رسول كريم ، ولما عقدوا معاهدة لوزان مع الحلفاء والتمسنا منهم أن ينزلوا عن حقوق السياسة العثمانية على البلاد العربية لأهل البلاد الخاصة جعلوا لدول الحلفاء مدخلا احتقار العرب ، وعامل آخر فى كرههم للشريعة لا يتفطن له الذين لم يعاشروهم ولم يقفوا على حقائق أمورهم ، فبينما الشعب التركى متمسك بالاسلام ، فهم يفكون العقائد تدريجيا وهذا ما يسمونه بسياسة المراحل ومنهم من يقول : تحوله تركيا ، فاما اسلام يبقى لسانه عربيا فلا سبيل الى قبوله ، وصاحب هذا المذهب ضياكوك الب ومن هنا جاء مشروع ترجمة القرآن الى التركى وخطبة الجمعة بالتركية .

— ٤ —

وأشار شيخ الاسلام مصطفى صبرى الى خطر الحروف الجديدة فى تركيا (الفتح ٣ — ١٩٢٨/١١/٨) فقال ان الحروف اللاتينية أمكن

أن يعتبروها تركية بين عشية وضحاها أما الحروف العربية التى استعملها الترك الف سنة فيرون أن ذلك غير كاف لكى تصير تركية ، ومعنى هذا أنه ليس فى الدنيا شىء أجنبى عن الترك بقدر ما العرب أجانب عنهم كيف لا وأتراك اليوم ينتحلون كل شىء لكل امة أخرى ما لم يكن عربيا ، ان عداوة الترك الحديثين للقومية العربية هى عداوة دينية ليس الا ، وبهذا الشعور لجأوا الى الحروف الأفرنجية واعتبروها حروفا تركية ، وقالوا بالتخلص من الحروب العربية ثم ليكن بعد ذلك ما يكون .

يجب على مفتونى أنقره (الذين ناصبناهم العداوة الكبرى أولا وآخرا لأجل عداوتهم للاسلام ولغة العرب) أن يعلموا علم اليقين واذا كانوا لا يعلمون فيجب على كل عاقل أن يفهمهم بأن مسألة الكتابة لا تنتهى بترك الحروف العربية ، فالذين يريدون أن يتخلصوا من العرب يجب عليهم أن يخرجوا الكلمات العربية من اللسان التركى واذا هم فعلوا فلا يبقى حينئذ شىء اسمه لغة تركية ، لأن اللغة التركية تشهر فى ذلك الحين افلاسها فيمتنع على الترك النطق والبيان .

وقد أنذرهم السير ادوار رينسون روسى مدير مدرسة اللغات الشرقية فى لندن فقال حذار من استعمال الحروف اللاتينية فى كتابة اللغة العربية لأن الحروف العربية هي حروف لغة القرآن واذا مسستم الحروف العربية مسستم القرآن بل هدمتم صرح وحدة الاسلام. ان الاسلام أساسه اللغة العربية فاذا ضاعت ضاع الاسلام .

وأشارت الفتح الى أن استعمال الحروف اللاتينية حول اللغة التركية الى لغة غير مفهومة ، مما يستدعى أن يتعلم التلاميذ لغة أوربية كلغة أساسية ليطلعوا على مآثر أجدادهم الغابرين وآبائهم الآخرين .

اتخذت حرف **S** للدلالة على الثاء والسين والصاد وحرف **Z** للدلالة على الذاى والزال والظاء وأبدلت حرف الذاى بحرف التاء وأبدلت حرف الخاء والحاء والهاء بحرف **H** فقط فتحولت كلمة ضالين الى دالين ، وعاملين الى آملين وصراط الى سرات وساعد الي ساعت » .

ومن ناحيـــة أخرى أشارت الفتح الى أن الشيوعية أخـــذت تنتشر فى تركيا وأن وفدا تركيا اشترك فى مؤتمر الكومنترن السادس السرى ، من الاتحاديين وقد عملت كشوف بأسماء لاتينية وطورانية لاجبـــار جميع أفراد الأمة على تسمية أولادهم بهـــذه الأسماء .

وقال مراسل التيمس فى تركيا : ان الاسلام مات فى الدولة التركية ومع أن الشعائر الدينية غير ممنوعة الا أنها لا تجد مشجعا لها ، ولم يعد الاسلام الا دينـــا لرجال الدين ، وتساءل السيد محب الدين الخطيب : هل حقا مات الاسلام فى تركيا ، أو قتل وان كان قد قتل فمن هم قاتلوه ، وقال الكاتب أحمد حلمى : ان هناك علاقة بين الأعمال ذات العلاقة بالاسلام التى تجرى فى تركيا منذ انتهت حرب الأناضول ، وبين انسحاب الخلفاء العجيب الغريب من مياه الآستانة .

— ٥ —

وكشفت الفتح فى ذكرى الغاء الخلافة عن جناية الكماليين فى مارس سنة ١٩٢٤ قالت : لقد انخدع المسلمون بذلك الرجل ، وأول من انخدع عامة الأناضول ، فيـــه وفيمن معـــه ، ان كان هو وقواده حين حاربوا لم يحاربوا الا بدافع الوطنيـــة فلا والله ما حارب الجنـــدى الأناضولى الا بدافع الدين الاســـلامى ولولا جامعة هـــذا الدين ، ما انتصر ، ووالله ما نصره اليهود والأفغان ولا دعا اليه المؤيدون ولولا ثورة الهنـــود غيرة على هذه الخلافة التى خلع مصطفى كمال طوقها ولوى بيده عنقها ما رأى مصطفى كمال الفوز الذى رأى ولا نال المركز الذى نال . لقد كانت بعض الألسنة تتحـــدث بأن الرجل يشرب الخمر فكانت القلوب تأبى التصديق وكان بعض الناس يطعن فيه وفى زمرته باللادينية فكانت النفوس تسرع جازمة الى التكذيب ولكن كان حديث حقـــا ونذير الخطر كان صـــدقا ، وما أظن ذلك الرجل ومن معه الا كانوا مبيتين لذلك حين قاموا بحركتهم الأولى ضد وحيد الدين ولعمرى لقد كان فى بعض ما نطقوا به من وجوب التفرنج وما فعلوه من اباحة الخمر بعد منعها ، ومن اكراههم النســـاء علي مخالطة الرجال برفعهم الحواجز عن محال النساء وغيرها فى عربات

الترام ، كل ذلك دل على دليل فى نفس الرجل ، وقد أدى اطلاق الحرية الاجتماعية والاباحة فى تركيا الى خطر انحلال عظيم فقد انتشرت الفاحشة فيها انتشارا مؤسفا ومخيفا ونشأ السفاح فتساقطت عشرات على الطريق.

— ٦ —

وتكشفت حقائق كثيرة عن البطولة الحقيقية فى حرب الأناضـــول وانها لم تكن بطولة مصطفى كمال وانما هى بطولة كاظم قره بكير وزملائه الذين خدعهم مصطفى كمال وأبعدهم ونسب النصر لنفسه كذبا وزورا .

وقد قال (كاظم قره بكير) فى تصريح له : اننا نحن الأتراك لم نتمكن من طرد العدو من بلادنا الا بانضوائنا تحت لواء الاســـلام ، وقد تحدث الأمير شكيب أرسلان (م ٥ ص ٥٧٨) عن هذا الأمر فقال : كانت تركيا قدرت أن تطرد اليونانيين الذين كانوا شنوا الغارة عليها واســـتباحوا حماها مدة أربع ســـنوات وما كان ذلك الا بقوة الرابطـــة الاسلامية ، وقد اعترف بهذه الحقيقة كاظم قره بكير على اثر خلاص تركيا وعقد معاهدة لوزان ، فقال يومئذ : لولا انضوائنا تحت لواء الاسلام ما أمكننا أن نخلص تركيا من الاستعباد . وكاظم باشا قره بكير هو فى الحقيقة منقـــذ تركيا وهو الذى بدأ بالثورة فى أرضروم على الخلفاء الذين وضعوا لتركيا معاهدة سيفر وجمع المجامع وعقـــد المؤتمرات ورفض تسليم الســـلاح على حين أن مصطفى كمال كان يحميه السلطان وحيد الدين فى الآستانة ولولا قره بكير وفتحه اريفان واستيلائه على الأسلحة الكثيرة والمواقع الكبيرة التى كان الحلفـــاء أعطوها للأرمن ليقاوموا بهـــا الأتراك ما كان هؤلاء قدروا أن يحاربوا يوما واحدا فضلا عن أن ينتصروا ، فكاظم قره بكير هو أصل المقـــاومة وهو البادىء بحركة الاستقلال والباقون انما انضووا اليـــه ، وسيعرف التاريخ له ذلك وهو مقر بأن الأتراك لم يكونوا ليخرجوا العـــدو لولا حمية الاســـلام » .

والمعروف أن الموقف تحول بعد ذلك وأن مصطفى كمال حقق للغرب وللصهيونية كل ما تريد وانهم استعانوا بالحاخام اليهودى (حايم ناحوم) من أجـــل تسلمهم السلطة وموافقتهم على مطالب النفوذ الأجنبى الصريح

فى خلع الاسلام ولغة قرآنه ورجاله من تركيا وذلك امتدادا لتبعية الاتحاديين للمحافل الماسونية التى استطاعت من قبل اسقاط السلطان عبد الحميد ففى مقال للفتح (م ٨٨٩/٩ سنة ١٩٣٥) يقول :

ان مسيو ليون قره صو مدير المصرف المعروف باسم ابن النائب اليهودى فى مجلس المبعوثان فى زمن الاتحاديين (نوئيل قره صو) هو الذى مثل دورا خطيرا فى السياسة العثمانية وتقويض خلافة السلطان عبد الحميد ، وعندما اشتدت الحالة فى الروملى ورأى أركان جمعية الاتحاد والترقى أن موقفهم بات خطيرا لجأوا الى مانوئيل قره صو أفندى المثرى اليهودى فساعدهم بأمواله وضمهم الى المحافل الماسونية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت تحت الحماية الايطالية ، فأخذوا يعقدون فيها اجتماعاتهم دون أن يتمكن السلطان عبد الحميد من الاطلاع على أسرارهم ومقاومة تدابيرهم ، وكان من جراء ذلك أن نجحوا فى مساعيهم وأعلنوا الانقلاب المزعوم ، وفى اليوم الثالث والعشرين من أبريل ١٩٠٩ عندما ألف الاتحاديون وفدهم لمقابلة عبد الحميد وابلاغه قرار خلعه رأسوا الوفد مانيوئيل مره صو افندى ليكافئوه على عمله وليحقروا الخليفة بارسالهم يهوديا لابلاغه قرار الخلع ، وقد أدرك عبد الحميد ذلك ولهذا رفض أن يحدث قره صو قائلا : ان يهوديا لا يمكنه أن يبلغ خليفة المسلمين قرار خلعه ، هذا ما نشرته صحف بيروت بمناسبة اسناد احدى مناصب الدولة العثمانية لابن قره صو.

— ٧ —

وأشارت الفتح الى تسرب الدعاية الكمالية الى سوريا فكتب الأستاذ مصطفى السباعى يشير الى ما يقوم به الكماليون فى سوريا وتخصيص مبالغ طائلة لنشر الدعاية القوية لمبادئهم فى نفس ضعفاء الدين والوطن من السوريين وتحبيب حكمهم اليهم وتأويل كل ما يعرفه الناس فيما يتعلق بموقفهم من الاسلام ، وأشار الى أن الجهود التى يقوم بها الكماليون فى الدعاية لخطتهم تستهدف سوريا فى دينها ووطنها وقوميتها ؛ وقد قامت الصحف السورية بوظيفة الدعاية الكمالية بمناسبة موت أتاتورك يؤيد ذلك تغريبيون أمثال عبد الرحمن شهبندر وقال : « انهم يفكرون

فى غزونا وازالة الصبغة الاسلامية عن وطننـــا وعلى الأمة ان تتبين مبلغ اساءتهم الى الاســـلام وعملهم على تقويض اركانه لئـــلا ينخـــدع بهم » (م ١٣ الفتح) .

واشار الأمير شكيب ارسلان الى موقف الأتراك من مؤتمر القدس الذى عقد عام ١٩٣٢ من اجل فلسطين فقال : ان مؤتمر القـــدس كشف عن أن العالم الاسلامى موجود سواء حضرت أنقرة أم غابت ، العـــالم الاسلامى ليس بسائر وراء أنقرة ، ولن يسير وراءها بالرغم من ملاحدة مصر ، والعالم المسيحى فى أوربا وأمريكا غير ســـائر فى محاربة الأديان على الخطة لتى تسير عليها أنقرة بل كما قلنا مرارا ان الأمم المسيحية لا تزال متمسكة بنصرانيتها واليهود لا يزالون متمسكين بيهوديتهم ، واهالى الصين والهند واليابان لا يزالون متمسكين كل أمة بعقيدتها ، هذا ببراهما وهـــذا ببوذا ، وهلم جرا ولا يشذ فى الدنيا عن هـــذه القاعدة الا ثلاث حكومات البلشفيك ، المكسيك ، وأنقرة .

— ٨ —

وكتب السيد محب الدين الخطيب فى الفتـــح م ٦ (١٩٣٢) يقول فى مواجهـــة موقف تركيا من الاســـلام : ان الخلافة ستعود ان شاء الله والمسلمون لن يبقوا بغير خليفـــة ، بل ان من أهم ما فى ميثاق الشـــبان المسلمين الذى يعاهد الشـــاب المسلم ربه عليه أن يكون عاملا مجاهدا فى سبيل احياء مجد الاسلام باعادة تشريعه وامامته الكبرى ، وما من مسلم الا عاهد ربه على العمل لذلك ، ولكن هذا الأمر الخطير يحتاج الى استعداد خطير ، وما دامت هذه الأمنية محفوظة فى قرارة نفس المسلم وقد عاهد ربه على السعى لهـــا فلا ريب أن الله عز وجـــل سيكافىء المسلمين بتحقيقها على أتم وجه متى هيأ أسبابها » .

وتحدث كثير من الكتاب عن التحديات التى واجهت تركيا : فأشار بعضهم الى ان جامع اياصوفيا تحول الى ما كان عليه باعطائه للكنيسة ، فتنزع منه آيات القرآن وتعاد صور القديسين والصلبان وتنزع منه آيات القرآن ، ويجرى الكشف عن الآثار النصرانية وصـــور الصلبان والرموز الدينية لتكون هي الظاهرة فى الجامع .

واشار الشيخ الزواوى : الى البدع السائدة فى الدولة التركية الجديدة بمخالفة نصوص الشرع فى الميراث والحجاب والزواج والاسراف فى الخمر ورقص الأجنبى مع الأجنبية فى المحافل ومخاطبة الأنبياء كما كتبوا تحت عنوان « الى حضرة محمد » .

وقال ان الحكومة التركية قد نخر فى عظامها النفاق والالحاد والفسق ، وان أهالى الأناضول مؤمنون مسلمون بمعنى الكلمة لولا جهلهم بالعربية وهم الذين قاموا بالجهاد فى سبيل تحرير البلاد .

واشارت الفتح (م ١٣ — يناير ١٩٣٩) الى موت أتاتورك وقالت ان المعجبين به فى مصر من أصحاب الأقلام والصحف راحوا يعددون مناقبه ويترحمون عليه وسودوا صفحاتهم بما سموه مآثره وحسناته ، أولئك هم أعداء الاسلام وقد سرهم ما نال دين محمد صلى الله عليه وسلم على يديه من ظلم وانه أطلق للشهوات العنان ، هؤلاء المتفرنجين الذين يجب أن نحاربهم بكل قوة ، ونمزق ما على وجوههم من قناع فهم يستترون وراء نغمة القومية ويفرقون بين الدين والدولة ، ويفصلون بين الحياة الشخصية والحياة العامة ، حتى يهزموا الاسلام ويرتكبوا كل منكر ، وها هو زويمر يقول : ان انتصار الاستعمار الحقيقى هو هدم الوحدة الاسلامية واحلال القومية محلها وما علينا الا أن ننفخ فى بوق القومية فينقاد لها الشعب وهذا هو الانتصار العظيم » .

الفصل الثالث

الصهيونية والقضية الفلسطينية

- ١ -

واولت الفتح اهتماما واسعا ضخما لقضية فلسطين فقد عاشت هذه المراحل الأولى من المؤامرة الصهيونية منذ ١٩٢٧ تقريبا الى مؤامرة التقسيم ١٩٤٦ ومنذ ذلك الوقت الباكر أخذت الفتح تكشف فى جراة عن أبعاد المؤامرة وخطرها والمخطط الصهيونى ، فقد نشرت فى المجلد الثالث (أكتوبر ١٩٢٨) البرنامج الصهيونى وأطلعت القارىء المسلم على هذه المحاولة الخطيرة فى الوقت الذى كانت فيه الصحف السياسية والحزبية خالية الذهن تماما من القضية أو موالية لها على النحو الذى عرف من بعض كتاب جريدة السياسة .

« البرنامج الصهيونى »

قالت الفتح : ان اصبع اليهودى هى التى وضعت نظام الماسونية ورسمت برنامج البلشفية وكتبت قانون الاتحاد والترقى . والاصبع اليهودية تزخرف الأزياء الاباحية للسيدة المصرية فى القاهرة والاسكندرية وفى باريس وفى واشنطون (شكوريل ، أورزدى باك ، وتيرنج ، البون مارشيه ، موروم) فالدعوة الى رفع الحجاب الاسلامى الصادرة من دار الهلال بقلم سلامة موسى ، والتى يكتب عنها محمود عزمى والتى يخطب فيها خطباء جمعية الشبان المسيحية والتى تشجعها جريدة الأهرام كل ذلك ليس بشىء فى جانب الوسائل التى يتخذها اليهود فى محل شكوريل ليجعلوكم أيها المسلمين امام امر واقع فى مسألة السفور والحجاب ، تقول التيمس : ان لليهود برنامجا أوله التساهل الواسع وآخره الاباحة والفوضى وكما يعمل اليهود لهذه الغاية سياسيا واجتماعيا فان متاجرهم الجميلة تعمل لذلك باسم التجارة والذوق والموضة . هل يعرف المسلمون الى أين هم مسوقون وما هى الأيدى التى تسوقهم ، عليك أن تعرف مركز المسلمين الحقيقى وأن تعرف ما يحيط بهم .

ولما كنت أعلم أن شراء الكماليات من عند شـكوريل لا معنى له غير التفريط بالمـال ، كنت أشاهده فى ذلك ولكنى لمـا علمت من الجريدة التى لا تلقى الكلام على عواهنه فى مثل هـذه الأمور أن اليهـود يجرون الشعوب الى الاباحية ، ووقفت فى محل شكوريل والبون مارشـيه أتأمل ما فيهما من ذرائع الاباحية ورأيت شيئا كثيرا ، فعلمت أن شراء الكماليات من مثل هذه المحـلات اليهودية تبديد من جهة ووقوع الأمة كلها فى كمين الاباحية من جهـة أخرى » .

واشارت الفتح الى خطط اليهود الشريرة حيث عثر أخيرا على مستند يفضح برنامجهم مكتوب بلغة (الأبديش) هـذا نصه :

ايها اليهود : لقد دنت ساعة انتصارنا العـام ونحن الآن فى عصر استلامنا قيادة العالم ، لقد استولينا على أزمة الأحكام فى روسيا وانجزنا خطتنا الأولى ، لقد كان الروس بالأمس أسيادنا فاصبحوا اليوم عبيدنا ، انزعوا من قلوبكم كل ذرة من الاشـفاق على أعدائنـا ، افصـلوا عنهم زعماءهم ، واوجدوا البغض من طبقـات العمال وبقية الشعب ، حاربوا فى سبيل الوصول الى غايتنا القصوى .

اللجنة المركزية للاتحاد اليهودى الدولى (لييننجراد)

— ٢ —

وعلى ذكر حـوادث فلسطين ١٩٢٩ بدأت الفتـح فى نشر كتاب (اليهـودى الدولى) تأليف هنرى فورد وترجمـة الدكتور على مظهـر (٢٤ أكتوبر ١٩٢٩ م ٤ ص ٣١٣) وقد نشرت أولى فصـوله فى صحيفة اسبوعية فى أمريكا (ذى درتورن اند نبداث) مايو ١٩٢٠ ووصـل بيعها الى ٣٠٠ ألف ـــ كتاب يخاطب الناس ، ترجم الى الألمانيـة وطبع خمسا وعشرين مرة فى آلاف كثيرة ، وقد جمع الكتاب كل ما يمكن أن يقال عن اليهود وعن حركاتهم واشتغالهم بالمسائل الاقتصادية والمالية وتدخلهم فى شئون غيرهم من البشر سياسيا واجتماعيا ووضعهم يدهم على كل مرافق الحياة ووسائل النشر والاذاعـة وتحكمهم فى الأسـواق واشتغالهم جواسيس لحساب بعض الدول الأخرى .

كما يتهمهم بذلك الألمان اثناء الحرب الأخيرة ، نصف مليون يهودي منبثون فى أنحاء المانيا وهو عدد جميع اليهود الموجودين فى المانيا فى السنوات الأخيرة ، وهذه المعلومات التى قدمها هنرى فورد برهن عليها برهانا قاطعا.

واشـــد متطرفى الصهيونية يعترفون بأنه العصر الذهبى فى تاريخ اليهـــود ، كان أيام أن كان للمسلمين العز والسلطان فى بلاد اســـبانيا والبرتغال ، وقد رأى اليهود انه بمجرد ان زالت سيادة العرب عن تلك البلاد وجلاء المسلمون عن ذلك الفردوس المفقود ذاق اليهود الذل والهوان وضربت عليهم الذلة والمسكنة وطردوا وحوربوا فى معتقـــداتهم الدينيـــة وصودرت أملاكهم وعذبوا العذاب الأليم فى تحريق وتشريد وهتك اعراض ونفى وقتـــل ووحشية محاكم التفتيش معروفة للنـــاس . ومن ثم تفرقوا فى بلاد العالم مرة أخرى ولكنهم لم يجـــدوا من الطمأنينة مثـــل ما وجدوا حين لجأوا لبلاد السلطنة العثمانية فأنزلوا على الرحب والسعة وسمح لهم بمباشرة طقوسهم الدينية وبمزاولة تجارتهم واعفوا من الخدمة العسكرية ».

— ٣ —

وفى عام ١٩٣٥ المجلد العاشر من الفتح وقد علت صيحة (تهـــويد فلسطين) يقول : ان القضية قد اتضحت أبعادها تماما ، وهى أنها حرب بين بنى اسرائيل وبنى اسماعيل وحـــرب على مربط البراق الاســـلامى وجدار الهيكل اليهودى حيث أن بنو اسرائيل يريدون امتلاك غربى الأردن وشرقى الأردن والعراق وبقية الشام وقد تمتد ضغوطهم الى خيبر ويثرب ليقيموا على هذه البقاع دولة بالتمركز على هيكل سليمان رتملى ارادتهـــا بعد قرن أو قرنين على دول الأرض جهرة على نحو ما يعبثون الآن باتجاهات أمم الأرض وحكوماتها من وراء ستار .

ويعتمـــد اليهود فى اقامة المملكة التى ستتمركز فى هيـــكل سليمان على غفلة العـــرب وتنافسهم على الجاه الكاذب واخـــلادهم الى الأرض وعلى شريهم اللذات والكماليات من اليهـــود بالنقـــود التى يبيعون بهـــا الاراضى ، وقالت ان سلاح بنى اسرائيل سلاح مزدوج ، شطرة الأضعف فى خزائن اغنيائهم وامخاخ رجالهم الفضـــلاء المخلصين لملكة اسرائيـــل

المنتظرة ، وشطره الأقوى فى يد العرب من تشتيت وتحاسد وبخل واختلال قيادة وفقر فى التنظيم . وأشارت الفتح الى أن ادارة المعارف فى فلسطين جعلت أكثريتها مسيحية حتى لا تخرج البلاد بشر مسلم فى عقيدته ونفسيته ، اما دار المعلمات فتراسها انجليزية ، وأصبحت مدارس البنات وصمة عار فى ايدى لا تخشى الله من مسيحيين وأجانب ، ومن ثم تدفقت الهجرة وتسلح اليهود وأقاموا الاستحكامات .

ومضت الفتـــح فى كشف صفحات خطط الصهيونية فأصدرت عددا خاصا من الفتح عن وعد بلفور (شعبان ١٣٥٤) كتب فيه عبد الرحمـــن عزام ، وشهبندر ومحمد علي علوبة ، وأسعد داغر وعبد الوهاب النجار .

— ٤ —

وفى مجـــلد الفتـــــح (ص ٦٠٨) بدأ الحـــديث عن بروتوكولات صهيون عن بحث للدكتور روزنبرج رئيس محكمة النازى الخاص بالشئون الخارجية ، فقد بحث ما يسمونه بروتوكولات صهيون التى كانت موضوعا للقضية الخطيرة التى نظرت أخـــيرا فى مدينة برن ، فقد نشر مقالا مطولا فى جريدة فولكشتر برنجيز أراد به أن يبرهن على صحة هذه البروتوكولات وأشارت الفتـــح الى مأساة انتزاع أراضى فلسطين من أصحابها العرب بوسائل الاغراء المختلفة ، وذلك نتيجة لانشاء صندوق رأس المال القومى اليهودى فأصبحت هذه الأراضى التى اشتروها قطعة مستقلة عن البلاد ولم يعد فى وسع العربى أن يجنى منها أية منفعة سواء فى الوقت الحاضر أو المستقبل ، ولم يقتصر الأمر على أنه لم يبق للعربى أى أمل استئجارها وفلاحتها فحسب ، بل جعلت العربى مضطرا الى الاشتغال فى هذه الأراضى كعامل .

وفى عام ١٩٣٥ (م ٨) أولت الفتح اهتماما واسعا للهجرة اليهودية الى فلسطين فقالت اذا كان عـــدد من ينزل فلسطين من اليهود كل عام ٢٥ ألفا فى كل سنة ففى ١٩٤٧ أى بعد أربعة عشر سنة يتساوى العرب واليهود فى فلسطين ثم يصير العرب بعد ذلك أقلية ، وهذه حقيقة مخيفة جدا والمسلم الفلسطينى اذا استخف بنتائجها فليتهم نفسه بالخيانة العظمى

بدون تردد والمسلم من اى جنس ان لم يعاون المسلم الفلسطينى على ابقاء فلسطين عربية اسلامية فليعلم أن علاقته بجامعة الاسلام قد طرأ عليها وهن فهى فى حاجة الى معالجة واصلاح . ان تهويد فلسطين يرجع الى عاملين : عامل خارجى وهو السياسة الصهيونية التى سعى اليها اليهود واقرها الانجليز ، وعامل داخلى وهو ضعف عرب فلسطين ، ومما لا ريب فيه ان العامل الخارجى يعتمد على العامل الداخلى ، ويرى انه أمضى أسلحته ولولا عامل الضعف هذا فى المسلمين لكانت السياسة الصهيونية اقل اثرا .

ان فلسطين ستكون يهودية بعد اربعة عشر عاما ان لم يغير عرب فلسطين ما هم فيه ، ما دامت هذه الاحن العائلية موجودة ، فليبداوا أولا بازالة الاحن وهى لا تزول الا بالتحرر من دنس الشهوات ثم مباشرة عملية الانقاذ .

— ٥ —

تناولت الفتح قضية البراق التى اثارها العرب والتى حكم لهم فيها حكما واضحا بانها أرض اسلامية عن طريق لجنة البراق الدولية قالت الفتح :

البراق بقعة اسلامية يجب أن تبقى كما كانت ، ان البراق الشريف مكان له قدسية فى نظر المسلمين وهو فوق ذلك السور الغربى للمسجد الأقصى المبارك الذى هو القبلة الأولى وثالث الحرمين الشريفين فاذا كان المسلمون سمحوا لليهود بزيارة هذا المكان فبفضل منهم ، وليس لليهود أن يحولوا هذا المكان الاسلامى المحض الى كنيس يهودى وليس للحكومة البريطانية أن تساعدهم على هذا التحويل الذى يضطرب له العالم الاسلامى ولا يقبله باى صورة من الصور أما موقف الحكومة البريطانية فهو موقف ضائع .

وقد اعترفت الحكومة البريطانية فى الكتاب الأبيض بملكية المسلمين القطعية للبراق الشريف ، والوثائق التى أبرزتها السلطات الاسلامية تؤكد بأنه ليس فى استطاعة اليهود ابراز اي شىء مثلها يؤيد اي ادعاء لهم

ونرى أن بريطانيا قد انقلبت على عقبيها أمام هجمات اليهود وأعلنت أنها تشكل لجنة جديدة دولية لحل مسألة البراق .

وتحدثت الفتح عن ما دار فى لجنة البراق الدولية عند انعقادها :

وكان خلاصة ما تقدم به الشهود المسلمون هو الآتى :

« لا جدال أن الجدار الغربى هو جزء من المسجد الأقصى وهو مقدس عندنا معاشر المسلمين وان المر الذى بجانبه هو ملك المسلمين وهو وقف مقدس فكلاهما — أى الجدار والمر — يؤلفان مكانا مقدسا يدعى البراق له فى نظرنا من الحرمة والقداسة ما لكل مقام دينى وان المسلمين تسامحوا بأن يزور اليهود وغير اليهود ، ذلك الجدار لا أكثر وان ليس لليهود أن يدعوا أن لهم من الحقوق أكثر من ذلك » .

وقد أصدرت اللجنة قرارها الحاسم القاضى على آمال اليهود فى البراق :

« مكان البراق والمر المجاور له وقف اسلامى منذ ٢٤ رجب ٦٦٦ هـ الى الآن وقد جاء رئيس المحكمة الشرقية فى القدس يحمل الى لجنة جمعية الأمم حجة الوقف الصادرة من الملك الأفضل أكبر أنجال السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ومستند آخر وقفه سيدى أبى مدين شعيب فى ٢٩ رمضان ٧٢٠ هـ (الفتح م ٥ ص ٩٧ المحرم ١٣٤٩ هـ) .

— ٦ —

وكشف الفتح عن بروز الدعوة الى العروبة سنة ١٩٣٩ بعد حوادث فلسطين والدعوة الى بعث التاريخ العربى فى مواجهة القومية اليهودية التى برزت فى السيطرة على فلسطين ، وتحدث فى هذا الكثيرون منهم محمد على علوبة وعبد الرحمن عزام وكثيرون : يقول محرر الفتح :

وكان للعروبة قبل الحرب العظمى الماضية رجال يترفعون عن حظوظ النفس وشهواتها ويدوسون بأقدامهم لذائذ الظهور ورغبات الرفعة والجاه ، ويوجهون قوى النفس كلها نحو الأمل الأعظم ، نحو الأمل المعلق من قبة السماء فيما وراء السهى ، أما الآن فخلفاء هؤلاء مشغولون بالاختلاف على الكراسى ، والمطلوب استلال أسباب الفرقة من قلوب العاملين ،

نحن الآن أمام كيان هيأه الله لقوميتنا ، كنا نتمنى قبل الحرب العظمى أن نرى بعضه ولو فى الحلم ومن واجب الشكر لله عز وجل على هذه النعمة أن نحسن التصرف فيها والاستفادة منها ولا يكون ذلك الا بتوحيد الصفوف ».

وفى نفس الوقت أخذت الفتح تكشف الستار عن مخططات الصهيونية وخاصة فيما يتعلق بتاريخ مملكة اسرائيل التى كانت مملكة أشرار وعبادة العجل — وهى حجة اليهود فى فلسطين — وتمكن اليهود من كنوز فلسطين العربية من تاريخ وعود بلفور ، ودفاع العرب الاقتصادى لبقاء فلسطين عربية كما نشرت وثيقة هامة عن قضية فلسطين ألقاها محمد على علوبة فى مؤتمر القاهرة البرلمانى للبلاد العربية والاسلامية (الفتح م ١٣ ص٥٦٤) .

وقد كتب السيد محب الدين الخطيب فصلا مطولا عن مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل كما تحدثت عنهما التوراة وأورد نصا للامام ابن حزم فى كتابه الفصل فىالملل والأهواء والنحل حيث يقول : والله ما أخذت الأمم قط يعقوب ولا من بعده ولا خضعت لهم الشعوب، ولا كانوا موالى اخوانهم، بل بنو اسرائيل خدموا الأمم فى كل بلد وفى كل أمة ، وهم صنعوا للشعوب قديما وحديثا فى أيام دولتهم وبعدها ، فان قالوا سيكون هذا قلنا لهم :

قد حصلتم على الصفار يقينا والأمانى بضائع السخفاء

ونقل الفتح من حديث خليل ثابت رئيس تحرير المقطم الى الدكتور وايزمان زعيم الصهيونية (١٩٤٠ م ١٤) قوله أن مشروع الصهيونية فى فلسطين مقضى عليه بالحبوط مهما يصيب من النجاح المبدئى ، لأنه مناقض لنواميس الاجتماع والعمران وان قومه عجزوا عن البقاء فى فلسطين لما كانوا يسودونها ولهم فيها ملك ودولة وجيش فلا يعقل أن يصلحوا حيثما فشل الصليبيون وهم جيوش أعظم دول أوربا فى القرون الوسطى وان الحكم الصهيونى فى فلسطين مصيره الى التلاشى سواء لقى الصهيونيين تأييد دول أوربا وأمريكا أم لم يلقوا ، فسيكون حبوط مشروع الصهيونية هذا مما يسجله التاريخ فى ذلك النصر عينه ، ويصبح وعد بلفور ذكرى تاريخية تدل على قصر النظر وعظم نفوذ اليهود فى أوربا وأمريكا واستخفاف أقطاب السياسة الأوربيين والأمريكيين بمصير شعوب الشرق الناهضين .

– ٧ –

ثم توالى الفتح أحداث فلسطين حتى تصل الى عام ١٩٤٦م/١٣٦٥هـ حيث تصل قضية فلسطين الى طورها الحاسم .

تقول : في يونيـــة ١٩٢٢ وقف اللورد بلفـــور فى مجلس اللوردات البريطانى وقال :

ان الوطن القومى اليهودى تجربة خطـــيرة ولكن الرحمة المسيحية تقضي بهذه المجازفة ، وصرح حاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية ١٩١٩ فقال : ان غرضنا أن نؤسس لوقت قصـــير الأمد ، أوضاعا فى فلسطين تصبح معها البلاد يهودية كما هي بلاد الانجليز انجليزية وأمريكا أمريكية ، ويتحـــدث عن حكومة الانتـــداب والصهيونية ، وانتزاع وتمليك الأراضي المملوكة ، كنوز البحر الميت ، وتسليح ســـكان المســـتعمرات اليهـــودية وما زالت السفن تقذف الى سواحل فلسطين بشذاذ الأرض من اليهود حتى قفزت نسبتهم العددية من العشر أو أقل الى الثلث فأكثر .

وقالت لجنة التحقيق المختلطة : ان فلسطين ليست بلادا عربيـــة وهي تعلم أن سكانها المولودون فيها أبا عن جد هم سلالة سكانها فى تاريخ الاسلام وقبل الاسلام وقبل اسرائيل واسحق وقبل نزوح ابراهيم من أور الكلدانيين فهم السكان الأصليون وهم الورثة الشرعيون لأجدادهم من عرب الاسماعيليين ومن كنعانيين أو أراميين ، أما اليهود الأقدمون فهم أجانب نزلاء ، والأوربيون الحديثين أجانب نزلاء . وعلى المسلمين من سور الصين وجزائر أندونيســـيا الى سواحل بحـــر الظلمات أن ينظموا دفاعهم عن فلسطين » .

ثم تحدث عن الأحداث بعد قرار التقسيم وقال : ان أمريكا تسعى الى فرض تقسيم فلسطين وقدم حقائق عن اليهود بدأت تنكشف فى هذه الفترة :

من هـــذه الحقائق أن اليهـــود عامة ويهود أوربا وأمريكا ليسوا من بنى اسرائيل وانهم بشهادة علماء الأخبار وأبناء الأقطار لا ينتمون اليهـــا

ويبعدون كل البعد عن نسل ذلك الشعب القليل العـدد الذى جاء ذكره فى الكتب المقدسة . أورد قول وليمز نوميسون : استطيع ان اقرر ان الصهيونية كالنازية سواء بسواء ، ليس من المعقول أن نتحيز للقضاء على النازية فى المانيا ونؤيد الصهيونية فى فلسطين . وأورد السير ادور سيزر : لقد أثبتت الصهيونية انها كارثة تهدد البشرية وقد فتحت الأبواب لتغلغل الشيوعية فى الشرق الأوسط مما قد ينتج عنه حلول كارثة لا يعلم أحد مدى نتائجها فيما يتعلق بحضارة العرب .

وأشارت الفتح الى قرار التقسيم الظالم : الذى يقر قيام دولة صهيونية فى قلب بلاد العرب لا تنال فلسطين وحدها ولكنه يتعداها الى كل وطن عربى آخر بجوارها الى الأوطان الاسلامية ، فاليهود لا يخفون مقاصدهم ولكنهم يجاهرون بها ويهتفون بأن ملك اسرائيل من الفرات الى النيل ، ثم انهم ليحلمون بيثرب موطن بنى قريظة وبنى النضير سابقا ومهوى قلوب المسلمين وأفئدتهم جميعا اليوم ومستقر أكرم انسان عرفته الانسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » .

ثم تناولت الفتح بالحديث : الجهاد فى سبيل تحرير فلسطين .

وتحدثت عن تاريخه فى شريعة الاسلام « لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم الا ما أصابهم من لأواء ، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك ، قالوا يا رسول الله وأين هم قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس ، وقال تقتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء حجر فيقول الحجر يا عبد الله » .

وتحدثت الفتح عن انشاء جامعة الدول العربية ولجوء أمين الحسينى الى مصر (رجب ١٣٩٥) والدعوة الى بعث الاسلام من جديد ، وهو مصدر بعث العرب من جديد « أعظم مطالب الحق أن تقوم لتراث الاسلام وأماناته دولة — أو دول — من أهله يحنو عليهما وتجدد من شبابهما ويبعث فيهما الحياة وتدفع بهما الى ميدان العمل .

الفصل الرابع

قضية شمال افريقيا

– ١ –

لقد أولت الفتح اهتماما لقضايا شمال أفريقيا على نحو ضخم بالغ الاهمية والخطورة فعنيت بالتفاصيل الدقيقة لحركات الاستقلال فى الأقطار الأربعة : ليبيا وتونس والجزائر والمغرب (مراكش) وكان أكبر اهتمامها لقضيتين :

أولا – قضية التنصير التى قامت بها القوى الاستعمارية فى تونس (والمؤتمر الافخارستى) .

ثانيا – قضية الظهير الديرى التى قامت بها القوى الاستعمارية فى المغرب .

ثالثا – احتفال الاستعمار الفرنسى بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر .

وقد كشفت الأحداث أن هناك حملة لاتينية مدبرة من ايطاليا وفرنسا واسبانيا على شمال أفريقيا وكان الدكتور خالد شلدريك أول من كشف هذه المؤامرة ثم جاء الأمير شكيب أرسلان فكتب فى الفتح فى رمضان ١٣٤٩ مبحثا مطولا جاء فيه :

الآن نجد الدول اللاتينية الثلاث (فرنسا وايطاليا وأسبانيا) ممالئات على الاسلام يهضمنه من كل ناحية برغم ما بينهن من خلاف . فرنسا قد عملت عملتها فى مسألة البربر ولم تزل مصرة على سياستها البربرية التى تستعد لها منذ زمن طويل وهى (فرنسة) هذا الشعب وتنصيره ، وقد خاطبت الحكومة الأسبانية سرا ولم تلبث أن ظهرت نتيجة تكامل هاتين الدولتين فى الضغط الذى شرعت به أسبانيا فى منطقة الريف بعدم

الاذن لأحد به السفر الى خارج المنطقة الأسبانولية ، وبوضع العراقيل فى طريق التعليم الدينى الاسلامى وبغير ذلك من التدابير والأوامر القهرية التى جاءت بها أسبانية ملبية لداعى فرنسته . لقد اتحدت فرنسا وأسبانيا على (عبد الكريم) والأسبان برغم عدم ميلهم للفرنسيين يلبون مطالب هؤلاء فى تضييق الخناق على أهل الريف وكذلك عمل الجنرال الطليانى فى برقة من اجلاء ٨٠ ألف من عرب الجبل الأخضر الى صحراء (سرت) وحصرهم ضمن أسلاك شائكة فى منطقة مجدبة يهلكون فيها من قلة الماء والكلأ حتى يبيدهم بهذه الوسيلة ، ويحل محلهم المستعمرين الطليان . اذن الدول اللاتينية الثلاث حاملة على الاسلام كدين بعد أن حملت عليه كدنيا وطالما أعلنا وذكرنا أنه من لم يكن له دين وان من لم يكن له سلطان فليس له قرآن هذا يدل على أن المستعمرين الجغرافيين يكذبون عليك أفظع الكذب ويضللونك أشنع التضليل عندما يقولون لك ان الدول الأوربية قد نبذت الدين المسيحى وانها لا تقيم له وزنا ، وانها فصلت الدين عن السياسة ولذلك فقد فازت هذا الفوز العظيم ، وان المسلمين انما تأخروا وتقهقروا من جراء استمساكهم بدينهم وتلاوة قرآنهم » .

وأشارت الفتح الى مخطط الحرب الصليبية فى المغرب م ٦ (١٩٣١ — ١٩٣٢) وانه من رباط الفتح فى المغرب أعلنت هذه الحرب ، من اصرار فرنسا على سياستها التبشيرية ، واطلاق أيدى المبشرين والمبشرات فى صميم بلاد البربر ، حيث يوجد ٨٠ مركزا للتبشير فى مختلف المدن الكبرى فى المغرب ، وان جهود البشرين احتلت سهول المغرب وجباله ومناطقه الخاضعة والثائرة ، ويعاود الأمير شكيب أرسلان الحديث عن الحرب الصليبية الجديدة فيقول : ان هذه الحرب ليست قاصرة على الأمم اللاتينية بل ان جميع الأوربيين الا أفرادا قلائل هم يكرهون الاسلام ، المبشرون والقسوس سواء كانوا من البروتستانت أو من الكاثوليك هم اشد عداوة للاسلام من كل البشر ، دعا شيخ ايطالى : (ايطاليا وفرنسا وانجلترا وأسبانيا) لعقد حلف يكون به هذه الدولة كتلة ضد العرب ، كذلك فعل موراسى الكاتب الفرنسى المشهور . أن فرنسا تسمى مراكش والجزائر وتونس بفرنسة الأفريقية وتفكر فى مستقبل هذه البلدان ومستقبل الاسلام بها ، ويبحث الفرنسيس فى وسائل محو الاسلام منها

ولو تدريجيا ، ان محاولة اخراج البربر من الاسلام هو من جملة آمال الفرنسيس ، لزيادة توطيد اقدامهم فى شمالى أفريقية ويرون أن شمال أفريقيا يبقى تحت خطر الانسلاخ عن فرنسا ما دام أهله مسلمين لأن الاسلام لا يسمح بأن يقبل أبناؤه سلطة الأجانب عليهم ، لذلك وجب تحويل مسلمى المغرب ولو بالتدريج الى المسيحية .

وكتب الحسن ابو عياد موضوعا عن قصة اخراج البربر من الاسلام.

وأشارت الفتح الى مقاصد ايطاليا وفرنسا وأسبانيا فى شمال أفريقيا (م ٦ الفتح ص ٣٥٤) فقالت : لم تعد هذه الدول مقتنعة بالفتح والاستيلاء وضرب الذلة على السكان المسلمين فى هذه الأقطار ولكنها آخذة فى طرق نشر ثقافة وديانة فرنسا وايطاليا وبالاختصار قلع الدين الاسلامى من تلك الأقطار لتحل محله النصرانية وبالأخص الدين الكاثوليكى .

— ٢ —

تنصـــير البربر :

وأولت الفتح اهتمامها بقضية تنصير البربر فكتبت فى المجلد السابع (ص ٧٠٤) فصلا مطولا أشارت فيـــه الى سياسة فرنسا التى تعمـــل على احياء الأعراف (جمع عرف وهى العادة) البربرية القديمة قبـــل الاسلام وادماجها فى القانون الفرنسى وتكوين خليط منها تفرضه على المغاربة حتى يتحاكموا اليه بدلا من القانون الاسلامى ، وقد بدأت فرنسا بتطبيق هذه السياسة ١٢٧٦ هـ — ١٨٥٩ م فبعد أن كانت أحكام الشرع الاسلامى هى مرجع البربر وجميع المغاربة فى أقضيتهم ، أصدرت فرنســـــا قانونا فى الجزائر يحرم القبـــائل البربرية من أحكام الشريعة الاسلامية وزعمت أن مسلمى البربر هم الذين طلبوا احياء أعرافهم الجاهلية وتأليف أنظمة قضائية واحلالها محل الشريعة الاسلامية ولم يأت عام ١٢٨٨ هـ — ١٨٧١ م حتى قامت هذه القبائل بثورة مسلحة تحت قيادة سيدى المقرانى وحاصرت حصون الفرنسيين ومعسكراتهم وأخيرا فرضت فرنسا على هذه القبائل غرامة حربية بلغت ٢٦ مليون فرنك فرنسى وضبطت جميع أملاكها ووزعتها على مهاجرى الالزاس واللورين (نصف مليون هكتار) وأصدرت فرنسا

أمرا جديدا ١٨٧٤ م — ١٢٩١ هـ يقضى بالغاء الجماعات البربرية وابطال اختصاصاتها القضائية وفرض على القبائل البربرية أن تحاكم الى قضاة فرنسيين يتولون الحكم بين أفرادها وفق العادات البربرية فيما يتعلق بالأحوال الشخصية ، فضلا عن القيود المدنية والأملاك العقارية ، ثم نزعت قضاتهم وأصبح قاضى الصلح فرنسيا ثم أوكلت جميع أعمال المحاكم الاسلامية الى محاكم الصلح الفرنسية وجاءت فرنسا الى المغرب ١٣٣٠ هـ — ١٩١٢ م على أساس معاهدة أطلقت عليها معاهدة الحماية التزمت فيها بأن جميع الاصلاحات التى تقوم بها داخل المغرب الأقصى لا تمس الدين الاسلامى بسوء فى قليل ولا كثير ولكن فرنسا لم تلبث أن بسطت سلطانها على المغرب الأقصى تحت ستار معاهدة الحماية وقد جاءت فرنسا الى المغرب الأقصى غارقة فى حلم الامبراطورية الفرنسية بأفريقيا ومشروع انشاء فرنسا أفريقية على ضفة البحر المتوسط مقابل فرنسا الأوربية على الضفة الأخرى ، وتحمل معها منهجا استعماريا خطير التحقيق : ذلك المشروع هو منهج السياسة البربرية حيث يصبح المغرب الأقصى كالهند لانجلترا .

وكان القائد ليوتى هو واضع برنامج الاستيلاء على المغرب تكملة للجزائر ولم تكن حكومة الحماية لتستقر فى الرباط حتى أنشئت مدرسة اللغة العربية واللهجات البربرية ١٣١٣ تمهيدا للسياسة البربرية فى المغرب الأقصى ، وقد استصدر (ليوتى) ظهيرا لم يسبق له نظير فى تاريخ المغرب كله منذ دخل الاسلام ١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م قرر فى مقدمته نفس النظرية الفرنسية فى السياسة البربرية بحذافيرها بينما علماء الانثربولوجيا يعترفون بأن الغرب الأقصى ليس فيه اليوم الا عنصر واحد هو وليد العنصرين العربى القديم والبربرى والأندلسى المعاصر المكون منهما وان القبائل البربرية هى التى لا تزال اللهجات القديمة شائعة بينها وان القبائل العربية هى التى لا تعرف تلك اللهجات بينما علماء الابتوغرافيون يسجلون ان القبائل المغربية — بربرية وعربية — قد التحم بعضها ببعض وخضعت جميعها لظروف واحدة ، ويسجلون كون القبائل المغربية اليوم انما هى قبائل جديدة تكونت تكوينا جديدا تحت تأثير الاسلام والعروبة ويثبتون

صعوبة التمييز بين القبائل من أصل عربي أو بربري ، الأمر الذى له تمام الدلالة على أن الأمة المغربية أمة متوحدة ذابت فيها العناصر المختلفة ونشأت نشأة جديدة ولا يوجد الا جنس واحد هو الجنس المغربى المسلم ، اذ فرنسا تجنت على التاريخ والحقيقة الواقعة بدعواها أنه لا يزال يوجد فى المغرب جنس خاص يحمل خصائص معينة هو الجنس البربرى لتتخذ من ذلك تكأة تتكىء عليها فى تنفيذ سياستها البربرية وتفتأت على الحقائق بأن هنـاك الى جانب القوانين الاسلامية المغربية قوانين بربرية تختلف عن قوانين الاسلام تمام المخالفة كما تختلف أعراف الجاهلية عن تعـاليم الاسلام ، وقد عملت فرنسا على جعل اللغة الفرنسية هى اللغة الرسمية للجماعات البربرية وأقامت جهات قضـائية يتحاكمون فيها على أسـاس أعراف البربر القديمة (محمد المكي الناصرى — ص ٧٠٧ م ٧ سنة ١٩٣٣).

— ٣ —

ووالت الفتح اهتمامها فتحدثت عن الظهير البربرى (١٦ مايو ١٩٣٠ م ١٣٤٨ هـ) الذى تنازل فيه ملك المغرب للحكومة الفرنسية عن حق التدخل فى شئون البربر الدينية والمقرون بانشاء محاكم عرفية للبربر تنظر فى كل شئونهم المدنية والجنائية وقالت الفتح ان هذا الحادث حلقة من سلسـلة يتألف منها خطة مرسومة لتنصير المغرب الأقصى ، وكان الابتداء به من البربر لأنهم يتألف منهم الأكثرية الساحقـة ، ولأن سـوادهم الأعظم ليس لهم من التهذيب الدينى ما يكون لهم من المناعة الكافية لدرء خطر التنصـير .

وأشار الى دعوى الفرنسيين من أنهم جاءوا المغرب لينقذوا البربر وينتقموا لهم من العـرب الذين احتلوهم وسلبوهم المسيحية من أفئـدتهم وانهم عاملون على ارجاعهم الى حظيرة الكثلكة والصليب ومما يدل على ذلك افتتاح الفرنسيين مدارس فى أوساط البربر خالية من كل ما يذكر بالعربية والاسلام ، وهذه المدارس منها ما هو للبنين وما هو للبنات ، تومىء بالبنات على خلاف رضى أبنائهم ، ينقلون مبادىء الفرنسية والدروس المسيحية فى كتب المطالعة تمجيد للمسيحية وتأليه لفرنسا وشتم للعرب وانتقـاص من كرامة المسلمين .

وأشار الى لجوء المغاربة الى بيوت الله وضراعتهم الى الله اللطيف أن يكشف عنهم البلاء العظيم ، هذا الظهير يحظر على البربر أن يتحاكموا الى الشرع الاسلامى وقد منعت الادارة فى تطبيقه بناء المساجد وقراءة القرآن والتعليم باللغة العربية .

وقد وجه السيد محب الدين الخطيب نداء قويا الى المسلمين بهذه المناسبة يدعوهم الى مؤازرة اخوانهم فى شمال أفريقيا فقال :

أيها المسلمون : أنتم تستقبلون حربا صليبية لا تعد حروب زمن صلاح الدين فى جانبها شيئا مذكورا ، ان الحرب الصليبية الماضية كانت بالسيف والترس ، أما الحرب الصليبية العصرية فانها بالمدارس والمؤلفات والدسائس والدعايات ، وكل ذلك يرمى الى هدم الاسلام من قلوب المسلمين .

وقد وجه النداء من القاهرةالى ملوك الاسلام ونداء من الأزهر فى مصر الى الزيتونة فى تونس الى القروين فى فارس الى تيولند فى الهند ومعهد النجف فى العراق وجمعيات دلهى وأندونيسيا وسومطرة وجاوا وجاكارتا والقدس وبيروت والصين وقع عليه : عبد الحميد سعيد ، رشيد رضا ، الزنكلونى ، أبو العيون ، شلتوت ، الربيعى ، الدرديرى ، الهلباوى ، محب الدين الخطيب ، الحسنى ، دراز ، الفخراوى ، جودت ، طنطاوى جوهرى ، الفاروقى ، يونس الأندونسى . تحت عنوان : محاولة تنصير ٧ ملايين من المسلمين واخراجهم عن دينهم بالقوة .

وكشفت الفتح عن مدى رد الفعل فى المغرب والثورة الفكرية القائمة على سياسة تنصير المسلمين ، وكتبت جمعية المحافظة على القرآن وجمعية الهداية وجمعية الشبان وجمعية اللواء الاسلامى برقيات احتجاج على التنصير الاجبارى وسياسة فرنسا المكشوفة بالمغرب الأقصى ، وفى نفس الوقت تتابعت الأحداث واعلان أنقرة اغلاقها لثمانين مسجدا ، واستيلاء ايطاليا على بعض زوايا السنوسية واخراج فرنسا البربر من الاسلام بحجة أنهم نصارى وأنهم عرق أوربي وتتابعت الاحداث فكتبت الفتح

عن « الحملة الصليبية التاسعة فى المؤتمر الافخارستى فى قرطاجنه فى تونس » .

قالت : أعلن البربر سخطهم على الخطة الدميمة التى سلكتها فرنسا بقصد ابعاد الأحكام الاسلامية عن الحياة البربرية ، وبلغ عدد المعتنقين من أبناء القبائل البربرية اربعة آلاف رجل ، رغم كل الوسائل التى اتخذت لاظهارهم مظهر الراضين ، عن الظهير المشئوم كاف لاعلان أن تلك المزاعم كافية ، فهم لا يفضلون عاداتهم الجاهلية على أحكام الاسلام وتحدثت الفتح عن ثورة قبائل البربر فى سبيل الاسلام (حزيفة ، وخيفرة ، وابت شعر وشين ووادى أم الربيع ، وأولاد عمران) كلهم ثائرون على فرنسا .

— ٤ —

وأولت الفتح اهتمامها بمرور مائة سنة على استعمار الجزائر (الفتح م ٤ ص ٧٨١) ١٣٤٨ هـ — وأشارت الى صرخة أحمد زكى باشا شيخ العروبة الى حجاج بيت الله والى جميع العرب والمسلمين بمناسبة احتفال المسيطرين عليها بمضى مائة عام على استعمارهم لهذه الأقطار العربية ونحو اخوانهم فى طرابلس الغرب ، قال : الله ينظر لكم ، الرسول يتقاضاكم ، الاسلام يطالبكم بدعوة الحجاج الدعاء لله مخلصين لرحمة اخواننا ، لنرحم اخواننا بالمشرقين والمغربين وخاصة بالجزائر وطرابلس فقد نزلوا بتخاذلهم وبتغاضينا عنهم الى أقصى دركات المذلة والهوان واليوم يحتفل الغاصبون للجزائر فى الجزائر برسوخ قدمهم على أعناق العنصر الوطنى ويتشدد المفترون على طرابلس ، فى طرابلس لازهاق الروح العربى ، وكلاهما قد جعل أهل المغرب فى بلادهم عبيدا فى ديارهم ، قولوا للحجيج بكل لسان وبكل وسائل النشر والاذاعة والاعلان ، ان الفريضة ليست مقصورة على هرولات وحركات بل لها ذلك المعنى السامى البعيد المرامى الذى أراد به القرآن فى ذلك الميقات السنوى تعرض الجهود لتوحيد الصفوف لتعود الأمة الى سيرتها الأولى وتقيم صرح عظمتها الجديد على قواعد الوطن والأخلاق والدين » .

وتحدثت الفتـــح عن عمل فرنسا فى الجزائر فى مائة سنة فقالت :

احتفلت فرنســـا بمرور مائة ســـنة على احتلالها للجزائر ، وقالت الصحف اننا نود للجزائريين أن يصيروا مثلنا وأن يتأدبوا بآدابنا وحينئـــذ ينهضون من الدرك الذى وضعوا فيه أنفسهم ، بمحافظتهم على تقاليدهم واحوالهم .

● وتحدثت الفتح (م ٦/٩٧) عن خطر التيجانية وولائها للاستعمار الفرنسى ، وقالت ان صاحب الســـجادة الكبرى ألقى خطـــابا بين يدى الكونتول سيكلونى الفرنسى تحـــدث فيها عن الخدمات الجليلة الصالحة التى قامت بهـــا الطائفـــة التيجانية لفرنسا فى توطيد الاستعمار الفرنسى وفى سبيل تسهيل مهمة الاحتـــلال على الفرنسيين وفى اشارات التعقل التى كانت تسببها هذه الطريقة الصوفية لمريديها .

وتحدث الفتح عن ما أسمته عيد الرقى المئوى للمسلمين فى الجزائر : جاء فيها أن الجزائريين طالما احتجوا على هـــذا التحكم لما وقع فى ثورة السيد سليمان بن صنذة الأباسنجى ١٢٨١ وثورة السيد المقرانى والشيخ الحـــداد ١٢٨٨ ثم ثورة أبى زيالة العلمى ١٣٧٨ لأن المســـلم الجزائرى غريب فى وطنه الى حد أنه لا يتمتع بالحقوق القضائية والمدنية والسياسية التى يتمع بها اليهود والأجانب المقيمون فى الجزائر ، فضـــلا عن انشاء الخمارات ودور الفسق وتدمير مآذن المساجد وقبابها بالمدافع .

● وتحدثت الفتـــح (م ٣/٣٥٤) عن الجراء وطن عربى تقطنـــه خمسة ملايين عربى وبربرى مسلمون منذ أربعة عشر قرنا كاملة ، والأحكام كلها فرنسية ، منها قضاة الصلح الافرنسيس ومجلس القوانين الفرنسية والتعاليم كلها فرنسية اجبارية وبقيت كلمات الأهالى كلها فرنسية ينطقونها عربيـــة .

● وأشارت الفتح الى أنه صدر فى باريس كتاب عنوانه (فتح الجزائر الدينى) ألفه شانوان حول تورنيه ٢٦٠ صفحة تكلم فيه عن تقدم الدعوة النصرانية فى بلاد الجزائر رغم صلابة أهلها فى الاسلام ونفرتهم من الاتصال

بالرهبان والراهبات وان العالم الكاثوليكى يرى أن فتح الجزائر الدينى أدعى الى الفخر من فتحها السياسى والعسكرى ».

— ٥ —

● وتحدثت الفتح عن طرابلس الغرب وقالت ان أمتها أمة مسلمة تساق الى الفناء فأين المسلمون ، وقالت انه منذ سبعة سنوات أعدم عمر المختار وفى هذا العام (ديسمبر ١٩٣٦ — م ١٣ الفتح) أعدم فرحان السعدى ، فمنذ قضى الايطاليون على حركة السيد عمر تفرغوا الى تنفيذ ما رسموه من خطط لافنـــاء الشـعب الطرابلسى ، ان برقة الآن أصبحت ملكا للايطاليين وهم يمهدون لاسكان خمســة عشر الف ايطالى ».

● ونشرت الفتح (م ٥/٧٢٢ - ١٩٣١ م - ١٣٤٩ هـ) مقالا عن مطامع الطليان فى طرابلس الغرب ، بقلم شكيب ارسلان جاء فيه : ان نية ايطاليا حمل الطرابلسيين على النصرانية تدريجيا غير خافية ، وسياســـة ايطاليا فى طرابلس الغرب وبرقة ، سياسة اصطدام واستئصال لمسلمى هاتيـك البلدين ، ونزع أملاك القبائل السياسية وزحف الايطاليين على الكفرة ، وقد جعلوا زاوية السنوسى الكبير خمارة سكروا فيها وشربوا تحت أفناء مسيحى طرابلس وبرقة وداسوا على المصاحف الشريفة والقوها بين سنابك الخيل وأشعلوها تحت القدور ، وقد قتل من أهل الكفرة ٢٠٠ شـــهيد ، ومثل باعراض ٧٠ عائلة من عائلات الأشراف ، وان ٨٠ الف عربى نزعوا من ايديهم بلاد الجبل الأخضر ، وأرسلوهم الى بادية (سرت) القاحلة ».

— ٦ —

● وتحدثت الفتح عن الاستعمار الأوربى فى المغرب (م ١٢ ص ٦٤٦) قالت : ان الاستعمار الأوربى يقف مندهشا أمام التطور العجيب الذى يرافق حركة الجامعة العربية فانه بعد توغل الفرنسيين فى شمال أفريقيا واحتفالهم بذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر كان يظن أن الشمال الأفريقى سيظل فى عزلة عن الشعور القومى الذى يلهب العالم العربى فى آسيا ، ولكن الحوادث الأخيرة التى وقعت فى الجزائر وتونس ، والثورة المشتعلة فى المغرب التى اضطرت فرنســـا الى الاستغناء عن عميـدها فى باريس

جاءت دليلا على أن الاحتفال بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر وصبغها بالصباغ الفرنسى ، كان مرتكزا على خطأ ، ففى الواقع أن نفحة من نفحات الوطنية فى العراق وســوريا ، كانت كافية لاثارة الاحساسات القائمــة فى الصدور ، ثم جاءت حوادث فلسطين وثورتها فاشتعلت النار فى جميع أفريقيــة حتى أصبح الذين لم يكونوا يحلمون قط بالخروج على ما ألفوه من حياتهم يتظاهرون بالرغبــة فى اخــراج الفرنسيين ليس من الجزائر وتونس فقط بل ومن جميع أفريقية الشمالية وسرت العــدوى الى البربر الذين حاولت فرنسا أن توجد لهم كيانا خاصا فان هؤلاء بمجرد سماعهم بأنباء النضال بين الاستعمار الانجليزى والفرنسى وبين العنصر العــربى قاموا يؤيدون الحركة الرامية الى استقلال البلاد الأفريقية فهم يجاهرون علنا بأن لا مندوحة عن تأسيس امبراطورية عربية تشمل جميع مقاطعات واقاليم أفريقيا الشمالية ويرأس هذه الحركة الجديدة التى نبهت فرنســا الى الخطر المحدق بها شباب تعلموا العلوم الحديثة فى باريس تحت مراقبة أساتذة فرنسيين وأول ثمرات هذا التعليم كانت محاولة جريئة الى تحطيم الاستعمار الفرنسى .

— توجد دراسات هامة عن البربر وشمال أفريقيا .

(م ١٣ الفتح ص ١١٦٨/١١٩٨/١٢١٨) .

الفصل الخامس

قضية مسلمى الهند وقيام باكستان

فى اطار اهتمام الفتح بقضايا العالم الاسلامى كان اهتمامها البالغ بقضية مسلمى الهند وموقف الهندوس منهم وقد تحدث السيد محب الدين الخطيب (م ٦ الفتح ١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م) تحت عنوان « الهند ومطالب المسلمين » قال فيه : نحن حذرنا ولا نزال نحذر اخواننا المسلمين من السير مع الهنادك بدون قيد ولا شرط ، وقال : ان سير بعض المسلمين فى الهند مع الهنادك فى سبيل الوطن راكعين فتنة عمياء غير مشترطين على أبناء وطنهم شروطا تؤمن مستقبلهم منذ الآن ولا يكون من ورائه الا الندم والتأسف على ما فات والوقوع فى القتال والنضال والأهوال الثقال . ولما كانت الكلمة العليا للمسلمين فى الهند فى الماضى كانوا يخوفون الهنادك يقولون لهم ان المسلمين سيعودون الى سلطنة الهند ويتولونها استئنافا لما تولوها بداية ، وبهذا كان يشقون الهنادك على المسلمين ويصدعون الوحدة الهندية والآن عندما صار الهنادك هم ذوى الكلمة العليا فى الهند أخذ الانجليز يخوفون المسلمين من مشروع استقلال يصير فيه الحكم بأيدى الهنادك على حين لا يبقى للمسلمين ملجأ يلجأون اليه اذا عسفتهم الأكثرية المجوسية . نحن نظن أن التوفيق بين الفريقين غير مستحيل لو خففت الهنادك من غلوائها وذلك بأن يكون لأهالى البنجاب والبنغال والسند حق فى أن يرتضوا من قرارات المجلس الهندى العام ما يرونه ماسا بمصالحهم وأن يقبلوا ما يوافقهم ، وأن تكون تلك البلاد مستقلة بحكمها الا اذا هجم عليها عدو أجنبى عن الهند من الخارج يتحتم على جيوش جميع البلدان الانضمام الى الجيش الهندى لدفع العدو » .

● وتحدث الشاعر الاسلامى محمد اقبال عن تأثير المسألة الهندية على مسلمى الهند (م ٦) اشار فيها الى موقف مسلمى الهند من حركة

تحرير الهند ، ففى حركة عدم التعاون التى بدأت سنة ١٩٢٠ كان من الذين قاموا بها وقبض عليهم وزجوا فى غياهب السجون فى أثناء القيام بهذه الحركة ٨٠٪ من المسلمين رحاول المسلمون جهد طاقتهم ١٩٢٢ — ١٩٢٧ ان يتفاهموا مع الهندوس فعقدت جملة مؤتمرات وكان موضوع الأغلبية الاسلامية فى مقاطعتى البنجاب والبنغال هى الصخرة التى تتكسر عندها هذه الاجتماعات .

وكتب السيد محب الدين الخطيب (م ٦ سنة ١٩٣٣ ص ٥١٣) مقالا هاما عن وضع المسلمين فقال : فى الهند فكرة خبيثة يسعى لنشرها عباد البقر ويقنعون انفسهم بصحتها وضرورة تحقيقها وهى أن البرهمية هى دين الهند الوطنى وان مسلمى الهند صباوا عن ملة آبائهم الأولين فيجب ردهم اليه بكل وسيلة واذا كان الحكم البريطانى الحاضر يحول دون استعمال أساليب القسوة فى تحقيق هذا الغرض فيجب ان يكون تحقيقه من غايات الاستقلال ، وقال ان نجاح الهنادك فى تكفير ١٧٠ مليون مسلم وارجاعهم الى عبادة البقر لولا أن أنقذهم الله وتمكن من هدايتهم ، كتب راجيال الهندى كتابا عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) هاج له مسلمو الهند وغضبوا وقدموه الى المحكمة ، وقامت المعارك الدموية فى المدن الكبرى بين المسلمين وعباد البقر . واشارت الفتح الى مبلغ الظلم الذى حاق بمسلمى الهند وليعتبر بما جرى عليهم فى كشمير فى المدة الأخيرة ، أغلبية مسلمة والقيادة هندوكية فهم يمنعونهم من خطبة العيد فى المسجد الجامع ، ويحكمون على من يذبح منهم بقرة بالسجن سبع سنوات ، ومن اراد أن يدخل فى الاسلام من الوثنيين تصادر الحكومة أمواله وتنتزع منه زوجته وأولاده .

ومن ذلك كانوا يلقون المصاحف على الأرض ويطؤونها بنعالهم ، تلك هى أمة غاندى التى يطلب منها المسلمون ضمانات على حريتهم الدينية ويقولون بكل صراحة انهم لا يأتمنونها على مستقبلهم . وتتألف الهند من ١٤ أيالة ، تسع منها مسكونة بأكثر من مبدأ الهنادك وخمس مسكونة بأكثرية المسلمين فالمسلمون يريدون أن يكون لهم الأمر فى الايالات الخمسة الاسلامية مدة يتموا فيها للتهم محاكم شرعية ومدارس ذات مفاهيم مستمدة

من الثقافة الاسلامية ، بينما يكون للهنادك مثل هذا الحق فى الايالات التسع ، ومن الثابت أن الهنادك يراوغون ويخادعون للتخلص من اتفاق صريح فى هذا الباب ».

عقد مؤتمر سملا ١٩٢٧ وقد شهد العالم بأجمعه على غاندى فى مؤتمر المائدة المستديرة انه هو الذى رفض الاعتراف للمسلمين بحقوقهم ، ولما وفق المسلمون بين الأقليات الهندية كلها فاجتمعت كلمتها وجاءت تطالب الأكثرية الهندوكية بحقوق الأقليات حاول الناسك غاندى أن يلقى بذور الشقاق بين المسلمين والأقليات الأخرى ، ان غاندى احد الهنادك وهو على رأيهم فى الخطة التى اختطوها لأنفسهم نحو الاسلام وهم عاقدون العزم على العمل بالوسائل المشروعة وغير المشروعة لحمل الاجيال الآتية من مسلمى الهند على العودة الى عبادة البقر وهم يظنون أن هذا فى متناول أيديهم ويغريهم باعتقاد هذا الظن ما يرون من انخداع بعض شباب المسلمين بهم » .

وتداولت الفتح قصصا كثيرة لأحداث حدثت فى اضطهاد المسلمين ، ومن ذلك ينعقد حكم الاعدام فى المسلم الغيور عبد القيوم الذى قتل فى المحكمة الهندوكى البذىء الذى الف كتابا شتم فيه سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأى عبد القيوم أن أنظمة الهند لا تعاقب هذا الهندوكى الملعون بعقوبة الاعدام وهى أقل ما يستحقه ، ضحى بنفسه وقتله فى قاعة المحكمة على مرأى من الجميع .

● واشارت الفتح الى تعصب الوثنيين وقيام المسلمين بتأليف جبهة أهلية للدفاع عن أنفسهم كما اشارت الى الاضطرابات الطائفية التى لا تنقطع بين المسلمين والوثنيين فى الهند ، وخروج الوثنيين بمظاهرات عدائية بموسيقاهم وقرودهم بمسجد المسلمين فى وقت الصلاة لمضايقتهم والتشويش عليهم واشار رئيس حكومة كانبور الوطنية الوثنية بما قام به انبوليس لكبت عواطف المسلمين ولم تشر الصحف الوثنية على بكرة أبيها بكلمة واحدة الى هذا الحادث الذى أدمى قلوب المسلمين جميعا فى كانبور وهم يسامون فيها اشد انواع الذل والهوان » .

وكانت هذه الأحداث مدعاة الى اعلان المسلمين اقامة كيان مستقل لهم هو دولة باكستان .

● وأشارت الفتح (م ١٧ سنة ١٩٤٦) الى أن مسلمو الهند يتقدمون نحو أهدافهم السياسية ، فقالت ان فكرة باكستان كانت أملا من الآمال النظرية قبل الحرب الأخيرة ولكن ثبات مولانا محمد على جناح وشدة ايمانه بهذه الفكرة أدى الى تجميع مسلمى الهند من حوله ، وما زالت الرابطة الاسلامية تتسع وتقوى شوكتها حتى صارت ممثلة لمسلمى الهند بأكثريتهم الساحقة مائة مليون من مسلمى الهند فى صف زعيمهم جناح ، وتحدثت الفتح عن العقبات المثارة فى طريق تحقيق فكرة تأسيس دولة باكستان الاسلامية .

● وقالت الفتح : ان باكستان معناها (الوطن الطاهر) حروف الكلمة متقطعة من أسماء الأقطار الاسلامية الخمسة التى يراد تأليف المملكة الجديدة منها (بنجاب ، بشاور ، كشمير ، السند ، بلوجستان) أكثرية اسلامية تتمثل فى ٩٠٪ + مناطق ٥٥٪ (*)

● وتحدثت الفتح عن قيام دولة باكستان التى انفردت الفتح من دون الصحف الاسلامية فى خارج الهند بنشر البيانات عنها قبل الحرب وفى خلال الحرب وفى كل مناسبة ، وقالت ان هناك مائة مليون من مسلمى الهند وراء محمد على جناح ، المسلمون ينادون بأنهم أمة استكملت عناصر الحياة ، وأسباب الوجود الملى والدولى وانهم يأبون أن يكونوا أقلية فى كيان تغلب عليه الوثنية ، وقالت ان الأقطار التى للمسلمين فيها أكثرية متجاورة ومتصلة ببعضها مع بعض فهى صالحة لأن تقوم فيها الدولة المنشودة » .

الفصل السادس

مسلموا اندونيسيا

- ١ -

أولت الفتح اهتمامها الواسع بقضية مسلمى أندونيسيا وجهادهم فى سبيل الحرية وكشفت عن الصراع بين دعاة القومية وبين دعاة الاسلام ، وقد تحدثت الفتح عن (النضال) بين الحركة الدينية والوطنية الحرة ، وتقهقر الملاحدة أمام الاسلام ، وقد كتب عبدالله نوح (م ١٩٣١/١٥) وقال:

فكرتان احداهما تقول بوجوب انهاض قومية اسلامية مثبتة يكون جزءا مهما فى بناء الجامعة الاسلامية التى هى الوسيلة الوحيدة لاعلاء كلمة الله ، ونيل سعادة الدارين . والأخرى تعمل على تأسيس قومية محلية لها ميزاتها الخاصة وأمانيها الخاصة على أن الفكرتين يتفقان فى نقطة واحدة هى استقلال اندونيسيا . الفكرة الأولى قام بها رجال نفخ الله فى نفوسهم روح العزة والايمان ومع نشاط الحركة التبشيرية فقد عرفوا أن الاسلام هو القوة الفعالة فى انهاض الأمم المستضعفة فعملوا لأجل هذه الفكرة الى تأسيس جمعيات عدة منتشرة فى الجزائر الأندونيسية تعنى بكل ما من شأنه حفظ الاسلام واظهار محاسنه من اصدار جرائد والقاء محاضرات وتأسيس مدارس وبناء مستشفيات وايجاد ملاجىء للأيتام وتأليف فرق للكشافة ، واهم هذه الجمعيات :

- شوكت اسلام : الحاج عمر سعيد واغوس سالم والدكتور سوكيمان .

- الجمعية المحمدية التى كان لها من المدارس ما يزيد على خمسمائة مدرسة بين ابتدائية وثانوية وجرائد ومطابع ومستشفيات وملاجىء للأيتام .

- الجمعية الاحمدية .

وقد زادت الجرائد عن ست عشرة جريدة (شهرية واسبوعية) ومن المنتظر صدور جريدتين يوميتين .

الفكرة الثانية : تعد رءوس المتعلمين الذين تخرجوا من مدارس خالية من روح الاسلام محجوبة عن نور الايمان فتولدت منها جمعيات وطنية ، وهم يعلنون الحياد بين الاديان فى سبيل توحيد الأمة الأندونيسية التى أكثريتها مسلمين .

وتتكون أيضا من ملتقى الديانتين البوذية والنصرانية ، وقد تبين أن الزعماء المتظاهرين بالحياد واحترام الاديان ملاحدة يسعون فى هدم الاسلام الذى هو دين الأكثرية .

— ٢ —

وفى مؤتمر الاستشراق فى ليدن ١٩٣٢ ألقى أحمد بلافريج خطابا قال فيه : ان وزير معارف هولندة قال : ان هولندة لم تقصد فى التبسط بأطراف آسيا التجارة والمكاسب المادية فقط ، بل قصدت بذلك نشر حسنات الدين المسيحى ومن حيث ان الوزير تلا خطابه بالفرنسية فقد اعجبت جدا بهذه الجملة لأنها دالة على صراحة وشهامة وأنفة وابتعاد عن الرثاء وقصد الى الغرض على سواء وبروزها من فم رجل رسمى كهذا من رجال الدولة الهولندية فى محفل عظيم كهذا له معناه ولا سيما اذا كان الفعل مرافقا للقول فان البعثات الدينية التبشيرية مالئة الجزائر الأندونيسية من أقصاها الى أقصاها ، وقد نصرت الى الآن عددا كبيرا من المسلمين ولاسيما من فقرائهم وأيتامهم أقل ما قرروه به مائة ألف نسمة ولا شك أن الحكومة الهندية تحمى هذه الرسالات الدينية وتنجدها فلا عجب ان وجدت الرسالات البشيرية تحت جناحها النجاح الذى ترجوه ، ان وزير حكومة هولندة يجاهر بعمل حكومته لخدمة الدين المسيحى أمام محفل انتظم فيه ألف أستاذ فى جميع أمم الأرض من بينهم ٣٠ مسلما وذلك فى ٦ سبتمبر ١٩٣١ فى القرون الوسطى وما كانت هولندة دولة رجعية ولا متأخرة عن ألمانيا وانجلترا وفرنسا بل هى معهن الكتف مع الكتف .

● وتحدثت الفتح (المجلد السادس) عن اضطهاد الدين الاسلامى تحت حكم هولندا فى أندونيسيا ، قال : تعصب الهولنديين على الدين الاسلامى فهم يكفرون بمبدأ حرية الأديان بل انهم يفضلون دين بوذا الجاحد

لأنبياء التوراة على دين محمد المنزه لهؤلاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم».

وقد منعوا فتاةصينية بوذية من أن تكون مسلمة واحالوها الى المحكمة ليسمعوا قولها واقوال البوذية في اسلامها وحاولوا تسليمها الى الصين ومنعها من تحقيق رغبتها ومن استغاثتها ، وابعدوها وحكمت المحكمة بالسجن على المسلم الذى اهتدت الفتاة الى الاسلام بارشاده» ولو أن هذه الصينية أرادت أن تتنصر على يد قسيس من دعاة النصرانية لحموها ولنبجحوا بكلمة حرية الاديان وكانت تنهال عليها الهدايا والمكافآت».

— ٣ —

وتحدث الأمير شكيب ارسلان من القومية والاسلام فى أندونيسيا (م ٥٧٨/٥) فقال: ان المبادىء القومية الأندونيسية التى ستنهض بذلك الوطن بزعمهم هى غاية ما تبتغيه هولندا هناك وان هذه هى الأمنية التى تحلم بها من قديم الزمان حتى تتصدع قوة هؤلاء الخمسة والاربعين مليون مسلم ، الذين تحت سلطانها وتتفكك روابطهم ، ولو كان هؤلاء على شيء من الاطلاع لكانوا قراوا كلام المستشرق الشهير والسياسى التفريسى : سنوك هرونجه الهولندى ، اضر الهولنديون بسياسة أندونيسيا والاسلام الذى يذكر ما على هولندة من خطر هذه الرابطة الاسلامية ولا يجد لهـا علاجا الا احياء القومية الأندونيسية بازاء الاسلام ، فالقومية الأندونيسية لا تؤلف خطرا أكيدا على هولندة الا اذا كانت راجعة الى الجامعة الاسلامية ولهذا نجد الطبيب السياسى الهولندى يشعر بقومية أندونيسية مجردة من الاسلام بل مقاومة له». وقال : اذا ارتفعت العقيدة الاسلامية من الوسط فاية قوة معنوية بقيت للوطنية الأندونيسية واى مرجح لمدنية الجاوى على مدنية هولندة».

واذا ارتفع الاسلام من الميدان يعود من العبث استبدال الوطنية الأندونيسية بالوطنية الهولندية ويصير الاندماج فى الهولنديين». تماما هو أصح الآراء فالاسلام وحدة لمثل هذه الشعوب هو الحصن الحصين المانع من الانهيار واعادة الوحدة المانعة من الذوبان لذلك دول الاستعمار لا تكره شيئا ولا تخشى شيئا كالقرآن .

● واشارت الفتح الى أن الأمة الأندونيسية أمة تلقت دين الاسلام على يد دعاته من عرب الجنوب وأخذت بمذهب الامام محمد بن ادريس الشافعى فاغتبطت به ونبغ من علمائها الأئمة فى الشريعة والاتقياء الصالحون المؤمنون بأن هذه الأمة لن تقوم دولتها الا على العطاء للاسلام ونحرى سننه واحياء تقاليد دولته فى أدوار قوته والتعاون مع أهله .

● واشارت الفتح الى المخاطر التى تواجه الاسلام فى أندونيسيا (م ٥ الفتح ص ٤٤٠) فكتبت تحت عنوان « الاسلام فى أندونيسيا مهدد من ابنائه وبناته » لأحد كتاب أندونيسيا : فقالت ان الاسلام أصبح عرضة لهجمات متواصلة والنتقاد من ابناء وطننا انفسهم ، الذين يدعون أنهم زعماء وطنيون ليطعنون هذا الدين على ملأ من الجماهير وعلى صفحات الجرائد ، ومن قولهم ان كل محتويات الدين لا تناسب العصر الحاضر وعلى المسلمين الأندونيسيين ألا يتخذوا من بلاد العرب قبلة لهم وان المرأة الأندونيسية صارت مهانة بعد دخول الاسلام الى بلادنا ، وقال ان زعماء الحزب الوطنى الأندونيسى بزعامة سوكارنو يطلبون اليه احتواء الجمعية المحمدية ليسهل اتحادها اليهم ، وقال ان سوكارنو يعلن تعظيم رؤساء ديانات الشرك مثل كرشنا وبوذا .

● وتحدثت الفتح عن حادثة الحاد كبرى فى أندونيسيا (م ٥/٤٦٧) واشارت الى المقالات التى نشرت فى صحيفة سوارا عموم بسوربيانا وفيها طعن صريح على الاسلام .

واشار الى انهم يدعون الى قومية محررة من الأديان ، وقال ان الوطنية تحتم اقتران ذلك بالدين الاسلامى حيث أنه دين غالبية الأمة الأندونيسية وترمى الى تطبيقه على الحياة تطبيقا عمليا .

وقال ان هذان المبدآن يسودان البلاد ولكل منهما أنصار وأعوان ولكن هناك الغلو فى فهم النظرية القومية والتهجم على الدين ، وهو ناتج من أسلوب التربية التى تنشرها الدول الاستعمارية على ابناء كل بلاد

مستقرة ، وقال : ومع احترامنا للأحزاب الوطنية فى أندونيسيا وتقديرنا لجهودها وعملها على أنها ضد البـــلاد والسعى لتخليصها من الاستعمار لا نوافقها على ما قد يصدر من بعضها من تهجم على الدين الاسلامى .

وقال ان هناك ناحية من نواحى الضعف موجودة فى زعماء جمعية « سوربايا » أنهم يجهلون تعاليم الدين الاسلامى الحقيقى ، مع انهم مسلمون وأبناء مسلمون ، وذلك راجع الى تخرجهم من المدارس الهولندية الحكومية ومن ذلك هجومهم على مكة والحج ووصفه بالصنم العربى .

الفصل السابع

حول قضايا العالم الاسلامى

ولقد عملت الفتح على الاهتمام بمختلف قضايا العالم الاسلامى وقدمت فى ذلك الشأن حصيلة ضخمة تناولت مناطق متعددة ومن ذلك انها أولت اهتماما بمسلمى تركستان وعلاقتهم بالصين (م ١١/٧٥٦) كما أشارت الى محاربة الأديان فى روسيا وقيام حكومة السوفيت (م ٤/ ١٩٢٩) باغلاق ١٨ مسجدا اسلاميا فى حملة لمحاربة الأديان ، وقد أصدرت قانونا ينظم العمل على مقاومة الأديان ويتيح الدعاية للالحاد فى حين أنه يحرم كل دعوة وثنية ويعاقب من يقوم بها وبهذا القانون أصبح من حق الحكومة ان تسحب الأطفال من والديهم اذا علمت أنهم يلقنونهم مبادىء الدين ، واغلاق المعابد وتحويلها الى قاعات للسينما ونوادى للملحدين .

● وتحدثت عن مسلمى المجر (م ١٩٣١) وقالت ان بلاد المجر كانت جزءا من الدولة العثمانية وكانت بودابست مركزا اسلاميا عظيما وكان فيها مساجد ومدارس وعلماء ومدرسون وشيخ اسلام ، غير أن معاهدة تريانون التى فرقت وحدة المجر مزقت وحدة المسلمين المجريين حيث أصبح اكثرهم فى الخطة التى خرجت من نصيب صربيا والتحق منهم عدد قليل بالنمسا وبقى نحوا من ٣٥٠٠ نسمة فى مملكة المجر ، وقد انقطع الأذان فى بوادبست بعد مرور ٢٥٠ سنة وتحدد الآن لأول مرة فى ٢ أغسطس سنة ١٩٣١ .

● وتحدثت الفتح عن أحوال المسلمين فى جزائر الفليبين (م ٤/ ص ٤٢٣ / ١٩٢٩) واشارت الى ظاهرة اضمحلال لغة العرب بين أهالى جاوة وسومطرة (م ١٢) وقالت ان هناك ٨٠ الفا من سلالة عدنان وقحطان ، وان هناك عوامل سياسية واجتماعية تتضافر وتتدافع على مهاجمة اللغة العربية وبدا غلبة اللغة الملاوية واللغة الانجليزية على المسلمين واشارت الى وثيقة خاصة بالعراق فقالت تحت عنوان :

ثمن الغـــاء الانتداب في العراق :

قالت : طلبت جمعية الأمم أن يضاف الى المعاهدة كل ما يكفل راحة المبشرين ويضمن تبسيط الأجانب ويحفظ لهم استمرار استعبادهم للوطنيين بالامتيازات الأجنبية كما تضمن لطوائف الأقليات اســـتمرار تفوقهـــا على الأكثرية :

١ — حماية الأقليات الجنسية واللغوية والمذهبية حماية فعلية .

٢ — الحقوق والامتيازات الممنوحة للأجانب في بلاد الشرق الأدنى وحمايتها القضــــاء القنصلى والحماية كما كانا مقررين في عهـــد السلطة العثمانية وفقا للامتيازات الأجنبية والعادات المرعية .

٣ — حماية المصالح الأجنبية من جميع الوجوه القضائية والمدنية .

٤ — حرية الفكر وحرية المذهب وحرية التعلم الدينى والمدنى وحرية البعثات من جميع المذاهب .

٥ — الحقوق التى نالهـــا اصحابها في عهـــد الانتداب بأى طريقة مشروعة (م ٦) .

● واشارت الفتح الى مشروع ســـوريا الكبرى الذى كان مطروحا عام ١٩٤٦ وقالت انه بشكله الذى يتقدمون به الينـــا معناه تثبيت أقدام اليهود في فلسطين سياسيا وعسكريا باقامة دولة لهم في شـــطر منهـــا وهو الشطر الخصيب ومعناه ايضا اتمام مهمة الحروب الصليبية باستقرار انجلترا في مدينة بيت المقدس والبقاع التى جندت حملات الصليبيين القديمة لأجلها ثم الضحك علينـــا باضافة بعض الجبـــال الصخرية من فلسطين الى المستعمرة البريطانية التى تسمى شرق الأردن وشغل افكار المسلمين والعرب عن هذه النقمة الخانقة القاتلة باقامة مملكة تسرى فيها أحـــكام مستعمرة الأردن شرقية وغربية على جمهورية سوريا بعد أن اتمم الله عليها بالاســـتقلال .

● وتحدثت الفتـــح عن فرقة النصيرية ، حيث ورد اول ذكر لهـــا في (مجلد ٧) سنة ١٩٣٢ يقول شيخ الاســـلام ابن تيمية : انه ما وقعت حرب بين الصليبيين والمسلمين او بين الكفار - كالتتار - والمسلمين الا كان النصيرية في جانب أعداء الاســـلام يحاربون معهم ويدلونهم على عورات

المسلمين ، وفى الحقيقة ان النصيرية كذلك كانوا منذ وجد مذهبهم الى اليوم لم يشذ عنهم الا الشيخ صالح العلى فى ايام استقلال سوريا بين زمن الهدنة ودخول غورو مدينة دمشق ، وفى ظروف المعاهدة التى تحل محل الانتداب بين سوريا وفرنسا فان السنيين من سكان اللاذقية واطرافها كانوا يميلون الى الانضمام للوحدة السورية ولكن النصيرية الذين كانوا دائما البا على الاسلام مع كل من ينقض سلطانه كما رآهم ابن تيمية فى الحروب الصليبية وكارثة التتار ما زالوا سائرين على خطتهم القديمة وفى موضع آخر قالت ان النفوذ الأجنبى فى سوريا يمنع خطباء المساجد من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »

● وفى فصل موسع تحدثت الفتح عن ان النصيرية : لا يزالون كما كانوا فى حروب الصليبيين قالت : المتتبع لتاريخ النصيرية فى سوريا يرى فيهم اعوانا لكل من يشنأ الاسلام من اهل الديانات الأخرى ومن لا دين لهم فعندما طغى سيل التتار من جند هولاكو على العراق والشام وبلاد الشرق الأدنى وصار بهم العمران خرابا كان بعض النصيرية من أعوانهم وفى حروب الصليبيين كانت جماعة من النصيرية فى صفوفهم تناوىء معهم الاسلام واهله ولم نرهم خالفوا هذه السنة الا مرة واحدة ايام الحكم القنصلى فى الشام حيث ثار الشيخ صالح العلى ثورته المشهورة على الاحتلال الفرنسى فحمد له مواطنوه السوريون هذه الحمية وسجلوها فى ديوان المآثر وتمنوا أن يستمر القوم على هذه الخطة ليكون ذلك بدء عهد جديد تتضامن فيه جميع القوى لدفع أذى الغرب عن الشرق ولكن هذا الشذوذ المحمود من الشيخ صالح العلى ما لبث أن انقضى أمره وعاد أكثر النصيريين او العلويين الى موالاة الأغيار والانحياز الى جانبهم فى كل ما يؤذى الملة ويشق عصا الجماعة ويثبت قدم الاحتلال الأجنبى فى البلاد ، يقول هذا عشية ظهور اله جديد فى النصيرية وضع نفسه فى خدمة دسائس الاستعمار الفرنسى مؤتمرا بالاشارات الصادرة اليه من الكابتن « بلوذديك » رئيس الاستخبارات الفرنسى الذى حرك الأشوريين قبله للأذى والفساد ، وهذا الاله النصيرى الجديد هو سليمان المرشد الذى سرعان ما وجد عبيدا فى طائفة يهولونه ويوقنون جانب الأشرار من اعوانه هم ملائكة

وحواريوه ؟ هذه الخطة التى اتبعها الأشرار من أبناء الطائفة النصيرية أطمعت فيه كل عدو للعروبة والاسلام .

اذا أنت لم ينفع مضر فانما　　　يرجى الفتى كيما يضر وينفع

● وتحدثت الفتح عن التيجانية الطريقة الصوفية وأشارت الى ما نسب للشيخ محمد الحافظ التيجانى فى عين ماضى وما نشرته الصحيفة الفرنسية من التعاون مع الفرنسيين وقالت : نتمنى أن لا يوجد على وجه الأرض مسلم واحد يفتخر بالمعاونة على تقليص ظل الحكم الاسلامى عن وطن اسلامى .

ولو أن قومى انطقتنى رماحهم　　　نطقت ولكن الرماح أجرت

● واشارت الفتح (اغسطس ١٩٣٩) م ١٤ — الى ان الملك عبد العزيز آل سعود منح استغلال الزيت فى منطقة ٨٩ الف ميل مربع فى الاحساء لشركة استندر اوبل فى كاليفورنيا مقابل ٢٣٠ الف جنيه فضلا عن مبلغ اضافى كل عام (٥٣ الف جنيه) ورفض اعطاء هذا الامتياز للدول الأوربية وفضل الشركة الأمريكية لأنها ليست لها خطط سياسية فى المملكة العربية السعودية .

● واشارت الفتح (م ١٢) الى ان « عبد الله فيلبى » الجاسوس الذى أعلن دخوله الاسلام لما صدر تقرير اللجنة الملكية البريطانية فى تحقيق قضية فلسطين واعلن فيه جنوح بريطانيا الى اعطاء اليهود سيادة وملكا على جزء من البلاد المقدسة التى يملكها المسلمون وهى وطن طبيعى لهم من أحقاب أعرق فى القدم مما للانجليز فى الجزائر البريطانية جنح الحاج عبد الله فيلبى الى الجانب الذى فيه العصبية للانجليز على الجانب الذى فيه العصبية للمسلمين فأعلن استحسان اعطاء اليهود هذه السيادة على ذلك الجزء من الوطن العربى الاسلامى وقال ان بريطانيا فى فلسطين مثل ايطاليا فى الحبشة تماما بحق الفتح ، لقد تعارضت بريطانية فيلبى مع اسلامينه فى هذه الموجة .

● وفى مواضع كثيرة دافعت الفتح عن الاسلام :

وجهت نداء عام الى المسلمين فى المجلس الأعلى فى القدس عن ضرر المدارس الأجنبية وضرورة التعليم الاسلامى .

ودعت الى توحيد الرأى الاسلامى بتوحيد التربية والتعليم وقالت ان توحيد الدين والتعليم يكون المسلمين تكوينا اسلاميا محمديا قرآنيا كما كان سلفنا الصالح .

وكتب فى محاربة دعوى التصوف الكاذب باسقاط التكاليف الشرعية ثم التأويل ، والقول بأن للقرآن ظواهر وبواطن .

وكتب يقول : ان البلاشفة والقيصريون الروس متدابرون فى كل شىء الا فى خنق العناصر الاسلامية .

واشار الى ان كل قطر من اقطار العالم العربى فيه صراع بين الوطنية والاسلامية ، وقال ان موطن الضعف فى الوطنية المصرية انهـا لا تستند الى تراث الشرق والاسلام .

واشارت الى ان الغرب اعتمد على حضارة الاسلام فى اشياء كثيرة فاعتمد نابليون على فقه الامام مالك فى قانونه الذى خلده اكثر مما خلدته انتصاراته والحبشة مع ما هو معروف من حالتها المذهبية اقتبست قانونها « فتانفوس » المعمول به الآن من كتاب « التنبيه » فى فقه الشافعى لأبى اسحق الشيرازى والذى قام به القسيس القبطى اسعدى السنقال وكلمة فتنا الموجودة فى اسم القانون مأخوذة من كلمة فتاوى .

واشارت الفتح فى بحوث مطولة الى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى القدس رجب ١٣٥٠ والذى ضم مندوبو ٢٢ قطرا اسلاميا هى تركستان الصينية ، تركيا ، تونس ، جاوة ، الجزائر ، الحجاز ، روسيا ، سوريا ، سيلان ، شرق الاردن ، طرابلس الغرب ، العراق ، فارس ، فلسطين ، قانقاسيا ، لبنان ، مصر ، المغرب الأقصى ، نيجيريا ، الهند ، اليمن ، يوغسلافيا .

● واشارت الفتح الى جامع كتشاوة : احد الجوامع الاسلامية فى الجزائر العاصمة الذى حوله الاستعمار الفرنسى الى كنيسة ورفع الصليب على مآذنه ويسمى الآن كاتدرائية (م ٦ — ١٩٣٦) .

ومن حسن الحظ ان هذا المسجد عاد مرة اخرى الى الصلاة والأذان بعد استقلال الجزائر وقد ادى كاتب هذه السطور الصلاة به عام ١٩٧٢ كما عادت كل مساجد الجزائر .

الباب الرابع

قضايا الاسلام الكبرى

الفصـــل الأول : التشريع الاســـلامى

الفصـــل الثانى : التربيـــة الاسلامية

الفصـــل الثالث : المجتمع الاســـلامى

الفصـــل الرابع : الوحدة الاسلامية والقوميات

الفصل الأول

التشريع الاسـلامى

– ١ –

أولى السـيد محب الخطيب اهتمامه الواضـح والأكبر بالتشريع الاسلامى فى ظروف مليئة بالظلمات والتبعية والدعوة الى الحكم بكتاب الله ولكنه كان رفيقا فى الدعوة متأنيا ، ينتهز الفرص للتعليق على الأحـداث ويحاول أن يفسح مجالا لما أسماه (الاسـلام الاجتماعى) وكانت أحداث تركيا فى هذه الفترة (١٩٢٨ وما بعـدها) هى الحافز على الدفاع عن الشريعة الاسلامية بعد أن حجبت فى دولة الخلافة وحل محلها القـانون الوضعى ، وكانت مصر قد سبقت الى ذلك قبل ثلاثين عاما وبعد الاحتلال البريطانى وانشاء المحاكم الأهلية على نمط المحاكم المختلطة وكان الهجوم على ما قامت به تركيا من العنف فى مهاجمة الشريعة الاسلامية واعداد قانون مدنى عرفى يبطـل حكم الله فى كل شىء حتى فى الميراث والزواج وغيرها ، دافعا الى التعريف بعظمة الشريعـة الاسلامية ، ورحمتها ، وقد توالت الأحـداث ففتحت الأبواب أمام النضـال من أجل الشريعـة الاسلامية ، ففى المجلد الأول يتحدث عن خطوات تركيا ويرد عليها ويفند الأخطاء التى تتردى فيها بابطال الشريعة الاسلامية وفى المجلد الثـانى يتحـدث عن (صلاحية الشريعـة الاسلامية لكل زمان ومكان) ويقول ان العدل لا يختص به زمان دون زمان واقامته لا تتوقف على وقت دون وقت .

ثم لا يلبث أن يتحدث عن الدين والدولة فى أنظمة الحكومات الحديثة (١٩٢٨/١١/٢٠) فيقول : ان المسيحية بالمعنى الذى دعا اليها المسيح لا يوجد فى أوربا وأمريكا من يستطيع ان يتقيد بها وان يزعم صادقا انه تابع لها ، أما الاسلام فهو دين السعادتين : سعادة الدنيا والآخرة ، ولما كانت فيه هذه المزية التي يفترق بها عن النصرانية كان من الطبيعي ان يمتاز أيضا

بأن تشريعه قائم على أساس مبادىء الدنيا والآخرة ومن هنا كان التشريع الاسلامى متصلا بشئون المسلمين الدنيوية كما هو متصل بشئونهم الأخروية ، ومن هنا كان الاسلام دين وعقيدة وعبادة وحكم وهذا ما قام على عبد الرازق لانكاره ، زاعما أن الجهاد ليس عبادة أخروية ومن ثم ليس هو من الاسلام وزعم أن الحكم الاسلامى ليس عبادة ومن ثم لم تكن الامامة من الاسلام وزعم أن نظام الارث ليس عبادة ومن ثم ليس هو من الاسلام وهو بين أمرين ، اما أن يكون لا يعرف الاسلام فلا يستحق اسم عالم أو أن يكون الأمر أكبر من ذلك ، فالدول المسيحية اذا جعلت الدين مقصورا على العقائد والعبادات لم تجعل لذلك علاقة بالحكومة ، بعد أن علمنا أن المسيحية جاءت للآخرة فقط لا للدنيا ، ولكن الدول المسيحية نفسها لم تقطع علاقتها الحكومية بالدين كما يريد القوم فى تركيا والأفغان أن يعملوا . ان الحكومة الفرنسية ادخلت فى ميزانيتها اعتمادات مالية للجمعيات الدينية المسيحية ، ولاسيما الكاثوليكية التى تقوم بالتبشير فى البلاد الشرقية مثل الفرير واليسوعيين » .

— ٢ —

ويواصل السيد محب الدين الخطيب الحديث عن نظام الاسلام (ربيع الأول ١٣٦٥) فيقول : ان الذين يقولون الاسلام دين ديمقراطى ، الاسلام دين اشتراكى ، يلوكون بألسنتهم هذه الكلمة أو تلك ولا يعرفون من الاسلام الا اسمه لأنهم يعيشون فى عصر غلبت عليه صحافته ومطبوعاته ومدارسه ومعاهد يملكها الأقوياء من أمم الغرب ، فثقفت أزكياء العصر بثقافة أجنبية عن الاسلام وتاريخه وسننه وأهدافه وغلبت على محاكم المسلمين وأساليب حكمهم ضواغط الاستعمار فى عشرات السنين الماضية فلجأوا الى مذاهب الأمم اللاتينية فى فقهها ومعاملاتها ومماطلاتها وغلبت على سجايا المسلمين عوامل الفاقة والحرمان بسبب انحطاطهم الاقتصادى والصناعى فتشربوا بمساوىء الأخلاق .

ويتساءل السيد محب الدين الخطيب : كيف يتبين أبناؤنا المبتعثون فى جامعاتنا حقيقة الاسلام وهو غريب فى بلاده من البيوت الى الأندية

والأســواق والصحافة والدواوين والمحاكم والجامعــات والمعــاجم بل والجوامع !.

واذا كان هذا حال المثقفين فى الجامعات ومبلغ علمهم بنظام الاسلام ، فالذين هم أبعد منهم عن حقائق القيم أكثر منهم بعدا عن حقائق الاسلام .

ان الاسلام نظام قام بذاته ، ومن سننه أنه لا يشاب بغــيره وانه لا يمذق محضة ولا يخلط مع الاسلام .

فى الدنيا الآن ثلاثة أنظمة : النظام الديمقراطى ، والنظام الشيوعى والنظام الاسلامى ، وكل نظام من هذه الأنظمة (كل) لا يقبل التجزىء ، والاسلام دين الحق والخير يعمل اهله بكل أسلوب من اساليب الخــير اذا كان لا يتنافى مع اساليب الاسلام وسننه واهدافه .

— ٣ —

ويواصل السيد محب الدين الخطيب الحديث عن النظام الاجتماعى الاسلامى فيفرد فصلا عن نظام الاســلام الاقتصادى : ويبداه بالحديث عما اورده الامام محمد بن الحسن الشيبانى صاحب ابى حنيفة فى أوائل كتاب (الاكتساب) قوله ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقــدم درجة الكسب على درجة الجهاد فيقول لأن أموت بين شــــعبى رجل أضرب فى الأرض ابتغى من فضل الله احب الى من أن اقتل مجاهدا فى سبيل الله ، لأن الله تعالى قدم الذين يضربون فى الأرض يبتغون من فضــل الله على المجاهدين ﴿ **وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضــل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله** ﴾ سورة المزمل .

فالاسلام يحض على العمل والكسب ويفضله على الشهادة فى سبيل الله وكان ابا بكر بزازا يبيع الأقمشة ويعمــل فى الأدم (الجلود) وعثمان كان تاجرا يجلب اليه الطعام فيبيعه (وعلى) أجر نفسه غير مرة فطلب الكسب فريضة على كل مسلم، ، فريضة الكسب وطلب العلم .

والاسلام بنى نظامه على العدل بأدق معانيه ، والتعاون بين اهل المال واصحاب الأيدى العاملة ، فصاحب المال مشــاركا لصاحب العمل

على أن يكون لكل منهما نصيب فى الربح اذا نجح العمل وعلى كل منهما مثل ذلك النصيب من الخسارة اذا فشل العمل .

ويتحدث السيد محب الدين الخطيب : عن الاقتباس من الغرب .

فيشير الى أن المسلمين لا يقتبسون نظما وانما يقتبسون أساليب وتجارب ، ولابد من هضم تلك الأساليب متمشية مع أمثالها من أساليبنا القومية وسننا الملية فالاسلام لا يقبل ابدا أن يقوم الى جانبه وتحت سلطانه نظام غير نظامه لا فى الاقتصاد ولا فى التربية ولا فى الآداب ولا فى أى شأن آخر ، كما أن الشيوعية لا تقبل ذلك . فالاسلام اشد نفرة من أن يقوم الى جنبه نظام غيره يبسط على المسلمين أحكاما غير أحكامه ، فى الملكية الشخصية والمواريث وحركة العمل ، ان العالم الاسلامى يتحلل الآن من قيود الاستعمار وسبيله بعد ذلك أن يرجع الى أنظمته الاسلامية فى تاريخه ودواوين أحكامه وفى وثائقه الأدبية وتراثه العلمى وذخائره ، ثم حمل الأمة على احياء هذه الأنظمة بالعمل فيها يوما فيوما .

وان نظرة الى ما حدث من أن عمر بن الخطاب لم تعرض عليه قضية من اثنين فى أكثر من سنة ، بكشف أى معنى للسعادة الاجتماعية من هذا المعنى وأفصح وأوضح ، تلك حال لا تحتمل على الصدفة ولا يمكن أن توجد لها نظير فى أن من الأمم فى حواضرها وبدوها وأرباضها ولا يستطيع مشرع ولا اجتماعى أن ينكر أن نظامنا الاجتماعى كان نظاما سعيدا .

ويتحدث السيد محب الدين الخطيب عن انشاء معاهد للفقه الاسلامى لدراسة الشريعة الاسلامية ، فقال : منذ استعجم الاسلام وسارت حكوماته فى غير طريق الصدر الأول توسع المسلمون فيما يختص بشئون الفرد من أحكام الفقه واهملوا ما يتعلق بحياة الجماعة وحياة الدولة ، وقد آن لنا أن نعود الى احياء ما كاد يموت من تراثنا بالاهمال ، وأشار الى خزائن الفقه والمعرفة لعشرات الألوان من مجلدات التشريع الاسلامى الجامعة لأحكام لا يراد منها التزامها بالتراث فى غير عصورها ، ولكن يراد منها تعيين المناهج لاستنباط الأحكام وتوجيهها فيما بين قواعد العدل التى

دل عليها الكتاب والسنة وبين أهداف المصلحة والخير التى ترمى اليهـــا رسالة الاســـلام .

— ٤ —

فى هذه الفترة جاءت أضـــواء كثيرة تفتح الطريق أمام الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية منها :

١ — تطبيق الحدود فى المملكة السعودية .

٢ — كتابات بعض المسلمين فى الغرب .

٣ — اعداد القانون المدنى العراقى وادخال الشريعـــة الاسلامية كمصـــدر ثالث .

فتحدثت الفتح عن ذلك كله واشارت تحت عنوان الحدود الاسلامية : الى تجربة المملكة السعودية قال : شىء آخر برهنت عليه التجربة فى الحجاز حتى لا يرتاب فيه المكابر هو أن الملك ابن السعود لم يحتج الى تنفيذ حدود الله الا مرة واحدة أو مرتين فيما رأى المجرمون ذلك وعرفوا نصحهم ولى الأمر على اقامة ما أمره الله باقامته من حدود كفوا عن اجرامهم .

واشارت الفتـــح الى أطروحة الدكتور نجيب الارمنازى فى باريس تحت عنوان :

« المبادىء الاسلامية والعلاقات الدولية فى حالتى السلم والحرب » .

تكلم فيها عن التشريع الاسلامى المتعلق بقاعد حقوق الدول وفى ربط الأمة الاسلامية بالأمم الأخرى فى العهود والحروب فى سائر الأنظمة الاسلامية وكيف أن هذا كشف الحقيقة أمام اساتذة الحقوق الفرنسيين الذين كانوا يسيئون الاعتقاد فى الاسلام من هذه الناحية فقد اعترفوا بسبق الاسلام الى أهم المبادىء الانسانية فى العلاقات بين الأمم .

وفى المجلد الرابع من الفتح (١٠ أكتوبر ١٩٢٩) عن (الاسلام قوة اجتماعية) فقال :

يجتهد المستعمرون فى الأقطار الاسلامية ويعاونهم متفرنجة المسلمين والمولون وجوههم شطر أوربا ، لجعل قوانين الاسلام الاجتماعية الكبرى

مماتة ، متعطلة عن العمل حتى لا يتحسس المسلمون بهـا ولا يمنعونها وهى تنكمش الشعور الاسلامى العام فى مناطق اقليمية تابعـة الحـدود للتقسيمات السياسية المصطفة ، وحتى تتقلص رغبات المسلمين فى التعاون والتشارك والتعاطف الى دوائر ضيقة ، وبهذا يخسر الاسـلام الشطر الأكبر من رأس ماله الاجتماعى فتنقلب الأمم الاسلامية الى أمم متـدابرة بعد التعارف وتتراخى صلات الأخوة العامة فى الاسلام ويغدو ذلك النوع من التآخى الاسلامى الانسانى النزيه الصادق ، تراخيا يعلوه الصـدأ والجفاء . وبعد هـذا يهون على المستعمرين غلاب المسلمين وتسخيرهم لمصلحة اثنين أو ثلاث من الأمم الأوربية تسخيرا يورث المسلمين الذل والدمار ويقطع الأوصال ويكسب الأمم الثلاث أو الأربع القوة على التنعم فى أطايب الحياة ولذائذها ، حين يربح متفرنجة المسلمين شرف القربة من المستعمر وفخر الاقتداء بهم وانتحال نحلتهم فى طراز التفكير . لماذا لا نرى فى متهذبة العرب الذين نالوا من العلوم التاريخية والاجتماعيـة فى المعاهد الغربية الراقية خطا صالحا رغبة فى درس الاسـلام الاجتماعى درسـا صحيحا مكينا مقرونا بروح العلم الاجتماعى ، وبهـذا الحال يكون هؤلاء المهذبة من أولى الناس اتباعا لسنن الاسلام وحضا على الاستمساك والعمل بها لأنهم انما عرفوا معرفة حق عن الطريق الذين يعتقدون صوابها . ان هناك قوى فى أوربا منها وزارات المستعمرات عاملة على الدوام لمناصبة الاسلام الاجتماعى العداء لأن الاسلام هو حصمتها الواقف فى وجهه والعائق لهـا فى كل زمان ومكان من بلاغ مأربها عن تمزيق الأخوة العامة التى يرتبط بها المسلمون .

— ٥ —

وفى عام ١٣٥١ — ١٩٣٢ اتسع نطاق البحث فى الشريعة الاسلامية عندما حان الحديث عن تعديل القانون المصرى (المجلد السادس) فأشارت الفتح الى فكرة تنظيم الأحكام للعمل بها فى محاكم مدنية فى عهد اسماعيل باشا ، وكان القائمون بالأمر يذهب أكبرهم الى ضرورة نقـل القوانين الفرنسية الى اللغة العربية والعمـل بأحكامها فى المحاكم المدنية التى يراد تأسيسها ومن هؤلاء نوبار باشا وكان يرى بعضهم أن يكون القضاء الأهلى

مستمدا من الفقه الاسلامى وكانت الدولة العثمانية قد قامت بتجربة موفقة بانشاء قانون مدنى مستمد من الأقوال الراجحة فى مذهب أبى حنيفة فنشأت فى مصر فكرة سن قانون أوسع وأشمل مما تم فى الدولة العثمانية ، وأن تؤخذ أحكام القانون المدنى المصرى من أوفق الأحوال فى جميع المذاهب الفقهية الاسلامية ، وعرض اسماعيل باشا الفكرة على العلماء فاستنكروها لأنها قائمة على أساس (التلفيق) بين المذاهب لما فيه من محذور الأخذ بالرخص فى مختلف المذاهب ولأنه يحول بين المفكر ومن تقليد امام بعينه ، وكان نوبار باشا قد عهد فى ذلك الى مسيو (مونورى) المحامى بالاسكندرية بأن يترجم للمحاكم المختلطة قوانين فرنسا المدنية والجنائية والتجارية فلما انقطع الرجاء من جعل قوانين المحاكم الأهلية مستمدة أحكامها من الفقه الاسلامى جرى وضع هذه القوانين بلجنة مؤلفة من حسن فخرى ، بطرس غالى ، مسيولو ومسيو موريوندو فوضعت لنا القانون المدنى الأهلى باللغة الفرنسية فأخذوا القانون الفرنسى بقليل من التعديل ثم قام بطرس غالى بنقله من الفرنسية الى العربية .

وقد عاب علينا المستشرق المجرى (وامبرى) هذه الغلطة الكبرى وقال :

كيف يكون عندكم فقهكم الذى ليس له آخر وتعدلون به الى غيره ، أن خطأهم هذا لا يقع فى أمة من الأمم ، وقد فاته أن العالم الاسلامى لما أراد أن يجدد ثوبه كانت تحت تأثير ارادة أمم اخرى ولكنه سيرجع الى الصواب فى أول فرصة وستتوجه أنظار بنيه الى الارتواء من تشريعه الاسلامى الذى هو فى الحقيقة تشريعه الوطنى القومى .

وقال السيد محب الدين الخطيب : ان قانون الأمة يجب أن ينبع من روح الأمة وأن ينمو بتجارب الأمة وأن يسير مع حاجة الأمة وأن تنطوى جوانح الأمة على حرمته وجلالته ، وكل هذه الصفات بالغة حد الكمال فى الفقه الاسلامى لو أننا صنعنا منه قانوننا المدنى على الأقل وخدمناه كخدمة أوربا لفتها وقانونها . الفقه الاسلامى بحر خضم زاخر بالأحكام فى كل معنى يمكن ان يخطر على بال أى رجل من رجال القانون وما بين حكم

اصدرته محكمة من محاكم الأرض وافق غرض العدالة الا وسبق الى القول بمثابة فقيه مسلم، سواء كان هذا الفقه من علماء المذاهب الأربعة أو من أئمة المذاهب التى يطل العمل بها. وان أمة يكون بين يديها هذا البحر العظيم الملىء بالدرر ويكون له فيها الحرمة القدسية التى للفقه الاسلامى فى نفوس المسلمين ، وهو فوق ذلك مجموع جهود نوابغ هذه الأمة فى أربعة عشر قرنا ثم هى تزهد به هذا الزهد ، وتعدل عنه الى ترجمة قانون أجنبى عنها ، أى أمة تعدل عن هذا الى هذا لعجيب أمرها ما لم يكن لها عذر عرض لها ثم يزول فترجع الى الصواب .

أقسم بالله العلى الأعلى لو كان للانجليز أو للفرنسيين أو للالمان أو للامريكان أو لأية أمة من الأمم اعلام فى التشريع والقضاء ، لا أقول كأعلام الأمة الاسلامية ، بل أقول كالأعلام الذين نبغوا فى بلاد مصر وحدها لما بالى أكثرهم فى التشريع بقوانين الرومان ولأقاموا لهؤلاء العظماء جميع أسباب الذكرى ولدونوا أحكامهم وعلومهم الفقهية فى معاجم ومعالم (جمع معلم أى دائرة معارف) ولوصلوا ماضى فقههم بحاضره وسابق تشريعهم بآتيه وكان يكون الفقه الاسلامى وفقهاء المسلمين هم كل شىء فى عالم التشريع.

ويواصل الفتح اهتمامه بالشريعة الاسلامية فنجد الأستاذ حسن البنا فى عام ١٣٥٥ (١٤ يونيه ١٩٣٦) خطابا الى رئيس الحكومة مصطفى النحاس باشا برسالة بمناسبة تصريحاته عن الاعجاب بلا تحفظ بكمال أتاتورك الذى قال :

(ولست أعجب فحسب لعبقريته السياسية بل أعجب أيضا لعبقريته الخالقة وفهمه لمفهوم الدولة الحديثة التى تستطيع وحدها فى الحالة العالمية الحاضرة أن تعيش وتنمو) .

فقال الأستاذ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين :

ان موقف الحكومة التركية الحديثة من الاسلام وأحكامه وتعاليمه وشرائعه معروف فى العالم كله لا لبس فيه فالحكومة التركية قلبت نظام الخلافة الى الجمهورية وحذفت القانون الاسلامى وحكمت بالقانون السويسرى مع قوله تعالى :

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

وصرحت فى دستورها أنها حكومة لا دينية وأجازت بمقتضى هذه التعاليم أن تتزوج المسلمة غير المسلم وأن ترث المراة مثل الرجل . أما موقفها من الشرق فقد صرحت فى وقت من الأوقات بلسان وزير خارجيتها بأنها ليست دولة شرقية وقد قطعت صلتها بالشرق حتى فى شكل حروفه وأزيائه وعاداته وفى كل ما يتعلق به ، لذلك وقع تصريح دولتكم من أنكم معجبون بكمال أتاتورك غريبا على الذين لم يعرفوا دولتكم الا زعيما شرقيا مسلما فخورا بشرقيته متمسكا باسلامه قائدا لأمة تعتبر زعيمة أمم الشرق جميعا ، وقد أخذ كثيرون ممن طالعوا هذا التصريح يتساءلون : هل يفهم من هذا أن دولة النحاس باشا وهو الزعيم المسلم الرشيد يوافق على أن يكون الأخذ بعد الانتهاء من القصة السياسية ببرنامج كالبرنامج الكمالى يبدل كل الأوضاع فيها ويقصيها عن الشرق والاسلام ويسقط من يدها لواء الزعامة ، لقد كان من أعز الأمانى أن يؤيدكم الله فيؤيد بكم الدين والأخلاق وتسلكون بالأمة مسلكا يعيد اليها ما فقدته من استقلالها السياسى وتشريعها الاسلامى وخلقها الاجتماعى .

٢ — وفى هذا المجلد الحادى عشر فى هذا العام الحاسم (١٩٣٦) الذى وقعت فيه الاتفاقية المصرية البريطانية اعلان على بدأ عهد جديد من الاستقلال يتحدث الفتح عن الفقه الاسلامى والتشريع حيث أخذ رجال القانون وأساتذة كليات الحقوق فى مصر والشام والعراق يتنبهون الى أن الاستقلال لا يكون حقيقيا فى الشرق العربى ما لم تتحرر ممالك الشرق من الاحتلال المعنوى ولا سيما فى تشريعنا ، ومن ثم فقد نقلت من مجلة المحاماة الشرعية الذى نشرته ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ يقول :

طالما عنى هؤلاء العماء والباحثون بدرس هذه التصريحات التى أعلنها غير المسلمين حين اعترفوا للفقه الاسلامى بأنه البحر أنه قسطاس العدل وأنه مجموعة انطوت على ما يسد حاجة الناس الى التشريع ومن ذلك ما كتبه القانونى الغربى المنصف (سانتلانا) فى الفقه الاسلامى ولاسيما كتابه المطبوع فى تونس ١٨٩٩ وأبحاثه كافية للحكم بأن فى فقهنا ما يكفى المسلمين فى تشريعهم المدنى ان لم نقل أن فى ذلك كفاء للانسانية

كلها ولا تزال كلمة المستشرق المجرى الأستاذ فمبرى أن فقهكم الاسلامى واسع جدا ، الى درجة أنى أقضى العجب كلها فكرت فى أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لبلادكم (جريدة وقت — القسطنطينية ١٣٤٣) .

ومن الذين وقفوا حياتهم على دراسته من غير المسلمين كالأستاذ سليم باز المسيحى اللبنانى (شارح مجلة الأحكام الشرعية) يعتقدون بكل اطمئنان ان فى هذا الفقه كل حاجة البشر فى عقودهم ومعاملاتهم وأقضيتهم والتزاماتهم .

وما احتوته خزائن دور الكتب الغربية فى ليدن فى هولندا ، الى روما وبرلين وباريس والمتحف البريطانى الى المكتة البابوية فى قصر الفاتيكان ، ثمرة جهود الألوف الكثيرة من فحول علمائنا منذ بضعة قرون ما يعد شاهدا قائما خالدا على أن هذا الفقه بحر لا ساحل له وأنه لا يوجد معنى من معانى الأحكام المنشود فيها العدل الا ويقدم لفقه مسلم قول فيه يوافق حاجة من حاجات البشر فى التشريع .

وقد صار هذا التراث الينا نحن الجاهلين بقيمة التركة التى تحت ايدينا فلم نحسن القيام عليه ولم نبرهن على اننا أهل للاستفادة منه ، كذلك انصرفت الحكومات الاسلامية الى القوانين الأجنبية كالقانون المدنى الفرنسى أو المدنى السويسرى ، أين هذا من الشريعة الاسلامية التى انس بها المسلمون ومازجت ارواحهم مدة أربعة عشر قرنا وفيها مرآة مشاعرهم وعلاجات أمراضهم الاجتماعية ، فالفقه الاسلامى على سعة تراثه وشموله العجيب قادر على تقديم أصدق منهج لو كانت الحكومات العربية والاسلامية جادة فى السعى الى استنباط قوانينها وأنظمتها منها

***

وتواصل الفتح (م ١١ ص ٦٣٣) الدعوة الى سن تشريع مدنى اسلامى لمصر والشرق العربى حيث قدمت اقتراحا لعقد مؤتمر حكومى أو جامعى يمثل مصر والأقطار الشقيقة بتوقيع « جوستنيان » ديسمبر ١٩٣٦ قال لما كنت بمدينة ليون طالبا فى قسمى الدكتوراه ١٩١١/١٩٢٠ كان

أستاذنا لامبير يشير دائما على المصريين أن يعنوا بوضع رسائل الدكتوراه فى الشريعة الاسلامية ، ويرى أن الشريعة الاسلامية فى المعاملات كنز لا يفنى ومنبع لا ينضب وأثمرت النصيحة عن أول طالب مصرى أخذ عنه القانون هو المرحوم الدكتور محمود فتحى اذ وضع رسالة فى الدكتوراه فى مذهب (الاعتساف) فى استعمال الحق والخروج عن حدود الحق فى غير ما شرع له الحق وذلك عند فقهاء الاسلام فظهر ١٩١١ وأشارت الصحف الألمانية بالعظمة القانونية للاسلام ، وكان المصرى الآخر هو الدكتور محمد صادق فهمى الذى أخرج رسالته فى (الاثبات) باللغة الفرنسية ١٩٢٣ وأرصد الجزء الأهم فيها لما قرره علماء الشريعة الاسلامية وعلى رأسهم (شمس الدين بن قيم الجوزيه) فى كتابه (أعلام الموقعين) ، كما قدم أحد المصريين ١٩١٤ رسالة فى مسئولية الدولة بكلية الحقوق فى ليون ،

وواصلت الفتح اهتمامها فنشرت أربع أبحاث هامة عن الشريعة الاسلامية فى المجلد الحادى عشر صفحات (٦٣٣ — ٦٣٧) كما نشرت فصلا للدكتور زكى على عن التشريع الاسلامى وسن القوانين (ص ٧٣٠) ونشرت محاضرة للدكتور عبد الرازق السنهورى تحت عنوان (واجبنا نحو الفقه القانونى والتشريع) ص ٧٣١ .

وقد رد السيد الخضر حسين على مهاجمة جريدة السياسة للشريعة الاسلامية ص ٩٤٥ .

كما نشرت فصولا فى صفحات ٥٢٧ ، ٥٣٥ ، ٨٦٣ عن صلاحية الشريعة الاسلامية .

وقدمت الفتح كتبا نفيسة فى التشريع الاسلامى :

— أحمد بك ابراهيم : أحكام الوقف والمواريث .

— دكتور شفيق شحاته : النظرية العامة للالتزامات فى الشريعة الاسلامية .

— حسن أحمد الخطيب : التشريع الاسلامى : مصادره وقواعده العامة .

* * *

ونشرت الفتح فصلا مطولا فى المجلد (الحادى عشر) عن الشريعة الاسلامية لصاحب الفتح

قال : ان اكثر الأديان تقوم على عنصرى العقيدة والعبـــادة فقط ولا شان له بنظام المجتمع والاشراف عليه ، ان الاسلام يقوم على عناصر العقيدة والعبادة والحكم ، ولا يبيح لأتباعه أن يخضعوا الا لأحكام دينهم وقد سن اليهم الهجرة من البيئة التى تضطـهد أحكام دينهم ولا تمكنهم من السيادة والاعلاء . ويوم كانت أحكام الاسلام ومبادئه واخلاقه ســائدة فى زمن الصحابة بادر سكان مصر والشام والعراق وشـــمال أفريقيا الى اعتناقها بشغف واقبال لا نظير لهما فى التاريخ لانهم لمسوا يومئذ بأيديهـم وآمنوا بقلوبهم وعقولهم ، وان أحكام هذا الدين الفطرى المســلم المنزل الأحكام وان مبادئه انظف المبادىء وان اهدافه اسمى الأهداف ولو أن دفة الاسلام بقيت فى ايدى اهله الأولين ولم ينتقل الى أيدى قواد جيوشهم من المماليك والمغول واحزابهم وأكثرهم لم تتهذب نفوسهم بمبادىء الاســلام ولبقى لأحكام الاســلام جمالا تبصره العيون فلا نبحث عنه فى الكتب لبقى لأخلاق الاسلام سلطانها يذعن له الناس فى بيوتهم وأسواقهم فالاسلام دين جماعة ودين حكم والمسلم الذى يتحرى أحكام دينه ومبــادئه يتحراها فى عبادته الفردية من صلاة وصيام ويتحراها فى أحواله الشخصية من زواج وميراث ويتحراها فى جماعة الاسلام بالحرص على اقامة شعائر الاســلام وتوخى العزة له ولأهله .

— ٦ —

ثم جاءت مرحلة ما بعد الاستقلال واتصل الحديث عن طابع الاسلام فى التشريع (١٩٣٨ — م ٩٢٢/١٣) حيث دعا السيد محب الدين الخطيب الى اعادة النظر فى التشريع الذى يتعلق بتجارة الخمور والبغـــاء وقال : لقد كانت مصر أيام اللورد كرومر متجهة الى أن تكون بلدا مشاعا لكل الأمم وكانت أنظمتها وروح الادارة فى حكومتها ترمى الى استغلال مصر لفائدة الأغيار ، والحماية القانونية التى تتمتع بها الحانات وبيوت الدعارة فى مصر لا نظير لها حتى فى البلاد العريقة فى الاباحية والفوضى ، انما هى وليـــدة

سياسة الاحتلال البائد الذى كانت ترمى الى جعل مصر بلدا شعوبيا (International) .

أما وقد عرف لمصر الآن بانها لأهلها فمن حق أهلها أن يعيدوا النظر فى نواحى التشريع التى لها تأثير فى معنويات الشعب المصرى واخلاقه واحكام دينه .

ان فى الشباب المسلم روحا قويا لا يرضى بشىء قدر ما يرضيه توفيق التشريع المصرى مع نصوع الشرع الاسلامى وتؤكد أن الجامعة المصرية مليئة بهذا الصنف من الشباب المتعلم ، من شباب مصر الفتاة والجمعيات الاسلامية وجمعية الاخوان المسلمين ليس الا صدى لطور جديد ينبغى أن يلاحظ جانبه وأن يحسب حسابه وفى ذلك الخير كل الخير لمصر .

وتعنى الفتح بالاقتراح الذى تقدم به عضوين من مجلس النواب هما الدكتور عبد الحميد سعيد والشيخ محمد عبد اللطيف دراز بشأن صلاحية الشريعة الاسلامية لتشريع جديد .

ففى م ١٣ (ديسمبر ١٩٣٨) يقول الاقتراح :

نظرا لأن الشريعة الغراء تصلح أساسا لأى تشريع جديد بل لقد اقر علماء الدول الغربية وفقهاؤها مجتمعين فى مؤتمر القانون المقارن فى لاهاى (أغسطس ١٩٣٧) حيث مثل الأزهر تمثيلا قويا :

ان الشريعة الاسلامية تتلاءم وتطورات المدنية الحديثة ، وقد تبين أن فى جعل الشريعة الاسلامية أساسا لتشريع ما يغنينا عن النقل من الشرائع الأخرى او تقليدها ، فان اتخاذ الشريعة الاسلامية أساسا للتشريع فى مصر ما يشجع على التعمق فى البحث فيها ومقارنة فى أحكامها بأحكام الشرائع الأخرى وبذلك تبرز محاسنها للعالم كله .

ومن هنا نقترح أن يكون الأساس الأول لأى تعديل فى القانون القائم هو الشريعة الاسلامية الغراء وأن يراعى درس ما يدخل من تعديل فى القوانين الحالية للوصول الى تحقيق هذا الغرض وأن ترد الأحكام الجديدة بقدر الامكان الى قواعد الشريعة الاسلامية وآراء فقهائها التى

تتمشى مع مقتضيات الحياة فى العصر الحاضر ودعت المذكرة الى تشكيل لجنة من علماء الفقه تنضم الى لجنة تعديل القوانين .

● وكتب عبد المنعم الصدة تحت عنوان (الشريعة الاسلامية فى القانون المدنى المصرى) يقول : دعوى باطلة تلك التى يقول أصحابها ان الشريعة التى كانت صالحة بالأمس لم تعد تصلح لأن يؤخذ منها اليوم ، وقد تكفل بالتصدى للرد على هذا الزعم : محمد كامل مرسى وسيد مصطفى فى كتابهما (أصول القوانين) ، على بدوى فى كتابه (تاريخ القانون) حيث أوضحوا بجلاء أن الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان وأن ما يتوهم البعض من أن أحكام الشريعة الاسلامية ثابتة غير مغيرة ، وانهـا بذلك تتنافى مع التمدن الحديث وتقدم الأمم ، انما يقوم على اعتقاد غير صحيح ، ذلك الأن السلطة الحاكمة لها أن تضع احكاما بشروط خاصة تواجه بهـا الحاجات والحوادث الجديدة وما يصدره من أحكام يكون مشروعا ويجب العمل به شرعا ما دام أنه صادر وفقا للأصول العامة الشرعية وبذلك يمكن ان تصـدر كل الأحكام التى تصبح لازمة بحسب الزمان والمكان ، كذلك نوجه أنظمة شرعية كثيرة لا تختلف فى شىء عن الأنظمة الوضعية فى سائر الأمم ، كما أن الشريعة الاسلامية ليست كسائر القوانين الالهية الأخرى فان أحكامها لم تكن مقصورة على علاقة المخلوقين بالخالق بل نفدت بذلك وشملت كل الأحكام التى شملتها القوانين الوضـعية فى البـلاد الأخرى من احوال شخصية ومعاملات وعقوبات ومرافعات .

وأشار الكاتب الى ما يورده الدكتور عبد الرازق السنهورى فى كتابه (نظرية العقـد) :

والشريعة الاسلامية شريعة الشرق ووحى الهامه وعصارة أذهان مفكريه نبتت فى صحرائه وترعرعت فى سهوله ووديانه فهى قبس من نور الاسلام يلتقى عندها الشرق والاسلام ، فيض ذلك بنور هذا ويسرى هذا فى روح ذلك حتى يمتزجا ويصيرا شيئا واحدا ، هذه هى الشريعة الاسلامية ولو وطئت أكفافها وعبدت سبلها لكان لنا من ذلك للتراث الجليل ما ينفخ روح الاستقلال فى فقهنا وقضائنا وفى تشريعنا ، ثم لأشرقت تطالع العـالم بهذا النور الجديد فيضىء جانبا من جوانب الثقافة العالمية فى القانون .

— ٧ —

ويواصـــل الفتح اهتمامه الوافر بالشريعـــة الاسلامية ففى المجلد (١٤ — ١٩٣٩) أشارت الى ان الأستاذ احمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة وجه كتابا الى الملك التمس فيه امورا كثيرة مما يرى فى تحقيقه صلاح مصر وترجع كلها الى ضرورة تربية روح الدين فى كيان الأمة وفى جمـــلة الأمور التى التمسها العمل بالتشريع الاسلامى قال :

« لقد حانت الساعة التى نراجع فيهـــا مجموعة قوانيننا ونجعـــل أساسها الشريعة الاسلامية لأنها الأساس الواحد الثابت المضطرد الذى يتفق مع مزاجنا وتقاليدنا وبيئتنا وان مجموعة القوانين فى كل امة التى تكيف هذه الأمع وتطبعها بطابع مخصوص ، وهى التى تحكم نشـــاطها وتغذى معنويتها فينتظم معاشها ، لذلك يجب ان يكون مصدر القوانين واحـــدا لتتناسق وتتساند وتتكافل وتلتقى كلها عند نقطة واحـــدة وهدف واحد . لقد أصبحت قوانيننا خليطا من قوانين الأمم ، ومثل هذه الفوضى لا يمكن أن تؤدى الا الى فوضى اجتماعية خطيرة بينما تسود البلاد كاثر من آثار الشريعة الاسلامية تقاليـــد اسلامية وعادات اسلامية بحتة ، اذا بقانون العقوبات يناقض هذه التقاليد والعادات ويحاربها او يسخر منها فأصبح المصرى حائرا مرتبكا لا يعرف أيرضى عاداته وتقاليده التى يمليها عليه دينه أم يخضع للقانون ويدع دينه وتقاليده ، هذا النزاع النفسى هو الذى انتهى بالمصريين جميعا الى التحلل من الاثنين . لقـــد حانت الساعة لكى نضع حدا لهذه الفوضى باتخاذ الشريعة الاسلامية الأول والأخير لكل قوانيننا .

— ٨ —

واتســـع نطاق صيحة العودة الى الشريعة الاسلامية ففى المجلد السادس عشر (١٩٤١) اشـــارت الفتح الى هـــذه الخطوات فقالت :

لما احتاجت مصر فى القرن الماضى الى تشريع منظم يلائم حاجتهـــا القضائية اراد بعض ولاة الأمور فى مصر أن يكون استمدادا للتشريع المطلوب لمصر من الفكر الاسلامى مشترطين عدم التقيد بمذهب فقهى واحد فعارض المشايخ يومئذ بأن هذا (تلفيق) لا يقرونه ولا يرضون به واجبروا على

ذلك حتى بعد العلم بأن القوانين المصرية ان لم يؤخذ من المذاهب الفقهية الاسلامية على اختلافها فانها ستؤخذ من القانون الفرنسى ، ثم انتهى الأمر بانشاء المحاكم المختلطة والعمل فيها بالقانون الفرنسى ثم ينتقل هذا القانون الى القضاء الأهلى الذى أنشىء عقب ذلك » .

وفى ضوء التصريح المشترك الذى أعلنته المملكة المتحدة البريطانية والولايات المتحدة الأمريكية من أنهما يحترمان حقوق جميع الشعوب فى اختيار شكل الحكومة أو تدبير شئونها وقالت الفتح أنه تصريح صريح فى أن الشعوب الاسلامية اذا شاءت أن تختار لادارة شئونها شكلا اسلاميا من أشكال الحكم فان ذلك من حق تلك الشعوب والدولتان الديمقراطيتان تعترفان بهذا الحق وتحترمانه ، فهل فكر علماؤنا ورجال أزهرنا بأنهم أصبحوا — متى سمعوا هذا التصريح — أمام واجب يقتضى عليهم بأن يرسموا خطة العمل لتنظيم التشريع الاسلامى تنظيما قضائيا تنجلى به جماع وسمو أغراضه ودقة شموله وبحرية العدل والاحسان فى جميع علاقات البشر المدنية والاجتماعية والجنائية حتى يظهر فيه للأبصار والأغيار ما كان خافيا على الكثيرين من محاسنه التى لا تضارعه فيها غيره فيعود الانسان الى تحكيم أحكامه والاقتباس منه والتعويل على جماعة كبار العلماء فى الأزهر لعقد جلسة رسمية خاصة بهذا الأمر (م ١٦ — ص ٣٣٢)

٢ — ويواصل الفتح مدافعاته فى هذه القضية الأساسية فيقول :

طالما كتبنا فى أعداد الفتح فى سنواته الست عشر الماضية آيات الثناء على ما تأخذه حكوماتنا عن الغرب من أسباب القوة والمعرفة وأساليب الاستثمار والتنظيم ولكننا ما برحنا نقبح الانغماس فى اناء الغرب وندعو المسلمين — حكومات وشعوبا — الى أن يكونوا كالنحل يأخذ من كل زهرة ما يطيب لها وتأخذه لتنهض ويكون لها منه مثل ما يكون النحلة من العسل فى حلاوته ومنافعه . اما الانسلاخ عن رابطة الاسلام للاندماج فى بؤرة التفرنج على قاعدة أن النوع كل لا يمكن أن يتجزأ ، وأن ثقافة أوربا يجب أن تؤخذ بحزافيرها ، وهذا ما كان يتجاهر بالدعوة اليه كثيرون فى تركيا وايران فهذا ما كنا نحذر اخواننا المسلمين منه ونقول لهم أنه يقطع صلتهم بتاريخهم ولا يسلكهم فى حبل غيرهم وأنه هو الذى ينطبق

عليه القول المشهور ، مثل النعامة لا طير ولا جمل ، وكنا نقول أن الغربيين أنفسهم لا يأخذ بعضهم من بعض الا انتقاء واختيارا ليهضموه ويستخرجوا منه منافع لهم وشر أنواع الاتصال بالاندماج ، وشر أنواع الاندماج الاقتصار على فريق واحد من الغربيين لا يغترف الا من انائه ولا يتعامل الا مع أبنائه والحكومات الاسلامية المستقلة الرشيدة هى التى تحافظ على الصيغة المصرية الاسلامية لامتها وتقتبس لها الأنظمة والمعارف ووسائل النهوض من كل أمة (م ١٦ — ٣٤٨) .

٣ — والقى الشيخ عبد الوهاب خلاف محاضرة فى مؤتمر الاسلام والاصلاح الاجتماعى تحت عنوان :

(لماذا أخذت قوانين مصر من التشريع الفرنسى)

ولقد لخصتها الفتح م ١٦ سنة ١٩٤٢ ومما جاء فيها :

ان سبب هذا هو الامتيازات الأجنبية وذلك أن نوبار باشا لما فكر فى عهد الخديو اسماعيل فى انشاء المحاكم المختلطة اتخذ كل الوسائل التى ترضى الأجانب عن هذه المحاكم وتكسب ثقتهم وكانت أولى هذه الوسائل أن يأخذ قوانينها من القوانين الفرنسية والقضاء الفرنسى فعهد الى الأستاذ (مانور) أحد المحامين الفرنسيين أن يضع قوانين المحاكم المختلطة من قوانين فرنسا وقضائها فوضع القوانين الستة :

(المدنى — التجارى — البحرى — العقوبات — تحقيق الجنايات — المرافعات)

وبدأت المحاكم المختلطة تقضى بهذه القوانين من عام ١٨٧٥ فى أرض مصر وفى خصومات أحد الطرفين فيها مصرى ، ولكن أهملت مصر والطرف المصرى لمصلحة هذا الطرف الأجنبى ورضاه ، ولما فكرت الحكومة فى عهد الخديو اسماعيل فى انشاء المحاكم الأهلية قررت أنها لو أخذت القوانين الستة التى تقضى بها المحاكم المختلطة للقضاء بها فى المحاكم الأهلية كان هذا وسيلة الى رضاء الأجانب باحلالها محل المحاكم المختلطة وتوحيد القضاء فقررت أخذها وعهد الى مترجمين فترجموها باللغة العربية ترجمة حرفية فى أكثر مواردها وبدأت المحاكم الأهلية تقضى بهذه القوانين

الفرنسية على المصريين الذين اهمل جانبهم فى التعيين لهم ، وما روعيت شريعتهم ولا عاداتهم ولا قبولهم ، بل فرضت عليهم قوانين غيرهم فرضا وقسروا على أن يلبسوا ما لا يصلح لهم ، وارغموا على ان يرضوا بما ينافى دينهم وشعورهم وفقدوا استقلالهم التشريعى وعاشوا عالة على قوانين فرنسا وشروحها وأقضيتها وصارت هذه المجموعة مرجع القضاة والمحامين المصريين للقضاء بين المصريين فى أرض مصر ، ومن هذا يتبين ان حق التقنين لنا ما درست شريعتنا وتبين انها غير صالحة لا يكون مصدرا للتقنين او ان مبادئها قورنت بمبادىء غيرها فكانت مبادىء غيرها اصلح واعدل او ان تطبيقها أسفر عن فشلها فى بعض القوانين أو ان علماء طلبوا منهم أن يستمدوا قوانين منها فعجزوا ، وما كان من ذلك من شىء وانما هى الامتيازات الأجنبية والحرص على رضا الأجانب ودولهم قضت ان يهمل الأمة المصرية فى التشريع لها وان يقهر على قوانين غيرها وبان تضع لها قوانين اجنبية عن شريعتها وعرفها وبيئتها .

وقد عقد مؤتمر الاسلام والاصلاح الاجتماعى فى القاهرة ، يونيه ١٩٤١ من أجل احلال الشريعة الاسلامية محل التشريع الفرنسى وتحدث فيه طائفة ممتازة من اهل العلم والفضل .

٤ — وفى المجلد السابع تحدث السيد محب الدين الخطيب عن الاسلام فى الدستور المصرى فيقول : ان الاسلام عنصر جوهرى فى نظام مصر الاجتماعى لأنه كذلك من عصور متوغلة فى التاريخ ، لم يتردد المشرع المصرى على اعتبار الاسلام (دين الدولة) عندما وضع الأساس الجوهرى فى بناء الدستور لهذا الوطن ، فالاسلام عنصر جوهرى فى نظام مصر الاجتماعى ، هذه حقيقة لا يستطيع أن يكابر فيها احد مسلما كان أم غير مسلم وطنيا كان أو اجنبيا ،

وكان ذلك فى الرد على محمود عزمى ومحمد حسين هيكل .

ويقول : ما يزال يرى المصريون ان التحرر القومى والاستقلال الوطنى يخطو خطوات الى الاقتراب من نظام مصر الاجتماعى القائم على قواعد الاسلام فى كيان الأسرة وتكوين المجتمع وينشدون الحرية ويسعون

فى سبيل الاستقلال لأنهم اذا نالوا حريتهم واستقلالهم كان معنى ذلك انطلاق شريعتهم فى الطريق الذى يرتاحون اليه ويرون فيه سعادتهم ،

ويدعو الى الاهتمام بالشباب الجامعى .

٥ — وفى المجلد ١٨ يتحدث الفتح عن الفقه الدولى والفقه الاجتماعى فالفقه الدولى هو الذى يحدد علاقات الدولة الاسلامية بالدول الأخرى ، وأن فقه الدول هو الذى يحدد سلطان الدولة الاسلامية فى ادارة الوطن الاسلامى واهله وكيفية اختيار الامام الأعظم وصفة أهل الحل والعقد من رجال شوراه ، وشروط ولاية القضاء ، سماه شيخ الشافعى أبو الحسن المودودى باسم « الأحكام السلطانية وأحكامه المنثورة فى كتب الأئمة وقد ازاد بعض الأئمة فروعا منه بالتأليف مثل كتاب « الخراج » للقاضى أبو يوسف ، وكتاب الخراج للامام يحيى بن آدم القرشى وكتاب الأموال لأبى عبيد ورسائل الحسبه لشيخ الاسلام ابن تيمية .

أما الفقه الاجتماعى فيتناول اشراف الدولة على شئون أفراد رعاياها وجماعاتهم فى شعب الايمان الاسلامى كما يعين أهداف الاسلام فى تربية أهله وتوجه تصرفاتهم الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ليتم بذلك ما أراد الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أن تكون خير أمة أخرجت للناس

وقد قسم الفقه الاجتماعى الى :

١ — فقه الأسرة : الأحوال الشخصية .

٢ — فقه الالتزامات والعقود : القانون المدنى .

٣ — فقه الحدود والقصاص والزواجر .

٤ — فقه العبادات .

٦ — وردت الفتح على الدكتور طه حسين فى هجومه على الشريعة الاسلامية بمناسبة الاحتفال بمرور خمسين سنة على تأسيس المحاكم الأهلية فقالت :

الدكتور طه حسين يقول : ان فى مصر قوما ما زالوا يفكرون فى أن نظام القضاء الشرعى ليس من ضرورات الحياة المصرية ، وأن الرقى

الطبيعي يقتضى أن يمضى فى تطوره حتى يصبح جزءا من نظام القضاء المصرى العام ..

وصدق طه حسين فان فى مصر طائفة يفكرون فى أن نظام القضاء الشرعى ليس من ضرورات الحياة المصرية بل يفكرون فى أن الاسلام نفسه ليس بمصر حاجة اليه ولطالما تزمروا من كون دين الدولة المصرية هو الاسلام وقد يكون هو نفسه المتزمر من هذا النص فى الدستور وقد نشر فى مجلة الحديث الحلبية هذا ،

ولو تركت مصر الى رحمة الدكتور طه حسين وذلك النفر القليل لخرجوا من التفكير الى التدبير لاعلان أن نظام القضاء الشرعى ليس من ضرورات الحياة المصرية ولكن الله أرحم من أن يجعل مصر الاسلامية تحت رحمة أمثال هؤلاء ، وكم مضى أمثالهم تحت سماء مصر فأرادوا بالاسلام ما يشتهون ثم خيب الله ظنهم وظلت مصر الاسلامية هى مصر الاسلام لأن على مصر واجبا للاسلام ستتمخض عنه الأيام القريبة أو البعيدة فتكون الأرض غير الأرض .

الاسلام دواء أمراض اجتماعية تفتك الآن بالانسانية ، والانسانية فى عصر الاستكشاف تبحث عن منافعها فى دفائن الأرض ، فان لم نسبق نحن الى اظهار الأكسير الاسلامى للذين لا يعرفون قدره فانهم سيتوقون الى اظهاره بأنفسهم .

قال فحيرى المستشرق المجرى : ان فقهكم واسع جدا الى حد أننى أتقضى العجب كلما فكرت فى أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم ،

قال أحمد تيمور : انه لا يكاد يوجد حكم صدر موافقا للعدالة فى أى محكمة من محاكم الدنيا من أول عهد البشر بالقضاء الى الآن الا وفى مذهب من مذاهب الفقه الاسلامى الغابرة أو الحاضرة ما يوافقه أو يغنى عنه ، وفى الاشارة الى الاستغناء عن قانون نابليون بقانون جديد طالب بانشاء دوائر معارف فقهية مثل معالم (والوز وكارينتيه وبانزكت) فى القوانين ،

وتحدث عن فحول المشرعين الذين نبغوا فى مصر من أمثال محمد بن ادريس المطلبى والليث بن سعد والبويطى والربيع بن سليمان وأشهب العامرى وابن عبد الحكم وأحزابهم من أحبار الفقه الاسلامى وأشار الى أن القانون المدنى المعمول به فى محاكم تونس مقتبس من الفقه المالكى والقانون المدنى الذى كان معمولا به فى سلطة آل عثمان مأخوذ من فقه أبى حنيفة ولا يزال معتبرا فى المحاكم المدنية فى الشام والعراق .

(٩)

وقد عقدت فى خلال هذه الفترة ندوات واسعة لدراسة الشريعة الاسلامية والدعوة الى اتخاذها أساسا للتقنين فى البلاد ، ومن ذلك ندوة الجمعية الملكية للاقتصاد السياسى حيث تحدث فيه الشيخ محمد سليمان ، عبد الحميد بدوى ، كامل مرسى ، اتربى أبو العز ، وذلك فى مواجهة اجراءات تعديل القانون فى هذه الفترة ١٩٣٨ .

قالت الفتح : ان لجنة التعديل اطلقت لها الحرية فهى اتحاد أساس التغيير لا تعدو أن تأخذ تشريع مصر بدءا لغايتها فأى تشريع يجب أن يكون بدء غايتها التشريعية ، الذى مر عليه نصف قرن وقد ظهرت عيوبه أم تشريعنا الذى لابس البلاد ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن حتى كون الأمة وطبعها بطابعه ،

وتحدثت الفتح عن جنوح المشرعين الى المصالح المرسلة التى بمقتضاها سارت الشريعة دولا وأزمانا تؤدى وظيفتها وهى تحقق العدالة بين بنى الانسان .

وقالت : ان أصول الأحكام فى هذه الشريعة ٦٥٠ حكما من القرآن والسنة استطاع المشرعون أن يستخرجوا منها ما صلحت به تلك الامبراطورية الضخمة طوال تلك الأحقاب حتى أن مشرعا واحدا استخرج تسعة وعشرين ألف مسألة تشريعية من ذهنه فى القرن الماضى حتى فى عهد محمد على كان فى مدينة المحروسة وحدها اثنتا عشرة محكمة جزئية وأربع محاكم عليا وقد ألفيت الجزية ١٢٢٦ والكليات العينية ١٢٩٧ اذ وضعت

أول لائحة للمحاكم الشرعية فى تلك السنة ، وبرهنت على أن الشريعة لا تزال محاكمها قانونية فى عمومها الى وقتنا هذا وقالت : قارن بين الشريعة وما أنتجته حضارة الشريعة الاسلامية ما مثله تلقاها الساميون بمزيد الدهشة والاعجاب . وتحدثت الفتح عن القوانين التى ستغير منها قانونا المرافعات وتحقيق الجنايات وهما فى اجراءات يصح ادخالها فى باب المصالح المرسلة فتكون من شريعة البلاد وقانون العقوبات وهو من باب التعزير وقد تركت الشريعة أمره مفوضا للمحاكم فيما تشرعه فيه يكون من شرع الله ما لم يخالف الكتاب والسنة » .

الفصل الثانى

التربيـــة الاســـلامية

أذا كان السيد محب الدين الخطيب قد أولى اهتماما بالغا للشريعة الاسلامية وتطبيقها فقد حشد جهدا ضخما للتربية الاسلامية وقدم فيها منهجًا واضحا واسعا وكان الاهتمام بالجامعة الأزهرية واصلاحها منذ المجلد الأول حيث كتب عبد العزيز جاويش مطالبا أن تعود المعاهد الدينية سيرتها الأولى متى كان لدى الطلاب من المبادىء العلمية ما يعنيهم على معالجة الأمور مثل شهود مجالس معلمهم وأن أساس التعليم الحديث فى جامعات أمريكا الآن هو الذى هجرته معاهدنا الدينية ، وينبغى العدول عن الكتب التى وضعت فى العصور الأخيرة موجزة معقدة حتى لتكاد تكون أحاجى والغاز فان هذا مضيع للوقت صارف للطلاب عن الجوهر واللباب، وبجب أن تؤلف كتب حديثة سهلة التناول ، حسنة التبويب والتفسير ، ويجب أن يستعان بما للسلف من الكتب فى مختلف العلوم فانها ديوان العرب ومزايا ماضى الاسلام وخزائن ثمار الجهاد العقلى الذى سلخ منه سلفنا الصالح قرونا كثيرة .

٢ ــ وتحدثت الفتح عن المحاذير التى أنشئت الجامعة المصرية من أجلها فى ضمائر أصحاب النفوذ الأجنبى وهى أن تكون بديلا للأزهر وعلقت على مقال للسياسة الأسبوعية (٣ مارس ١٩٢٧) قالت السياسة الأسبوعية (وان الجامعة المصرية صائرة لا محالة الى حيث تحل من ناحية النفوذ خارج الحدود المصرية محل الجامع الأزهر ونفوذه الكبير ، فى تلك العصور التى مضت ، ولم يكن الجامع الأزهر أيام ازدهاره الا جامعة متوجه لدرجات التعليم العام فى تلك العصور ولم يكن نفوذ الجامع الأزهر الا ناشئا من هذا الاعتبار وحده) .

وقالت الفتح : هل تحل الجامعة محل الأزهر ؟

سؤال كان على كاتب السياسة أن يبحثه من جميع وجوهه وأن

يطيل التفكير فيه قبل أن يعطى حكما نهائيا بشأنه ، فان نفوذ الأزهر فى بلاد الاسلام نتج عن قيامه بخدمة علوم الاسلام خدمة لم يغن غيره منها غناءه فهل يمكن للجامعة أن تحل محله فى القيام على علوم الاسلام ، ان غرض الجامعة ينطق بأنها ما أنشئت لتقوم بتعليم العلوم الاسلامية وبالدفاع عن الاسلام بل هى بعيدة كل البعد ، اذا فكيف يتهيأ لها أن تحل من نفوس المسلمين محل الأزهر ، يخيل للكاتب أن البلاد الاسلامية تتطور وأن هذا التطور سيحيلها الى حالة فكرية تستغنى فيها عن دينها وتقاليدها وعن الاسلام وعلومه ، وتنقلب أمما لا تستطيع رؤية العلوم الاسلامية بل تستبدل بها الثقافة الجديدة ، تلك الثقافة التى تستغنى بها عن الدين وعلومه ، ان نفوذ الأزهر ناشىء عن قيامه على علوم الاسلام قياما متواصلا لم يعتوره انقطاع . ونجاحه فى ذلك نجاحا لم تؤثر فيه أحداث الدهر ولا تقلبات الأحداث ولا ضعف المسلمين وتدهورهم ، فما نبغ نوابغ العلماء الا فى رحابه ولا خرج المصلحون الا من حلقات دروسه، ولا يعرف المسلمين حتى يهاجم الدين الا أهل الأزهر ، ولا ترجع الأمة فى أمور دينها الا اليهم . خدع كاتب السياسة نفسه ليبنى عليه قاعدة من حلول الجامعة محل الأزهر . الأزهر للدين والجامعة للثقافة الجديدة وأنت تعرف معنى الثقافة الجديدة ، ثقافة تقوم على انكار الدين لا على تحريرها من الدين أو على عدم الحاجة اليه ، فالتقابل بين الأزهر والجامعة تقابل بين الشىء وضده . ان الفقه الاسلامى حين يدرس فى الجامعة على أنه نوع من الفقه الرومانى أو الفقه المدنى لا يحل فى نفوس المسلمين محل الأول اذ يدرس على أنه مأخوذ من كتاب الله ومن سنة رسوله ، ان الأزهر سيظل حافظا نفوذه مؤديا أمانته التى ائتمنه عليها تاريخ المسلمين ولو أنشئت ألف جامعة وجامعة ، ان الجامعة المصرية لا تحل محل الأزهر ولا محل جامعات الغرب ولا ترث نفوذهما بين الأمم الاسلامية لأنها لم توفق الى وضع الخطة الصالحة لمهمتها ولم تحسن اختيار كثيرين ممن يعملون فيها .

٣ ـ ووالت الفتح اهتمامها الى اصلاح التعليم فى الأزهر (م ٣) .

فتحدثت عن أن تنظيم التعليم العالى يضم ثلاث شعب : احداهما لدراسة الفقه ووسائله من كتاب الله وسنة الرسول ، ومذاهب السلف

الصالحين توسلا الى استخراج للأحكام الشرعية (٢) دراســـة علوم الكلام ، ودراسة علوم اللغة العربية ودراسة الكتاب والسنة من الناحية البلاغية .

وكتب الأستاذ محمد محمد الأودن ، منصـــور رجب ، عبد الباقى سرور نعيم عن اصلاح الأزهر ، وكانت الدعوة الى أن يكون اصلاحا يحتفظ بشخصية الأزهر وروح العصر فلا يرمى به فى أحضان حركة التجديد ولا يتشبث فيه بالجمود بل يكون حافظاً للروح الاسلامية مع قسط وافر من علوم العصر الحاضر ووضع تربية لبعث الروح الاسلامية من جديد .

٤ — وأولت الفتح اهتمامها الى مدارس المبشرين وماذا تفعل بأبناء المسلمين (م ٣ ص ٢٨) فقالت : ان مدارس المبشرين تعلم الأولاد الطاعة والامتثال والميل الى النصرانية غير أنهم لا يجرءون على اعلان التدين بغير دينهم بينما يحافظ المسلمون على الشبيبة القبطية من التعليم فى مدارس المراسلين الأجانب .

وتناول الموضوع بتوسع ودقة الأستاذ حسن البناء فى مقال ضاف تحت عنوان :

(هل نسير فى مدارسنا وراء الغرب) ؟

قال : لنا أن نأخذ من مدارس الغرب ومناهجـــه عنايتها بالعلوم الطبيعية والمواد العلمية والمعـــارف الحيوية التى ترمى الى ادراك سر الوجود ومعالجة مشاكل الحياة وهو العنصر الجوهرى فى رقى الغرب ، ولنا أن نأخذ عن مدارس الغـــرب ومناهجـــه عنايتها باتجاهات التربيـــة الحديثة ومراعاة مطالبها وتأسيس طرق التعليم على أسس وطيـــدة من دراسة نفس الطفل وطبائعه ، ولنا أن نأخذ من مدارس الغرب ومناهجه عنايتها بتربية الجســـوم وغرس الفضائل الوطنية فى نفوس تلامذتها ليخرجوا رجالا كاملين ، ينفعون أوطانهم والعالم كله .

ولكن هل نجعل مدارســـنا خلوا من الدين متبرئة من العناية به والاهتمام بشأنه لأن مدارس الغرب كذلك لأن مدارس الغرب ترى أن

هناك فرقا بين مدارس الكهنوت ومدارس العلوم . كلا وألف مرة كلا ، فان أسباب ذلك وموجباته أن توفرت فى الغرب فهى معدومة عندنا وان أخطأ الغربيون فى شىء فلسنا ملزمين بتقليدهم فى خطأهم ، على أن مدارسهم أسست كذلك فى وقت كان فيه الصراع بين العلماء والمتدينين على أشده وكانت موجة الالحاد تغشى أوربا من أقصاها الى أقصاها ، وكانت المدارس هى السلاح الخاص للقضاء على مزاعم الكهنوتيين وأراجيفهم ولكن الشأن الآن غيره فى أوربا التى نبت فيها الالحاد تعود الآن الى الايمان أما نحن فليس عندنا شىء من ذلك قط ، فلماذا نندفع فى تقليدها فى شىء رفع الله عنا أسبابه ونتائجه . ان علينا أن نجعل مدارسنا منبعا صافيا تستقى منه الطلاب علوم الدين والدنيا وتثقف عقولهم بقدر ما تهذب نفوسهم وتطهر أرواحهم وأن يحرروا أفكارهم من نير الأعجاب بثقافة أوربا وأن يكملوا مدارسنا بما ينقص مدارسها » .

وتحدثت الفتح عن المدارس التبشيرية فى ديار الشام : وقالت أنها خطرة على تقاليدنا الدينية ، وقد حمل تلاميذها على ترك دينهم واجبارهم على ممارسة عبادة غير عبادتهم ، القائمون عليها أتوا الى هذا البلد ليغيروا معتقدات سكانه .

وكتب محمد فتح الله درويش تحت عنوان : متى يكون للمسلمين مدارس ؟ .

(٢)

وتحدثت الفتح عن سياسة التعليم فى مصر (١٧ نوفمبر ١٩٢٧) فقالت :

لو أن القائمين على سياسة التعليم لم يجردوه من الدين ومن الأخلاق بل أقاموه على الدين وركزوه على الفضيلة لما خيف على الذين لا عاصم لهم ، من تربيتهم المنزلية وتعليمهم الصحيح ، لأن الدين كان يعصمهم ويكفهم عن اجتراح الشرور وارتكاب السيئات اذا سدت فى وجوههم أبواب الوظائف ويمكننا أن نفهم السر فى اتجاه السياسة الانجليزية نحو جعل التعليم فى مصر مجردا من الدين والأخلاق لأن هذا

هو ما تقضي به مصلحتها ويؤدي الى تدمير شعب مدين بدين هو الحقيقة معاد لدين من يدير شئونه ولكن لا يفهم بحال السر فى بقاء هذه السياسة معمولا بها الى اليوم بل فى تقهقر التعليم الدينى الى الوراء زيادة عما كان عليه فى الادارة الانجليزية . بينما ترى الجامعـــة المصرية تبث الالحاد وبتعصب طه حسين ويعتنق أبعد الآراء شذوذا اذ بك تجد الفلاحين وهم تسعون فى المائة فى جهالة فهؤلاء تفتك بهم الخرافات والأوهام .

٢ ــ وتحدثت الفتح عن (التركيز فى التبشـــير على فلســطين) : يوليو ١٩٢٨ / صفر ١٣٤٧

وأشارت الى جماعة المبشرين البروتســـتانت ودورهم الخطير فى ازعاج المسلمين وقد دعاهم المسلمون الى عقد مناظرة علنية فى القدس يشهدها عدد كبير من المسلمين والنصـارى وغيرهم يطالبون فيها باثبات صحة ما يدعون اليه بطريق البحث العلمى وضربوا لهم مدة كافية لتبليغ دعوتهم ومضت المدة ولم يعلنوا قبولهم فدلوا بعدم اجابتهم على عجزهم عن اثبات صحة دعواهم .

وكتب ابن الفيحـاء (م ١٩٢٨/٣) عن الالحاد وكيف نشـــأ فى المدارس ، وقال ان السبب فى ذلك أن الطالب يجد النظرية لعـالم من علماء الغرب فيعود الى رجال الدين يتلمس موضعها من الاسلام فلا يجد عندهم ما يريد ، هنالك ينغرس فى نفسه بذرة الظن بأن بين الدين والعلم خلافا ، وقال ان الدواء هو تأليف لجنة من خيرة العلماء لوضع كتب عصرية فى الدين الاسلامى وتاريخه وآدابه غير الأســاليب المألوفة الآن ، وأن تبنى كتب التوحيد والكلام والحديث على أساس دفع شبهات المذاهب الفلسفية الحديثة .

٤ ــ وفى المجلد الرابع كتب الأستاذ محمد فتح الله درويش فصلا مطولا عن التربية الاسلامية تحت عنوان : متى يكون للمسلمين مدارس وهل من سبيل الى ذلك ؟ قال : أصبحت بذور الالحاد والتشــكيك تلقى جهارا باسم العلم والتجديد فى بعض معـاهد التعليم المصرية وبجرأة قد تزيد فى شدة أثرها وتعدد نواحى همومها عن تلك التى يتعرض لهـــا

الطلبة المسلمون فى الغرب ثم ان الوسط الخلقى فى بعض المدارس المصرية اصبح ويا للأسف فاسدا فلست أبالغ اذا قلت أن الفضيلة فيه أصبحت لا تجرؤ على الظهور امام المباهاة والتفاخر بالفسق وايتان المنكر ، فالطالب المصرى المتمسك بأهداب الدين والفضيلة غدا فى حاجة ماسة للحماية من تيار الغواية الجارف الذى يكتنفه من كل جانب . اما الجامعة الأمريكية ببيروت فانها ما انشئت الا للتبشير بالمسيحية ومهاجمة الاسلام فى دياره ، ولذا فان معظم خريجيها يرجعون الى أهليهم وقد تخلخلت عقائدهم وسقم وجدانهم وأصبحوا وبينهم وبين دين الاسلام والغيرة عليه حجاب ولا سبل الى حفظ عقائد أعضاء البعوث وأخلاقهم ســواء فى أوربا أو فى الشرق الا باتخاذ نظام دقيق من الرقابة على البعوث الرسمية وغير الرســمية تحول بينهم وبين الانزلاق فى هذا التيار المخيف » .

كذلك فقد كتب الأستاذ مصطفى الرفاعى عن (حاجة البلاد الى مدارس اســـلامية بالمعنى الصــحيح ، كما نشرت لمتألم من حمص عن (المسلمون ومدارس الدعاية المسيحية) .

وتحدث الأستاذ عبد الباقى سرور نعيم عن التعليم والتبشــــير : فقال نشر المبشرون مطاعنهم وهم فى أمن من المقاومة الداخلية وساعدهم نظام التعليم فى ادارس على تهيئة أرض صالحة وايجاد جو مستعد لقبول تلك المطاعن ومضت خطة التعليم بجريرة من الدين وجعله بعيدا عنــه حتى لا تغرس فى نفوس النابتة من العقائد والتعاليم ويجعلها غير صالحة للقول أى طعن أو الميل لأى شبهة . واحد التعليم المجرد من الدين عقولا مستعدة لقبول ما يلقى اليها خاصة اذا جاء من ناحية يعتقد فيها التمدن والرقى .

وتشرف على التعليم المجرد من الدين جمعيات اجنبية ، وهى تجبر المسلم المتعلم فيها على الانقياد لتعاليمها والخضوع لنظامها . ان التعليم على اختلاف إنواعه قد ادى للتبشير خدمة هامة بابعاد الدين الاسلامى من المدارس فالتعليم والتبشير كلاهما متعاونان ويتناصران على قصــد أو على غير قصد . ان كل ما يقوله دعاة الالحاد وأنصــار التجديد وما

يبدونه من الشكوك وما يدعونه من المطاعن كل ذلك ماخوذ من صحف المبشرين ومؤلفاتهم وأحاديثهم ودروسهم .

٤ — وتناول الأستاذ صادق عرجون الرد على (محمود الشرقاوى) الذى رمى الأزهر بالتأخر ونعى كثيرا عن الكتب التى تدرس فى الأزهر والرجال القائمين على تدريسها ومما قاله لماذا لا نستمع الى دكتورنا الجليل طه حسين :

وقال الأستاذ صادق عرجون : كيف نستمع الى دكتورك وهو الذى كذب الكتب المقدسة من غير خجل ولا حياء ، وهو الذى غمز نسب النبى صلى الله عليه وسلم ، هذا النسب الذى تعالى فى سماء الشرف والكرامة بمغامز تورع عنها اشد خصوم الاسلام والد اعداء العرب وهو الذى انكر القراءات المتواترة وذهب فيها مذهبا خاطئا صوره له الحاده وهواه فى حين انه ليس له من الحماية ما يكفى لحماية خروجه عن الأديان ، وقد أظهر تقرير النيابة الرسمى فضيحته الكبرى وعدم امانته العلمية وهو الذى اختتم سلسلة المخازى بافترائه على النحاة فى محاضرته فى مؤتمر المستشرقين .

وقال الشيخ مصطفى صبرى : لقد قرات كتاب الأستاذ محمد احمد الغمراوى (النقد التحليلى) من أوله لآخره وعجبت بعده كيف قراه طه حسين ولم يمت من شدة الخجل والفشل بين يدى العلم والعقل فدوام حياته فى مصر وجامعاتها خارقة من خوارق فقدان الحياء ، يحق أن يحسر منها وجه مصر كما يحق أن تشرق صفحة وجهها الأخرى بالغمراوى .

٦ — وكشف مصطفى الرفاعى اللبان عن اخطار المدارس الأجنبية، وقال انها تشتغل فى وضح النهار غير خائفة عقابا ولا حسابا فهى تشتم الاسلام امام أولاد المسلمين بالفاظ قبيحة وتضطر التلاميذ المسلمين الى ممارسة الطقوس الدينية المسيحية فيصلون مع المسيحيين ويرتلون ترتيلاتهم ، وفرض تلقى دروس الديانة المسيحية وحفظ فصول من التوراه والانجيل وآباؤهم فى غفلة من أمرهم ، تقدم لهم كتبا تطعن فى الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم .

٧ — واتسع بحث خطر المدارس الأجنبية حيث يحفل المجلد الرابع بمجموعة من الأخبار فى هذا الصدد وفى مقدمتها سؤال برلمانى وجهه على سالم عن أن (كامل منصور) اجترأ فى خطاب القاه فى مدرسة الأمريكان على الطعن الجارح فى الدين الاسلامى وصاحب الشريعة المطهرة صلى الله عليه وسلم وعلى التهجم فى القول بان كل ما يحويه القرآن الكريم قصص وخرافات وقد سبق أن اقترف نفس هذا العدوان فى الجامعة الأمريكية فخرى فرج .

ودعا الى مطالبة المفوضية الأمريكية بالعمل على تطهير دورها العلمية فى مصر من ارجاس كامل منصور وفخرى فرج وأمثالها .

كذلك فقد حولت النيابة العامة قضية الدكتور فخرى ميخائيل الخاصة بالتطاول على الدين الاسلامى فى محاضرة القاها بقاعة المحاضرات بالجامعة الأمريكية عن مساواة الرجل والمرأة فى الميراث .

كما أشارت الفتح الى كتاب دراسى يوزع فى مدرسة سنتان بالسكاكينى حيث جاء فى الصفحة ١٨٨ من كتاب التاريخ المقدس : العهد القديم والجديد : عبارات غير لائقة عن النبى صلى الله عليه وسلم ،

وتحدثت الفتح عن المدارس الأمريكية وخطرها وخطر المدارس الأجنبية فقالت :

على المسلمين ان يخرجوا أولادهم من هذه المدارس ويشيدوا دورا للعلم تربى أولادهم تربية صالحة فى الدين ، واشار الى أن الطالب الذى يدخل مدرسة افرنكية يشترط عليه حضور الدروس الدينية وأداء الامتحان بها ومعنى ذلك أنه يشارك المسيحيين فى عبادتهم ويدخل الكنيسة معهم . ومن مبادىء هذه المدارس أن توزع المجلات المسيحية على الطلاب ليقرأوها ، وهذه المجلات تحوى طعنا جارحا فى الاسلام وانهم يقدمون تقارير كاذبة عن انتشار المسيحية فى أنحاء العالم وتراجع الاسلام تحت ضغط انتشارها . ونشر العادات الهدامة للعفاف والأخلاق ، وان دراسة التاريخ فى هذه المدارس يوكل الى المسيحيين وفى عرض سيرة الرسول والخلفاء الراشدين فاذا وصلوا اليها غمزوا بمقدار محدود وطعنوا برفق فى الرسول الأكرم » .

(٣)

ويحدث الأمير شـكيب أرسلان (م ٤ — ١٧ ابريل ١٩٣٠) تحت عنوان : (الأزمة الحقيقية الحاضرة فى الاسلام هى أزمة التعليم)

ومما قاله : كل علل الضعف الذى حل بالاسلام صحيحة ولكنها أقل خطرا وأخف ضررا من طريقة التعليم التى جرت عليها الحكومات الاسلامية والمسلمون فى هذا العصر ، وهى الطريقة التى ستكون نتيجتها أشد ويلا على المسلمين من الاسـتعمار ومن الحروب الصليبية ومن الغـارات الاقتصادية ومن كل مصيبة وداهية .

ان طريقة التعلم التى معناها أن ينشأ الحدث المسلم بدون عقيدة فى الصغر ينقش فى لوح صدره وأن لا يكون له نصيب فى حفظ القرآن ولا من قواعد العربية وان تطلب منه بعد ذلك أن يكون مسلما . اذا تأمل من الشاب الذى أرسله أبوه الى أوربا وهو ابن ١٤ سنة لا يعرف شيئا عن عقيدة قومه ولا من البراهين التى يقوم عليها الاسلام فوصل الى هنـاك خاما كما يقال وحشا دماغه فى أوربا بكل ما يحقر الاسـلام ويصـغره ويزدريه ، وقيل له أن ما عليه أمته من التأخر والضعف والجمود ، انما هو بأجمعه أثر الاسلام فيكون من العجب بعد هذا أن تنشأ عن هذا الفوج الجديد (الاسلامى) هذه الكراهية للدين الاسـلامى وهذه النصرة من الثقافة الاسـلامية بل العجب كل العجب أن يكون الأمر بخلاف ذلك ، فالخطأ ليس خطأ أوربا التى تريد أن تثبت تعاليمها مما هو طبيعى والتى لو وجد فيها الميل الى الانصاف لم يوجد عندها العلم بحقيقة الاسـلام الذى لا يصل اليها غير العلم الا مقلوبا وان الخطأ هو خطأ الحكـومات الاسلامية التى كانت ترسل الناشئة للتحصيل فى فرنسا وانجلترا وألمانيا وبلجيكا وسويسرة وتظن أنها ربت فيهم رجالا للمستقبل والحقيقة أنهـا أرسلتهم الا الأقل غير مجهزين بشىء من السلاح المعنوى الذى يمكنهم من أن يذبوا به لو هوجمت عقيدتهم فكانوا معرضين لكل خطر كما رأيناهم » .

(٤)

وتواصل الفتح حملتها فتكشف عن اخطار الجامعة الأمريكية ففى المجلد (٦١٣/٤) مارس ١٩٣٠ تتحدث عن أعمال التدريس داخل الجامعة الأمريكية فكتبت تحت عنوان : الجامعة الأمريكية تكشف قناعها يقول :

الأستاذ جفرى المدرس بالجامعة الأمريكية فى القاهرة اشار فى احدى محاضراته الدينية التى يلقيها كل صباح على مسامع طلبة الجامعة الداخليين من مختلف الجنسيات قوله : ان مقاييس النبوة الصحيحة أن يأتى النبى بشىء جوهرى جديد ، وأن لا يكون شهوانيا وعلى هذا لا يعد محمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا بل مصلح فقط . ماذا يقول الشيخ عبد الحميد السايح فى هذه المقولة : ان الأنبياء جميعا يدعون لمبدأ التوحيد وعبادة الخالق : **(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليى)** وإن اختلفوا فى وسائل هذه العبادة وتكاليف الناس بشأنها ، جاء سيدنا محمد بأحكام مدنية وشريعة ابدية ، تطابق العقل والمصلحة ويستطاع تنفيذها فى اى عصر وأى مكان ، وقد عدد النبى زوجاته لحكمة يعرفها أمثال الأستاذ جفرى ويتجاهلونها ، منها ما هو عام ومنها ما هو خاص خالف بها كثيرا من الزعماء والعظماء ، وما كان النبى (صلى الله عليه وسلم) مدفوعا بدافعه الشهوانى الطبيعى ، ولو كان كذلك لاختار من أبكار قومه الجميلات لا من عجائزهن .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم
ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به به الماء الزلالا

ورد كثيرون على الدكتور فخرى بشأن المساواة بين البنين والبنات فى ميراث الآباء والأمهات منهم الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر والأستاذ عمر الدسوقى .

٢ — ثم عاودت الفتح (المجلد الخامس ١٩٦١) الكتابة تحت عنوان الاسلام فى الجامعة الامريكية فى القاهرة ، قالت : ان محمد حسن

علاء الدين ، كان طالبا فى لجامعة الأمريكية كشف فى صحيفة الصراط المستقيم — يافا — فلسطين ، ما يرمى اليه أساتذة الجامعة الأمريكية فى القاهرة أنهم جعلوا من كتب المراجع التى يرشدون الطلبة الى قراءتها كتابا خبيثا مملوءا بالفحش والتطاول الى مقام سيدنا رسول الله بعبادات يعاقب عليها قانون العقوبات المصرية ويعدها جناية على مصر اسمه مشاكل الدين ، تأليف ديورنت دريك .

٣ — وتحدثت الفتح عن (خطر المدارس على اولاد المسلمين)فقالت أن هذه المدارس تبغض الى الطلبة المسلمين ودينهم ووطنهم ، وتصور لهم أبطال المسلمين وملوكهم وأمراءهم فى صور المستهترين بالأخلاق والآداب المحبين لسفك الدماء ، وتحسن لهم المسيحية وتشوقهم اليها بدرس تاريخ رجالها وتصويرهم فى أحسن الأشكال وتحبب اليهم الآداب الغربية والمعيشة الأوربية وتذم لهم علماء المسلمين السابقين وتنتقد أمامهم الاسلام المبين انتقادات وتدخلهم الكنيسة قسرا وتجبرهم على العبادة فيها .

٤ — وتواصل الفتح فى المجلد السادس فيتحدث (عن الدسائس فى كتب مدارس الفرير والأمريكان فى مصر) الأستاذ مصطفى الرفاعى اللبان حيث تحدث عن خطتهم فى تشويه حقائق الاسلام والاعتداء على نبيه الكريم وكتابه الحكيم فى الوقت الذى قام القرآن على :

(١ (تبرئة الصديقة مريم مما اتهمها بها اليهود واسبغ ثوب الطهارة والنقاء عليها .

(٢) مدح السيد المسيح ووصفه بأجمل النعوت وأعلاها والثناء عليه .

٥ — وأشارت الفتح الى أن الجامعة الامريكية يراسها مبشر هو شارلز وطسن وقد كان والده مبشرا وأمه مبشرة واستشهد على ذلك بما قاله (عبد القادر الحسينى) خريج الجامعة الأمريكية (محرم ١٣٥١) عن كتاب وطسن المعنون (حروب صليبية مسيحية فى مصر)ويعنى بهذه الحروب الحملة التبشيرية وقد قال فى مقدمة ذلك الكتاب (هدية لأمى وأبى اللذين قضيا حياتهما مبشرين فى مصر ، وفيه توجه الدعوة الى اهل الخير

والاحسان ، أن يحضروا الى مصر ليروا الانتصار الباهر لأعمال التبشير فى مصر ، ويوجه الى المبشرين كلمة مؤداها أنهم همالذين سوف يتم تنصير مصر بأسرها على أيديهم ، وبذلك يتوجون رءوسهم بأكاليل الظفر والفخار جزاء لهم على جهادهم المقدس) . وقال فى كتابه : ان الكعبة قلب العالم الاسلامى وهى وكر لصوص يؤتى فيسه جميع المخازى الأخلاقية (كذا) (٧٩ م ٦ الفتح) .

(٥)

وعقدت الفتح بحثـا مطولا (م ٦ ص ٤٤١) تحت عنوان : تعليم الدين الاسلامى فى مدارس الشرق الاسلامى (تركيا — العراق — ايران) قالت :

ان مستر دنلوب هو واضع أساس المناهج فى مدارس مصر ، وعلى هذا الأسـاس يحدث التعديل والتبديل دائما فى المناهج ، وكذلك الحال فى العراق ، فان المدرسـين الانجليز بمعاونة الأسـتاذ ساطع الحصرى (الذى نشأ وتكون فى معارف تركيا الاتحادية) هم الذين وضعوا المناهج ، وكانت البلاد قبل ذلك فقيرة جدا فى مدارسها ومعارفها على عهد الترك ، أما ايران فكانت على عهد ال قاجار تتأثر دائما بأنظمة المعارف فى الدولة العثمانية ، ولما انتقلت الى العهد البهلوى الجديد لم تستطع بسبب ما فى البلاد من عصبية دينية أن تطفر مثل طفرة الكماليين ولذلك نجد عدد معلمى التعليم الدينى فيها اكثر مما هو فى العراق التى استندت الى ارشـاد الانجليز ، وبالرغم من ذلك فان التعليم الدينى فى ايران والعراق وتركيا محسوب أنه شىء زائد عن الحاجة ، وأن الغرض منه ارضاء الشـعب حتى يكون مطمئنا أن مدارس حكومته غير مجردة من تعليم الدين ، ذلك أن الذين يتولون القيام بأعمال الادارة فى تلك الممالك غير معنيين بضرورة التعـليم الدينى ولا واقفـين على ما يكون له من فائدة فى حيـاة الأمة ، والسياسة الحاضرة ستبقى مستمرة على قاعدة التدرج فى انقاص فتـرة التعليم الدينى كما هو الحال فى الحكومة القائمةفى أنقرة .

٢ — وفى المجلد السابع من الفتح ص ٨٠٨ يتحدث السيد محب الدين

الخطيب عن التعليم الاسلامى يقول : النظرية الصحيحة فى التعليم الاسلامى أن يكون ابن الزمان والمكان ، أن يكون عصريا اسلاميا ، فاذا كان عصريا فقط كما هو الحال فى مدارسنا المدنية ولم يراع فيه مطالب المحيط الاسلامى الى أقصى حد خرج لنا منه شبان يجهلون أنفسهم ومحيطهم وكيانهم وكانوا سماسرة لأقطار أجنبية ومقاصد أجنبية وعقائد أجنبية ، واذا كان التعليم ابن المكان فقط ولم يراع فيه معارف العصر خرج لنا شبان جاهلون بأحوال زمانهم مجردون من الأسلحة التى يقابلهم بها أعداؤها ، وقال : على كل من له ولاية على شىء من أمر هذه الأمة الاسلامية ، أن يسعى بكل قوته للقضاء على هذا التعارض فى طرق التثقيف فى العالم الاسلامى وازالة هذه الهوة الواسعة بين المتعلمين تعليما مدنيا عصريا والمتعلمين تعليما دينيا اسلاميا ولا يكون ذلك الا بسلخ الصبغة الأجنبية عن التعليم المدنى العصرى واعطائه صبغة أخرى من لون محيطه الاسلامى تكون ملائمة لتقاليد الأمة وعقائدها ويكون فى القسط الأوفى لاعلان مفاخرها وتنوير تاريخها واحياء ماضيها وربط الحاضر به لتكون منهما سلسلة مفرغة الحلقات يكمل بها الأحفاد أمجاد الأجداد وبذلك يعود بنى الأمة الى الخير وينقذونها من الانسلاخ من كيانها (م ٧ / ٨٠٨) .

٣ — ويتحدث السيد محب الدين الخطيب فى المجلد السابع ص ٧٧٥ من الفتح عن (**البرنامج الدنلوبى فى مدارس مصر**) :

قال برنامج دنلوب لتخريج المتعلمين ، يكون فى دواوين الحكومة آلات ميكانيكية تديرها رءوس انكليزية وتسير بها فى خطط لم يكن ضروريا أن يؤدى الى جعل مصر بلدا دوليا (انترناسيونال) وأشار الى الجاليات الاجنبية التى وضعت أيديها على مرافق مصر واستأثرت بها دون الوطنيين وبخاصة المسلمين ، وقال : ان المطلوب هو هدم الطريقة الدانلوبية التى كانت لا تعنى بتخريج أبناء مصر العربية الاسلامية ، ان الطريقة الدنلوبية علمت شباب مصر أن العروبة والاسلام شىء أجنبى طرأ على مصر واحتلتها كاحتلال الفرس والبطالسة والرومان والانجليز مع أن العروبة والاسلام هما روح مصر وكيان مصر ، بل هما مصر منذ نحو اربعة وعشرون قرنا

الى الآن ، فالتعليم يجب ان يبث فى الشباب المصرى روح العروبة ، لأن العروبة جنسه وادبه وتاريخه ، والمصرى لا يعرف نفسه الا ابن عربى مهمـا حاول أعداء العروبة بث سموم الباطل فيه وابعـاده عن نفسه وتبغيض عروبته اليه والتعليم يجب أن يبث فى الشباب روح الاسلام لأن الاسلام دين مصر الذى لا تعرف مصر دينا غيره ، ان التعليم الدانلوبى فى المدارس أهمل آداب الاسلام وتاريخ الاسلام وامجاد الاسلام فخرج لنا أبناء محرومين من سلاح الفضائل الاسلامية ، فى التعليم يجب أن نبنى فى الشباب المصرى الاعتماد على النفس فى حياته الاستقلالية والاقتصادية ولاعزاز بتاريخه القريب الذى تكونت به قوميته الحاضرة منذ أربعة عشر قرنا .

٤ — وفى المجلد الثامن (١٣٥٢) تتحدث الفتح عن : (تعليم الدين للنشء الاسلامى الذى يجب أن يقرن بالتربية الاسلامية) فيقول: التعليم شىء وتهذيب النفس وتربيتها بشىء آخر ، وأن العلم القليل اذا اقترن بتربيـة العقل وتربية الخلق وتربية النفس أنفع لصاحبه وللأمة من العلم الكثير اذا سلحت به نفس لم تهذبهـا الحكمة ولم تعتصم بخلق التقوى . وتحدثت الفتح عن مطالبـة الدكتور عبد الحميد سـعيد بأن يكون تعليم الدين فى مدارس الدولة المصرية مادة أساسية يترتب عليها النجاح أو السقوط فى الامتحـانات وارى أن التعليم الدينى لا يكفى والامتحـان بدروس الدين لا يكفى ، أريد أن ينشىء ناشىء الاسلام محبا للاسلام غيورا عليه مجاهدا فى الاسلام يقف وقفة الخشوع والحرمة والاجلال لذكرى عظمائه وأبطاله.

وقال أن المدارس الكاثوليكية والارثوزكسـية والبروتسـتانتية والاسرائيلية ، يسـتولى كل واحدة منها على نفوس تلاميذها وتعنى تربد هذه النفوس وتغذيتها بالغذاء الروحى ، أكثر من عناية أباء هؤلاء التلاميذ بتغذية أجسام أبنائهم بالخضر واللحوم ، ولا يزيد وزن جسم التلميذ عشرة دراهم حتى يكون المدرس قد زادت نفسـه تعلقا بالنصرانية أو اليهودية ومحبة لها وحرمة لأبطالها وصناديدها ورضى بالتضحية فى سبيلها والتزامها بشرائعها أما مدارسنا فقد باعدت ما بين أبنائها وهداية دينهم .

٥ — ويواصل السيد محب الدين الخطيب الحديث عن التعلم ويقدم

صورة مما يجرى فى الجامعة المصرية على يد أساتذتها (١١ نوفمبر ١٩٢٦) نقلا عما نشره الدكتور زكى مبارك : دخل زكى مبارك ليلقى درسا فى البلاغة فابتدأ ممليا أصل الكلمة من الوجهة اللغوية والادبية والاصطلاحية وفى الأثناء دخل طه حسين بين ضجة الأتباع وتطبيل المطبلين ، فما كاد يستقر به المجلس حتى احتدم بينه وبين طالب جدال فى الفرق بين القول والكلام فجابهه الأستاذ بتصريح تجمل ونصحه أن يتثبت من الشيء قبل النطق به ، وهب أحدهم يسأل أهناك فرق أم لا فكان جواب أستاذ الجامعة أنه لا فرق هناك مطلقا بين القول والكلام مع أن الفرق بين القول والكلام موجود فى جميع الكتب المعروفة : الخصائص لابن جنى ، يا سبحان الله ، أمن يحضر علم الأزهر يخرج منه وهو لا يعلم الفرق بين القول والكلام الذى لا يخلو منه كتاب ولا متن ولا حاشية ، ولو أنه حضر فى الأزهر حضور المتعلم كما يقول لقرأ لأول عام ألفية ابن مالك ما من ذلك بد فلو أنه قرأها دون شروحها لفهم المعنى .

كلامنا لفظ مفيد فاستقم   واسم وفعل ثم حرف الكلم
واحدة كلمة والقول عم   وكلمة بها كلام قد يؤم

ولم يسمع أستاذ الجامعة العلمية المشهورة : كل كلام قول وليس كل قول كلاما .

٦ — فى المجلد التاسع (١٩٣٤) تتحدث الفتح عن تلك الروح التى صنعتها مناهج التعليم الدنلوبى فى مدارس وزارة المعارف ومتى يمكن التخلص منها يقول : لست أدرى متى تقتنع وزارة المعارف بأن هذه المناهج التى وضع مستر دنلوب أساسها فيما مضى لتصنع بها موظفين لدواوين الحكومة أصبحت الآن غير صالحة للمدارس لأن دواوين الحكومة شبعت موظفين وحاول الكثير منهم أن ينزلوا الى معترك الحياة الاقتصادية فوجدوا أن المعارف التى تلقوها من مناهج دنلوب لا تؤهلهم لمثل ما تؤهل مدارس الفرير والجزويت لأبنائها » .

٧ — وتحدث الفتح فى المجلد التاسع عن الفوارق العميقة بين التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى ، فقال : أما تربية المدارس فروحها

تفرنج فهل بقتل الاسلام مثلا بتفضيل كل ما هو أفرنجى على ما يخالفه من عقائد الاسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه وآدابه ومشخصاته ، وحسبك أن الصلاة التى هى عمود الاسلام وعنوانه وتغذية الايمان غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها فلا يطالب بها أحد كما أنها غير محرمة عليهم فلا يمنع من ايرادها فى غير وقت الدرس . هذه المدارس وضع الانجليز نظما وعينوا لها وجهتها وغايتها كما شاءوا ومن مقاصدهم فيها ألا يكون لمن يتعلم فيها أدنى شعور بأن لقومه ملة اسلامية لها من المزايا فى دينها وتشريعها وحضارتها وتاريخها ما تعلو به على جميع الملل بل ما لا يشاركها فيه ملة أخرى ، وقد اتفق أن جيء لمدرسة البنات السنية على عهد القس الشهير دنلوب المسيطر على وزارة المعارف بناظرة انجليزية ممن تربين تربية حرة عالية فلما كتبت تقريرها اقترحت الزام جميع من يتعلم فيها من البنات أن يتعلمن عقائد الدين الاسلامى وأحكامه ويؤدين عبادته من صلاة وصيام وعللت ذلك بأن عاقبة هؤلاء البنات أن يكن أمهات مربيات لنشء الأمة ولا يصلح للتربية الا الأم المتدينة الصالحة لأن تكون قدوة ، ولذلك أجمعت الأمم كلها على تربية البنات تربية دينية علمية ، ولما كان الاسلام هو دين الأكثرية الغالبية وجب جعله هو الدين الذى يبنى عليه أساس نظام التعليم والتربية فى هذه المدرسة فأنا أقترح جعله رسميا الزاميا فيها » .

ولقد عزل دنلوب هذه الناظرة عزلا وحفظ تقريرها أو مزقه تمزيقا وجميع المدارس التى تسمى اسلامية فى مصر تسير وراء وزارة المعارف فى تربيتها وتعليمها سير القذة بالقذة ، حتى مدارس الأوقاف الملكية وكذا مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التى كان غرضها الوحيد فى عهد رئيسها العام ومديرها حسن عاصم تربية أولاد الفقراء من المسلمين تربية اسلامية خالصة ، حسبك ن تعلم أن الجمعية أنشأت مدرسة للبنات لتمرينهن على الرقص دون تمرينهن على الصلاة .

والذى أعلم أنه لا يوجد فى بيوت المسلمين ولا فى المدارس الرسمية ولا غير الرسمية تربية اسلامية مدونة أو متبعة بالعمل على نفسية أطفالهم فى البيوت ثم تلاميذهم فى المدارس .

٨ — ويواصل السيد محب الدين الخطيب دعوته الى التربية الاسلامية فيمضى فى المجلد (١٢ — ١٩٢٨) فيكشف عن الوحدة الألمانية القومية — وهى مضرب الأمثال فى القوة والمضاء والانسجام وبركة الانتاج — لم يتوصل رجال السياسة الى تحقيقها الا بعد أن عمل لذلك رجال التعليم والتربية ولاسيما مدرسو التاريخ فالألمان مدينون بوحدتهم لهؤلاء المدرسين أكثر مما هم مدينون بها لبسمارك ومولتكه والامبراطور البروسى ولولا تلك التوطئة والتوجيه من رجال التعليم وتدريس التاريخ لبقى أمل الاتحاد الجرمانى خيالا ووهما ولبقيت المقاطعات الجرمانية طعمة لكل آكل ونهبة لكل طامع .

ويقول : المواد التى تتفاوت الأمم فى أساليب تدريسها هى التى تتصل بالقومية وتكوينها وربط حلقات مستقبلها بحلقات ماضيها ، واهم ذلك التاريخ والايمان بأن حاضر الأقطار الناطقة بالضاد أين ماضيها القريب فى الأربع عشر قرنا الأخيرة وأن مستقبلها يجب أن يبنى على هذا الحاضر وعلى ماضيه القريب . (والمعروف أن القوى الأجنبية فى بلادنا قد حطمت الوحدة بزرع الفرقة حتى لما جاءت الدعوات القومية تعمل كانت فارغة تماما من هذه المضامين كالناصرية والبعث) .

٩ — وفى مجلد ١٢ — ١٩٢٨ من الفتح يتحدث على الطنطاوى عن المدرسة الدينية : يقول أما برنامج التعليم فى المدرسة الدينية فقد أصبح من المجتمع عليه وجوب اشمالها على العلوم الاسلامية والعربية وعلى ثقافة عامة واسعة تحيط بمجمل نواحى المعرفة الانسانية ، لأنه أصبح من المفهوم أن الاسلام : دين وعلم وقانون وفن ، وأنه صالح لكل زمان ومكان فلا يستقيم فى الفكر أن تكون عقول علمائه الذين يعيشون اليوم مخالفة لعقول الناس ، وفى معزل عن حقائق الكون التى توصل العقل البشرى الى معرفتها ، وقد باد ذلك الرأى الذى يرى أن علوم الطبيعه والرياضة والاجتماع منافية للدين ومات أصحابه بعد أن هبطوا بالأمة من بقاعها وبلغوا بها الحضيض الأوهد وأكسبوها — بما ارتضوا لها من الجهل بعلوم الدنيا — هذا الاستعمار .

١٠ — وفى مجلد ١٤ الفتح ص ٤٢٦ يتحدث السيد محب الدين الخطيب تحت عنوان :

(هل يمكن تغيير اتجاه وزارة المعارف) : يقول :

الغرض الذى كان يرمى اليه الانجليز يوم كانوا اعتبار مصر لسكانها لا لأهلها ، واقناع المصريين بانهم كل منفصل عن الأمم الأخرى ، التى تشارك مصر فى اللغة والدين وكان هدف كرومر عزل مصر عن أخواتها المشاركة لها فى الدين واللغة وقد جىء بالقس دنلوب فى مدارس ارساليات التبشير الانجليزية الى مصر الى وزارة المعارف ليحقق هذا الهدف فكان اذا رأى الرأى الذى يحقق له شيئا من غرضه دعا اليه موظفا مصريا من موظفى وزارة المعارف يذاكره فيه ثم يستدرجه لاستحسانه ، ومن خلق الموظف أن يستحسن ما يستحسنه رئيسه ولو لم يكن مقتنعا بأنه حسن، فاذا أعرب للمستر دنلوب عن استحسانه ذلك الرأى اقترح عليه مستر دنلوب أن يكتب له تقريرا ثم يعرض التقرير على الجهات المختصة مع التوصية بالموافقة عليه ثم يقال ان الموظف المصرى فلانا هو مقترح الاقتراح ويكافأ (خيال الظل) على الدور الذى مثله بترقيته الى وظيفة أعلى وهكذا وضعت مناهج التعليم المصرى بكل درجاته ورسمت طرائق تكوين النشء فى المدارس المصرية ، وبهذه الطريقة رسمت فى وزارة المعارف المبادىء التى ترمى الى جعل التعليم الدينى صورة تعبر روح ، وتجريد المدارس من التربية الاسلامية ومن تربية الرجولة واعتبار الاسلام احتلالا فى مصر ، ترديدا لما بث فى بعض كتب الدراسة من أن مصر احتلها الفرس ثم البطالسة ثم العرب الخ وتتجاهل مدارس مصر الروابط الحقيقية الوثيقة فى اللغة والجنس ، وتتناول الهجرة والاختلاط بين سلفها القديم وبين أسلاف الأمم الأخرى التى تتكلم اليوم باللغة العربية جريا على خطة دنلوب التى كانت ترمى الى قطع أواصر مصر بكل من يرتبط معها فى الدم واللغة والدين اضعافا لها وايهاما لأبنائها انهم متفردون ولا علاقة لهم بالأقطار الشقيقة وكثير من الكتب التى كانت تدرس فى المدارس المصرية كانت تسرد اسم العرب والاسلام فى سلسلة الأمم المحتلة لمصر ولا تذكر

من علاقات مصر بجاراتها قبل الاسلام وبعد الأسلام الا الحروب ايهاما بأن هذه الشعوب والأقطار كانوا أعداء لمصر ولم يكونوا واياها فى كيان يكاد يكون واحدا . ولقد ذهب دنلوب وعهده غير مأسوف عليهما ولكن الأحجار التى وضعها فى أساس مناهج التعليم ما تزال راسخة الى الآن وتظن أن بعض الوزراء الذين تلولوا وزارة المعارف كانوا يرغبون فى احداث شىء من التغيير ، كاجابة الأمة الى ما تطلبه فى حقل التعليم الدينى اجباريا وتحويل المدارس من دور تعليم الى دور تربية ولكنهم لم يستطيعوا » .

١٥ — وفى المجلد ١٤ سنة ١٩٤٠ حديث عن التعليم فى الأزهر ، حيث تتحدث الفتح عن كلية الشريعة التى تقوم بدراسة الفقه الاسلامى ، يقول السيد محب الدين الخطيب : انه درس فى كتب الفقه منذ بضعة قرون على نفس الطريقة التى تدرس بها هذه الكتب فى تلك القرون ، والعيب فى الاقتصار على هذه الكتب وقد جدت للناس حوادث ووقائع لا يجدونها فى هذه الكتب ومن الواجب أن تدرس فى كلية الشريعة ، كما أن فى هذه الكتب مسائل لا حاجة لأبناء هذا العصر بها ، وما قلناه فى الفقه يقول مثله فى الأصول فلا يزال الطلاب الى اليوم يدرسون كتب الأصول دراسة تبعدهم عن الغاية التى من أجلها دون هذا العلم ، أما كلية اللغة فلا يزال الطلاب يدرسون النحو والصرف وغيرهما دراسة نظرية فقط ، دون أن يتأثر بها الطالب فى أسلوبه وفى كلامه ودون أن تجعل الطالب واقفا على أسرار اللغة ومزاياها التى انفردت بها عن غيرها من اللغات ، اما كلية أصول الدين وعليها يتوقف حفظ الاسلام وعقائد المسلمين فماذا تدرس ، هناك كتب ألفت فى عصور كانت فيها مذاهب هدامة كثيرة وفلاسفة مجرمون ، وهى كتب لا تستغنى عنها ولكن هل هذه الكتب هى كل ما ينبغى أن يقرأ اليوم .

٦ — الجامعة وحماية الدين

وأولت الفتح اهتمامها بمناهج كلية الآداب والجامعة وحماية الدين من أخطار التغريبيين وفى مقدمتهم طه حسين فى المجلد الرابع عشر حديث مطول عما جرى فى مجلس النواب عند مناقشة ميزانية التعليم

الدينى حيث تحدث الدكتور عبد الحميد سعيد كاشفا عن كثير من الأخطار والتحديات التى تواجه شبابنا المسلم فى الجامعات والمدارس يقول :

ليست نظرية فصل الدين عن التعلم الا ستارا للالحاد والاباحة والخروج على الآداب والأخلاق والتقاليد الدينية والقومية ولهذه النظرية قال أولئك المخربون المدمرون ، انه يجب تحرير العلم من سلطان الدين ، كان الدين نير ثقيل أو حاجز منيع فى وجه العلم ، بينما نرى الامبراطورية البريطانية تقسم ملكها على احترام المذهب البروتستانتى وحمايته ، لا نريد أن تسمع تلك الدعوة الفاسدة : دعوة حرية الفكر التى فى ظلها تنتشر الكتب التى تدعو الى الكفر والتى تطعن فى سيد الأنبياء والتى فى ظلها تهدم الفضيلة والأخلاق والعقائد ، لا نريد الحجر على حرية الراى ولكن لهذه الحرية حد يجب الا يتعداه اننى لا أشكو ممن تبشير الالحاد فى الجامعة ولا من أمثاله ولكنى أشكو منهم لما ران على قلوبهم نحو الاسلام والمسلمين ، أشكوا منهم أن يتخذوا من الجامعة حصنا يقدمون من وراء اسواره بالغازات الخانقة فيصيبون من الأخلاق فضلا ، وليت هذا الفساد كان قاصرا على الجامعة بل تعداها الى سائر المدارس المصرية ، بل تسرب الى البلاد العربية الأخرى ، لا يزيد الحجز على حرية الراى ولكن للحرية حدود يجب أن لا تتعداها ان ما يرموننا به المبشرون من شر وبلاء لا يقاس مطلقا بجانب ما أصابنا مما يلقى من دروس الالحاد والاباحة. ان الجامعة تسلم هؤلاء الشبان الذين لم يتعلموا شيئا من أصول دينهم الى رجل يلقى فى نفوسهم الزندقة والكفر فيفسد عقائدهم وأخلاقهم (يقصد طه حسين) ووزارة المعارف هى المسئولة عن ذلك لأنها لم تعلمهم أصول دينهم وتقاليده ، والله لو كان هذا الرجل فى بلاد أخرى لما عاش ليلة واحدة ، فنحن لا نقبل مطلقا أن تكون الجامعة المصرية ستارا لهدم الدين والأخلاق والفضيلة ، قمنا بمحاربة هذا التيار المارق من يوم أن ظهر الالحاد فى كلية الآداب قام بذلك عبد الخالق عطية والأستاذ القاياتى وعبد الحميد البنان وعبد العزيز الصوفانى وقفوا صفا واحدا فى محاربة هذا التيار المدمر ، وأثبتت النيابة التهمة على المعتدى وكان تقريرها

مسفها لارادته الفاسدة النجسة ومع ذلك فلا يزال هذا الرجل على رأس كلية الآداب الذى قال أن قصة ابراهيم واسماعيل خيال فى خيال والذين طعن فى الرسالة المحمدية بالكذب والبهتان ولا يزال صاحب هذا التاريخ الدنس ينشر آراءه الفاسدة المخزية فى الجامعة المصرية الاسـلامية ، ولا يزال صاحب هذا التاريخ يلقى من أبناء الجامعـة تعاليمه الخبيثة فى ظل هذه الاباحة وتحت ستار حركة التفكير فينشر المبادىء الضارة المخزية ويحبذون ما يسمونه بحرية المرأة واختلاط الجنسين الذى ينشر الفساد وتشجع عليه .

هل ما جرى فى تلك الحفلة التى أقامتها وزارة المعارف فى دار الأوبرا فجلبت اليها الراقصات المحدثات فى تلك الدوائر العامة هل ما جرى فى تلك الحفلة هو الحرص على الأخـلاق والآداب وعلى الدين الفضـيلة يا صاحب كتاب محمد (وجه القول الى الدكتور محمد حسين هيكل وزير المعارف اذ ذاك) لقد كان هناك من اسمه (تالاماس) وكان عضـوا فى مجلس النواب ايضا أخذ يلقى محاضرات فى السربون لم يعترف فيهـا بالقداسة لجان دارك فما كان من الفرنسيين الا أن اقتلعوه من كرسـيه وجروه الى الشارع وكادوا يقذفون به فى نهر السين واستمرت المظاهرات اسبوعا الى أن اطمأن الطلبة الى أن هذا التالاماس لن يرجع الى كرسيه فى الجامعة ، كما أذكر أن كاتبا منكبار الكتاب الفرنسيين اسـمه فيكتور مرجريت تكلم عن الأخلاق فى كتاب نشره ولم يبلغ من الاعتداء على الأخلاق فى كتابه ما بلغه أستاذ كلية الآداب عندنا ، لكن الأفكار هاجت ضده فكان جزاؤه أن صودر كتابه وجرد من ألقابه العلمية والجامعة فهل فرنسـا التى فصلت الكنيسة عن الحكومة وبلغت فيها حرية الرأى ما لم تبلغه دولة من الدول تكون أكثر حمية وحماسـة على جان دارك منا معاشر المسلمين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى كتابه الكريم ، أن ما يحدث فى كلية الآداب لا يستطيع مسلم أن يهضمه ، كما لا يسـتطيع انسان له ذرة من الخلق والفضل والايمان أن يسـكت عنه وقد أثبتت التقارير الرسمية التى وضعتها تلك اللجان التى ألفت لبحث كتب طـه حسين وأعماله أن كتبا منها ملأى بالكفر والالحاد .

على عبد الرازق : انا احتج .

ورد عليه الدكتور عبد الحميد سعيد فقال : كنت اظن أن الشيخ على عبد الرازق آخر من يحتج على هذا الأمر .

على عبد الرازق : انى اول من يحتج وآخر من يحتج لأن هذا المجلس ....

عبد الحميد سعيد : هذا المجلس لا يسمح بالاعتداء على الدين وما كنت لا تنتظر من الشيخ على عبد الرازق ابن المرحوم حسن عبد الرازق باشا القدوة الطيبة فى الأخلاق والدين ان يقف هذه الوقفة ، لا يجوز فى دولة دينها الرسمى الاسلام ويضم اكبر جامعة اسلامية هى الجامعة الأزهرية ، ولا يجوز ان يبقى أستاذ فى كلية الآداب يطعن فى الدين ويمزق الأخلاق والآداب على هذه الصورة ، واذا كانت الحكومة ترى التوانى والاغضاء والتساهل فعليها ان تمحو من الدستور ذلك النص الصريح ولكنها لن تستطيع ولن يستطيع العالم أن يفعل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وتكلم الشيخ محمد عبد اللطيف داز عن الروح التى تسير سياسة التعليم فى كلية الآداب وقال :

ان من يقول ان الدين فى نظر العلم الحديث ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى ، لا يمكن أن يصلح لبقاء فى كلية الآداب وذكر الشيخ دراز رحمه الله أشياء أخرى فى فساد نظام الجامعة والحاده (راجع م ١٤ ص ٢٠٦) .

٢ — وعادت الفتح مرة أخرى الى الجامعة وحرية البحث العلمى فكتب الشيخ عبد الوهاب النجار تحت عنوان :

(حرية البحث العلمى وحرية الاستهزاء بالاسلام) : قالت :

البحث العلمى متاح فى الاسلام ومعترف بحريته فى جميع العصور الاسلامية ، وعلماء الاسلام بحثوا بحثا علميا طليقا وتناقشوا مع الخصوم بسعة صدر وحرية متناهية فى كل حقيقة من حقائق الاسلام الخلقية والاعتقادية والاجتماعية ، ولا تزال هذه الحرية معترف بها فى جميع أوطان

المسلمين أما الذى يشكوه نواب أمتنا الاسلامية على منبر مجلس النواب فهو هذه الحرية والحماية التى يتمتع بها المستهزئون بالاســلام والعاملين على التشكيك فى حقائقه وفضائله ومراميه .

وفرق كبير بين الشكوى من حرية البحث العلمى فى مسائل تتصــل بالاسلام وبين حرية الاستهزاء فى شخصيات يقدسها الاسلام أو التشكيك فى حقائق تقررها شريعته . ليست الشكوى من وضع الاسلام ــ كلــه أو بعضه ــ على مشرحة كلية الآداب ليبحثوه بحثا بريئا بعيدا عن روح البغض والعداء فيبينوا عناصره ومزاياه وأثرها فى المجتمع ، فان ذلك مطالب يتمناه كل مســـلم لانه سيؤدى الى ما جرى اليه كل بحث برىء قام به الأغيار عن الاسلام من أثاث أنه دين الاسلام ومنقذ الانســانية . انما من أساليب ماكرة ترمى الى التشكيك فى كل ما يمت الى الاسلام بصــلة وتحميله ــ بصفة دنيا ــ كل ما يشكوه تاريخ العلم والحضارة من عداء كان بينهما دين الكنيسة فنشأت بذلك ناشئة من ابناء المســلمين ما ذكر الدين امامها الا قابليه بالاشمئزاز والامتعاض وتوهمت فيه صفات وعيوب كان الاســلام وما زال بريئا منها وبعيدا عنها بل وعاملا على اصــلاحها وازالتها .

هل يليق بالكتاب والمدرسين فى البيوت الاسلامية ان يظلوا دائبين على تنفير ناشئة المسلمين من الاســلام وعلى تصويره بصورة البعبع المخيف ، هل آداب اللغة الانجليزية لم يبق منها كتاب واحــد يليق بأن يوضع بين أيدى طلبة الآداب غير كتاب برنارد شو وقد الكلام الشــنيع على سيد الخلق بلسان قس متعصب » .

لقد أثار بعض النواب هذه المسالة فى مجلس النواب (٥ يونيــه ١٩٣٩) فرأينا العجب العجاب ، رأينا بعض النواب يدافعــون عن ذلك الكتاب يبررون بها شتم رسول الله وأنه لا شىء فى قراءة الطلبــة لذلك الاقذاع لأن الحد من أحتكار الجامعة لتلك الكتب حد من حرية العــــم (م ١٩٣٩/١٤) .

واشارت الفتح انه حدث فى العقد الأخير من القرن الميلادى ١٨٩٨

ان المستر دانلوب اختار كتابا فى اللغة الانجليزية يقراه طلبة القسم التمهيدى فى المدارس المصرية متضمنا شتم رسول الله كما هو شأن أكبر المبشرين فى كتبهم التى ينشرونها بين المسلمين لافساد عقائد النشء البرىء ، وفزع الطلبة الى ناظر المدرسة التوفيقية الذى سارع الى جمع الكتاب من أيديهم ، وعندئذ أمرت نظارة المعارف باستبعاده ،

وفى ١٩٣٩ وزعت الجامعة المصرية كتابا لبرنارد شو على طلبتها ليدرس لهم وقد على لسان قس معاصر لجان دارك سب قبيح ، محل العجب فى وزارة المعارف فى مصر تفجر عن أن تجد فى كتب الأدب الانجليزى كتابا خاليا من الضعف فى رسول الله » .

٣ — وواصلت الفتح فى المجلد ١٤ (١٩٤٣) بحوثها عن التربية والتعليم فقالت :

هل تسمح الوزارة بأن يصبح أكثر المفتشين مداهنة الطلاب بالبحث لهم على أهوائهم وشهواتهم والتحدث اليهم فى هذه الناحية ، يتحدث عن الصبابة والهوى فى امتحان الطلاب لاجازة التدريس بدار العلوم حين سأل طالبا عن معنى بيت فى قصيدة من الغزل كان ينشدها فلم يصب المراد منه فقال له على الجارم انه ينصحه أن يتمرس بالتعبير لعله أن يقع فى شرك الهوى فيشذو الغزل ويسبر معانيه الدقيقة » .

هذا ما نشره محمد محمود رضوان فى أهرام ١٢ اغسطس ١٩٣٩ ويقول الفتح : ومتى كان فهم الغزل يتوقف على عمل المغازلة والحب وممارسة الفن اذا وجب على كل أديب ان يكون داعرا ماهرا حتى يفهم غزل ابن أبى ربيعة وأن يكون فاسقا فاجرا شاربا للخمر حتى يفهم خمريات أبى نواس وغزله فى المذكر ، انها لاحدى الكبر ، ترمى بالحجر والمدر ، وتوقد بين الآمنين الشرر ، لقد نكبت مصر وشاء حظك اذا كان هذا هو هم القائمين عليك بالتربية والتعليم ، هل الحث على الحب والصبابة والتمرس بالفن أصبح من واجبات كبير مفتشى الدروس الدينية الاسلامية فى وزارة المعارف .

٤ — ويتناول الفتح موضوع التربية الاسلامية من ناحية أخرى فقالت :

ما يشكوه المسلمون فى حالة شبابنا آت من ناحية الضعف فى التربية الاسلامية أكثر مما هى آتية من ناحية الضعف فى التعليم الاسلامى، وان الشباب المسلم اذا تربى فى بيئته ثم فى مدرسته تربية اسلامية متينة يرجى منه أن يقبل بعد ذلك على ثقافة الاسلام فتنهل منها بشغف ولذة ويأنس بكل ما يقرأه ويسمعه ، أما اذا بعد عن هذه التربية فلا فائدة ترجى مما تشحن به ذاكرته من محفوظات لا يلبث أن ينساها .

قال جرجى زيدان أن علومهم وكفى فكان شيخنا طاهر الجزائرى اذا وقع بصره على هذا العنوان يضحك ويقول : ان كبار اللصوص فى امريكا من خريجى الجامعات ولم تمنعهم علومهم من ان يكونوا من كبار اللصوص .

٥ — وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية أخذ السيد محب الدين الخطيب يفتح صفحة جديدة فى الحديث عن التربية الاسلامية ففى المجلد ١٧ سنة ١٩٤٤ يتحدث عن (اعداد الجيل للقيام بأعباء الاستقلال)

يقول : ان الجيل الذى أمانة الله والوطن فى أيدى القائمين عليه اليوم يتدهور فى طريق الانحلال الى هاوية سحيقة ، ولن يستطيع حمل أعباء المستقبل اذا لم نعمل من اليوم على انتشاله منها ، فالصحف الداعرة تغذى شهوات النشء وتمنيها وتعلق قلوبه بها وتوسع آفاقها فى نفسه ، وأفلام السينما من أجنبية ومحلية ، تثبت ذلك وتدفعه الى الهاوية دفعا والأدب المخنث والقصص الرخيص والأقاصيص الماجنة يتعاون مع المجلات ومع السينما على هدم الرجولة ومطاردة الفضائل ، واخشى أن يكون شىء من ذلك كله القدوة السيئة التى يتعرض لها الشباب فى أول حياتهم اذا راقبوا سيرة الذين جرفتهم موبقات الغرب فى تيارها من الجنسين أن الغرب أخذ يجدد بعد هذه الحرب كتابه العلمى والاقتصادى والاجتماعى ليصمد أمام العاصفة ، واذا كانت فى الغرب صحافة مصورة تستبيح نشر بعض الصور استرسالا مع مألوف ذلك المجتمع فانها لم تبلغ ما بلغته صحافتنا الداعرة من اسفاف مقرون بالاغراء فى جميع أساليبه الشيطانية ، ثم انه الى جانب ذلك المجتمع الفزى جهودا أخرى جدية تبث فى الناس مباديء القوة .

انا افهم حكمة الاستعمار فيما يدسه لجيلنا من سوء لأن الاستعمار عدو ومن شأن العدو أن يفســد على أمثالنا صلتهم الاجتماعية ويعطل العمل بفضــائلهم القومية ، أما أن يتآمر الأذكياء من حملة الأقلام ومنظمى الأقلام وقادة الفكر وولاة الأمر على جيل هو موضع الأمل فى حمل أعبــاء المستقبل فيعملوا ايجابا وسلبا على تكوينه تكوينا شهوانيا لا يصلح معه لمواجهة ما ينطوى وراء سحب الغيب من أحداث ولا يقوى على حمــل ما يأتمنه الوطن عليه من أمانات فان هــذه جريمة الجرائم وأكبر الكبر ، وسحقا للسحت تجنيه صناعة الســينما من تقويض عفة الفتى والفتــاة وتبا للثراء والشهرة والجاه تحصل عليها الصحف من اقبال الجمهور على صور شهوانية وأساليب شيطانية تفسد البيت الذى تدخل فى بابه وتشل الرجولة فى نفوس فلذات أكباد الشعب وموطن آمال الوطن » .

٦ — فى المجلد ١٧ حديث مستطرد عن التربية الاسلامية وواجب وزارة المعارف .

يقول كان من واجبــات وزارة المعــــارف فى البلاد العربية كمصر والحجاز وسوريا أن تطلب الى المشتغلين بالتاريخ من رجالها البحث عن النصوص السليمة التى أبقاها لنا التاريخ دالة على شىء من الأســاليب والطرق التى ربى بها الهــادى الأعظم أصــحابه الأولين وكون منهم أمثلة الكمال فى الرجولة وفضائل النفس والاستعداد العجيب لممارسة الحــكم العادل الرحيم وهو منهج المدرسة الاسلامية الأولى : كان النبى (صــلى الله عليه وسلم) لا يهتم بحشد المعلومات الكثيرة فى ذاكرة أصحابه وانما يهتم بتلقينهم المبدأ الصحيح بعد المبدأ الصحيح والحقيقة الناصعة بعــد الحقيقة الناصعة ، والفضيلة المعهودة بعد الفضيلة المعهودة ويطالبهم بأن يتخلقوا بكل خليقة من هذه الخلائق حتى تمازج دمائهم وتخالط ينابيع الايمان من قلوبهم ، ثم ينقلهم الى غيرها ، أما الكتاب الذى تستمد منــه المبادىء والحقائق والفضائل فهو كتاب الله ، وقد اتخذ القرآن منهــج التدريج عملا نسبه الله فى محكم التنزيل .

ثم يتحدث عن أطفال المسلمين فى مدارس الأجانب فيقول :

أيها الآباء ان المدارس الأجنبية تحول أبناءكم الى أجانب عن أمتكم ودينكم وتاريخكم ، ان المدارس الحاضرة فاسدة فأعيدوا تأسيسها من جديد لتخرج لكم الجيل الصالح للاضطلاع بأعباء الغد ، ولا تزال مدارسنا تعنى بالتعلم فقط بل بالعقيم منه أما التربية فلا تمارس منها الا تربية الابدان وتتجافى عن تربية النفوس والعقول والقلوب .

٧ — وفى حديث عن التربية الاسلامية ، يقول :

نحن نحتاج من أوربا الى علومها والى صناعاتها والى أساليب الادارة والنظم فى اعمالها ، هذا ما نحتاجه ، وهذا ما نود ان يكبر فى المسلمين من يحبذه وينفذه ، أما حياة أوربا الاجتماعية فيجب أن نكون بعيدين عن عدواها كل البعد ، لأن الحياة الاجتماعية هناك مضطربة غير مستقرة ، وهى قائمة على أساس يعترف عقلاء أوربا أنفسهم بأنها غير صالحة ، أما الشبان المسلمين الذين ذهبوا الى أوربا ليأخذوا خيرها وعلومها ونظمها تركوا هناك دينهم فكانوا على الاسلام وأوطانه وبالا وشرا .

٨ — ويتحدث محمد السيد الطويل عن (كيف ينشأ الالحاد فى المدارس والجامعات) فيقول : ان هناك أفكار مسمومة ، تقدم لعقول النشء الطاهرة ، أنهم يعرضون عليهم نظريات علماء الغرب الذى تبلغ حد العلم الحقيقى ، ويجادلونهم بما يلقونه من أكاذيب التضاد فيها دون تعاليم الاسلام ، وهم فى ذلك فريقان : فريق يرى النظرية ويلمس توافقها مع الاسلام ولكن يعمل على نشرها واختلاق ضروب الاختلاف بينها وبينه، بل يتعرض لاركان الاسلام دلت البراهين القاطعة على ثبوتها فيهون من شأنها كان يزعم بأن الصلاة الاسلامية لا نفع منها الا بسيط من الرياضة البدنية ، وفريق يرى النظرية متنافية مع الاسلامية غفلة منه عن صحة المقارنة أو جهلا بحقيقة الاسلام ونحن نعرف أن الآن لم يصل العلم الى حقيقة قطعية تصادم الاسلام وهو لن يبلغ هذا مهما تطور وتقدم ووصل الى نهاية لا شىء ورائها فى نظر البشر .

فهم يأتون بنظرية لعالم غربى لم تتناولها المجامع العلمية بما يقرها أو ينفيها ويدخلونها فى الأذهان على أنها حقيقة مجزوم بصحتها لا مراء منها ولا أخطاء ويصفونها بعملية التناقض المنتحلة .

ويتحدث الكاتب عن واقعة حادثة فقال :

أراد المدرس فى دار العلوم أن يقر فى أذهان طلبته مذهب داروين فى أصل الانسان ولأجل أن يصل الى غرضه المعلوم لم يتمم شرح المذهب بما ينطوى عليه من ضعف بل أخفى جزءه الذى لا يدع مجالا لقبوله فى عقول الطلبة ولم يدر أن بينهم أساتذة رابضين حول عرين الاسلام فانبرى له الاستاذ حسن البنا حينئذ وطالبه بتوفية شرح المذهب حتى يتسنى لهم أن يناقشوه بانصاف ويكشفوا ما فيه من عناصر البطلان فتقهقر المدرس واعتذر واعترف أن طويته انكشفت لأن المذهب افتراضى ولم يزعم أحد أنه حقيقة علمية، فنظرية داروين التى تذهب الى أن أصل الانسان قردا ارتقى الى ما هو عليه الآن قامت فى الغرب نظرية أخرى على عكسها تقول ان أصل القرد انسان وكل نظرية لها أنصار يؤيدونها ولا يزال النزاع ناشئا بين علماء الغرب لأن الأدلة ظنية خالصة ولم يصلوا الى رأى قاطع .

٩ — وتتحدث الفتح عن أن توفيق دياب ألقى بالجمعية الثيوصوفية محاضرة عن تناسخ الأرواح حاول فيها أن يروج فكرة أن النعيم والعذاب فى الآخرة معنوى وقد برز له أحد العلماء الأزهريين لمناقشته واستعرض الأدلة القرآنية القاضية بأنهما شاملان الحسى والمعنوى ومن أولها فقد حقت عليه كلمة الكافرين وانسلخ من الايمان فلما أسقط فى يد توفيق دياب اضطر أن يموه على السامعين باعلان أنه مؤمن بالله ورسوله والقرآن .

١٠ — وتحدثت الفتح عن سياسة التعليم وهل يجب أن تكون قومية (أى عربية اسلامية) أم يجب أن تكون عالمية فقال : كل الأمم تعنى بأن تكون مدارسها قومية تعنى بتراثها الملى ومطمحها القومى فلكل أمة تاريخها ولكل أمة مثلها الأعلى ولكل أمة مطمحها ولكل أمة روحها وسجاياها ومفاخرها واتجاهها . وقالت الفتح : ان التثقيف يجب أن ينبع من صميم

أرواحنا وأن يكون وسيلة ارتباط بين ماضينا وآتينا . وعلمنــا أن نبث ثقافتنا القومية وتاريخنا وسجايانا فى نفوس أبناء الجيل فى التعليم الأولى والثانوى بعثا يحببهم بها ويحببها بهم فيفهموا أنفســهم على أنهم عرب مسلمون وأنهم حلقة ذهبية فى تاريخ العرب والاســلام ويؤدون رسالة تقدمهم فيها ســلفهم وسيقوم عليها بعدهم خلفهم ، والتعليم له طريقتان: قومية واستعمارية ، الاستعمارية تبسط بها الأمة الحاكمة مظاهر عظمتها وهيبة قوتها فى جو التعلم الذى تنشئه فى البلاد الملحقة بها .

١١ — وكتب السيد محب الدين الخطيب دراسة عن فهم التعــلم والتربية تحت عنوان (علم عالمى — ثقافة عربية — تربية اســلامية) ، فقال : فى اعتقادنا أن الظفر بالجيل المرجو يتوقف على (تربيته) تربيــة أكثر مما يتوقف على (تعليمه) تعليما دينيــا اسلاميا ، فالتعليم تتلقــاه الذاكرة ثم يكون عرضة للنسيان الا اذا كان من سياستنا الجديدة فى اصلاح مدارسنا أن تتخذ المدرسة عدتها (لتربية) أبنائها على ما أمر به الدين من طاعة ونظافة وتنظيم وصدق وايثار وقناعة بالحق واقدام على معــالى الأمور وخوف من الله فى جميع الأحوال ، وأن تتولى المدرسة تمرين أبنائها على الصلاة باعتبار أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر .

الفصل الثالث

المجتمع الاسلامى

أولت الفتح قضايا المجتمع الاسلامى اهتماما واسعا فعملت على نقد كل الأوضاع المنحرفة فى مختلف المجالات وخاصة فى مجال الأسرة وعلاقة المرأة بالرجل والمطالبة بالغاء البغاء الرسمى .

١ — فهى فى المجلد الأول تعلن مؤازرتها لحملة الشيخ محمود أبو العيون ومطالبته بالغاء البغاء الرسمى بعد أن قدم عدة وثائق لعدة أطباء غربيين يكشفون مدى الأخطار التى تحل بالأمة نتيجة هذا ، ووقفت معه ازاء حملات الصحف المصرية عليه ، تلك الحملات التى قادها (أنصار البغاء المأجورون للدفاع عن البغايا) وكتب فى محاربة البغاء محمد عبد السلام القبانى ، محمد حامد ا محمد حسنين العدوى ، عبد المتعال الصعيدى ، مصطفى أبو سيف الحمامى ، محمد بدر الدين الخطيب ، محمد محمد الأودن ، كما ناقشت جريدة السياسة التى حملت لواء الدفاع عن البغاء ، وقالت الفتح : ان الحملة التى حملتها الصحف على الشيخ أبو العيون فى مطالبته بالغاء البغاء الرسمى كان من ملاحدة مصر وقد عملوا على تقبيح عمله وتحريض ولاة الأمور عليه بالدس والكيد والتهكم عليه ودفاعهم الباطل ضده ورفع عقيدتهم بنظريتهم المضحكة وبدعتهم المخجلة : (البغاء شر لابد منه) » .

٢ — كذلك فقد أيدت جمعية شباب محمد فى مطالبتها بفرض الزكاة على القادرين من المسلمين وتنظيم صرفها فى مواضعها لتحسين حال المجتمع الاسلامى والاشراف على الصحافة الأسبوعية ودور السينما والتمثيل وانقاذ الأمة من الحانات ودور البغاء .

٣ — وواجهت سلامة موسى الذى ألقى محاضرة فى جمعية الشبان المسيحية عن السفور ، وقالت ان موضوع السفور موضوع اسلامى

محض لا شأن لسلامة موسى به ، والخاتمة الشائنة التى ختمت بها تلك المحاضرة ان الذين كانوا موجودين اقترح أن تخاطب هدى شعراوى بمطالبة وزارة الحقانية بتنفيذ حكم الله فى الميراث ، ومنع المسلمين فى مصر من أن يصغوا الى امر الله فى القرآن الحكم المتعلق بجعل حظ الرجل فى الآيات مثل حظ الأنثى ، فلما سمع الذين يسرهم تقليص ظل أحكام القرآن بين المسلمين المصريين رحبوا بهذا الاقتراح ، غير أن هدى شعراوى رفضت هذا الاقتراح الذى تقدم به سلامة موسى (م ٣/٤٤٤) .

٤ — وعرضت الفتح للمحاورة التى دارت بين محمود عزمى ورشيد رضا فى مسألة مساواة المرأة والرجل ونقلت رأى السيد رشيد رضا الذى واجه به الفتاة المؤيدة لمحمود عزمى قال : يجب أن تعلم هذه الفتاة هى وأهلها أنها اذا كانت تعتقد ما يعتقده عزمى فى هذه المساواة وتنكر حقيقة ما قرره الاسلام وحسنه فهى مرتدة لا يجوز لمسلم أن يتزوجها ولا ترث المسلمين ولا يرثونها .

٥ — وشاركت الفتح فى المعركة بين الطربوش والقبعة وقال محمد حامد الفقى انها هى معركة بين الدين واللادين ، وما تلك الفئة الا طليعة تلك الحرب العنيفة التى يعد أنصار الجديد أو اللادينيين عدتهم لها من المادة الفاتكة لدى الأحلام الطائشة والنفوس المريضة .

٦ — وواجهت الفتح مؤامرة اطلاق الحرية للمرأة وقالت انه تقويض لأخلاق الأمة ، وقالت : ان هدى شعراوى شيخ وهمى يختبىء وراءه أشخاص آخرون ، مسكينة هدى شعراوى ، أضاعت مالها ودينها فى سبيل الشهرة ولأجل أن يقال انها تكتب وتخطب ، ولكن خبثاء الصحفيين يتأثرون خطواتها فيفضحون كل شىء ، يفضحون الخطب المنسوبة الى مدام شعراوى وأن الهلباوى باشا هو صاحب معظم الخطب ، والأستاذ الهلباوى يستطيع أن يعبر لسانه وقلمه بكل الكلمات .

٧ — وكشفت الفتح النقاب عن أسرار كتاب السفور والحجاب المنسوب الى نظيرة زين الدين وقال انها فتاة لم تنضج لحمل عبء مثل

هذه البحوث فكتب السفوريون ما عندهم وأخرجوا به هذا الكتاب الذى خدع لسلامة أسلوبه ورشيق عباراته كثيرا من البسطاء ما دروا أنه الدسم وأن السم كان فيــه (م ٤) .

٨ — وعلقت الفتح عن حكم محكمة الجنايات على الدكتور فخرى ميخائيل فقالت : ان محكمة الجنايات برأت الدكتور من تهمة تطاوله على الدين الاسلامى وحكمت عليه بالجهل والحــماقة ، وأن الرجــل قد خانه حسن التقدير فى اختيـــار الألفاظ والعبارات التى عبر بهــا عن رأيه فى المسائل المتعددة وخاصة مسألة :

المساواة بين البنين والبنات فى الميراث .

وقد زج بنفسه فى بحث لم يكن كفئا له .

٩ — وتحدثت الفتح عن المسرح فقالت (م ١٠) :

عندما أخذنا المسرح أخذناه كما هو من الغرب واقحمناه اقحاما فى بيئاتنا لم نبدل منه ما يتنافر مع شريعتنا وخرجنا به على النظـــارة نزعم أن فيه تثقيفا وتهذيبا فاذا به يتقلب لهوا وفتنة واغراء ، والمعــروف أن المرأة فى الحياة الشرقية تمثل دورا يختلف تمام الاختلاف عما تمثله الغربية فأنثى الشرق ربة الخدر فيه لها الطهر وبه لمقرها الفخر ، لهذا تراها على خشبة المسرح نائية محرجة عن مكانها الطبيعى الى حيث يجرح الغــيرة الشرقية جرحا فى الصميم .

١٠ — أوردت الفتح (م ١٠) قائمة لمصائب المجتمع الاسلامى :

الرطانة : ضــد الفصاحة .

تقصير الثياب وتضييقها .

فنون المقامرة والرقص .

قص شعر النساء .

البرانيـــط .

اقتناء الكلاب .

ملكات الجمال .
الرغبة فى العرى .
الالحاد والتعطيل .
الشيوعية .
التزحلق على الثلج .
السينما الفاسقة .
الحرية الغرامية .
سقوط المحدثات الطائشات .
الخداع والاختيال
تخنث الشباب .

١١ — وتحدثت الفتح عن الوقدين الزهد والتصوف وعرضت لما اورده ابن الجوزى ٥٩٧ هـ فى تعليقه على حلية الأولياء للحافظ أبو نعيم (٤٣٠ هـ) وقد اختصره ابن الجوزى وهذبه بكتابه (صفة الصفوة).

لما كان كثير من بسطاء المسلمين لا يفرق بين مدلول الزهد والصلاح الذى كان عليه أولياء الاسلام وأنصاره وخواص رجاله فى زمن الصحابة والتابعين ومدلول التصوف الذى يعد مذهبا معروفا عند أصحابه ، وكان له فى الصدر الأول صفات وأخلاق مخصوصة ، ثم أمعن أهله فى الغلو فجعلوه فلسفة تتعرض للقول فى صميم الدين بما لا يعرفه الاسلام ولا يتفق مع نصوصه ، وأشار ابن الجوزى الى أبن أبى نعيم تجاوز حين أضاف النصوص الى كبار السادات كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن (أى البصرى) وشريح وسفيان والشعبى ومالك والشافعى وأحمد ، وليس عند هؤلاء القوم خير من التصوف ، فان قال قائل انما عنى الزهد فى الدنيا وهؤلاء زهاد ، قلنا : التصوف مذهب معروف عند أصحابه ولا يقتصر على الزهد بل له صفات وأخلاق يعرفها أربابه ولولا أنه أمر زيد على الزهد ما نقل عن بعض هؤلاء المذكورين فانه قد روى أبو نعيم فى ترجمة الشافعى رحمه الله أنه قال : التصوف مبنى على الكسل ولو

تصوف رجل أول النهار لم يأت الظهر الا وهو أحمق » وقد ذكرت الكلام عن التصوف وشعب القول فى كتابى المسمى (تلبيس ابليس) وأشار أيضا الى أن أبو نعيم ذكر أشياء على الصوفية لا يجوز فعلها فربما سمعها المبتدىء القليل العلم فظنها حسنة فاحتذاها مثل ما روى عن أبى هزة الصوفى أنه وقع فى بئر فجاء رجلان فطماها فلم ينطق ، حملا لنفسه على التوكل بزعم وسكوت هذا الرجل فى مثل هذا المقام اعانة على نفسه وذلك لا يحل ، ولو فهم معنى التوكل لعلم أنه لا ينافى استغاثته فى تلك الحال كما لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوكل باخفائه الخروج من مكة واستئجاره دليلا واستكتامه واستكفائه ذلك الأمر واستتاره فى الغار وقوله لسراقة (اخف عنا) ان الله عز وجل جعل للأمن أن يدفع بها عن نفسه الضرر وان تخيلت بها النفع فاذا عطلها مدعيا للتوكل كان ذلك جهلا للتوكل وردا لحكمه الواضح لأن التوكل انما هو اعتماد القلب على الله سبحانه وليس من ضرورته قطع الأسباب .

وروى عن الشبلى أنه كان اذا لبس رداء خرقه ، وكان يحرق متاعه والخبز والأطعمة التى ينفع بها الناس بالنار فلما سئل فى ذلك احتج بقوله تعالى : (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) وهذا فى غاية القبح لأن سليمان عليه السلام نبى معصوم فلم يفعل الا ما يجوز له ، وقيل فى التفسير أنه : مسح على نواصيها وسوقها وقال أنت فى سبيل الله .

فأما هذا الفعل الذى حكاه عن الشبلى فلا يجوز فى شريعتنا فان رسول الله نهى عن اضاعة المال .

وقالت الفتح : ان العلامه ابن الجوزى ينتقد من كتاب الحليه لأبى نعيم تسمية الصالحين الأولين بالمتصوفة (ان مفهوم التصوف عند أئمة الاسلام هو الذى سينقل ابن الجوزى كلام الامام الشافعى رضى الله عنه فى ذمه ، أما ما نتج عن التصوف عن التنطع والتعمق والدعاوى الكاذبة والكسل والتثبيط فان الحافظ أبا نعيم يشارك الامام الشافعى والعلامة ابن الجوزى فى ذمه والبراءة من أهله .

ونقل عن ابن الجوزى قوله : لكل شيء صناعة وصناعة العقل حسن الاختيار .

الفصل الرابع

الوحـــدة الاســـلامية والقوميـــات

كانت من أخطر المعضلات التى واجهت المســـلمين فى هذه المرحلة دعوات القوميات المسمومة التى اندلعت لتفصل المســـــلمين عن وحدتهم الاسلامية الجامعة ، وقد تناول البحث فى هذا الأمر كثيرون فى مقدمتهـــم الامير شكيب أرسلان (أبرز كتاب الفتح) فكتب تحت عنوان :

« الدسيســة الأجنبية على الجامعة الاســـلامية بالوطنية المجردة » قال ان مشكلة العالم الاسلامى كله وقوف الوطنية الضعيفة فى وجــــه الجامعة الاسلامية لمعرفتهم أن هذه هى أشد خطرا على الاستعمار وأثبت فى مقاومة استيلاء الأجنبى من تلك ، وما يقال عن هولندا يقال عن غيرها من الدول الاستعمارية التى تناصب المسلمين العداء لكلا من الجامعـــة الاسلامية والرابطة الوطنية وكل فكرة ترمى الى حفز الأمم التى استبعدوها الى التحرر ويفضلون الرابطة الوطنية لأنها تحصر الحركة فى ذلك القطر وحده فلا يتجاوزه الى غيره ،

ان قطب رحى تقلبهم على الأمم الاسلامية هو انحلال أخلاق هذه واهمالها عزائم القـــرآن ، فاذا كانت ثمة الرابطـــة الوطنية وحــــدها لم تقم فى صيانة الأخلاق العالمية مقام الدين الذى هو مبعثها وقوتهــــا ، ان أخطاء رجال الطرق ورجال الدين ليس حجـــة على الاســــلام ولا يمس جوهر العقيدة فى شىء ، وهناك فريق يرى ايثار الدعوة الوطنيـــة على الجامعة الاسلامية لأنها لا تمنع المســـكرات ولا المخدرات التى هى أعظم وسائل الاستعمار ومن أخطر العوامل فى سقوط الأمم المستضعفة وتأخر نهضتها .

ان الدعوة الوطنية المجردة من الدين الاســــلامى لا تخلق فى قلب الوطنى أدنى اعتقاد بأنه هو أعلى من الاوربى وكيف تخلقه وهى مجردة

من العقيدة القرائية معتمدة على المادة المحسوسة لا غير ، أضف الى هذا أن المسلم المعتقد بدينه لا يزال موقنا بأنه لابد من أن يدال له من الأوربى ولو بعد زمن طويل وهو يعيش فى أمل هذه الدولة (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) طوال حياته ولورث هـذا الأمل أولاده ويعتقد أن ما عليه الاسلام من الضعف انما هو عارض مؤقت لابد أن يزول وانه انما وقع تمحيصا للمسلمين بذنوبهم التى اقترفوهـا وتهاونهم بأوامر الله ونواهيه . ومن المعلوم أن الأمل هو الشرط الأساسى للعمل فليس من حافز للمسلم على النهوض مثل أن يعتقد أن الضعف الذى حل به اليوم ، هو طارىء لا أصل ، وأن الأصل هو أن يكون قويا عزيزا وسيدا فى الأرض ، فالعقيدة الاسلامية هى التى توحى اليه هذا الاعتقاد وتحيى فيه هذا الأمل ، على حين أن العقيـدة الوطنية الالحادية التى لا تنظر الى المحسوس فقط لا تجد أمامها شيئا يوحى اليه أنه هو يقدر أن يصارع الأوربى لأن المحسوس مخالف لذلك ، الى الآن كان الاسـلام هو الذى يمنعه من هذا الاندماج لأنه لا يقدر أن يكون مسلما وأن يندمج فى الافرنج فان هذين أمران لا يجتمعان فاما بعد زوال عقيدة الاسـلام من قلبه فليت شعرى ماذا تبقى حائلا دون ذوبانه فى بوتقة الجنسـية الافرنجية ، العقيـدة الوطنية لا تمنع من الذوبان كما تمنعه العقيـدة الاسلامية ، الرابطة المجردة عن الاسـلام معرضة من خطر الانحلال الأخلاقى التى هى دعائم الأمم ، العقيـدة الوطنية المجردة لا تبعث من الآمال فى حسن المآل ، معشار ما تبعثه العقيدة الاسلامية المبنية على المواعيد القرآنية بالنصر (٨ شوال ١٣٤٩) .

٢ — كما تحدث السردار اقبال على شـاه الهندى عن الجامعـة الاسلامية وكيف يمكن قيامها فى العالم قال : يجب أن يتعلم المسـلمون تعليما نزيها وأن يدرسوا دينهم دراسة حقيقية ، يرجع الى ما كان عليه هذا الدين فى اول ظهوره واقبال العالمين عليه ، يجب أن يعرف المسلمون حقيقة دينهم التى كان يعرفها الناس فى صـدر الاسلام فاذا تعلموا واذا فهموا دينهم على حقيقته ، واذا نشروا بين العالمين الحقيقة التى يشوهها ذوى الأغراض ضد الاسلام ، اذا فعلوا هذا كله سهل عليهم أن يؤلفوا

الجامعة الاسلامية يكون على مثال تعاونى عظيم لا يشوبه شيء من عناصر الاثم والعدوان وانما يؤدى بطبيعته الى حماية وحدتهم حماية يستقر بها الاستقلال والحرية » .

٣ — وفى المجلد الخامس (١٩٣٠/١٩٣١) من الفتح تحدث السيد محب الدين الخطيب عن الجامعة القومية والجامعة الاسلامية فقال :
الاسلام جامعة الجامعات القومية ، والجامعات القومية جيوش للاسلام مرابطة فى ثغوره ، يقوم كل جيش فيها بالدفاع عن الحوزة من الثغرة التى تليه ، فاذا نظر المسلمون الى جامعاتهم القومية من هذه الوجهة واعتبروها ردءا للاسلام تجاهد فى سبيل مصلحة العام وعروته الوثقى كان لهم من ذلك قوة .

قضى الاسلام على العصبيات التى كانت سبب الفرقة ونهى عن القوميات التى توقظ فى النفوس دواعى العداوة بين أهل الملة الواحدة ، فمثل هذه العصبيات مرض فى جسم أهل المهمة العظمى .

لو رجعت الى تاريخ الملة الاسلامية لوجدت الطامعين منها على استفحال قوتهم منذ عهد طويل لم ينجحوا فى سلبنا نعمة الاستقلال الا بعد أن نسخو جامعتنا الاسلامية الكبرى بالجامعة الوطنية الصغرى .

ان الاسلام يأمر بالجهاد فى سبيل الاستقلال لأن أى قطعة من العالم الاسلامى ثغر من ثغور المسلمين وكل مسلم فى ثغر مرتبط فيه .

ان ربط الاسلام فضلا عن انها لا تمنع الوطنيين من ان يكونوا مخلصين لبلادهم فانها تحضهم على هذا الاخلاص وتعتبرهم جنودها على طول الثغور وخطوط الدفاع .

ان جامعة الوطن لا تمنع من وجود حقوق وواجبات للفرد داخل اسرته كذلك الجامعة الاسلامية لا تمنع من أن يكون للأمة الواحدة حقوق وواجبات فى داخل وطنها .

٤ — وتواصل الفتح فتواجه (دعوة الفرعونية) وتكشف زيفها ثم تواجه الدعوة الى المصرية الاقليمية وتشير الى مقال طه حسين الذى نشره في كوكب الشرق حين قال ان المصريين قابلوا الوانا من العدوان جائتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من العرب والترك والفرنسيين .

وقد رد عليه عبد الرحمن عزام وكثيرون وقال السيد محب الدين الخطيب انه لم يدخل الفرس واليونان والفرنسيين الا ليضخم ذكر العرب في زمرة الأمم التى كان منها البغى والعدوان على مصر والتى اخرجها وسيخرجها من مصر ذلك البغى وذلك العدوان أما العرب فانما كتب الله لهم ولثقافتهم الخلود في مصر الى ابد الآبدين لأنهم جاءوا يحملون رسالة الهدى والرشاد .

٥ — وتحدثت الفتح عن أن الدعوة الى الفرعونية أو المصرية تريد أن تفصل بيننا دين العرب والاسلام ، وتقطع صلة القربى التى لنا بشقيقاتنا من الامم الشرق ، (فان الذى بيننا وبينها باق وهذه الامم شريكتنا في تاريخنا وحياتها حياتنا وماضيها ماضيا واحد ، فان فرقت بيننا مآرب السياسة فقد جمعنا ميراث اللغة والدين والجنس الى حد ما والعبادات والتقاليد الى حد ما أيضا وتشابه الأحوال السياسية والاجتماعية وحسب أى فريق من الأمم جامعه الله فانها وحدها رابطة لا تنفصم وهى أكبر وأقوى ما يقوم عليه بناء القومية لأنها هى التى تعين الاتجاه النفسى وأسلوب التفكير وهى التى تقرر التقاليد وترسم العادات .

٦ — ويتحدث الفتح م ٨ — ١٩٣٤ عن القومية العربية ومكانة مصر منها فيقول السيد محب الدين الخطيب : ان الحلقوم الكبير الذى أراد منذ مائة عام أن يبتلع الشرق الاسلامى هاب هذه اللقمة وخاف أن يغص بها فبث ببراعة مدهشة نزعة القوميات التى صارعت الجامعة الاسلامية ومزقتها ثم وقف أمام القومية العربية فهابها ورآها لقمة من شأنها أن يغص بها ، فاخترع ببراعة هذه الوطنيات ثم حاول في بعض الأحيان تمزيق العربية نفسها بالدعوة الى كتابه اللهجات العامية في كل قطر عربى وجعلها لغات أدبية »

ووالت الفتح الاهتمام بالحديث عن ارتباط القومية العربية بالاسلام عبد الرحمن عزام ، عبد القادر حمزة ، على الجندى ، كما قدمت المناظرة بين العربية والفرعونية بين عبد الله عفيفى ، وحسن حبشى ، وعربية مصر ، سعيد حيدر ، وأحمد كمال باشا .

٧ — ونشرت الفتح حديثا للشيخ أبى عبد الله الزنجانى عن التعارف بين السنة والشيعة وذلك فى دعوة واسعة الى تعارف علماء الفرق الاسلامية ، قال : لأن من انشاء صلة تعارف مباشر بين علماء المذاهب الاسلامية ولاسيما أهل المذهبين الكبيرين : مذهب الجمهور من أهل السنة ومذهب الامامية من أتباع آل البيت رضوان الله عليهم .

ويتسائل الشيخ الزنجانى : ترى ما سبب القطيعة بين البلدين : مصر وايران ، ان كان الاختلاف المذهبى فاختلافهما لم يخرج باتباع كل منهما عن أن يكونوا فى نظر الآخرين من أهل القبلة بل ان القدماء من سلفنا وسلفهم لم يكونوا ينظرون الى هذه الفرق المذهبى بالدرجة التى ننظر بها وقد طبعت آثار السيد المرتضى المعدود عند اخواننا الامامية من أئمتهم فى مصر فى التفسير والحديث واللغة والأدب وكلنا بين أهل المذهبين فان الكتب العامة التى ألفها علماء الفريقين فى مختلف العلوم الشرعية والعقلية هى من الثروة المشتركة بيننا وبينهم ، ان القطيعة بدأت فى أيام ضعف الدولة العباسية وازدادت لأسباب سياسية استحكمت حلقاتها بين العثمانيين والصفويين وورثهما عنهما الاجيال التى جاءت بعد ذلك الاختلاف السياسى ولكن الزمن تغير الآن .

٨ — وتحدث السيد أبى عبد الله الزنجانى عن (دواء المسلمين الرجوع الى القرآن) فقال : بعض الأسباب التى شتت شمل المسلمين بعد الوحدة ، تلك الوحدة التى جعلت علم المسلمين خفاقا من الأندلس فى غرب أوربا الى الهند والى تركستان والى الصين وجزيرة العرب وفارس ، ثم أوجه أنظاركم الى ما يعيد تلك الوحدة سيرتها الأولى وأنه فى الرجوع الى القرآن . فأرجو أن يكون المفكرون المصلحون من علماء الاسلام قدوة المسلمين فى هذه الدعوة فى الأقطار الاسلامية وقد درست

هذه المسألة حسب جهدى فرأيت أن أهم عوامل التشتت ظهر فى ناحية التأويل لكتاب الله والانحراف عن مقاصده العظيمة وروحه الكريمة ، التأويل الذى لا يقوم عليه البرهان .

سأل عمر ابن عباس : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة . وزاد سعيد (وكتابها واحد) فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين انما أنزل القرآن فقرأناه وعلمنا فيما أنزل ، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيما أنزل فيكون لهم فيه رأى ، فاذا كان كذلك اختلفوا ، فقال سعيد ، فيكون لكل قوم فيه راى ، فاذا كان لكل قوم فيه راى اختلفوا فاذا اختلفوا اقتتلوا . قال فزجره عمر وانتهره فانصرف ابن عباس ونظر عمر فيما قاله فعرفه فأرسل اليه وقال : اعد ما قلته فأعاد عليه فعرف عمر قوله وأعجبه .

قال صاحب كتاب الاعتصام للشاطبى ، وقال ابن عباس هو الحق فانه اذا عرف الرجل فيما أنزلت الآية أو السورة عرف مخرجها ، وتأويلها، وما قصد بها فلم يتعد ذلك منها واذا جهل فما أنزلت احتمل النظر فيها واجبا فذهب كل انسان مذهبا لأن يذهب اليه الآخر وان عندهم من الرسوخ فى العلم ما يهديهم الى الصواب والرشد .

هذا هو التأويل هو الذى ينبه الى ضرره الصحابيان الجليلان اذا تعدى عن دائرة العقل وروح القرآن وهو الذى هجم به القرامطة والباطنية والزنادقة على الاسلام بهجوم كان آخره جيش هولاكو والمغول فأى ضرر على الاسلام أشد من تأويل الباطنية بقولهم (الجنة) معناها الاعفاء من مظاهر العبادة و (جهنم) المثابرة عليها (الوضوء) تلقى الدين عن الأمام (والتيمم) يلقيه على الحجة و (الصلاة) اتباع الرسول الناطق و (الغسل) تجديد العهد و (الصوم) صيانة السر و (الزنا) افشاء السر : بهذه التأويلات أرادوا ازهاق روح الحق والاسلام ولكن الله ينصر رسله . ان التاريخ ملىء بما ابتلى به الاسلام من ابن سبأ وابن ميمون وأصحاب التأويل الفاسد من الباطنية وانى عثرت على كتب للباطنية والاسماعيلية الفت فى أوان طغيانهم فى العصور الوسطى

الاسلامية تشـــــهد على مهارتهم فى بث دعوتهم وفكرهم وفى تعاليم بيت الحكمة الذى أسس فى مصر دليل على مهارتهم وضررهم وهوجم الاســلام أيضا من ناحية السياسة والسياسة كانت تدعو الى تشتيت شمله ، ولنا شواهد لذلك فى التاريخ ولا سيما فى الدولة العباسية نجد هذه الأيادى كانت تعمل بجد وسعى بل كانت جمعيات منظمة تعمل على تفريق المسلمين الى السنة والشيعة . وأرى ان الوسيلة الوحيدة لنجاة المســـلمين من الفوضى المذهبية والتشبث بالفرق والشيع وخرق حجب الباطل والخرافات التى شوهت تعاليم الاسلام النيرة هى فى الرجوع الى القرآن فان فيـــه هدى ونورا يحقق لنا المثل الأعلى فى الانسانية .

٩ — وعرضت الفتح فى مجال الحديث عن الوحدة الاســـلامية فى المجلد التاسع الى رياح القوميات وتحدثت عن الاحتفال بمرورر الف سنة على وفاة الفردوسى ، وكيف تطرق فى قصـــائده الى ذم العرب وأطال لسان القدح فيهم لأنهم قوضوا دعائم عز الأكاسرة وهدموا بناء حضارتهم ونسى أنه لولا العرب لظلوا عاكفين على نيران لهم وأشارت الفتح الى ملحمة الفردوسى وتبجح الفرس بها فى اثارة الحمية فى الشعوب الاسلامية الأخرى وأشار الى أن المسلمين لهم مفاخر وقد عزموا أن يخلصوا فيهـــا ملحمة شعرية تبقى على مدى كالياذة هوميروس وشاهنامة الفردوسى ، وقال هناك شاعر شباب من مسلمى الهند «حفيظ» الذى بدأ يؤلف شاهنامة الاسلام منذ ســـنوات وأصدر منها ثلاثة أجزاء ونال حظوة عظيمة لدى قراء الأوردية ، وأشار الى أن أحمد محرم بدأ ينظم ملحمة الاسلام ، وفى هذا الصدد كتب (مسعود عالم الندوى) صاحب العبثاء يقول : كتبت ما كتبت عن الفردوسى عن صدق طويه واعتقاد جازم بأن القومية الاقليمية منافية لروح الاسلام ، ولكن قلما تنبه المسلمون فى هذا العصر ولم يرفـــع أحد صوته من اطر الكلام الا المجـــاهد ظفرعلى خان صـــاحب جريدة زميندار اليومية .

١٠ — وأعلنت الفتح عن قيام جمعيات التعاون الاسلامية (ذى الحجة ١٣٥٣) وكتب كاتم السر وصـــاحب الفتح محب الدين الخطيب يقـــول :

ان الغرض هو التعارف والتعارف فى أمة كالأمة الاســــلامية تعبر بمئات الملايين اذا لم يجىء من مصادره لا يعد عملا علميا ولا يكون تعارفا صحيحا وقد بدأ العمل بالالمام بأحوال المسلمين :

فى الصين (محمد مكين) اندونيسيا (عبدالقاهر مدكر) حضرموت (صلاح البكرى) فى الهند (مسعود عالم الندوى) . وقال : ان مهمة جماعة التعارف واسعة النطاق هى تشمل النحل والمذاهب التى افترق اليها المسلمون . أليس من النقص الفادح أن نسمع كل يوم باسم أغا خان مثلا وان نعلم أنه زعيم الاسماعيلية وأن لا يكون بين أيدينا بحث علمى دقيــق نزيه عن هذا المذهب الاسماعيلى وسبب وجوده وتاريخ نشأته وما كان له من شكل ظاهر وما انطوى عليه من اعتقاد باطن وما تقلب فيه من الحوار وما اصله من افــكار .

وقال : اننا سمعنا بأن فى جبال حراز من ارض اليمن فئة تمت بصلة الى فرقة البهرة الموجودة فى الهند ، ومذهب النصيرية فى الشام وما كان له من أدوار خطيره منها فى تاريخ الاســـلام فى القرون الوسطى والقرن الحديث ، وقس على ذلك الاسماعيلية والبهرة والنصيرية وسائر المذاهب التى تشعبت عن دعوة الفاطميين فى صر ، وهناك مذاهب أخرى منتشرة الآن فى العالم الاسلامى لها اهلها وانصارها ولا يمكن التعارف معهم إلا بعد معرفتنا أساس عقائدهم كمعرفتهم أساس عقائدنا ، هذه المعرفة منا ومنهم لعقائدنا وعقائدهم تقضى على أوهام كثيرة يظنها عامتنا فى عقائدهم وأوهام منها يظنها عامتهم فى عقائدنا ، والقضاء على هذه الأوهام خطوة واسعة للتفاهم والتقارب والتعارف .

وقال : ان الثقافة التى يتلقاها ناشئة الاسلام فى كل قطر والاتجاه كرى الذى يمهد الراى العام الاسلامى فى مختلف الأقطار وما فيها من مواطن الضعف والقوة ، فمعرفة ذلك من أهم صــنوف المعــرفة التى أخذناها على عاتقنا . وقال أنه من اللازم دراسة الضرورات الاقتصادية التى تعمل عليها فى العالم الاسلامى ومراقبة الصحف والحوادث واختيــار المهم منها وجمعه فى ملفات منظمة .

١١ — وواصلت الفتح م ١٢ (١٩٣٨) الحديث عن الرابطة الاسلامية فقالت :

منذ خمسين سنة وأكثر يعمل الدساسون من رجال الاستعمار وأذنابهم فى الشرق على تفريق قلب أبناء الملة الواحدة باسم القومية وعلى تفريق قلوب أبناء القومية الواحدة باسم الأوطان ، وعلى تفريق قلوب أبناء الوطن الواحد باسم أحزابه وباسم طبقاته وباسم عناصره ، فقد ظن المستعمرون وأذنابهم أنهم انتهوا من تمزيق العالم الاسلامى وصار الهندى والفارسى وغيرهما من أبناء الأقطار غير العربية لا يشعرون بشعور أبناء الأقطار العربية ، وصار المصريون يرون جيرانهم شرقا وغربا كأنهم غرباء عنهم وقد دعا مولانا محمد على الى الالتفاف حول جامعة الاسلام وقال كلمته الخالدة : ان الوطن من الشيطان وبث فى نفوس سامعيه من شباب المسلمين أن المسلم أوسع أملا وابعد مطمحا من أن يعد نفسه جنديا فى معسكر محدود بحدود وطنه الأصغر بينما هو يستند الى معسكر من المشتركين معه فى الايمان الدينى والاجتماعى لا يقل عدد صوره عن أربعمائة مليون من أهل التضحية والجهاد (الآن ألف مليون) .

١٢ — وفى المجلد ١٢ كتب عبد الرؤوف الاسطوانى عن العلاقة بين الرابطة الاسلامية والرابطة الوطنية وقال ان الهدف هو السعى الحثيث فى العصر الحاضر لاضعاف الرابطة الدينية وتفكيك عراها وغلبة الرابطة الوطنية ، والهدف هو التوفيق بين الحركتين وجعل الحركة الوطنية متميزة فى الجوهر والأساس مع الحركة الاسلامية وقال : ان الاسلام ينظر الى الوطنية كعاطفة غريزية ، فالانسان مفطور على حب الأرض وغريزة حب البقاء وغريزة حب الوطن ،

وقال السيد محب الدين الخطيب : نحن المسلمين لا نقول بالقضية الوطنية لأنها نعلى عليها رابطة العقيدة وجامعة الملة عملا بتعاليم ديننا وتقاليدنا وتاريخنا .

١٣ — وتحدث السيد محب الدين الخطيب عن العروبة والاسلام فقال :

ان من لوازم انعاش الاسلام انعاش العروبة وأن بناء الاسلام قام على أساس العربية والعروبة وان الأمة الاسلامية كانت عزيزة لما كانت وفية للعروبة مؤيدة لها ومدافعة عنها ، وأشار الى قول شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه (اقتضاء الطريق المستقيم) عن مخالفة أهل الجحيم لاعتياد الخطاب بغير العربية التى هى من شعائر الاسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله ولأهل الدر وللرجل مع صاحبه لأهل السوق وللأمراء أو لأهل الديون أو لأهل الفقه فلا ريب ان ذلك مكروه فانه من التشبيه بالأعاجم وهو مكروه كما تقدم .

لذلك كان المسلمون المستقدمون لما سكنوا أرض الشام وأرض العراق وخراسان وأرض المغرب عودوا أهل هذه البلاد « العربية » حتى غلبت على أهل هذه الامصار مسلميهم وكافرهم وهكذا كانت خراسان قديما ، ثم أنهم تساهلوا فى أمر الله واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ولا ريب أن ذلك مكروه (أى مكروه شرعا) انتهى كلام ابن تيمة .

١٤ — وتحدث الشيخ مصطفى الرفاعى اللبان عن الخلافة الاسلامية وقال (انها لازمة لحياتنا فانا أدعو جميع المفكرين من رجال الاسلام الغيورين الى التذكير بها والتفكير فى وسائل احيائها حتى يتيسر لنا ايجاد رأى عام فى صف الخلافة .

١٥ — وتحدثت الفتح م ١٧ (١٩٤٣) عن الفرعونية فأشارت الى كتاب قناع الفرعونية لأحمد صبرى وقال ان محاولة التوفيق بين الاسلام والفرعونية محاولة باطلة ، ولابد من انتصار الفطرة الاسلامية على الأخطاء المكتسبة وقال : ان فرعون رمز لنوع من الحكومات الاستبدادية انبائدة فالفرعونية نوع من النظم التى ينهض عليها الحكم الاستبدادى الجائر ، هذا النظام يقترن بما يتصل به من الأوضاع الاجتماعية والصور العقلية التى تبرر الظلم وتستقطب الخنوع وتساعد على الترفيه عن الطبيعة المحدودة الحاكمة التى تستند الى ما تخدعه من أسانيد الحقوق المقدسة ، ولا يجد المصرى المشوق للحياة الصحيحة فى شعار الفرعونية من قوة اندفاع الحرية والمساواة ما يجده المسلم فى كلمة الاسلام .

ودعت الفتح الى ترك أغلال الفرعونية والأشورية والفينقية المفرقة ليعودوا الى الوحدة من جديد فى ضوء حرية الاسلام » .



الباب الخامس

الدعوة الاسلامية

الفصـــل الأول : الدعوة الاسلامية

الفصـــل الثانى : دعاة الاســـلام

الفصل الأول

الدعوة الاســـلامية

حفلت هـــذه المرحلة بالجماعات الاسلامية المتعددة التى قام بهـــا الغيورون على الاسلام فى مواجهة التحديات التى أحاطت به ، وفى مواجهة جمعية الشبان المسيحية العالمية التى توزعت فروعها فى عواصم البـــلاد الاسلامية ، بالاضافة الى الارساليات المختلفـــة ومعاهـــدها وما رسمت من مناهج لضرب الاسلام وقررت من كتب تهاجم الاسلام ونبيه ودعوته وكان للسيد محب الدين الخطيب — والشهادة لله — دور خطير فى هـــذه المرحلة فهو الموصوف بأنه أبى الجمعيـــات الاسلامية وقد كان من وراء انشاء جمعية الشبان المسلمين ، كما أن جمعية الاخوان المسلمين ولدت فى أحضان جمعية الشبان كما ولدت جماعة مصر الفتاه ولذلك فقد حفلت الفتح احتفالا كبيرا بنشاط الجماعات الاسلامية وتوجيهها ورسم المناهج لها ومعارضتها فى بعض خططها التى كانت تبدو مغايرة للطريق الصـــحيح فهو كالديدبان اليقظ ، ولما نمت جمعية الاخوان المسلمين واتسع نطاقها ظل السيد محب الدين الخطيب يوالى البث ويقدم وجهات النظر النافعة ايمانا بمسئوليته عن الدعوة الاسلامية ووجهتها الصحيحة وكان الأستاذ حسن البنا يقبل منه ويحاوره وان ظل هناك فارق واضح بين صاحب القلم المتحرر من أى تبعة خاصة بجماعة تثقل الكاهل وتحتاج الى نوع معين من الرعاية والتوجيه وبين صاحب الدعوة المنغمس فى المحاذير والتحديات .

وقد كانت هناك جمعيات متعددة تعمل منذ وقت بعيد ، غـــير أن الظروف المتغيرة والتحديات الجديدة فرضت انشاء جمعيـــة كبرى تضم عشرات من العلماء والمفكرين لمواجهة الأخطار وقد أشارت الفتـــح الى أن جمعية الشبان المسلمين أنشأت فى مواجهة ثلاث تحديات خطيرة :

١ — مواجهة حركة التبشير المسيحى العاصفة التى كانت تقودها الجامعة الامريكية فى القاهرة .

٢ — حركة جريدة السياسة وكتابها : عصابة التغريب والغزو الفكرى (طه حسين وهيكل ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق) وغيرهم وظهور كتابى الاسلام وأصول الحكم والشعر الجاهلى .

٣ — الحركة الكمالية التى ألغت النظام الاسلامى فى تركيا والحروف العربية ووجدت من كتاب التغريب فى مصر تأييدا واسعا .

ومن هنا انعقدت الخناصر على انشاء هذه المؤسسة الضخمة لتحقيق عدد من الغايات الاسلامية الكبرى .

— مقاومة التبشير والكشف عن مخططاته وتنوير الأبصار بالنسبة لأخطاره .

— الدعوة الى التربية الاسلامية ونقد كل مناهج التعلم .

— دراسة أحوال العالم الاسلامى وخاصة فلسطين والمغرب .

— ابراز المفاهيم الاسلامية ، من شعر رصين وتراث مجيد .

— الرد على دعاة التغريب فى مصر ومواجهة الصحافة العلمانية .

— مواجهة الدعوات الهدامة كالقاديانية والبهائية .

ومن ثم فقد استطاع السيد محب الدين الخطيب جمع عدد من الشباب المسلم من الجامعات للاشتراك فى الجماعة (عبد المنعم خلاف ، عبد السلام هارون ، محمود محمد شاكر ، على الجندى) كما ضمت اليها عددا من كبار الأعلام أمثال (أحمد تيمور باشا ، عبد العزيز جاويش ، محمد الخضر حسين) وأعلنت برنامجها فى احتفال ضخم وكشفت فى الساعات الأولى لانشائها أنها تعمل على حماية الشباب المسلم من أخطار دعوة التبشير والالحاد والاباحة وسجلت الفتح فى المجلد الثانى ص ٤٠٨ هذه الأهداف :

١ — بث الآداب الاسلامية والأخلاق الفاضلة .

٢ — السعى لانارة الأفكار بالمعارف بطريقة تناسب روح العصر .

٣ — العمل لازالة الاختلاف أو الجفاء بين الطوائف والفرق الاسلامية .

٤ـ الأخذ من حضارتى الشرق والغرب بمجانستهما جميعا .

وسرعان ما تقدم السيد مصطفى صادق الرافعى بنشيد الشبان :

ربنـــا اياك ندعـو ربنــا
آتنـــا النصر الذى وعدتنـــا
اننـــا نبغى رضـــاك اننـــا
ما ارتضينا غـير ما ترضى لنـــا

وقدم حافظ ابراهيم نشيدا استهله بقوله :

اعيـدوا مجـدنا دنيـا ودنيـــا
وذودوا عن تراث المســـلمين

وقدم أحمد محرم نشيده الذى استهله بقوله :

بنى الاســلام اقـــداما
كفى دعـــة واحجـــاما

ولم تلبث جمعيـــة الشبان المسلمين أن نافستها جمعيـــة الهـداية الاسلامية وجمعية مكارم الأخلاق وكانت جمعية الاخوان المسلمين فيما بعد قليل عمل لم تلبث أن حقق نجاحا كاسحا بينما ضمرت جمعية الشـــبان واقتصرت على الألعاب الرياضية .

ولكن هذه المرحلة كانت خصبة فعلا فقد استقبلت عديدا من أعلام الغرب وتحدث على منبرها الكثير من النوابغ أمثال عبد اللهكوليام والشاعر محمد اقبال والسيد محمد على واعان المستشرق فريسيكويابالى اسلامه فى حفل تأسيسها (م ٢/٣٧٤) .

- ٢ -

وكانت جمعية الشبان المسيحية قد تحدت مشاعر المسلمين اذ أخذت تقـــدم مفاهيم مسمومة على منبرها وكشفت الأحداث أن هدفها لم يكن تثقيفيا أو فكريا وانما كان ـــ كما أوردته الفتح ـــ هو التبشـــير المستتر بجلباب المدنية ، وانما فتحت صدرها لقبول الأعضاء من شـــتى الطوائف والأديان لغـــاية تبشيرية واكبر دليـــل يدل على أنها أجنبية لا وطنيـــة

وأن البريطانيين قابضون على زمام ادارتها ومصالحها وهم يجمعون لها التبرعات حتى من المسلمين المغفلين الذين لا يعلمون ما يراد بهم وقال : « ان الواجب يدعونا الى تجنيد وتنشيط كل جمعيـة اسلامية تؤسس فى الشرق » .

ومن ذلك ما نشرته الفتح (١٢ يناير ١٩٢٨) من أن جمعية الشبان المسيحية جمعية تبشيرية مسيحية أنشئت لاقتناص المسلمين وغير البروتستان من المسيحيين واستمالتهم بالألعاب الرياضية وبالمكتبة ليأنسوا بهذا النادى ، هـذه هى الجمعية التى كان يخطب فيها رئيس تحرير السياسة (محمد حسين هيكل) منذ أيام مع اصراره هو ومحررو جريدته على الا تنشر كلمة واحدة عن جمعية الشبان المسلمين فهم ليسوا دعاة الحاد فقط كما يظنهم الناس بل معضدون أيضا للمسيحية على الاسلام وتقول جمعية الشبان المسيحية فى تقريرها أنها تسعى جهد طاقتها لاعلان (المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة) ومعنى هذه الآية الانجيلية نشر المسيحية ومقاومة كل دين غيرها وهى تابعة لجمعية الشبان المسيحية الدولية فى مدينة نيويورك » .

ومن هـذا انها استقدمت عددا من التغريبيين أمثال سلامة موسى للحديث فى موضوعات خطيرة حيث تحدث سلامة موسى عن الأدب المكشوف حيث هتف بحرية الأدب واطلاق العنان ، وجاهر بأن الأخلاق تعتمد العادات وتقوم على التقاليد ، ويؤمن بأن الغرائز النفسية لا تخرج عن تلك التقاليد ، فهو يدعو الى أن الأدب يكشف المستور ويفضح المكنون ولا يبالى بنتائج الاغراق وعاقبة الاسراف ، وأشار الى سبق امرؤ القيس وأبو نواس وصاحب اليتيمة الى الأدب المكشوف .

— ٣ —

وقد عرضت الفتح فى أكثر من موضع عن مفاهيم الشبان المسلمين حيث تقول فى المجلد الثالث :

● بلاد المسلمين وطن كل المسلمين ، وان ما نرى من مبادىء يتشبث بها المسلمون هى مبادىء لم تظهر فى الوجود الا بعد أن ضمنه

الاسلام وضعفت عقائدنا وروحنا المحمدية ، ورأى الغرب تأييد ذلك لأنه من مصلحته عدم اتحاد المسلمين .

● تجديد مجد أجدادنا لنكون أقوياء فى ديننا وعزائمنا فلندافع عن شرفنا وديننا ولنستعد بالقوة البدنية والعلم والمال والصناعات .

● فى مواجهة جمعيات التبشير ليكشف عن أنهم مأجورون لمصلحة الاستعمار وتمكين أغلاله من أعناقنا .

وتحدث صاحب الفتح (١٧ نوفمبر ١٩٢٧) فقال ان السعى الى تكوين الشبان المسلمين فى مصر وغير مصر هو المثل الأعلى ليبنى للمستقبل رجالا يجمعون الى العلم استقامة الخلق ، ان الناشىء الذى يخوض غمار هذه الحياة وبين يديه سراج من الهداية انما يخوضها قوى الجأش عالى الهمة، هادىء الخاطر ثابت النظر ، وأشارت الفتح (مجلد ٧ — ١٩٣٣) الى أن الجمعية أنشأت بهدف العمل على صيانة النفوس والعقائد من العلل والأمراض والأخلاق الاجتماعية والدينية وأن أشد ما يخشى منها خطرا وفتكا ذلك الذى يتعرض له الشباب الناشئون وهم فى مرحلة من الحياة يسهل فيها التورط فى الخطأ والانحدار الى طريق الضلال مع الدعوة الى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة لجماعة المسلمين .

— ٤ —

وأولت الفتح اهتماما واسعا للجماعات الاسلامية كلها ودعت الى تعاونها من أجل اضاءة الطريق أمام شبابنا وتسليحهم بالفضيلة ليكونوا رجالا عاملين أقوياء فى دينهم وأخلاقهم وأشارت الى جمعية الحضارة الاسلامية التى أنشأها الأستاذ عبد الرحمن الساعاتى (البنا) ومحمد أسعد الحكيم ، فى حارة الروم بالغورية ومهمتها التعاون على تحقيق اليقظة الاسلامية والعمل لنصرة الاسلام باظهارها ما انطوت عليه تعاليمه الراقية ودعوة المسلمين الى التمسك بدينهم والعمل به وحماية الدين من اعتداء المعتدين جهرا وعدوانا .

كما أشارت الى جمعية الهداية الاسلامية (سكة الشابورى ١١ بالحلمية الجديدة) وجمعية مكارم الأخلاق بسراى السادات بدرب الجماميز ،

والى نشاط كل منهما ومحاضراتهم الأسبوعية ثم أشارت الى انتقال قيادة جمعيـة الاخوان من الاسماعيلية الى القاهرة وانضمت اليهـا جمعيـة الحضارة ، وقال ان عددا من العاملين مع الأستاذ حسن البنا يتحدثون فى المحاضرات : حامد شريت ، حلمى نور الدين ، عبد الرحمن الساعاتى ، أحمد شريت ، محمد جميل العقاد ، محمد ابراهيم البراوى ، عبد اللطيف الشعشاعى .

وقالت ان جمعية نشر الفضائل الاسلامية يتقدمها : على محفوظ ، أحمد صفر ، على رفاعى أما جمعية مكارم الأخلاق : محمود صدقى .

وأشارت الى أعلام مجلة الفتح وجمعية الشـبان المسلمين الذين يعملون مع محب الدين الخطيب : شكيب أرسلان ، محمد حسن النجمى ، محمد صادق عرنوس ، مصطفى أحمد الرفاعى اللبان ، عبد المنعم خلاف ، محمد تقى الدين الهلالى ، محمد الهراوى ، على الجندى .

وأشارت الفتح الى اعطاء الشبان المسلمين أرضا مساحتها ألفى متر (١٥ ألف جنيه) لتقيم عليها ناديا فى القاهرة بشارع الملكة نازلى وأشارت الى أن السيد محب الدين الخطيب الذى كان شرف العمل على تأسيس جمعية الشـبان المسلمين .

— ٥ —

وسرعان ما اتسع عمل جمعية الشبان المسلمين وانتشرت فروعها فى حيفا (فلسطين) وفى بومباى بالهند ، كما ظهرت فروع الجماعة الاسلامية فى دمشق : مصطفى حسنى السباعى ، على الطنطاوى كما أشارت الى افتتاح فرع جمعية الشبان المسلمين فى تونس ، وقالت الفتح ان جمعية الشبان فى حيفا تقوم بتنظيم حالة المسلمين وتوجيههم الى فضائل الاسلام حتى يتمكنوا من ان يجعلوها أساس حياتهم وأن يجعلوا كل أعمالهم وأفكارهم قائمة عليهـا .

وقالت صحف الهند ان جمعية الشبان فى بومباى قد احدثت آثارا طيبة وسرعان ما انتشرت فروع لها فى الهند وقالت صحف الهند : ان عائلتنا

منقسمة فالجامعة الاسلامية تفقد قدرتها لأن تعدد المذاهب أضر بوحدتنا ، وجهلنا بالتعاليم الدينية الصحيحة سبب لنا دمارا أشد وطأة من فعل الزلازل والطوفان فلابد للمسلمين فى أنحاء المعمورة من أن يكونوا على اتصال وأن يتبادلوا المودة والاخاء ولابد من اخماد عاطفة المحبة نحو الوطن الاقليمى واستبدالها بانماء عاطفة المحبة نحو الوطن العالمى ، وقالت ان المسيحيين يسعون للبحث عن مثل أعلى يطابق روح العصر والدين الاسلامى يحث على اتخاذ مثل أعلى لهم ولكنهم لا يعيرون روح العصر التفاتا ، وان جمعية الشبان المسلمين هى طريق يوصل الى الطريقة المثلى للحياة .

— ٦ —

وتحدثت الفتح عن الجمعيات الدينية فقالت انها مهما تنوعت فانما ترجع الى غرض واحد لا ثانى له هو احياء الدين فى النفوس واعلاء كلمة الله ، فبذلك يتحقق جميع هذه الأغراض متى التزم الناس أوامر دينهم وتخلقوا به ظاهرا وباطنا .

وقالت الفتح : ان النجاح لا يقاس بكثرة الأعضاء بل يقاس بمقدار تأصل الروح الدينية فى نفوس الأعضاء وبمقدار تحولهم مما عليه الناس الى الحالة التى كان عليها السلف الصالح .

— ٧ —

وعاودت الفتح الحديث عن أخطار جمعية الشبان المسيحية م ٦ (١٩٣٢) بعد ظهور حوادث التبشير التى هزت المجتمع قالت ان لجمعية الشبان المسيحية عشرة آلاف فرع فى جميع أنحاء العالم ، وقد لقيت تعضيدا من الأمم المسيحية والحكومات المسيحية وبلغ رأس مالها الى ما يزيد عن ٢٢٤ مليونا من الريالات (٤٥ مليونا من الجنيهات) .

وتحدثت الفتح عن جمعية الشبان المسيحية فى القدس وقد افتتحها اللورد اللنبى صاحب الكلمة المعروفة (ها نحن قد عدنا بأصلاح الدين) وبلغت نفقات بنائها ٤٠٠ ألف جنيه (١٩٣٣) فى ابان الأزمة العالمية الطاحنة ، هذه المظاهرة الدينية الاستعمارية على مسلمى فلسطين ،

اذن الفتح صليبى وجمعية الشبان المسيحية تبنت ذلك الفتح وهدف تلك السياسة وكلمتك (ان تلك الحملة آخر حملة صليبية) اذن فكل ذلك حق ، ارسلت كلمتك يومئذ ثم جئت اليوم فزدت تلك الكلمة حرجا وابرزت تلك النية وكرا من اوكار التبشير وقالت مجلة الجامعة فى يافا ان الاسلام دين لا يخاف التبشير بل يجعله تبشيرا به ويرده دعوة له ، وان الاسلام دين نبت من وطيس الحمر كما نبت على ضفاف النهر .

وقالت الفتح : ان جمعية الشبان المسلمين التى تاسست تبلغ اربع سنوات ، انما تاسست بعامل من هذه الحاجات المعنوية لتجديد شباب المسلمين ، وقد انتشرت فى مصر وفلسطين وشرق الأردن ووصلت فروعها الى امريكا الشمالية والجنوبية تحت عنوان الدعوة الى تعارف المسلمين وتوثيق روح الاخاء بينهم .

وقالت الفتح : ان الاسلام هوجم من اعدائه بعقائد باطلة فى كل زمان ومكان ، ولكنه اليوم معرض لاقوى هجمات عرفها التاريخ لاننا مضطرون الى تعليم اولادنا واكثر مصانع التعلم والتصنيف اما ان تكون مؤسسة بايدى جماعات من وظيفتهم محاربة الهداية المحمدية او انها مبثوث فيها من يعلمون ويثقفون ممن عاهدوا انفسهم على محاربة هذه الهداية .

ولا نستطيع ان ننشى جيلا جديدا نطمئن الى كفايته للنهوض بحاجة المسلمين المادية والروحية ما لم نقم بعمل مزدوج لا مناص من وقف جانب كبير من وقتنا عليه فاحد شقى هذا العمل مقاومة دعايات الالحاد فى داخل المدارس الموجودة الآن ، وفى عالم الطباعة والنشر والثانى ايجاد مدارس جديدة تكون مستوفية الشروط من وجهة نظر الاسلام ، وعلى وسائل النشر الاسلامية السير فى طريق الرقى حتى تتمكن من اظهار محاسن الاسلام للملأ وعرض حقائقه بالأساليب المحبوبة لدى الجماهير .

— ٨ —

اولت الفتح اهتماما واسعا ومتصلا بجماعة الاخوان المسلمين التى نشأت بعد عام واحد والتى اتسع نطاقها بعد انتقال الأستاذ حسن البنا من الاسماعيلية الي القاهرة حيث تم تحول جمعية الحضارة الاسلامية

واندماجها فى جماعة الاخوان وقد تم ١٩٣١ اتحاد جمعية الحضارة مع جمعيات الاخوان المسلمين بالاسماعيلية وشبرا خيت والمحمودية وترتب على ذلك أن تختار الاسم نفسه وهى جمعية الاخوان المسلمين بالقاهرة وترى الجمعية أن انضمامها هذا اشارة الى الوحدة الاسلامية التى هى الطريق العملى لاعزاز الاسلام ورفع مناره (سوق السلاح رقم ٦٢ — يوليو ١٩٣١) .

واشارت الفتح الى ان جمعية الاخوان المسلمين نقلت من حارة عمارة الشماشرجى (أبريل ١٩٣٣) الى منزل ٢٤ بعطفة نافع بحارة عبد الله بالسروجية وانها بدأت فى اصدار صحيفتها الأسبوعية بالمطبعة السلفية بباب الخلق وسيصدر أول عدد قريبا (نائب القاهرة : عبد الرحمن أحمد الساعاتى) .

ولم تلبث الفتح ان بشرت بصدور الصحيفة :

أصدرت جمعية الاخوان المسلمين صحيفة اسبوعية لتكون لسان حالها ولتقوم بقسطها فى خدمة الاسلام والهيئات العاملة على رفعة الاسلام واعادة مجده (جريدة اسلامية جامعة ابرز اقسامها القسم الدينى الذى يحرره مرشد الجمعية العام الصديق المجاهد الأستاذ حسن البنا وسيتناول التفسير والعقائد والفقه والتصوف) .

وقالت الفتح : والأستاذ البنا من صفوة الداعين الى الله بحكمة وبصيرة ، وهو روح هذه المجلة وعمادها ، كما أنه روح جمعية الاخوان المسلمين وعمادها ورئيس تحرير المجلة هو فضيلة الشيخ طنطاوى جوهرى وادارتها فى دار المطبعة السلفية (التى يديرها السيد محب الدين الخطيب) .

وقد صدرت المجلة صفر ١٣٥٢ (١٩٣٣) تحت عنوان (جريدة الاخوان المسلمين) ونقشت على صدرها ثلاثة اسماء (طنطاوى جوهرى — محب الدين الخطيب — حسن البنا) .

وقد صدرت بعد سبع سنوات من صدور الفتح التى صدرت عام ١٩٢٦ وكان الأستاذ حسن البنا قد بدأ كتاباته الاسلامية فى جريدة الفتح منذ أواخر السنة الأولى للفتح تحت عنوان (الدعوة الى الله)

وواصل ذلك خلال سنوات طويلة ومما نشره فى المجلد السادس ص ٧٣ من الفتح ما كتبه تحت عنوان :

(واجب العالم الاسلامى ازاء ما نزل به) .

قال : هناك وسائل نستطيعها أجدى من الاحتجاج وأبلغ اثرا :

الوسيل الأولى : ضم الصفوف وتوحيد القوى .

الوسيلة الثانية : مقاطعة كل ما هو غير شرقى من العادات والتقاليد .

الوسيلة الثالثة : أن نجاهد أنفسنا قليلا ونحكمها ونردها الى العقل والتبصر .

الوسيلة الرابعة : ان نذكر هذه النكبات دائما وأن نتلوها على انفسنا صباحا ومساء حتى ينشأ شبابنا وهم على بينة من أمر أعدائهم فلا يخدعون كما خدعنا ، وان علينا أن ننظر فى احدى الوسائل لتخريج أبنائنا مشبعين بالروح الدينية فان نظم التعليم عندنا للأسف لا تسمح بذلك وهى تقربنا من الأفكار الأوربية وتقتل فى نفوس الناشئة كل شعور اسلامى أو قومى شريف .

الوسيلة الخامسة : تجديد النفوس وتطهير الأرواح وتقوية العقلية حتى تمتلىء النفوس بالأمل والايمان وهى تندفع الى العمل بقوة وثبات كما كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وقال الأستاذ حسن البنا : من الأحكام الشرعية أن القنوت سنة فى كل الصلوات بعد الركوع الأخير اذا نزلت نازلة بالمسلمين ، ويلوح لى بجواز تطبيق هذا الحكم فى كل المساجد الاسلامية وفى كل الصلوات .

— ٩ —

وتحدث السيد محب الدين الخطيب فى المجلد السابع (١٣٥١ هـ — ١٩٣٤ م) فقال ان منشئى الفتح الذى كان له شرف العمل على تأسيس الشبان المسلمين رأى فريق من خيرة شبان المسلمين فى القاهرة أن الحاجة الى صياغة النفوس والعقائد من العلل والامراض الاخلاقية والاجتماعية

والدينية أصبحت ماسة وان أشد ما يخشى منه خطرا وفتكا ذلك الذى يتعرض له الشبان الناشئون وهم فى مرحلة من الحياة يسهل فيها التورط فى المفاسد والانحدار الى طريق الضلال .

وقال السيد محب الدين الخطيب :

ان فكرة الشبان فكرة سامية ترمى الى مقاصد ترتبط بحياة الهداية المحمدية كما ترتبط بنهضة الشعوب الاسلامية ، ومن المقاصد التى اسست جمعية الشبان لتحقيقها أن تدرس هذه الجمعية الحركة الفكرية فى ديار الاسلام وان تبحث عن مصادر هذه الحركة الفكرية واتجاهها وتنظر فيما اذا كان ذلك موافقا لحاجة المسلمين الحقيقية أم لا ولا شك ان الحركة الفكرية الحاضرة فيها النافع وفيها الضار فكيف يمكن المسلمين ان يسيروا مع هذه الحركة الفكرية بطمأنينة وارتياح وليس فيهم من ارتاد لهم الطريق ولا من قام بتحليل هذا الدواء الذى يراد منهم ان يشربوه ، ومن أولى من جمعية الشبان المسلمين بذلك الارتياد وهذا التحليل ومن المقاصد درس أخلاق الطبقات الاسلامية والبحث عن أسباب الضعف الأولي ودرجة ابتعاد المسلمين عن هداية دينهم .

— ١٠ —

وفى المجلد التاسع من الفتح (١٣٥٣) تحدثت الفتح عن تشكيل جمعية الشبان المسلمين ومؤسسها : محب الدين الخطيب ، أحمد تيمور ، محمد الخضر حسن ، محمود محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، محمد محمود الحضرى ، عبد الفتاح كيرشاه ، كمال اللبان ، محمد القاضى ، محمد محجوب ، مصطفى محمود القاضى ، زكى القاضى ، عبد المنعم خلاف ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، توفيق أحمد ، عبد العزيز جاويش ، محمد الههياوى وان الاجتماع عقد برئاسة تيمور باشا عام ١٣٤٦ .

واختير عبد الحميد سعد رئيسا ثم انضم الى الجماعة :

الشيخ أحمد ابراهيم ، محمد أحمد الغمراوى ، يحيي الدرديرى ، على مظهر ، محمود على الفضلي ، علي شوقى .

وقالت انه فى هذا العام ١٣٥٣ قد وضع الحجر الأساسى لبناء الجمعية ، وكانت دار المطبعة السلفية (التى انشاها السيد محب الدين الخطيب) نبع القلوب الصادقة وفيها ايضا انشأت جمعية التعارف الاسلامى (محمود سالم) .

— ١١ —

واشارت الفتح الى المستشرق الالمانى (كمفاير) الذى كتب عن جمعية الشبان المسلمين : هذا هو الصراط المستقيم والأساس الحقيقى لنهضة الأمة ، اغراض الجمعية مطابقة لحقائق جوهرية خالدة لها التأثير الحاسم فى تطور الأمة ورقيها واذا قيل ان الغلبة كانت ولم تزل للقوة فى كل عصر ومصر فاقول ان للقوة المادية حدا لا يتجاوزه وتعقبها قوة اخرى هي القوة الروحية التي مصدرها وحي الله عز وجل .

— ١٢ —

وتحدثت الفتح عن انشاء جمعية الشبان المسلمين فى العالم الاسلامى وركزت على جمعية الشبان المسلمين فى فلسطين وفى العراق (من بغداد الى البصرة) وفى الشام وتونس والهند وامريكا فى ثلاث سنوات فقط .

واشارت الفتح الى جماعة شباب محمد فى بلاد الشام (فبراير ١٩٣٩ — الحجة ١٣٥٧) واشارت الى دار الأرقم فى حلب ، وجمعية الشبان المسلمين فى دمشق ، وجمعية مكارم الأخلاق الاسلامية فى بيروت وجمعيات عديدة فى القدس ولندن وباريس كلها تنضوى تحت رابطة شباب محمد (بعد عودته من مصر ١٩٣٩) .

وقال ان الأستاذين مصطفى السباعى وعمر بهاء الأميرى (بعد عودته من باريس) ومعهم مصطفى الزرقا ، وعبد الرءوف الاسطوانى ، وعبد الوهاب الأزرق وصلاح الدين المدرس ، وجمال العشى ، وعزت المرادى ، واسماعيل المرادى ، ووعبد الفتاح الحمصى ، وصدر حجار ، وعبد الوهاب النونجى ، وعبد القادر السيسى وقد تقرر تنظيم الشباب المسلم تنظيما ثقافيا وعسكريا وتوحيد جهود الشباب لاسعاف فلسطين والمكافحة عن دين الله وخلق الاسلام الذى شوهته حروف الزمان ليبثوا

فى الأمة روح اليقظة والحمية والعزة التي شهرتها الدنيا فى رجال السلف الصــــالح .

— ١٣ —

وتحدثت الفتح عن النهضة الاسلامية فى الهند فى جاوة وجاكارتا .

فيقول : ان الجمعية المحمدية فى جو جاكرتا ، تاسست المحمدية قبل ثلاثين سنة (أحمد دحلان) ١٣٣٠ هـ — ١٩١٢ لنشر التعاليم الاسلامية والعمــل على ايجاد حياة اسلامية تلائم مبادىء الاســلام وكرامة أهله (٢٥٠ الف عضـــو) ، ١١٧٤ مدرسة ، ٣٨٤ مســجد ، ١٤٣ مكتبة ، ١٥ مستشفى ، ٥٥١٦ مبشر ومبشرات ٢١١٤ .

ويقول الفتح (م ١٩٣٢/٦) الجمعية المحمدية مجدة كل الجد فى نشر مدارسها ولا تعلم فيها الا بالهولندية والأحرف اللاتينية ، فى مواجهة مدارس التنصر المملوءة من الجاويين والمدارس العليا الجاوية ، واشارت الى ان دعاة القاديانيــــة فى جحقا وغيرهم لهم تأثير فى ابدال الأحكام الشرعيــــة للمواريث والنكاح والطلاق واشار الى نحلة الصوفية البوذية الذين يعبدون رجلا هنديا (كرشنا مورى) بمنزلة المسيح عندهم .

وتحدث عن أن مواليد العرب يصرون على تعليم أولادهم الهولندية ، والوطنيون الذين لا دين لهم مسالمون لكل الأديان الا الاسلام فهم حرب عليه يكرهونه أشد الكره .

وقال ان جاوة فيها الآن جمعية الشبان المسلمين الى جانب شركة اسلام فى مواجهة الأحمدية القاديانية .

وتحدثت الفتح ان جمعية اسلامية اسمها انحمين حماية اســـلام قامت فى شرق أفريقيا (أحمد الحداد الكوكبى) فى كينيا واوغندا وتنجانيقا وقد اقامت مدارس اسلامية .

أما فى جنوب أفريقيا فقد قامت مساجد ومدارس فى الكاب والناتال وان هناك مائة الف مسلم بعضهم هندى والبعض الآخر اندونيسى .

ولعل الفتح كانت توجه نظر جمعية الشبان المسلمين الى القيـــام بدور فى هذه المناطق .

— ١٤ —

وعادت الفتح فى عام ١٩٣٦ فقدمت ثبتا بالجمعيات الاسلامية فى مصر :

الشبان المسلمين : دكتور يحيى احمد الدرديرى .

التعارف الاسلامى : محب الدين الخطيب .

الاخوان المسلمين : حسن البنـــا .

جمعية الهداية الاسلامية : عبد الحميد السيد .

أنصار الايمان الاسلامية : خضر مصطفى بدر .

المسلم الفاضل : عبد المنعم امين .

مكارم الأخلاق الاسلامية :

جمعية الجهاد الاسلامى : احمد ابراهيم السراوى .

وقد قدمت هذه الجماعات دراسة لفتت فيها الأنظار الى الانحدار المخيف فى الأخلاق ودعت بعض الصحف أن تكف عن نشر الفصول والصور مما يدخل فى باب الأدب المكشوف والفن .

ودعت الجماعات الاسلامية الى اتخاذ الرقابة على أفلام السينما فتمنع بقدر الامكان من المشاهد الغرامية التى تسوء الآباء أن تقع أنظار أبنائهم وبناتهم عليها وطالب الاذاعة اللاسلكية بتنقية برامجها من وسائل تهيج الشهوات والألفاظ المقذعة والعبارات النابية التى تلقى فى الحفلات .

وطالبت باغلاق الحمامات البحرية وغير البحرية التى يتاح فيهـــا الدخول للجنسين .

— ١٥ —

وتحدثت الفتح فى المجلد ١٢ (١٩٣٦) ص ٦٦٨ عن انشاء جمعية شباب محمد فى باريس ، شكلها محمد المبارك وعمر بهاء الأميرى (نوفمبر ١٩٣٦) وهما من دمشق وحلب قالت :

ان الاسلام قد أصبح اليوم أوسع من ان يكون دينا يتعبد به الناس يدينون به وانما هو مؤسسة عالمية كبرى ، ودعامة شرقية متينة التفت وستلتف حولها أمم كثيرة على اختلاف أجناسها بل وعلى اختلاف أديانها .

وللاسلام صفحة يجمع عليها المسلم وغير المسلم ممن يمتون بسبب الى تاريخه وماضيه فى الشرق الاسلامى والعرب على الحصول مسلميهم ونصرانيهم يرون فى هذا التاريخ الحافل مجدا موئلا ومصدرا يستلهمون منه مثلا عليا تحفظ بناءهم وكيانهم الخاص .

هذا وان العالم الذى يحتفظ اليوم بنزعاته المادية المختلفة وثوراته القومية بما فيه من تصارع قوى بين الفاشية والاشتراكية وتناحر شديد بين البشرية فى جميع انحاء الأرض لفى حاجة شديدة الى نظرة انسانية عامة لم يجدها فى الشيوعية واذاعاتها ، ولا فى الاشتراكية بل الفاشية ولا فى نصوص الفلاسفة المحدثين ، فلعله يجد فى الاسلام هـذه النظرة العاطفة التى ينشدها وان من اطلع على الحركات العالمية فى السنوات الأخيرة فى الشرق والغرب أيقن ان المستقبل على عبوسه خصب بالآمال اكثر مما يظن الظانون .

يا شباب محمد ويا جماعة دار الأرقم ليكن أملكم بالله قويا فما هو بخاذلكم ابدا .

ولنذكر ما يؤيد أن أوربا أخذت تقر بمزايا المدنية الاسلامية واحدة فواحدة بعـد أن جحدتها قرونا طوالا ، ذلك أن المؤتمر العالمى للتشريع الذى عقد فى لاهاى قرر ان التشريع الاسـلامى صالح لأن يعـد مصدرا من مصادر التشريع الحديث (١٩٣٧) .

— ١٦ —

وكتبت الفتح عن طه حسين ومعارضته نهضة الاسلام فى الجامعة (م ١١ — الفتح ١٩٣٧) حيث عقـدت فصلا عن الاسلام فى الجامعـة فقالت :

الحديث عن شباب الجامعة المسلم ظاهرة عملية بدت لنا من بعض طلبة الجامعة المصرية منذ نحو سنتين اشترك هؤلاء فى جمعية الشـبان المسلمين ، وأن عـدد هؤلاء الآن أكثر ممن كانوا قبـل عشر سنوات ، او رابطة الوفاء للاسلام مهما اختلفت الكلمات أو الجماعات الاسلامية

المتعددة ، فرابطة الفكر يجب أن ينشأ عنهـا تعاون بين المرتبطين بهـا نظر اثارة فى استمالة اخوانهم الذين لا يزالون خالية أذهانهم من حقائق الاسلام فيعرفوهم بها ويقفون عليها ، ومن ذلك مذكرتهم بجعل التعليم الدينى من مناهج الدراسة فى جميع الكليات الجامعية ، وتوحيد زى الطلاب والطالبات ، وتحديد دراسة خاصة للبنات فى كلية الآداب ، وبناء المساجد فى كليات الجامعة وحركة فصل الجنسين .

ان هناك ٤ آلاف من طلبة الجامعة يطلبون تعميم الثقافة الاسلامية وفصـل الجنسين .

وأشارت الفتح الى ظاهرات ثلاث لليقظة الاسلامية :

أولا : ظهور صحف اسلامية بعد الفتح فى مصر والشام والعراق وتونس وغيرها .

ثانيا : بدأ الحديث عن الشريعة الاسلامية واتسع بما أزعج جريدة السياسة الأسبوعية مناقضة حد السرقة وحد الزنا وقد رد عليها الشيخ محمد الخضر حسين (الفتح م ١٩٣٧/١١) .

ثالثـا : اهتمام الفتح الواسع بقضايا العـالم الاسلامى أساسا وقضية فلسطين تأخـذ مكانها فى قوة خـلال أعوام (١٩٣٥ — ١٩٣٧) مع قضايا الحجاز واليمن والجزائر .

تقول الفتح : وقد ساءنا ما قاله طه حسين بجريدة المصرى وهو يعبر عن رأيه الشخصى ويعلن تمسـكنا بالحق وتضامننا مع الأزهر الشريف دن أن الجامعتين المصرية والأزهرية يطالبون بتعـلم الدين الاسـلامى بالجامعة والمدارس الثانوية وفصل الطلبة عن الطالبات ويعلنون أن الدكتور طه حسين لا يمثل الجامعة المصرية فيما بدا من آراء وتهجم على اخوانهم طلبة الجامعة الأزهرية فليرح الأستاذ طه نفسه وليعلم أن قوة الشباب لا تهزها تلك الأساليب الأجنبية الدخيلة .

قال طه حسين : أنا لا أعلم فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله نصـا يحرم اجتماع الفتيان والفتيات حول أستاذ يعلمهم العلم والأدب والفن ..

وإذا لم يعرف الدكتور ذلك النص فهل معناه أنه غير موجود ، وهل يلزم من عدم معرفة الدليل على شيء عدم وجوده ، ومن قال ان الدكتور طه عالم من علماء الدين أو فقيه من فقهاء المسلمين حتى يقام لرأيه وزن فى الشئون الدينية ، وبعد فنحن نتولى تعريف الدكتور طه ما جهله حتى يعلم أنه تطفل وتدخل فيما لا يحسن الكلام فيه (ص ٩٩٦ م ١١) .

كما أشارت الفتح الى اعتراض توفيق الحكيم على دعوة أسلمة الجامعة (المصرى ٣ محرم ١٣٥٦) وقد رد عليه السيد محب الدين الخطيب (٩٩٤ م ١١ الفتح) قال : الجيل القائم الآن فى مصر والأجيال التى ستخلفه حلقات من سلسلة التاريخ الاسلامى وهى لا تكون كذلك عن جدارة واستحقاق الا اذا اعترفت الجامعة المصرية بأنها الهيكل العلمى والثقافى للاسلام والعربية وأن من واجبها للاسلام الذى هو دين المصريين والعربية التى هى لغة المصريين أن تحمل لواء محاسنها وأمجادها كما تحمل لواء العلم المجرد ، والعقل الحر والفكر المفيد ، وكما أن الاسلام لا يقف فى طريق العلم فى مصر ولا فى غير مصر فيجب على هياكل العلم فى مصر وفى غير مصر أن لا تقف فى طريق الاسلام .

وأشارت الفتح الى أنه قد أقيمت مناظرة عن تعليم الفتاة تعليما جامعيا وكتبت السيدة لبيبة أحمد فى هذا الموضوع ، وكذلك عزيزة عباس عصفور وأشرف على ذلك الدكتور عبد الحمية سعيد .

— ١٧ —

وأشارت الفتح (فى المجلد ١٢ — ١٩٣٨) الى أن طلبة الاخوان المسلمين فى الجامعة يطالبون بأن يكون منهاج الاصلاح الذى يوجه النهضة قائما على أساس اسلامية (٤ آلاف) الجامعة ودار العلوم والأزهر ومما جاء فى مشروعهم أنهم يعارضون حصر الفكرة الاسلامية فى حدود الواجبات الروحية والعبادية وأن ذلك أمر يتنافى مع طبيعة الاسلام :

(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) فقاعدة الاسلام أن يعتنى المسلم بكل شئون بلده .

وإن هناك هيئة موحدة لها منهاج اصلاح اسلامى يتناول كل شئون

النهضة ويتوافر على وضعه وانفاذه جميع المواقف والقوى ، لما ثبت من أضرار النظام الحزبى وفشله (واعتصموا) وانه قد وضع منهاج للاصلاح الذى يوجه النهضة على أساس يؤدى الى التخلص بالتدريج من الصبغة الغربية وقيود التقليد التى تصنع الحياة المصرية وتعود بهذه الحياة الى الأصول القومية الاسلامية فى التشريع والعادات والثقافة الاجتماعية والاقتصادية .

(يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا يردوكم بعد ايمانكم كافرين) وليس معنى الرجوع الى المنهج الاسلامى نقض الاتفاقيات الدولية **ولا العدوان** على الأقليات المواطنة والأجنبية ، ولا الاخلال بنظام الحكم **النيابى ولا** احياء مظاهر رجعية لا تتفق مع المدنية الصحيحة فان الاسلام خير كله وقد وضع لكل ذلك أفضل النظم وأعدلها **(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)** .

والعمل على توثيق الروابط بين مصر والأقطار الاسلامية العربية تحقيقا للأخوة المنشودة تمهيدا لاسترجاع الخلافة الضائعة **(انما المؤمنون اخوة)** .

— ١٨ —

وكتب السيد محمد الخضر حسين رئيس جمعية الهداية الاسلامية بحثا ضافيا عن مهمة الجمعيات الاسلامية فقال : عقب الحرب السابقة ظهرت حركات وطنية ودعايات قومية وقد يكون فيها خير ولكنها لم تقف عند حد الاعتدال وأخذت تنظر الى الرابطة الاسلامية بعين الاستخفاف بل مدت يدها الى تمزيق أوصالها ونالت منها شيئا كثيرا ووجد الملاحدة والاباحيون فى هذه الدعايات مرتعا فأخذوا ينادون بازالة الفوارق بين جماعات الشعب ويريدون بذلك أن تهمل الجماعة أمر دينها وتنكث يدها من شريعتها ، فى تلك الأيام ظهرت كتب جاهر مؤلفوها بالطعن فى الدين ووجدوا من بعض ضعفاء الايمان القابضين على طرف من زمام الأمور مناصرة ومودة ووقعت الأمة يومئذ فى دهشة وتخيل أولئك الزائغون أن المسلمين انسلخوا من ايمانهم وأن القرآن المجيد أصبح مودعا فى الخزائن ليكثر من الآثار العتيقة ..

ولما أسرف هؤلاء فى الهجوم على الدين الحق وحاربوه فى خطة مكشوفة أخذ الشعور الدينى يهتم وينمو فى نفوس الخاصة والعامة من المسلمين حتى اتقد فى نفوس شباب موفقين وقام بعض دعاة الاصلاح يفكرون فى وسائل يدافعون بها عن الحق ويردون بها هؤلاء الجاحدين على أعقابهم فسعوا الى تأليف جمعيات واصدار مجلات ، وكانت فى مقدمة هذه الجمعيات والمجلات جمعية الهداية الاسلامية ومجلتها فخطة جمعيتنا ومجلتنا الجهاد فى اعلاء كلمة الحق والرد على هؤلاء المنكرين على طريقة البحث وقوانين المنطق الصحيح ، وتهذيب الأخلاق وترقية اللغة العربية .

الفصل الثانى

دعـــــاة الاســـــلام

- ١ -

كان من اكبر اعمال مجلة الفتح هى تربية جيـــل من دعاة الاسلام وكتابه فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى وليس البلاد العربيـــة وحدها ، فظهر كتاب مسلمون يتحدثون عن القضـــايا الاسلامية فى الهنـــد وجاوة وبلاد تركستان ونجارى .

وظهرت أسماء عبد الرشيد ابراهيم (نجارى) وعبد العليم الصديقى (الهند) وعبد الله بن نوح (أندونيسيا) ومن الغرب واصل الكتاب الأمير شكيب أرسلان والدكتور زكى على ، ومصطفى صبرى شيخ الاســـلام فى تركيا وسليمان الندوى ومسعود غانم الندوى ومحمد تقى الدين الهلالى (المغربى الأصل) من بحر الهند ومن باريس عمر الأميرى وأحمد بلافريج ومن لندن عمر الدسوقى ، أما فى البلاد العربية فظهرت أسماء مصطفى اسباعى (دمشق) وعجاج نور أحمد (بيروت) دكتور زكى على (جنيف) وبهجت الأثرى (العراق) ومحمد النيفر فى تونس ، أما من مصر فقد قدمت الكثيرين فى مقدمتهم عبد العزيز جاويش وحسين والى ومحمـــد سليمان ومحمد أحمد الغمراوى ومحمد الهيهاوى .

وقد احتفلت الفتح بكتابات الطلائع من الشـــباب المســـلم المثقف ووجهتهم توجيها نافعا ودفعتهم الى توسيع دائرة عملهم وحاول أن يحقق عن طريق كتاباتهم رسم صورة واقعية للمجتمعات الاسلامية وللتطورات التى أحدثتها حركة اليقظة الاسلامية وبذلك قدم لها وثائق ضخمة عديدة فى جميع شئون البلاد الاسلامية .

وقد وضـــع السيد محب الدين الخطيب نفسه ومجلته (الفتـــح) فى موضعها الحقيقى كحلقة تابعة للمنار وللدعوة الى الاصلاح التى حمل لواءها السيد جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وكان هو مؤرخها والسائر

بها الى غاياتها حتى تسلم الأمانة الاخوان المسلمون بقيادة الأستاذ حسن البنا وكان للسيد محب الدين الخطيب دور فى هذه الخطوة فان الأستاذ البنا بدأ كتاباته عن (الدعوة الى الله) لأول مرة فى مجلة الفتح .

وظلت الفتح تتابع الدعوة الاسلامية عاما بعد عام تنصح وتوجه وتقدم الخبرة والتجربة . وقد نوه السيد محب الدين الخطيب بحزب الاصلاح الاسلامى الذى أسسه الشيخ محمد عبده ونوه به السيد رشيد رضا صاحب المنار فى مناسبات كثيرة وقال : ان كثيرين أشاروا الى أنهم تتلمذوا على الأفغانى وعبده وهم منتشرون فى البلدان الاسلامية ، وكان السيد رشيد يرغب فى أن يدعوهم الى مؤتمر عام ليجعل لصوتهم قوة تقف فى وجه المستعمرين وتابعيهم والملاحدة وأعوانهم .

أولا — الشيخ محمد عبده :

وقد تحدث السيد محب الدين الخطيب عن مفهوم الاسلام عند الشيخ محمد عبده (م ٨٢/١٠) قال : كان أعظم ما يباهى به الشيخ محمد عبده من عظمة الاسلام وأن اختص الله به هذا الدين من سلطان وانه ان كانت المسيحية دينا فالاسلام دين وشرع واذا كانت المسيحية تعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله فالاسلام (قد وضع حدودا ورسم حقوقا ولا تكمل الحكمة من تشريع الأحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضى بالحق وصوت نظام الجماعة وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى فى عدد كثير فلابد أن يكون فى واحد وهو السلطان أو الخليفة وهو مطاع مادام على المحجة ونهج الكتاب والسنة فاذا فارق الكتاب والسنة فى عمله وجب عليهم أن يستبدلوا به غيره ما لم يكن فى استبداله مفسدة تعوق المصلحة فيه) من كتاب الاسلام والنصرانية .

ولما ولى القضاء الأهلى كان يأبى أن ينظر فى قضية يخالف فيها حكم القانون حكم الشرع وخاصة قضايا الدعارة (وقد أشار الى ذلك ابراهيم الهلباوى فى خطابه فى دار الشبان) ووافقته وزارة الحقانية على صرف هذه القضايا من دائرته الى دوائر أخرى وكانت أحكام المحاكم الشرعية تلقى فى التنفيذ عقبات من جهة الادارة حتى اذا تولى الشيخ الافتاء بذل كل ما يملك من نفوذ وحجة ليتدارك هذا النقص العيب ، فالشيخ محمد عبده كان يرى أن من عظمة الاسلام كونه دين سلطان وحكم وقد دافع عن ذلك بلسانه وقلمه ، أما ما يتظاهر به الذين لا يقولون بأن الاسلام دين حكم

من اشادة بالشيخ محمد عبده فهو اما ليستردوا به أو لأنهم يرون ما كان يدعو اليه من اصلاح جهد لما يريدون بعد ذلك من خروج عن الدائرة .

اذا ذكرت عندهم معجزة من معجزات الأنبياء تراهم حريصين على تأويلها وصرفها عن ظاهرها ولو أن الشيخ محمد عبده لا يزال بين ظهرانيا لنبذوه بالرجعية والجمود لأنه يعتقد أن المؤمن لا يكون مؤمنا الا اذا آمن بأن الأنبياء مؤيدون من العناية الالهية بما لا يعهد للعقول ولا للاستطلاعية هو المعجزة الدالة على صدق النبى فى دعواه ويسمون هـــذه المحاولة (اصلاحا اسلاميا) وهو يخالف الاصلاح الاسلامى الذين يدعو اليــه ويحرض عليـــه .

ويرد السيد محب الدين الخطيب على أمرين :

الأول : مسألة معجزات الأنبياء التى تشعر بخرق العـــادة .

الثانى : ما تسلط على عقولهم من الاقتناع بأن سبب تأخر المسلمين جميعهم بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية على حد تعبيرالتفتازانى ، وراحوا يدعون الى اسلام جديد غير الاسلام الذى كان يعرفه النبى صلى الله عليه وســـلم وأصحابه المجاهدون الأبرار وقوام هذا الاسلام الجديد أنه دين عقيدة وعبادة وأنه ليس دين سيادة وحكم وليس محاولة يحاولون أن يلبسوا الاسلام غير لباسه (م ١٠ الفتح ١٩٣٥) .

ثانيـــا — السيد محمـــد رشـــيد رضـــا :

وقد أولى السيد محب الدين الخطيب اهتمامه وتقديره برائد الصحافة الاسلامية السيد محمد رشيد رضا فتحدث عن وفاته فى المجلد العاشر قال :

آمنا أن أعمالنا تموت بموت مؤسسها فالمؤيد مات بموت على يوسف واللواء مات بموت مصطفى كامل ومحمد فريد والأخبار ماتت بموت أمين الرافعى ، والأعمال التى أسسها السيد رشيد ولاسيما اكمال التفســـير الذى أصدر منه اثنتى عشر جزءا وشرع فى جزئه الثالث عشر ، وما اظن أن مسلما خدم الاسلام فى هذا العصر بمثل ما خدمه السيد رشـــيد رضا بهذا التفسير العظيم لو أن الرجل كفى ارادة أعماله كلها وانقطع للتأليف والتدوين وكان فى أمة تعرف كيف تستفيد من رجالها فى حياتهم لكان أعظم

انتاجا . كان النـــاس اذا أرادوا أن يمدحوا السيد رشيد قالوا أنه تلميذ الشيخ محمد عبده وقد سار على طريقة تفسيره وأنا أقول ان السيد رشيد ساعده الوقت على التوسع فى العلم حتى تجاوز فيه مرتبة الشيخ محمد عبده ولاسيما فى الوقوف على متون الســـنة ومذاهب الصحابة والتابعين وكبار الأئمة فى كل ما تعرض صاحب المنار للكتابة عنه سواء فى مجلتـــه أو فى تفسيره أو فى سائر مؤلفاته ، وقد استفاد ذلك من كتب لم يتسع وقت الشيخ محمـــد عبده للاشتغال بها وفى مقدمتها كتب شيخ الاســـلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والحافظ ابن كثير وأضرابهم وقد خالف الشيخ رشيد شيخه فى مسائل رآه فيها على غير الصواب فكان تعضـــيده للحق أقوى من تعضيده للصحبة والمحبة ، وكان يرى أن موضع العقيدة هو التثقيف والتربية واعداد الرجال للعمل والألفاظ فبهج زمنا فى الدعوة الى تأسيس مدرسة يتخرج منها الدعاة المرشدون .

وتحدث السيد محب الدين الخطيب عن دعوة السيد رشـــيد رضا (م ١١ ص ٩٠٧) تحت عنوان (الجامعة الاسلامية التى كان رشيد رضا من دعاتها) فقال :

وقف حياته على تحرى معرفة ما جاء به هادينا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم طالبا ذلك من ينابيعه الأولى فى صفائها وبهائها ، ومحاولا أن يفهمه بأساليب الصدر الأول من الصحابة والتابعين والأئمة الأكرمين مستقصيا ما صح عنهم بالنقل الثابت عن الصادقين الثقاة ، وقد اطمأن على طول اشتغاله بالعلم عشرات السنين الى أن الاســـلام دين القوة وأن حقائقـــه لا تصطدم بشىء من حقائق الكون ، فهو يتحرى الاســـلام الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويحرص على فهمه كما كان يفهمه أهله الأولون ، وقد نشر بهذه الطريقة نصف كتاب الله عز وجل .

المزية الثانية : التى انفرد بها عن أكثر المشتغلين بالفقه وعلوم الدين هو أنه قام بتحصيل العلم للعلم لا لمناصب الدنيا التى يتزاحم العلماء عليها ويتقربون الى أهل الدنيا للتقدم فيها . لم يأمل أن يكون له منصب رسمى فى القضاء أو الافتاء . ان الموازين التى تزن بها الأمور هى موازين الدين والعلم والحق والأحكام التى يصدرها على الحوادث مجردة فى أكثر الأحيان

من التأثر بميول الذين فى ايديهم مقاليد الرياسات ، اقول هذا ولا أدعى العصمة للسيد رشيد فقد كان بشرا كسائر البشر .

ثالثا — الأمير شكيب ارسلان :

وقد اولى الأمير شكيب ارسلان المهاجر فى اوربا (جنيف) مجلة الفتح بقدر وافر من الدراسات العميقة لعديد من قضايا الاسلام .

يقول فى م ٤ (فبراير ١٩٣٠ — رمضان ١٣٤٨)

وحقيقة الأمر انهم يعرفونني عدوا للاستعمار الأوربى اقاتله بعلمى منذ امسكت القلم ، أى منذ ٤٥ سنة ، وانى كنت للانجليز عدوا فى الحرب الكبرى بالقلم والسيف وجئت ومعى مائة وعشرون مقاتلا من جماعتى الى قلعة النخل يوم حرب الترعة ويحصون على هذه وغيرها ويحقدون من اجلها ، ولم يكن لى ان اطأ بقدمى ارضا فى بلاد المشرق الا ما ظللته راية الملك ابن سعود وراية الامام يحيى ولما اردت أداء فريضة الحج فى العام الغائب ولم اقدر ان أمر ببورسعيد والسويس الا تحت شروط وضمن ظروف ولولم يسمحوا لنا لذهبت بنا الباخرة الى الهند وفاتنا الحج ، ولو لم يسمحوا لنا فى الاياب لما امكننا ان نشاهد والدتنا التى هى فى الثمانين من العمر .

ما هو الذنب الذى اقترفته ، زعموا انى اعاكس مشروعات حكومة فلسطين فما هى المشروعات التى يقصدونها ، ايعنون انى أعاكس الوطن القومى الصهيونى الذى هو طرد العرب فى فلسطين وتسليمها لليهود ، ومما يزيدهم حقدا انهم قد عهدوا اناسا يدعون ان لهم زعامة بين العرب هم يسعون بين ايديهم وينفقون بضاعتهم ويرجون دعايتهم ويخدمونهم لى ظهر قومهم حتى جعلوا لهم ان الأمة العربية هى من بعض رعاياهم هى نقطة استبصار العرب الذين يرون عربيا ليس له ان يطأ بقدمه وطنا من اوطانه من غير ما ذنب سوى جهاره السياسى عن قومه .

٢ — وكتب الأمير شكيب عن البلقان شرارة الحرب العالمية .

ويرى الأمير شكيب ارسلان ان أوربا تلقى جزاء تحاملها على الاسلام وانها تذبح نفسها بيدها وهى تظن انها مجهزة بها عليه ، ولابد ان تذكر

اوربا كيف أنها منعت الدولة العثمانية من دخول اثينا ومن اخـذ تسالـا بعد أن اقتحمها بالسيف فانها اعلنت قبل هذه الحرب التليانية عدم استعادة أحد من انتصاراته ظنـا أن التليانيين يهزمون ، فلما ظهر العكس كانت اسرع من البرق الى بعض ما عزلت وقررت وجوب اخذ التليانيين جميع البلاد التى احتلوها بالبلاد التى عجزوا عن اقتناصها .

وقال : شرارة التليان هى شعلة النار الحاطمة التى ستحرق بهـا أوربا يوما من الأيام ويكون أصل السبب فى ذلك تعصب أوربا ورضاها بتبدل الحالة التى كانت فى التليان بما يوافق مصالح الصقالبة مجـاراة للروس ، ولو انتصرت الدولة العلية فى التليان لما اختل التوازن ولبقيت كل دولة مكانها ولما نشبت حرب أوربية طاحنة تاتى على الحرث والنسل .

٣ — ويحذر الأمير شكيب ارسلان من خداع التغريبيين حين يقولون ان (أوربا لايبك) اى علمانية فيقول : هكذا ايها المسلم الساذج البسيط الذى يجهل حقائق احوال أوربة يخدعك نفر من المضلين أعداء الاسـلام فى الباطن وادعاء اصـلاحه فى الظاهر بقولهم لك : ان الأمم الأوربيـة لم ترق هذا الرقى كله مع معارج الفلاح الا بعـد أن نبذت الدين ظهريا وأنهـا الآن قد التحفت ثوبا تشبيا لا دينيا ، ومع الأسف أقول ان كثيرا ممن يعلمون الحقائق لا يرتعون عقيرتهم بانكار لتلك الترهات فتراهم خوفا من هذه الكلمة (رجعيون) يعلمون الحقيقـة ويتجاهلونها ويسكتون عن التنبيه عليها وهم لا يجهلون خطأ المواطأة على الضلال .

وفى حديث آخر يقول : الخلاصة ان الأمم الأوربية لم تنبذ عقائدها وعوائدها لا فى قديم ولا فى حديث وانها تعلم أن التربية العلميـة لا تنفى التربية الدينية لأن الأولى تتعلق بالمادة والثانية تتعلق بالروح ، وان الروح الانسانية هى مصدر نهضة الانسان . والمضللون الذين يبثون تلك الأباطيل حبا بنشر الالحاد بين المسلمين لمجرد الالحاد ولأجل الصبغة الأوربيـة التى تريد أن تطبع المسلمين بها أو توطيد السيادة الأوربيـة فى الشرق ويقول : هـل فصلت المانيا الدين عن السياسة عندما قامت وزارتهـا

بتقليد اول شيء تباشره وهو تاييد العقيدة المسيحية ، هل فصلت انكلترا الدين عن السياسة عندما قامت مجالسها النيابية تبحث استحالة الخبز والخمر الى جسد المسيح ، هل فصلت بلجيكا الدين عن السياسة عندما اعلنت حكومتها عن برنامجها لتنصير السود من اهالى الكونغو هل فصلت هولندا الدين عن السياسة عندما قرأ عليها ناظر معارفها فى افتتاح مؤتمر المستشرقين امام الف عالم من علماء الأرض ان هولندا لم تنشط فى الشرق الاقصى لأجل المكاسب المادية وانما كان عرضـــا من ذلك التنشيط نشر محاسن النصرانيـــة وكان ممن سمعوا الخطبة مصطفى عبد الرازق وطه حسين . وقال رئيس نظار المانيا السابق : ان رجوع أوربا الى المسيحية هو الوســـيلة الوحيدة لوقاية أوربا من خطر البلاشـــفة ، وقال فون باين رئيس الوزارة الألمانية : انه قد ازفت ساعة انشاء حركة وطنيـــة كبرى قائمة على مبدأ المحافظة على المسيحية (م ٧ الفتح) .

٤ — ويلخص الأمير شكيب ارسلان (م ٧ الفتح) اســـباب تأخر المسلمين فى العناصر الآتية :

١ — ترك عزائم القرآن التى قام بهـــا سلفهم وفقدهم بذلك أعظم قوة معنوية .

٢ — اعراض علماء المسلمين عن العلوم الطبيعية وفقدهم بذلك اعظم قوة مادية .

٣ — الاكتفاء من الدين بالرسوم الظاهرة واللهو بالقشور عن اللباب .

٤ — اليأس من رحمة الله وفقد الثقة فى النفس .

٥ — استخذاء المسلمين أمام الأوربيين وفقد أكثرهم عزة الاسلام القومية ومن رأى نفسه حقيرا صار حقيرا .

٦ — مواطأة المسلمين للأوربيين على اخوانهم وخدمتهم اياهم ولو على محـــو الاســـلام .

٧ — فقد روح التضحية التى سادت بها الأمم الأوربية .

٨ — عـــدم اقتـــداء المسلمين بالأوربيين فى تاليف الجمعيات والشركات مع أنهم مأمورون بالتعـــاون مع الجماعة .

٩ — فساد الأخلاق وهو من اهمال العمل بالكتاب والسنة .

١٠— فساد أخلاق الأمراء خاصة وتصريفهم الأمور بحسب اهوائهم الشخصية لا بحسب مصلحة الأمة وسكوت الأمة عن جهلها عنهم .

١١— فساد العلماء الذين هم القوة المراقبة للحكومات وتدليسهم للأمراء الظالمين وأحيانا لأعداء الدين .

١٢— العداوة القديمة بين المسلمين والمسيحيين واصرار اوربا عليها .

١٣— تفوق المسيحيين فى العدد .

١٤— تفوق الشعوب المسيحية فى المواهب النظرية على الشعوب الاسلامية ما عدا العرب والترك والفرس وبعض شعوب اسلامية صغيرة .

١٥— طمع الافرنج الشهير فى محاورتهم لجميع بلاد الاسلام .

١٦— ثبات الافرنج وصبرهم العجيبان وسيرهم على خطط مرسومة ويتبعونها منذ مئات السنين دون ملل ولا فتور وسير المسلمين فى الدنيا بدون برنامج .

١٧— تخييم الجهل على الأمم الاسلامية وبتراكم الأسباب المذكورة أعلاه .

١٨— عدم تجدد برامج التعليم واستيلاء الجمود على الفقهاء وكثرة الكلام عن الآخرة مع أن الاسلام دين ودنيا وآخرة معا ولا يتم بدون جمع اسبابهما معا .

١٩— الدعامات الاستعمارية والوساوس البشرية بين المسلمين ومساعدة الجهل على رواجها .

٢٠— اجماع قوانين الاستعمار الأوربى فى بلاد الاسلام على بغض الأوربى للمسلم بطبعه .

٥ — وتحدث الأمير شكيب ارسلان تحت عنوان الدين والدولة توامان (م ٨/ص ٧٥١ سنة ١٩٣٤) يقول : كثيرا ما زعموا أن الأمم الراقية قد فضلت الدين عن السياسة وانها قد بنت أسس دساتيرها على اخراج الدين بالكلية من الحكومة وانه لا يوجد حكومة متمدنة تقيم للديانة

وزنا وغاية كل هذا قالوه ورددوه وكتبوه فى كتب حتى جعلوه فى نظر المستشرقين قاعدة مسلم بها واوهموا عامة المسلمين خاصة أن أوربا التى هى مثال المدنية لا تحفل بالدين ولا تهتم به بعد أن قام أو قعد وأن الدين فى أوربا مفصولا فصلا تاما عن السياسة ، وأن هذا الأسلوب الذى كفل لأوربا السعادة التى نراها فيها ، وكم حملوا على الاسلام وقالوا انه جمع بين الدين والدنيا وأتانا بقرآن يجعل المعاملات فى نسق واحد على العبادات وان هذا سبب ما عليه المسلمون من التأخر وان الاسلام لا يمكن أن يكون له خط من الرقى ما دامت حكوماته مهتمة بالمحافظة على القواعد الدينية ، وهى دعاوى فارغة عريقة البطلان ، روجها من المسلمين دعاة الاستعمار ورواد السيطرة الأجنبيــــة ، والمعروف أن الحكومات الاسلامية لم تترك الدين من قديم ولا حديث ولا زالت الحكومات الأوربية بأسرها عدا الفلاشفة ، تجد من أقدس وظائفها المحافظـــة على الدين المسيحى ونشره وتفرى للدعاية له والأخذ بأيدى المبشرين به وكل يوم بل وكل ساعة تجد لهـــا مظاهر رسمية حكومية تؤيد هذه الحقيقة والفرق بيننا وبينهم أنهم يتولون كل سنة مئات الملايين من الجنيهات لأجل الدعاية المسيحية ، اذا قالت أوربا ان الديانة شىء والسياســـة شىء لا تقصـــد أنهـــا أهملت الدين بل تقصد أنها فصلت الدين من وظائف القسوس والرهبان ، هذا الفصل الأوربى قد حدث فى الاسلام : الصـــدارة العظمى كانت مشيخة اسلامية هذه الرسالة للسلطان أو الخليفة لا يصدق فى شىء عن رئاسة ملك انجلترا مثلا على الكنيسة الايكيكانية ولا عن رئاسة ملك بروسة وامبراطور المانيا على الكنيسة اللوثرية .

٦ — ويتحدث الأمير شكيب أرسلان عن التجديد (م ٨ الفتح — القعدة ١٣٥٢) تحت عنوان أصبح التجدد عبارة عن السعى فى قتل الروح الاسلامى فيقول اجتهاد الفئة الكمالية المستندة اليوم لشئون تركية الجديده فى قتل الروح الاسلامى فى الممالك البلقانية التى لا يزال فيهـــا أقليـــات اسلاميه مثل بلغاريا ويوغسلافيا واليونان ، راغبه فيها فى الضغط على المسلمين فى امورهم الدينيه وفى أوقافهم وفى كل ما يعدو الى شعائرهم .

وذلك حتى تكون أحوالهم مساوية لأحوال الأتراك الذين فى تركية والذين تحرمهم تركية فى مكانتها الرسمية التعلم الدبني الاسلامي وتضع اليدين على أوقافهم وتستبد بها .

فتركيا الجديدة لا تكتفى بالسعى فى قتل العاطفة الاسلامية فى وسط بلادها ، باسم التجدد الذى يمور به على المقصد الأصلى الذى هو الالحاد بل تبدل كلمتها لدى الحكومات المسيحية البلقانية حتى يقتلوا هم فى ممالكهم الروح الاسلامية الباقية عن تلك الأقليات من المسلمين الكماليون وان كانوا يحاربون الاسلام فى وسط تركية فالاسلام هناك تقدير على المقاومة وتحفيظ بروحه نظرا لكونه فى مملكة قديمة عريقة فى الاسلام مؤلفة من ١٤ مليونا من المسلمين ليس فيها سواهم تقريبا وقد اتي الهدم الكمالى بعكس ما كان يتوقعه الكماليون .

الاسلام فى تركيا قد ثبت فى وجه الاضطهاد الذى أطلقوا عليه اسم التجدد بسبب كثافة عدد المسلمين وعدم وجود خصم لهم فى ديارهم ، ولكن الفرق بين تركية وبين الممالك البلقانية بعيد جدا فهناك المسلمون أقليات ضئيلة ضعيفة ، بدلا من أن تكون تركيا ملجأ لهذه الأقليات الاسلامية المستضعفة فى بلاد البلقان تأتى هى بنفسها وتجهز عليهم وتسعى لمحوهم وذلك باغراء الحكومات المسيحية التي تلي أمورهم بالقضاء على حريتهم الدينية .

٧ — ويكتب شكيب أرسلان تحت عنوان « المؤامرة الغربية على الاسلام » فيقول : أما الأوربيون فهم لا يطيقون وجود غيرهم اذا ظهروا ولم يتركوا من الملايين الكثيرة من المسيحيين الذين سكنوا الأعصر الطوال فى اسبانية وفرنسة وسويسرة وايطاليا نافخ نار يقدر أن يقول انه مسلم ، وشنوا من الغرب على الشرق أحدى عشر غارة صليبية كلما أطفأ الله نار واحدة منها أوقدوا غيرها وتمالأوا على الدولة العثمانية نحوا من مائة مرة فلم يكن تمضى سنة أو سنتان الا ويناجزونها القتال من وجهة وقد أحصى أحد وزراء رومانيا المسيو دجوفارا عدد المؤامرات التى ائتمرت بها اوربا على الدولة العثمانية وعلى بلاد المغرب فبلغت مائة مؤامرة .

وتاريخ البابواب الغربى قل ان جلس منهم واحد على كرسى بطرس الا اغرى المسيحيين بحرب المسلمين ، ومن اغرب ما جاء فى هذا الباب ان كثيرا من مشروعات التقسيم التى دخلت فيها بابوات وقياصرة وملوك وامراء وعلماء وفلاسفة تضمنت اجبار المسلمين على ترك دينهم مما يدل على ان هذه الفكرة لم تكن خاصة بالأسبانيول ولا متحضرة فى الأندلس بل هى فكرة اوربيــة عامة وبينما ظهر الأوربيون على المسلمين فكروا فى منع الدين الاسلامى . ان من أسباب تأخر الاســلام كونه عدوا لأمم لا تعرف الهوادة ولا تمل من المجاهدة ولا تكل عن السعى وانها بأجمعها متصفة برجولة تامة .

وان اللاتين من أسرع الشعوب فهما وأسلمهم عقلا ، وان الجرمان من أوسعهم فكرا وابعدهم نظرا وأشد ثباتا وأصدقهم صبرا وان السلاف من اعظمهم اخلاصا وأشدهم اندفاعا الى غاية وأكثرهم عددا وكل هذه الأمم على تباين مانيها تجمعها جامعة فكرية واحدة هى : ان الاســلام لا يحسن بقاؤه على الأرض .

رابعــا — حسن البنــا :

وكان من ابرز كتاب الفتح فى الفترة الأولى الأستاذ حسن البنــا المرشد العام للاخوان المسلمين والذى بدأ كتاباته فى الفتح فى ١٤ يونيو سنة ١٩٢٨ تحت عنوان :

((الدعــوة الى الله)) .

حيث يقول : ما أحوج الأمة فى دور انتقالها الى قادة حكماء مرشدين أدلاء وهداة فضلاء يسلكون بها سبيل السعادة ويجنبونها أضرار الاندفاع، لا يزالون يتحسسون طريق النجاة وسيلة ممكنة وغير ممكنة من الطرق ، احيانا باستخلاص العبرة التاريخية واخرى بالمقارنة بين الحوادث الكونية وثالثة بما هدتهم اليه التجارب الطويلة والفطرة السليمة وما أرشدهم الله اليه من طرق الاصلاح وسبل النجاح ، أولئك القــادة هم صفوة الله

من خلقه وأمناؤه على عباده وهم المجددون حقا الذين اشار اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى كثير من حديثه الشريف .

ان هـذه الأمة فى حاجة الى دعوة قوية فعالة تردها الى رشدها وعقيدتها بهدى نبيها ويرشدها الى معالم دينهـا وينقذها مما هى فيـه من الانحلال الأدبى والفساد الخلقى .

ولا يغرنك قوم من الكذبة يقولون : هذا عصر مدنية وتجديد ورقى فى المدارك والأفكار وثقافة حرة وحرية شاملة شخصية وغير شخصية ، وغير ذلك من الالفاظ يخدعون بها البسطاء ويخلبون بردائها الضعفاء ، ولولا ان هؤلاء القائلين ممن لم يستولى عليهم الافتتان والاعجاب بما يرون الى حد لا يفقهون معه دليلا ولا يذعنون لحجـة (ان يتبعون الا الظـن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) لناقشناهم دليـلا بدليل وساجلناهم حجة بحجة وبينا لهم ان الحق غير ما يظنون اما الآن فأوجه هذا النداء الحار الصادق الى من يحس مثلى بداء هـذه الأمة ويشعر بين جوانحه هما مبرحا وجوى لاصقا ، وقد جاهر هؤلاء وأظهروا كوامن نفوسهم الا أنهم رأوا الميدان خاليا وانسوا من أهل الحق تغافلا فاندفعوا يطلبون الطعن وحدهم والنزال وما هو الا ان يقوم أهل الحق بتأييده وبيانه حتى نتحرر من هؤلاء وينحسر طغيـانهم ، ويتقهقروا الى مراكزهم أذلة وهم صاغرون . انه لم ينل من هذه الأمة أحد فأنال منها بأسها من نفسها وسكوت قادتها الغيورين عن اصلاحها وقد وعدنا الله بالنصر وكتب على نفسه المؤازرة للهداة والمرشدين .

ان الدعوة واجبة علينا معلقة بأعناقنا فان ظفرنا منهـا بما نحب من خير هذه الأمة وهدايتها فذلك هو المأمول بحول الله وعونه والا فحسبنا أن نكون قنطرة تعبر عليها فكرة الدعوة والارشاد الى من هم أقدر منـا على النقد حسبنا أن نكون حلقـة اتصال بين تقدمنا وبين من سيأتون بعدنا والا فحسبنا أن نعذر الى الله ونؤدى الأمانة ونقوم بالواجب .

تلك ثلاث مراتب من أغراض ليتضح لنا كيف ان الدعوة الى الله فريضة لا يخلصنا منها الا الأداء ولا يقبل فيها عذر ولا هوادة .

انى لأشم بوادر النجاح وأستنشق عبير الفوز من تلك النهضـــــة الارشادية التى تمشت فى نفوس الشباب فخلقت منهم دعاة صـــادقين ، وكان من أثارها تلك الجماعات النبيلة المقصد وفى مقدمتها جمعية الشبان المسلمين وجمعية مكارم الأخلاق وغير ذلك ، وانا لنرجو بعد ذلك مظهرا فتلك باكورة أعمال تتلوها أعمال » .

كتب الامام الشهيد هذا المقال فى ١٤ يونيو ١٩٢٨ ، فى الفتح كمنطلق لمبادرته ثم اتبعه بالمقال الثانى ٥ يوليو ١٩٢٨ تحت عنوان (على من تجب الدعوة) . وقال أنه (١) على الحكومة (٢) دار النيابة (٣) الأغنياء والثراة (٤) العلماء (٥) الطلبة — ثم جاء المقال الثالث تحت عنوان سبيل الدعوة (٣٠ أغسطس ١٩٢٨) ثم كتب عن مكتبة المنزل (ص ١٧٠ م ٣) .

٢ — ثم لم يلبث أن كتب تحت عنوان (الســبيل الى الاصلاح فى الشرق) ٢٥ أبريل ١٩٢٩ قال : الى هذه الأمور الثلاثة يجب أن يتوجه عناية الزعماء فى الشرق :

العلم — الاقتصاد — الحقوق السياسية

أما العادات واما العقائد والأديان واما الآداب ومظاهر الحيـــاة الاجتماعية فلا سبيل الى نقلها من أمة الى أمة الا بفعـــل الزمن وحده ، الأوامر والمراسيم والقوانين والقهر والجبروت كل ذلك لا يفيد الا هيـــاج الخواطر وثوران النفوس تركيا والأفغان ســارتا فى طريق متهور أهوج فأرهبت الحكومة الأولى شعبها فى دينها ودنياه ، يا زعماء الشرق حنانيكم فالأمر جلل ، يجب أن نفرق بين ما يؤخذ وما يترك ، فليس مظاهر الحياة الأوربية كلها صالحة ملائمة عندنا فى الشرق ، فليكن قائدكم فى الاختيــار المنفعة وصالح المجتمع ، لا الهوى والشــهوة ومصلحة طابعة خاصة . ويجب أن تجعل لتاريخنا وحضارتنا وماضينا نصيبا من التقدير والاجـلال فلا نفنى فى غيرها من الأمم ولا ننكر فضلا سجله التاريخ لأسلافنا ولهج الزمان بذكره وعرفته لهم الأمم جمعــاء وكان دعامة من دعائم المدنيـــة الحالية .

علينا أن نجعل هذا الاسلام المتمكن فى نفوس أهله أساسا للنهضة الشرق الحديثة ،

أقصد الى عدة أمور : أن نحدد غاية أساسية توجه اليها قوى الشرق ، أن تكون تلك الغاية ملائمة للمزاج الشرقى متفقة مع روحه العامة الذاتية ، أن تستند النهضة الى الاسلام فى نظمه وروحه ومبادئه ، أن تعنى بالمهم من المظاهر كالعلم والاقتصاد ، وأن توحد جهود أبناء الأمة ثم الأمم الشرقية ، أن نحترس فى نقل ما تأخذه من الأجانب ، فلا تأخذ الا ما ينفعنا نفعا حقيقيا » .

٣ — ويواصل الأستاذ حسن البنا مقالاته فى الفتح برسم خطوات الدعوة الى حمل لوائها فيكتب تحت عنوان الجهاد فى سبيل الله ومنزلته فى الاسلام (١٩٢٩/١/٢٤) يقول : الا فليعلم المسلمون أن أول فرائض الاسلام وأقدسها هو الجهاد فى سبيل الحق وقد علم ذلك السابقون الأول فكان كل واحد منهم على أتم الاستعداد لاجابة الداعى ويلين النادى عن نفسه وماله لا يرى الايمان الصحيح الا أن يجود بكل ما يملك فى سبيل دينه وعقيدته فعاشوا أعزاء موفورى الكرامة . ثم أراد أمراء السوء وقادة الافساد أن يخدعوا المسلمين عن دينهم وينزعوا أصل العزة من نفوسهم ويجتثوا ذلك الشعور النبيل : شعور التضحية فى سبيل الحق الذى يتحلى به المسلم ويفخر به فحببوا اليه الخضوع والاستكانة والهوهم بأنواع من القرب ليست شيئا عند الله بجانب الجهاد فى سبيله والدعوة اليه ومع تطاول الأمر أصبح ذلك الفتور صفة من صفات المسلمين لا يعرفها الاسلام ولا يأمر بها وظن المسلمون أن الاسلام محصور فى الصلاة والصيام والزكاة والحج وما اليها غافلين عن ذروة ذلك وسنامه وسياجه المتين هو الجهاد .

أكتب هذا والاسلام يحيط به الاعداء وتدبر له المكائد وترسم لغزوه وانتزاعه من نفوس أهله الخطط ويحاصره الطامعون من جهة والمارقون من جهة أخرى والمخدوعون من جهة ثالثة وحتى اليهود وتنبه مطامعهم أمام عقلية المسلمين وهكذا يطمع فى عزة الاسلام من لا يدفع عن نفسه .

أيها المسلمون : ان ربكم عز وجل انما يريد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهى خير امة أخرجت للناس أن تكونوا قادة العالم وسادة الأمم ، ولن يتم ذلك الا بالتضحية والجهاد ، وقد أعلى الله سبحانه وتعالى هذه الارادة السامية على المسلمين فى قوله « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » .

تقدموا أيها الاخوان المسلمون الى ميدان الجهاد بنفوس راضية ملؤها الغيرة على الاسلام والايمان الصادق وفكروا فى العمل الجدى فقد مللنا الكتابة والخطابة .

٤ — ويواصل الأستاذ حسن البنا فى الحديث عن الدعوة الاسلامية ويواجه النظر الى بعض المحاذير فيكتب تحت عنوان « احترسوا من الناس بسوء الظن : نوبة الهرمزان (م ٥ الفتح ص ٦٥٥) يقول :

فى مصر هرمزيون كثير

جاهروا بحرب الاسلام أمدا طويلا

وسلكوا الى ذلك كل الوسائل وكأنهم استشعروا الحقد والفشل أمام هذا البصيص من اليقظة الاسلامية وطاش سهمهم ، ولم يعودوا من الأمة بعد البراءة منهم ما دروا أن خطة المناداة عافيها الحرمان والسقوط.

وها نحن أولاء نرى الآن خطة متغيرة ورجالا يعلنون توبتهم ويبرءون مما اجترحوا معتذرين بالشباب تارة وبالجهل تارة أخرى ويحاولون خديعة الشبان المسلمين بمثل هذه الخدع لينضموا الى صفوف القيادة فيصلون تحت ستار التوبة الى ما لم يصلوا اليه بأساليب العداء والتشهير ، وليس لحد منهم بمقصور فى دعوته ولن يرزقهم الله نجاحا وان استعانوا بحيل الثعالب فان فى تعبئة الشبان المسلمين ما يحول بينهم وبين ما يريدون ، وشوكة الاسلام أقوى وأحد مما يظنون .

وانما نكتب هذه الكلمة تبصرة وذكرى ، وحتى لا نؤخذ على غرة وتنطلى علينا حيل هؤلاء فاذا انكشف الأمر ندمنا حيث لا ينفع الندم .

ولا نريد أن نرد على تائب فان أكثر ما نسر له أن ترجع الناس عنهم

الى هدى الاســـلام ويدافعوا عنـــه ولكنا لا نريد كذلك أن نكون أغرارا يستخفنا السراب وتغرنا الظواهر فيتقبلهم العاملون لدين الله وليحترسوا مما يحتمل أن يكون وراء ذلك من مكائد هى أخفى من دبيب النمل »

وكان الأستاذ البنا يشير الى ما أذيع فى ذلك الوقت من توبة هيكل وطه حسين وعزمى وغيرهم .

٥ — وواصلت الفتح متابعة نشاط الأستاذ حسن البنا فتحدثت عن نشاط جمعية الاخوان المسلمين فى الاســـماعيلية وشبراخيت والمحمودية (حسن البنا ، حامد عسكرية ، أحمد السكرى) .

وعندما نشرت الفتح خطابه فى ذى القعدة ١٣٤٩ أرسل اليهم يقول:

ما كنت أود أن تتحدث عن جمعية الاخوان المسلمين الآن وهى نبت لم يتكامل نموه بعد وكنت أوثر السكوت حتى تنطق آثار الجمعية بغاياتها ويراها الناس فى جهودها ويسمعون صوتها بلسان أعمالها ولا أعتقد أنى أديت عشر الواجب على واصارحك بأنى وجـــدت من الأهلين هنـــــا فى الاسماعيلية تشجيعا كبيرا وتقبلا حســــنا لكلمة الحق واستعدادا عظيما لمعاضـــدة الدعاة الى الله وهم يحبون دينهم كل الحب ويتفانون فى الذود عنـــه .

٦ — ويتحدث الأستاذ حســـن البنا عن القرآن الكريم ووســـائل المحافظة عليه (م ٥/٥٤٠) يقول : منذ امتدت اليد الأجنبية الى منـــاهج التعليم أخذت العنـــاية بالقرآن تضعف وتتضاءل وأخـــذ رجال التربيـــة والتعليم وجلهم من الأوربيين أعداء الاسلام وكتاب الاســـلام الذى يرونه شبحا مخيفا يناوىء مطامعهم وآمالهم يعملون على اقصـــائه تدريجيا من المناهج بحجة أن المدارس علمانية وســـاعدهم على ذلك روح التقليـــد الأوربى التى نمت ونمت فاستطاعوا أن يحذفوه رأسا من التعليم الثانوى والعالى ثم الابتدائى تقريبا بعد ذلك ، وحصره فى دائرة ضيقة هى مكاتب الاعانة والمكاتب الأولية فى برنامجها القديم ، ولم يقف هذا التيار ضـــد القرآن عند هذا الحد بل أخذ يقوى ويشتد واذا بمكاتب الاعانة تطاردها

المدارس الالزامية وليس من منهاجا حفظ القرآن وصارت البقية الباقية من هذه المدارس تغلق تباعا أمام عدم الاقبال وتضييق الوزارة وخطرها فتح مكاتب جديدة رغبة فى تعميم التعليم الالزامى حتى صرنا نعتقد أنه لن تمضى سنوات قلائل حتى تصبح هذه المكاتب لا عين ولا أثر .

ولما كان المطلوب هو أن يتم التحفظ فى أربع سنوات ما يمكن أن نحفظ ومعناه انه اذا لم يكن نحفظ شىء لكثرة المواد وتزاحمها كانت هذه المدارس غير مسئولة لأنها نفذت المنهج الذى حددته الوزارة وكانت النتائج الملموسة هى استحالة حفظ كتاب الله على النشء الحديث وانقراض الحفظة بموت من يحملون القرآن من الفقهاء وضياع اللغة العربية التى ما كانت العناية بها يوما من الأيام الا نتيجة من نتائج العناية بالقرآن ، ويترتب على ذلك نسيان المسلمين لأصل دينهم وقطع الصلة الحقيقية بينهم وبين كتاب الله ولئن دام هذا فان اليوم الذى ينزع فيه القرآن من الصدور ويمحى من السطور أصبح قريبا .

ثم دعا الأستاذ البنا وزارة المعارف أن تجعل القرآن مادة أساسية فى امتحان اجازة التدريس فى الأزهر ودار العلوم ومدارس المعلمين الأولية وبذلك تضمن مائة حافظ على الأقـل كل عام يفهمون كتاب الله ويعلمون أوجه فهمه واعجازه .

٧ — وفى فتح عام ١٣٤٨ الهجرى (يونية) ١٩٢٩ وجه الأستاذ البنا خطاب الهجرة فقدم منهجا كاملا للنظام الاسلامى فقال :

مجمل ما ترمى اليه الدعوة الاسلامية لصالح الفرد والأسرة والأمة والعالم ، جاء للعـالم بتشريع حكيم قويم نظر الى الفرد فأعطا كل قوة من قواه حقها ومنع عدوانها على غيرها ، حرر الفكر من قيود الوهم ومنح العقل حق النظر فى كل ما يحيط به من مظاهر الكون ومساتير الوجود وحجزه عن أن يتطاول الى ما لا تدركه قوته ولا تتحمله طاقته .

فثم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة

ونظر الى الشهوة والعاطفة فصرفها الى الحب الصالح المعتبر : حب الفضيلة وتقديسها وحب الانسانية العامة والعمل للمجموع وعقلها من التطلع

الى سفاسف الأمور ومحقرات الذات وأباح لها التمتع بما فى الطبيعة من جمال وروعة وجعل لها من ذلك مرتعا هانئا ومرعى خصبا ونظر الى الجسوم فأعطاها ما تحتاج اليه من قوة ونمو وحرم ارهاقها بضروب العبادات والقربات ونادى مناديه (المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف) و (ان لبدنك عليك حقا) فأعتقها بذلك من صنوف العذاب وأنواع التكاليف المرهقة التى كان يعتقد أربابها أنهم لا يدخلون بدونها ملكوت السموات .

ونظر الى كرامة الفرد الانسانية وأعطاه قوة المجموع ينطق بكلمتهم ويجير عليهم فالمسلمون عدول بعضهم على بعض يسعى بذمتهم أدناهم ، ذلك نظر الاسلام للفرد فى عقله وجسمه وعاطفته وكرامته ، أفرأيت من الفلاسفة الأقدمين أو الساسة المحدثين ، من قدر حقوق الفرد حقها كما أناله الاسلام اياها ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا

كما أناله الاسلام اياها ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا

ونظر الى الأسرة فأحكم نظامها وثبت أسسها على أمتن الدعائم فى نشأتها وحياتها ونهايتها ، ونظر الى الأمة فسوى بين افرادها وعدل فى طبقاتها وجعل الشرف والسيادة فيها منوطا بالجد والتقوى وعلو الاثار وبين لكل طبقة واجبها وما لها وما عليها ففصل بكلمة الحق بين الحاكم والمحكوم والظالم والمظلوم وأخضع جبروت الحكومة لقوة الشعوب وجعل الأمر شورى بين المسلمين وحفظ صلة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم فجعل منها هداة خير وقادة بر يضربون فى الأرض يرشدون الناس بأمر دينهم ويبلغونهم دعوة دينهم .

ومما يدمى القلوب ويذيب لفائف الأفئدة أن نرى كثيرا من شبان المسلمين المتعلمين التعليم الراقى ، حتى المتخصصين فى التاريخ منهم يجهلون حوادث التاريخ الاسلامى تمام الجهل ، ومنهم من يعلم عن الثورة الفرنسية أكثر مما يعرف عن المبعثة المحمدية ، ومن يعلم عن المذاهب الدينية فى أوربا ونشأة الجماعات المسيحية من بروتستانت وجزويت وغيرها أكثر مما يعلم عن خالد بى الوليد وسعد بن أبى وقاص وعمرو بن العاص ، بل منهم من يجهل كل الجهل أسماء قواد المسلمين وعظمائهم فان سألتهم عن المثنى بن حارثة أو النعمان بن مقرن أو القعقاع بن عمرو لأجابك

باللا أدريه بل قد يكون منهم من بلغ من اسفاف الفكر الى أن يعد العلم بهذا التاريخ المجيد تأخرا وجمودا وقد يكون هناك بعض العذر فان برامجنا المدرسية لا تحوى من تاريخ الاسلام الا نذرا يسيرا .

٨ — وهاجم الأستاذ حسن البنا مجلة الحديث الحلبية لخطتها التغريبية (م ٤) يقول : هل تسيرون أنتم على هذه الخطة حقا ، وهل تقدرون جانب الاسلام والعربية فى كتاباتكم وهل تبشر (الحديث) بهذه المبادىء ، ذلك ما لا نسلم لكم به ولا نراه فى مجلتكم التى أوسعتم صدرها وجعلتموها منبرا لأولئك النفر الشعوبيين الذى عرفهم الناس جميعا فى مصر وغيرها بسماتهم وأسمائهم واستهانتهم بالأديان وتهجمهم على الاسلام وغضهم عن العرب واقتنائهم بكل ما يصدر عن الغرب من حسن وردىء ونافع للشرق وضار فحشوت مجلتك بتعسفات الدكتور طه فى العلم والدين والأدب وسموم سلامة موسى واسماعيل مظهر والشيخ الزهاوى وأذنابهم وبالغت فى صوغ عبارات المدح والثناء لهم وهم الذين هاجموا الاسلام فى أرسخ عقائده وكادوا للقومية العربية فى أحسن مزاياها ورأيناك تقرظ حرية الفكر (لسلامة موسى) وفيه من المغامز ما لا يتسع هذا المقال لنقله وتشيد بكتابى الشعر الجاهلى والأدب الجاهلى وتنتصر فيهما لأستاذك وقد أجمع العقلاء على ردهما وتنشر القصيدة الثانية للزهاوى وكلها انكار للبعث والروح وتنشر لكاتب المازنى مقالا بعنوان (خديجة) أساء به الى مقام الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين رضى الله عنها الى ما فيه من خلط وشطط ولم تعلق على ذلك بكلمة غير أنك نقلت حديث الافك من البخارى وكان يجب عليك كصحفى مسلم أن تربأ بصحيفتك وقرائك عن نشر مثل هذا المقال واذا رأيت عدوا من أعداء العرب والاسلام يسىء الى العرب والاسلام تنشره فكان المنتظر منك أن تعلق عليه بما يفيد تحامل مؤلفه فكيف يتفق كل ذلك مع قوميتك العربية ودعوتك الى صيانة الاسلام من عبث العابثين .

وشى آخر ذلك هو أن الناس جميعا يعلمون أن هذا الانقلاب التركى وما كان ينويه أمان الله فى الأفغان هو عداء كامن للعربية ومحاربة صريحة

للاسلام وانسلاخ عن شريعته ، ومع هذا فأنتم تحبذونه وتنشرون فيه كلمات التشجيع والاغراء أمثال كلمة الروح المدنى فى تركيا للأستاذ عنان ولم تعلقوا عليها .

أما ثالث ما نشرتموه للأستاذ فيليب حتى وفى آخره بعض من فضل العرب على أوربا وبعض الذين كتبوا فى ذلك حتى من المستشرقين مبالغين فيه ويرجى لنفسه أن يكون أقل فى وفائه لقومه من المستشرقين الذين لا يمتون اليهم الا بصلة الاعتراف بالجميل ولم يستدركوا ذلك عليه وكأنهم يريدون بذلك أن يشايعوا هذه الفئة من الشعوبيين الحديثين وأين هذا من دعوى التمسك بالقومية العربية المجيدة .

هذا بعض ما نستشهد به على مخالفة (الحديث) للخطة التى تدعون كتاب الشرق الى العمل عليها ويخيل الى أن الحديث مسوقة بآراء طائفة الشعوبية المتطرفة أكثر مما هى مسوقة برأى صاحبها ان كانت خطته هى التى ذكرها فى كلامه .

خامسا — عبد العليم الصديقى :

وتحدث الفتح عن الداعية الاسلامى عبد العليم الصديقى وجولاته فى جنوب شرق آسيا للدعوة الى الله (م ١ الفتح — ١٩٣٢) فيقول : انه فى طليعة علماء الاسلام الذين درسوه حق درسه وعرفوه معرفة تمكنهم من الدعوة اليه والذب عنه كما درس العلوم العصرية والآداب الانجليزية دراسة تامة ، وهو يرتجل خطابه باللغات العربية أو الهندية أو الفارسية أو الانجليزية بدون تلعثم ولا تريث ولا يستعين الا بذاكرته الوقادة وقد درس الأديان والملل والنحل درس تمحيص وتحقيق ، ووقف نفسه للتبشير الاسلام وبث تعاليمه السامية بالسياحة فى الأقطار الاسلامية ومكافحة المهاجمين عليه فى الداخل والخارج ، وله مواقف محمودة مع دعاة المسيحية وبراهمة البوذيين ومبتدعة الفرق الضالة كالقاديانية والبهائية وله سياحات متعددة فى شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها وسياحات فى برما وأفريقية وجاوة وبلاد الملايو (ملتا) وسومترا وغيرها من بلاد الله . وهو يقوم بها لتأدية ما تطيب له نفسه وهو بث الاسلام والدفاع عنه فى كل بلد ينزله

فيسلم على يديه جم غفير من النصارى والبوذية والمجوس ، وفى سنغافورة يتنقل بين معاهدها ومساجدها ونواديها وقد أسلم على يديه احد رجال القانون المحامى س. ى. ديت والانجليزى ويليام هيرالد سندوتش ، وثلاثة من الصينيين ، وهو يواصل سفره الى جاوة والصين واليابان وجزيرة مدغشقر .

سادسا — الشيخ عبد الرشيد ابراهيم :

وتتحدث الفتح عن الشيخ عبد الرشيد ابراهيم تلميذ جمال الدين الأفغانى وداعية الاسلام فى القوقاز وتنشر له فصولا من التوجيهات الاسلامية ، حيث يدعو الى التخلص من التقاليد الجاهلية والأفرنجية وايقاظ المسلمين للاستمساك بوجودهم وذاتيتهم حتى تكون لهم أفكار خاصة مستقلة كل الاستقلال مع الاحتفاظ بالمبادىء الملية والمقاصد الدينية .

ويقول : اننا قلدنا الافرنج فى الخير القليل والشر الكثير حتى لو دخل الافرنج جحر ضب — كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم — لدخلناه .

ويقول : ان ولاة الأمور والزعماء أصبحوا كالآلات تتحرك لتنفذ ارادة غيرهم ، أما التعامل بالقرآن فهو مستبعد لأن الخبير الفلانى من خبراء الغرب زعم لهم أن الاسلام بطبيعته غير قابل للاصلاح وغير مستعد لايلاف روح العصر المتمدن بترقى الحضارة والعلوم ، ليس فى الامكان اخراج هذا الهذيان من أذهان زعماء المسلمين فى القريب العاجل لأن هذه السموم تمكنت من أرواحهم ، ولو تخلص المسلمون من هذه الأهام الفاسدة وعبروا الى صحيح العقائد لتعارفت أرواحهم وانتقلت قلوبهم الى اعادة مجدهم ، ان المسلمين لا يسمح لهم ايمانهم بالله أن يقنطوا من رحمة ربهم فى اعادة مجدهم ، ولا تسوغ لهم عقيدتهم أن يستسلموا للذل ولا يجوز لهم التقاعد عن اعلاء كلمة الله فاذا استقام المسلمون وجدوا أبواب رحمة الله تفتح لديهم .

سابعا ــ عبد العزيز جاويش :

ويقول الشيخ عبد العزيز جاويش : ان الأمة اذا كان لها فى قوانينها ونظاماتها صبغة من دينها كان لهـــا اكبر وازع من العقيدة والايمان على تقييد الشرور وكبح جماح النفوس عن غوايتها دون أن تقف بحدود الرزائل والفضائل عن نظرة الشرقي وخدمة الحكومة .

ثامنـــا ــ عبد الباقى سرور نعيم :

ومن ابرز كتاب الفتح فى السنوات الأولى هذا العالم العلامة الذى كان يملك اسلوبا مرنا وأداء طيبا فى هـــذا الوقت المبكر يقول : الحديث عن الاسلام بوصفه دين وشريعة عامة وحكومة ونظام اخلاقى فهو قد جمع بين شئون الدين وشئون الدنيا ، والمسلمون مطالبون بتطبيقه على شئونهم الدينية والدنيوية ، وفى العصور الأخيرة ظهرت آراء ونبتت أفكار ووضعت مشاريع ترمى الى التقليل من تطبيق الشريعة الاسلامية واحلال الشرائع المدنيـــة الأجنبيـــة شيئا فشيئا . والسر هو سياسة التعليم حيث كانت تلك الحكومات لا تفرق بين تعليم دينى وتعليم مدنى ولا تضع لكل منهما حدودا ولا تحيط كل منهما بحواجز تفصله عن صاحبه وتمنعه من الاتصال به ، يخرج المتعلم من المدارس المدنية وهو يعلم شئون الدنيا ويجهـــل شئون الدين لأن تعليمه قصر على تعلم المعارف التى ترتبط بشئون الدنيا وحال بينه وبين تعلم الاسلام كما هو ، كذلك فى المدارس الدينية فخريجها غير عالم بالمعارف التى ترتبط بشئون الدنيا فكل يتجه الى ما يعلمه ويحارب ما يجهله ان سياسة التعليم التى دبرت بأيد غـــير أيدينا فتولى أبنائنـــا المتخرجون تحت هـــذه العوامـــل مناصب الحكومات الاسلامية وشرعوا فى تتميم ما قضت به سياسة التعليم من الرغبة فى حصر الاسلام ـــ من حيث هو دين وشريعة ونظام أخلاقى ـــ فى دائرة ضيقة فى وضع نظام لهـــدم الاسلام أنكى من سياسة التعليم التى منيت بها البلاد الاسلامية اما الغرب فقد وكلوا الى أمكر رجالهم وأخبث دهاتهم أمر سياســـة التعليم فوضعت خططه بين امهر الرجال ممن درسوا تاريخ الاســـلام وعرفوا تصوراته وتولى هؤلاء الرجال المراقبة على المدارس الحديثة فطاردوا تعليم الدين

فيها ووضعوا الحواجز بين المتعلم وبين الوصـــول الى فهم دينهم فشبوا وهم يجهلونه ونبتوا وهم يحبون غيره ، ولا مرما اختير جماعة منهم ليكون مهمتهم محاربة الاسلام وتبييت الكيد له فكونت عصابة اقل ما يقال فيها انهـــا لا ترغب فى تطبيق الشريعـــة الاسلامية على شئون الحياة وترى بأن تقوم فى البلاد الاسلامية شرائع الأمم الأخرى .

تاســعا ـــ الشيخ محمـــد سليمان :

ومن نماذج ما كتب الشيخ محمد سليمان (م ٩ ـــ ١٩٣٥) قوله : لما كان الاسلام دينا وجنسية وقد رفع الحدود بين الأمم اللاتى تدين به وكره أن يدعى فيها بدعوة الجاهلية وجعل اصحابها جميعا اخوانا يؤلف مجموعهم كتلة لا فضل فيها لعربى على اعجمى الا بالتقوى ، ولما كان ذلك كذلك لابد للمجاميع البشرية من رابطة تتعصب لهـــا وتعتصم بعروتهـــا فانه وهو دين التوحيد ودعوته للاتحاد كان لابد للمسلمين من وحدة عامة وعصبية عامة ولسان عام وقد نبت الاسلام عربيـــا وبعث على لســـان رسوله العربى ونزل قرآنه بلسان عربى فصيح لهذا يجب أن يمتزج الفرع بأصله وأن يتحد الاسلام بالعربية وأن يكون لسانها لسان شعوبه قاطبة ، وقد نجحت هذه النظرية اتم نجاح ومن اخلاص المؤمن بهـــا عمت ذلك المنشط الآسيوى الافريقى الى حدود جبال البرنات فى أوربا وعموما نعمت به علماء الاجماع الى الآن واصبح لسان العرب لسان الاسلام تتعلم به شعوبه وقد الف الأعجام بلسان العرب حتى كادوا بدعوتهم الواقعيـــة أن المسلمين الذين انتظمهم القرآن بلسانه كانوا مسلمين عربا لا فرق بينهم ولا يحس سيبويه ونفطويه والحسن البصرى وابن سيرين وابن ســـلام والزمخشرى والفارابى والفيروزبادى وغيرهم وغيرهم ، لا يحس احد منهم ولا يقول ولا يرضى أن يقول انه أعجمى يخدم العربية ، بل لا يدرى هذا المصطلح ولا يعجبه اذ الجميع متساوون كأسنان المشط . وانه ليكفينى فى هـــذا شـــهادة الزمخشرى بين اعلام القرن السابع حيث يفتتح كتابه المفصل فى علوم العربية فيقول : الحمد لله على أن جعلنى من علماء العربية وجبلنى على التعصب للعرب والعربية وأنى لى أن أنفرد عن صميم إبصارهم وأمتاز واتصدى الى لفيف الشعوبية وانحاز .

على هـذا مر اثنا عشر قرنا ولم يفكر مسلم أن يترجم القـرآن ، حتى اذا جاء أمر الله ونسى المسلمون الآخرون سر تقدم المسلمين الأولين عادت تلك الحروب الأعجمية تثب وتطهر وعادت لها السنة الشعوب تتكلم بها وتتخاطب وانتشرت وقطعت الوحدة العامة بين المسلمين وزادت الحال جرؤ من غمر قلبه على القرآن بترجمة القرآن .

عاشرا — الدكتور زكى على :

وكان من ابرز دعاة الاسلام الذين حفلت بهم الفتح : الدكتور زكى على الطبيب المسلم المهاجر الى الغرب منذ ١٩٣٠ وقد وصفه السـيد محب الدين الخطيب (م ١٣ ص ٥٤٩) فقال : عرفنـاه أبرع المصريين على الاطلاق فى معرفة أحوال العالم الاسلامى كأبرع المشرفين الذين تمدهم بلادهم بالمساعدة والعون ولكنا لم نكن نعرفه شاعرا حتى جاءتنا هـذه النفثة الملتهبة التى تشعرنا بموطن من مواطن ضعفنا فى اهمال الكفايات والتفريط فيما يجب للوطن من الانتفاع بها والشعر اذا انطوى أكذبه على جمال فان أصدقه يزدهى بالجـلال :

وداعـا منـك يا مصر وداعـا
وليس البعـد عنك هوى مطاعا
ولست بهـاجر وطنى ولـكن
حجـود بنيـك الهبنى التيـاعا
فـراق ثم بؤس طـول سـبع
شـداد ما وجـدت بهـا متاعا
ولم اك بائسـا ابدا ولـكن
دوام العسف علمنى الصراعـا
(م ١٣ الفتح)

كذلك فقد قال السيد محب الدين الخطيب ان الدكتور زكى على أعلم المصريين بسير الدعوة الاسلامية (م ١١ — ١٩٣٥) .

وقد نشرت له الفتح عديدا من الدراسات الجادة :

التبشير فى السودان مجلد (١٩٣٧ م ـ ١٣٥٥ هـ) .

الفلبين حصن الاسلام المهجور (١٣٥٥ هـ) .

الصحافة التتارية الاسلامية مجلد (١٣٥٥) .

الاسلام فى بلاد التبت مجلد (١٣٥٦) .

كتب أوربية عن السيرة المحمدية مجلد (١٣٥٦) .

كذلك فقد كتب السيد محب الدين الخطيب فصلا ضافيا عن كتاب الدكتور زكى على الشهير «الاسلام فى العالم» (م ١٣ ص ٢٨)، كذلك فقد أشارت الفتح الى أنه انشأ رابطة الثقافة الاسلامية فى (فينا) أوائل رمضان ١٣٥١ وفى افتتاح الرابطة قام القسيس الكاثوليكى نوربرت فايسر وأبدى رغبته فى اعلان دخوله الاسلام وأسلم على يد الدكتور زكى على واسمى نفسه عبد الله فايسر وتحدث عن نفسه وقال لقد سافرت الى جزيرة سيلان للتبشير بالمذهب الكاثوليكى وبعد دراسة قصيرة للدين الاسلامى وجدته هو الطريق الموصل الى الراحة الروحية والسعادة النفسية فآمنت به وقد ألقى ثلاث محاضرات بالألمانية عن الاسلام كان لها أحسن وقع فى نفوس من سمعوها .

وقد قامت الرابطة بالرد على الهجمات المرة والشبهات التى ألصقها به بعض الكتاب الغربيين ثم تفنيد دعاويهم الباطلة .

وقد نشرت الفتح (١١ أكتوبر ١٩٣٢) أغراض الرابطة الثقافية الاسلامية فى فينا وهى :

١ ـ نشر الثقافة الاسلامية وبث الدعاية لها فى الغرب .

٢ ـ حماية الاسلام والدفاع عنه ضد المطاعن التى يوجهها اليه المتعصبون وغير المنصفين من الكتاب الغربيين وتفنيد مزاعم دعاة الاستعمار ومفتريات المغرضين ذوى المطامع السياسية .

٣ ـ تنوير أفكار الأوربيين عن حقيقة الاسلام وتعاليمه الحكيمة ؛

٤ — توثيق عرى الاخاء والمودة واحكام روابط المنفعة بين الجاليات الاسلامية فى مختلف الأقطار الاوربية والعمل على صون حقوقهم ومصالحهم وترقية شئونهم الدينية والاجتماعية .

وقد عمل معه فى الرابطة : الكاتب النمسوى المسلم البارون عمر رولف ازنفلز واحمد الحفني ومحمد علي البني .

وتحدث الدكتور زكى على فى احتفال المسلمين فى النمسا بتأسيس رابطة الثقافة الاسلامية فأشار كيف أن الاسلام ساد نصف العالم خلال قرن واحد من الزمان وانتشر بسرعة لم يسبق لها نظير فى تاريخ البشر ووصف نفوذ المدنية الاسلامية وسيطرتها على أوربا الى عصر النهضة مستشهدا بأقوال المنصفين من العلماء الأوربيين أنفسهم ، وتحدث البارون عمر ولف فتكلم عن اصول الاسلام وحكمة تعاليمه التى تتفق مع روح التقدم والمدنية وعبر عن امنية المسلمين فى الغرب فى اقامة صرح للاسلام فى قلب أوربا وان تكون هذه الرابطة بمثابة حجر الأساس فى بنائه .

ثم اشترك الدكتور زكى على فى عقد مؤتمر مسلمى أوربا (مايو ١٩٣٣) فى جنيف مع الأستاذ محمود سالم تحت شعار الدفاع عن الدين الاسلامى ضد خصومه المزيفين وتعريف الشعوب بالخدمات التي قدمها المسلمون فيما مضى لمدنية العالم ولمدنية أوربا بالخصوص .

وقد نشرت الفتح (م ٩ — ١٣٥٣ هـ) حديث ينبىء بأن الدكتور زكى على انتقل الى جنيف بعد فينا وهى مكان اقامته حتى كتابة هذه السطور (١٤٠٤ هـ) حيث القى محاضرة عن الثقافة العربية فى محطة راديو فينا بمناسبة اهتمام الأوربيين بالتعرف عن الأحوال الاسلامية فى جزيرة العرب فتكلم عن الحضارة العربية فى عصر ازدهارها فى القرن العاشر الميلادى ، وأفاض فى الحديث عن العصر العباسى وما امتاز به من رقى الحضارة والعمران وما وصلت اليه المدنية العربية مما كان له أبعد الأثر فى نهضة أوربا وصبغ أسبانيا بصبغة عربية لا تزال آثارها موجودة وظاهرة الى اليوم وقد لفت الدكتور زكى على أسماع سامعيه الأوربيين الى ان الاسلام لم يكن يوما عقبة فى سبيل العلوم الحديثة بل على العكس قد حث على البحث

العلمى وفرض على كل مسلم ومسلمة طلب العلم وفتح صدره لمجارة العلوم والفنون التى تتقدم بالنوع الانسانى .

حادى عشر — الشيخ أحمد ابراهيم :

كما أولت الفتح اهتمامها برثاء أعلام الفكر الاسلامى وتقدير العاملين منهم فقد كتبت فصلا مطولا عن الشيخ أحمد ابراهيم (ذى الحجة ١٣٦٤ — ديسمبر ١٩٤٥) ووصفته بأنه زميل أحمد السكندرى وحسن منصور ومصطفى العنانى وعبد الوهاب النجار وعبد العزيز جاويش وطنطاوى جوهرى ومحمد بن عبد المطلب .

وأشار الفتح الى انه تعمق درس العلوم الرياضية ولشدة اتقانه الجبر والهندسة والفلك وما اليها كان من ابرز أعلام الفقه الاسلامى ، حتى ان أمين سامى باشا لما اراد تأليف كتابه « تقويم النيل » اعتمد على تلميذه القديم الشيخ أحمد ابراهيم فى تحقيق ما اشكل عليه وقد ندب للتدريس فى المدرسة السنية للبنات وكان حامى العقيدة الاسلامية فى قلوب أمهات المستقبل ، قبل أن يكون الملقن لمواد الدراسة المقررة فى المنهج ، ثم ندب لتدريس الشريعة الاسلامية فى مدرسة الحقوق قبل أن تكون كلية وقبل أن تؤسس الجامعة فصرف مواهبه للفقه الاسلامى ولم يقتصر على الأمور التى تدرس فى الحقوق ويعمل بها فى الدولة الاسلامية بل توسع فى الفقه وفى أصوله وفى مناهج الأئمة المجتهدين وتفريع أحكامه واخذ يطلع على قضية المذاهب الأخرى غير المذاهب الأربعة فوقف على فقه الشيعة الاثنا عشرية وعلى فقه الاباضية .

ومن اهم كتبه : شرح الأحوال الشخصية ، نظام النفقات ، العقود والالتزامات والوقوف والمواريث (وهى جداول صغيرة مستمدة من كتاب له عظيم يصلح أن يسمى الأم) وقد اشترك فى تأسيس جمعية الشبان المسلمين ثم أصبح وكيلا لها بعد وفاة عبدالوهاب النجار وتفرغ لتأليف معجم لقسم المعاملات فى الفقه الاسلامى كمعجمى (دللوز وكاربنتيه) للفقه الفرنسى يقارن فيه كل مادة مع أحكام المذاهب الاسلامية كلها ويشار فيها الى مختلف الأقضية الصادرة من قضاة الاسلام الممتازين ، فى مختلف العصور فى مصر والشام

والعراق والحجاز ، والمغرب والأندلس ، وتذكر فيه فتاوى عظماء المفتين ، وكان دقيق النظر نير البصيرة فى معرفة اتجاهات الأحكام الفقهية فيما بين الأصول والأدلة المأخوذة منها والأغراض التشريعية التى يرمى اليهـا .

ثانى عشر — حسـين يوسف :

كما نشرت الفتح (ذى القعدة ١٣٥٧) صيحة حسين يوسف خريج الفنون الجميلة عن الفن والدين فى مصر قال : أكتب كفنان تلقى دراساته العالية فى معاهد الفنون بانجلترا وايطاليا وكمسلم راعه ما يجرى من معارضة بين الفن والدين فى البلاد وأفزعه ما شاهده من الأخذ بالتقاليد الغربيـة الداعرة فيما يتعلق بالفنون دون التفكير فى التوفيق بينها وبين روح الدين ، الذى لاشك فى أنه أساس كل فضيلة بما لا يتعارض مع الرغبة فى النهضة والفنون كوسيلة ناجعة من وسائل التربية وقد وصلت الى النتائج الآتية :

١ — ان الفن يجب الا يتعارض مع الدين .

٢ — ان الفن يمكن أن يزدهى فى حدود الدين .

٣ — ان الفن بحالته الحاضرة فيه خروج على تعاليم الدين .

ثالث عشر — حسـين والى :

ونشرت الفتح صيحة الشيخ حسين والى عنـد الاحتفال بانقضاء خمسين عاما على المحاكم الأهلية فقال : احتفلت الحكومة بانقضاء خمسين عاما على المحاكم الأهلية التى اختصت بالعمل بقانون أجنبى من الخارج ، بقانون ضغط على المحاكم الشرعية ، بقانون اشتمل على ما حرم الله وعلى ما لا تحبه الشريعة الاسلامية التى هى شريعة الدولة بنص الدسـتور وبنص كتاب الله تعالى ، هـذا القانون يشتمل على تحوير التعامل بالربا وهو ما يحل فى تشريعنا ويشمل تعطيل حدود الله تعالى فياليت الحكومة أدت للأمة خدمة بأن تهدم المخالف للشريعة من مواد هذا القانون ، اذن لخدمت الاسـلام لا الدولة المصرية فحسب ، وانهـا اذ لم تفعل هـذا لم تفعل ما يعين فى الحفلة الساهرة التى أنفقت فيها الوف الجنيهـات على شرب الخمر والرقص والفساد ووزير الحقانية اسمه احمد على اسم النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

رابع عشر — سليمان النـدوى :

واهتمت الفتح برسالة الشيخ سليمان النـدوى الى صاحب الفتح حيث تقول : ان ما يجود به قلمكم السيال وتجرى صحيفتكم الى الأقطار فى كل أسبوع فلا تزال شـجرته مخضرة ، وربوته مخضلة ، لا زال لواء قلمكم مرفوعا وصـدى دعوتكم عن المسلمين فى أصـقاع الأرض مسموعا وأهنئكم بأنكم أعدتم لمصر من المكانة فى قلوب المسلمين ، وقد كادت أن تضيع بين المؤيد واللواء ، ولكم أياد بيضاء فى تعارف الأمم الاسلامية وتعانقهـا .

وأشار الفتح الى أن السيد سليمان الندوى هو خليفة مولانا شـبلى النعمانى القائم على دار العلوم الاسلامية ودار المصنفين على غرس الهداية فى قلوب ناشئة المسلمين .

خامس عشر — عبد العليم الصـديقى :

ومن دعاة الاسلام الذين فتحت لهم الفتح أبوابها : السيد عبد العليم الصديقى الذى يتحدث عن تجربته فى الدعوة الى الله (م ٦ — ١٣٥٠ هـ) يقول : ليس بخاف ما يقوم به دعاة اللادين والالحاد والنحل والمبشرون من نشر دعاياتهم الضالة وأقوالهم الخفيـة وما تقوم به دول الاستعمار وسـماسرة الغـرب من تخصيصها الأموال الطائلة فى نشر تلك الدعايات والمسلمون مقصرون فيما أوجبه الله عليهم من نشر الدين الذى ارتضاه الله واختاره على الأديان كلها لسـعادة البشر ، وكان على الدعاة الى الله رد افتراء المعطلة والملحدين والمبشرين واظهار فضيلة الدين الحنيف ومكارم أخلاقه ولا سيما ان فى العـالم العربى الاسلامى عددا من كبار المفكرين ومن العلماء المخلصين .

أما الأسباب الحاملة لى على الدخول الى تلك الجزائر (مدغشقر ، جاوة) فالقصد كله تعهد اخوانى المسلمين والقيـام بالواجب وارشـاد من ضل بالأحمدية واغتر بالدعوة القاديانية وأحمد الله أن وفقنى فى ذلك فقـد بينت للناس حقيقـة الميرزائين ، كما أنى شرحت لهم حالة الدعاة المسيحيين وطلبت مناظرة القسيس الشهير « تن بيزخ » المعلم بباندونج فلم يجيبنى للمناظرة وذلك بعد أن نشر الطعن فى الاسلام وقابلت الكاتب

المعروف بمؤلفاته ضد الاســلام المستشرق الدكتور كريم مبصوتو وأردت استجراره للمناظرة فتخلص بلطف وحــذق ، ومما آلمنى حالة الأحــزاب الاسلامية هنا فان الاختلاف بينهم مستحكم والعــدو لهم بالمرصاد يتلقف انباءهم ويغرى ما بينهم ليربح ويعودوا بالويل والثبور ، وما دام المتزعمون ممن لا دين لهم ولا صدق ولا خلق من طلاب الحظ العاجل لهم الحظ الأكبر فى قيادة الأمة فلاشك يسوقونها الى الدمار والعياذ بالله ، وعرف الاستعمار كيف يعملون على تفريق المسلمين والمكر بهم وخداعهم بزعمائهم على اتصال بما يريدون وحظ اخواننا العرب من الاقتران كبير والوســائل تكاد تكون واحدة وان اختلفت الوسطاء وللأيدى الحقيرة القسط الوافر فى التحريش فيما بينهم .

ســادس عشر :

وقدمت الفتح فى مجال الكتابة الاسلامية عــددا كبيرا من الباحثين فى مقدمتهم :

١ ـــ مصطفى السباعى الذى تحدث فى المجلد ١٤ من الفتح عن دور الســيد محب الدين الخطيب فى تحريك الهمم الخامدة والعزائم الراقدة ودفعها الى العمل الصادق بما يرضى الله ورسوله وقد صــدق اخلاص منشئها وعظيم وفائه لدينه وقومه وشدة شكيمته فى الحق ويذكر جهــود الجبابرة لنشرها وايصال صوتها المدوى الى كل أفاق وملك ، مع التضحية بكل ربح مادى فى ســبيل اداء رسالتها على الوجه الذى يحقق المصلحة الاسلامية المنشودة ، وأشار الى خطة الفتح الواضحة فى خدمة الاســلام وسلوكها فى ذلك سبيلا مستقيما فهى تخدم الاســلام على أنه دين عبادة وسيادة ، وأشار الى ثباتها على مبدئها رغم تعرضها لضربات قوية من دول الاستعمار وحملات من ذوى الأغراض .

٢ ـــ عمر بهاء الأميرى : الذى كان يكتب فى الفتح منذ كان يطلب العلم فى باريس عام ١٩٣٦ فى خدمة العروبة والاسلام فلما عاد الى الشام عام ١٩٤٦ أنشأ جماعة شباب محمد الأولى وافتتح مع اخوانه شباب محمد دار الأرقم فى حلب .

٣ — وأشار الفتح الى وصول شيخ الاسلام فى تركيا مصطفى صبرى الى القاهرة وقالت انه كان يصدر صحيفة اسمها « يادين » ويطبعها فى بعض البلاد الاسلامية الداخلة تحت الحكم اليونانى ثم اضطر الى وقفها بعد التفاهم الذى حدث بين اليونان وأنقرة وانتقل الى القاهرة عام ١٩٣١ (١٣٥٠) .

٤ — ومن أبرز كتاب الفتح الدكتور محمد احمد الغمراوى الذى كان له القدح المعلى فى دحض شبهات الدكتور طه حسين ومما كان يكتبه من توجيهات قوله :

« اذا كان المسلمون يريدون النجاة فليطلبوها داخل الاسلام لا خارجه وهم يخطئون طريق الرشد اذا قلدوا الغرب فى نظمه الاجتماعية فتركوا قديما شرعه لهم الاسلام الى حديث لم يشرعه لهم ، وخرجوا عما ألفوا من صواب الى ما لم يألفوا من نظم ان لائمت غيرهم لأنها الى حد ما وليدة حاجاته فهى لا تلائمهم لأنها ليست فيهم وليدة الحاجة ولكن وليدة الهوى والتقليد .

٥ — من أبرز كتاب الفتح (على الطنطاوى) وهو ابن شقيقة السيد محب الدين الخطيب وله كتابات عديدة ، وعجاج نويهيض ومحمد تقى الهلالى الذى كان يكتب مقالا أسبوعيا تقريبا ، ومصطفى الرفاعى اللبان الذى تخصص فى الرد على المبشرين ، وعبد المنعم خلاف ، كما أشار صاحب الفتح الى وفاة محمد الههياوى (١٩٤٤) ووجه اليه تحية وتكريما لأنه من الدعاة الى الاسلام وقال انه عرفه قبل بضع وثلاثين عاما عندما نشر كتاب « الصباحى فى فقه الله وسنن العرب فى كلامها » للامام أبى الحسين أحمد بن فارس وكان طالبا أزهريا وقد وصفه بأنه أديب ضليع ، وخطيب مفوه ، وقلمه فى الصحافة يمتاز ببلاغته على عشرات ممن اشتهروا فى هذه الصناعة أكثر مما اشتهر .

٦ — وتحدث الأستاذ حسن البنا عن شاعرى الاسلام : عرنوس والنجمى فقال :

عرفت الأخ الكريم محمد صادق عرنوس شابا ملأت الغيرة على الاسلام فؤاده وتملكت نفسه وأخذت عليه كل نواحى حسه فاذا قال فللاسلام واذا بكى فعلى الاسلام واذا فرح فلخير يعين الاسلام واذا تمنى فامتن النصرة للاسلام واذا تحدث تدفق كما يتدفق السيل قويا منهمرا فى مضاء وفى عزة وفى حماس يتجلى خلالها صدق الايمان وقوة الشعور والاحساس فاذا أصغيت اليه لم تر فى حديثه الذى أهاج كوامن نفسه الا عن الاسلام ونبى الاسلام واذا قرات شعره رأيت فيه هذه المعانى واضحة جلية فطرية غير متكلفة وعرفت الأخ الكريم محمد حسن النجمى فى قصائده العامرة ومقطوعاته المؤثرة فعرفت منه نفسا جياشة بالمعانى السامية فياضة بالشعور الشريف موهوبة فى الشعر والقصيد ، قد وقفت كل مواهبها للاسلام ونبى الاسلام وكنت أحمد الله كثيرا أن أجد فى شباب الاسلام مثل هاتين النفسين الطاهرتين الغيورتين وأجد فى ذكراهما لذة وفى الأمل فيهما سعادة وقد تضاعف هذا السرور وتكاملت هذه اللذة النفسية حين رأيت الأخ النجمى يرد للأخ صادق تحيته ، لا أدرى أبمثلها أم بخير منها .

فهما انما يغترفان من معين واحد هو الصفاء الروحى والاخلاص للاسلام ونبى الاسلام وينتزعان من قوس واحدة ، هو قوس النضال عن دين الله تبارك وتعالى وأمام هذه الوحدة النفسية يفنى التفاضل وتزول الفوارق .

لقد كانت الفتح الغراء وهى منبر الاسلام الأول وصوته المؤثر الندى واسطة عقد هنا لاتصال الذى أسر كلما ذكرته وأسعد كلما تمثلت صورته .

ان المسلمين لا ينقصهم عدد ولا مال ولا ينقصهم علم ولا قوة فهم والحمد لله فهم أكثر من غيرهم مالا وأصلح حالا ولكن ينقصهم أمران هما أساس نهضات الأمم : الوحدة والارتباط والاخلاص والتضحية .

الباب السادس

الصحافة الاسلامية
فى مواجهة الصحافة التغريبية

الفصل الأول : معارك الصحافة الاسلامية

الفصل الثانى : تاريخ الاسلام والتراث

الفصل الثالث : الاسلام فى الغرب

الفصل الرابع : مقارنات الأديان

الفصل الأول

معارك الصحافة الاسلامية فى مواجهة الصحافة التغريبية

واجهت الفتح الصحافة العلمانية (السياسة ـ الأهرام ـ دار الهلال) فى مواقفها المناهضة للاسلام وللدعوة الاسلامية ، وكانت المنار قد بدأت هذا العمل ، ولكن الفتح قطعت فيه مرحلة أوسع واستطاعت خلال (١٩٢٧ ـ ١٩٤٧) مواجهة أغلب المواقف التى ناهضت بها مفاهيم الاسلام الاجتماعية والسياسية .

أولا : موقف الصحافة التغريبية من مفاهيم الاسلام وادخال مفاهيم الغرب عن العلم والدين .

ثانيا : الهجوم على التعليم الاسلامى فى الأزهر .

ثالثا : تأييد مواقف الكماليين فى تركيا فى هدم الاسلام واللغة العربية .

رابعا : تأييد طه حسين وعلى عبد الرازق فى دعوتهما اللادينية الالحادية .

خامسا : مواجهة أخطاء محمود عزمى وسلامة موسى وغيرهم .

سادسا : تأييد موقف الصهيونية .

سابعا : اشاعة روح الاباحية والتحلل والاعلان عن الخمور .

أولا — جريدة السياسة :

أولت جريدة السياسة اهتمامها بالدفاع عن الصهيونية وعن دعوة أتاتورك اللادينية ولذلك فقد حظيت هـذه الجريدة (التى كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين) والتى تضم مجموعة من دعاة التغريب بالنصيب الأوفر من مواجهة الفتح ودحض شبهاتها والرد على سمومها فهى تكتب فى م ٤ — ١٩٢٩ م (١٣٤٨ هـ) تحت عنوان ضخم : **جريدة السياسة تخدم الصهيونية والصهيونيون يشكرونها على خدماتها** وكان وفد من الطائفة اليهودية فى مصر قد زاروا جريدة السياسة وشكروا لها اعتدال موقفها من الحوادث الفلسطينية وكتب المرحوم أحمد ابراهيم السراوى يقول :

« هؤلاء الزعماء الاسرائيليين من أكبر العاملين على مساعدة طائفتهم بكل أنواع المساعدة ، وهم لم يزوروها لكتابة كلمة حق يوجهونها لأبناء ملتهم فينصحونهم بالكف عن الاعتداءات والاخلاص لجيرانهم المسلمين الذين أكرموا وفادتهم من قديم الزمان بعد أن كانوا مطرودين من الرومانيين عن البلاد الفلسطينية فأعادهم المسلمون اليها ، وكان اليهود مطهدين فى جميع بقاع الأرض وقد تألبت عليهم كافة حكومات المعمورة فهاموا على وجوههم حيارى ولم يجدوا لهم ملجأ يلجأون اليه الا دولة المسلمين والبلاد التى يملكها سلاطين آل عثمان المسلمون (الجوييم) ومسلمو مصر يعلمون أن جريدة السياسة جريدة ملحدة تعمل لنشر الالحاد بكافة الوسائل التى يملكها دكاترتها القائمون بتحريرها ، فمعلوم أمرهم عند كل مسلم وهم بما نشروه فى يوميتهم وأسبوعيتهم موضع سخط المسلمين فى جميع الكرة الأرضية . ما الذى يفيد اذن جريدة السياسة من حشرها مصر وحكومتها حشرا فى سبيل ارضاء وفد اليهود ، فاذا تستطيع أن تقول انهم يعملون للصهيونية سرا وعلانية ، فاذا ذهب مندوبهم (عبد الله عنان) الى فلسطين فلا يذهب الا الى بيوت الصهيونية ، ان للصهيونية بين جدران السياسة ما هو أكبر ضررا بالاسلام من الصهيونية ووفود الصهيونية » اهـ

٢ — وتمضى جريدة السياسة فى تأييد مصطفى كمال فى حركته اللادينية التغريبية فى تركيا — تقول الفتح — وهى بذلك تفتح الطريق لدعاة الالحاد والتغريب فى مصر باتخاذ خطوات على نفس الطريق مما أسمتهم (أذناب الكماليين فى مصر) وهم يحبون الحرية الفكرية للأعضاء عن دعاية الكفر فى مصر ، ويقول ان مصطفى كمال قال لقد ضحكت عليهم بادعاء أن دين الجمهورية التركية الاسلام الى أن تمكنت من تقويض جميع معالم الاسلام فى مملكتى وأجبرت الفتاة المسلمة بقوة البندقية التى يحملها الجندى التركى على أن تخالف أمر ديننا ولو أنى أنكرت أن دين الدولة الرسمى التركى على أن تخالف أمر ديننا ولو أنى أنكرت أن دين الدولة الرسمى الاسلام فى أول الأمر ربما كان الشعب امتنع عن مساعدتى وبهذه الفكرة الشيطانية استطعت أن أضحك على المسلمين داخل تركيا وخارجها .

وقد ألقى القرآن ذات يوم من يده وقال : ان ارتقاء الشعوب لا يصلح أن يقيد بقواعد وقوانين سنت فى العصور الغابرة وقد ابتهجت جريدة السياسة بهذه التصريحات كما أن جريدة السياسة تمتدح حركة التجديد التى تقوم فى أفغانستان وفى نفس الوقت تهاجم مفهوم الاسلام للشريعة الاسلامية وتقول انها لا تصلح لهذا الزمن ، وانكار العظمة للاسلام يوم كانت متفردة فى الدنيا ، وتابعت السياسة فى ذلك مجلة (العصور) التى عرضت لكتاب فلسفة الانقلاب التركى تأليف قابيل آدم الذى بين أن العقلية الآسيوية هى عقلية الدين وأن العقلية الأوربية هى عقلية العلم .

وهى دعوة موالاة أوربا وقطع علاقات تركيا بآسيا وأفريقيا .

٣ — وقد وصفت الفتح جريدة السياسة بأنها جريدة « تسليم البضاعة » وأن هذه العبارة قالها عنهم الانجليز أنفسهم أنهم سماسرة لتسليم البضاعة ، وانها جريدة صهيونية تخدم الصهيونية وتروج أغراض الصهيونية من وراء ستار بخبث ومكر ، وهذا ما يدفع جريدة السياسة الى محاربة الاسلام والطعن فى كل شىء لهذا الدين وفى رجاله وأزهره ومعاهده ونشر مقالات الملحدين المعروفين المأجورين وتأييدهم مع ما تشعل به أيضا فى سبيل تسليم مصر للانجليز القائلين بأن حزب جريدة

السياسة سماسرة لهم ليسلموها البضاعة وها هى البضاعة ، هى وطن المصريين .

مواجهـــة طه حسين :

٤ — وقد عنيت الفتح بمواجهة السياسة بشأن موقفها من طـــه حسين وكتابه « الشعر الجاهلى » .

تقول : لما ظهر كتاب طه حسين وفيه الطعن الصريح على كتاب الله تعالى ما فيه ، لم يكن اثره السوء قاصرا على علماء الدين بل تجـــاوزهم الى الكثير من الكتاب والمفكرين ولا ريب ان اعلان الدكتور طه انه مؤمن لا يجدى فى هذا الموضوع نفعا ، بل هو مع كونه تناقضا غير مفهوم فيفضى الى عكس المطلوب ، لأن ذلك المؤمن هو الذى قال فى كتابه ان القرآن يشتمل على الأساطير المختلقة لأغراض سياسية فليس هو من عند الله ، واذا كان مؤمنا كما يقول وكتابه المشتمل على هدم الدين من اوله الى آخره باق كما هو موقور الكرامه فليس فى هذا الاعلان الا السخرية والاستهزاء بالأمة والله .

وتحدثت الفتح بقلم كاتبها الأول « عبد الباقى سرور نعيم » عن موضوع العلم والدين فى نظر الدكتور طه حسين ، فقد نشرت السياسة الأسبوعية (١٧ يوليو ١٩٢٦) مقالا لطه حسين عن العلم والدين أشار فيه أن بين العلم والدين خصومة ، وأن ليس بينهما ما يمكن أن يسمى اتفاقا بحال ، وقال : ان الدين حيث يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء ويأخذ الناس بالايمان بهما يثبت أمرين لم يستطع العلم حتى الآن أن يثبتهما . فهو يؤكد أن بين العلم والدين خصومة لأن الدين يثبت شيئا لا يعترف به العلم وهو وجود الله ونبوة الأشياء ، وقال الأستاذ سرور : ان طه حسين لم يفهم معنى العلم بمعنى ما تثبته التجربة وأن العلم بهذا الاطلاق ليس من مباحثه اثبات وجود الله ولا اثبات نبوة الأشياء .

مواجهـــة على عبد الرازق :

٦ — كذلك أولت الفتح اهتمامها للشـــبهات والسموم التا اذاعها على عبد الرازق وخاصة حديثه عن المولد النبـــوى فى جريدة السياسة

التى اسمتها الفتح : « جريدة أعداء الدين الاسلامى » والتى تطاول فيها على المقام المحمدى الأسمى فاستعرض بزعمه حياة صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، وأخذ يبحث فيها عن وجوه العظمة ومعانيها فلم تبصر عيناه للعظمة أثرا الا فى حكم محمد صلى الله عليه وسلم ونفاذ كلمته فى أصحابه ولا فى معانى العلم كما يفهمها هذا الكاتب ولا باعتبار ما للاسلام من أثر على هذه الأرض مما احدثه محمد صلى الله عليه وسلم بين أهلها من انقلاب اجتماعي أو سياسي أو تهذيبي أو مدني .

ويقول على عبد الرازق : اما أن يكون حقا تلك الكلمة التي جاء محمد واما أن تكون باطلا ، ان يكن باطلا كلمة التوحيد — هكذا يقول على عبد الرازق — فسوف تذهب من الوجود كما تتلاشى قضايا العلم الباطلة وسوف تذوب اذا اطلعت عليها أنوار العلم والعقل كما تولى الظلمة ازاء وضح النهار واما أن يكن حقا كلمة التوحيد فلسوف يشق اليها العلم والعقل طريقا فى هذا العالم حتى تستولى عليه وتشيع بين جوانبه .

يقول السيد محب الدين : فعظمة محمد موقوفة الآن على كلمة مشكوك فيها ، وتحتاج الى زمان ليتبين صدقها أو كذبها ، كلمة لا اله الا الله تبقى عند علامتنا المحقق معلقة فى ملكوت التشكيك وتبقي عظمة محمد غير مسلم بها عنده .

ويقول : تعود الشيخ على عبد الرازق منذ عهد أن صدر عليه الحكم المعروف من محكمة هيئة كبار العلماء ان يكتب كل عام كلمة تتعلق بحضرة صفوة الخلق ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ويتحرى فى نشرها اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول بينما يكون المسلمون فى سرور وابتهاج يطلع عليهم مقال الأستاذ فى صدر جريدة السياسة فى الحط من شأن هذه الذكرى وتحقيرها الذى لا يجرؤ عليه أحد من ألد أعدائه ولا يرضاه لنفسه واحد ممن يجلهم الأستاذ ، فاللباقة كانت تقضى عليه أن يشارك العالم فى فرحه بذكرى مولد النبى ليبرهن على أنه يحترم المؤمنين بهذا الرسول العظيم ، أو على الأقل كان يسكت حتى لا يسجل على نفسه هذا الموقف الذى يسخر منه كل ذى ذوق سليم

ولا يفهم منه ان الأستاذ قطع الصلة بينه وبين المسلمين قطعا تاما ، واعلن عليهم حربا شعواء فى اعتقادهم الحق وايمانهم بربهم ودينهم ورسولهم . ويأبى الأستاذ الا أن يذكر ذلك الاسم الشريف فى كل مقاله مجردا ، ذلك التجرد المجافى للأدب والذوق ، ولا يذكر اسمه الكريم جميع المؤمنين الا معروفا بالتعظيم .

٧ — وكتب الأستاذ محمود محمد شاكر موجها كلامه الى على عبد الرازق فقال : ان الذى اتيت به فى اول مقالك على العظمة لا نعده حشوا بل نقول انه المكر السىء ولا يحيق المكر السىء الا باهله فما كل رجل يسلم عقله لك ، وانه يعنى التغرير بالعقول للوصول الى القول بان رسول الله النبى العربى الأمى صلى الله عليه وسلم ليس من العظمة فى شىء ، وليس من العظماء فى شىء ، وانما هو دخيل فيهم بينما الناس جميعا مسلميهم وكافرهم ، ويهوديهم ومسيحيهم ، يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم عظيم ويتحدثون عن عظمة محمد .

ومما قال على عبد الرازق ان كلمة لا اله الا الله كلمة مشكوك فى صحتها وقد انكر وجوه العظمة على سيد الخلق .

٨ — وقالت الفتح ان على عبد الرازق نشر ثلاث مقالات فى السياسة يحاول فيها أن يحمل أربعمائة مليون مسلم على آرائه الشاذة فى الاسلام وأصول الحكم : تلك الآراء التى خالف فيها أعلام الاسلام عصرا بعد عصر من عهد سيدنا أبى بكر الصديق الى يوم الناس هذا وأنكرها على العالم الاسلامى من اقصاه الا أقصاه ولم يسعه عليها الا مراسل التيمس وحملة الأقلام من غير المسلمين والمفكرون لهم من أنصاف المتعلمين هنا وهناك .

مواجهة محمود عزمى :

٩ — واجهت الفتح كتابات محمود عزمى فى السياسة وقالت انه ملحد حقيقة ولا ايمان له ولكنه لا يدعو الى الالحاد ، وقد عرف دائما بالذبذبة ، وليس هو من أصحاب المبادىء الثابتة ، أخذ عليه طه حسين قوله : ان الدين الاسلامى سيبقى مسيطرا على الثقافة فى البلاد العربية وقال

ان العاطفة الدينية ليست خاصة بالمسلمين العرب بل يشاركهم فيها غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى ، وقالت الفتح ان الثقافة العربية هى عربية فى أصلها ولم توجد الا بالاسلام ، والمخلصون من مسيحى العرب يعلمون حق العلم أن ثقافتهم فى أصولها على الأقل اسلامية ، وكذلك المدنية الغربية ، لذلك لا يكون المسيحى العربى وطنيا وهو يعادي الاسلام اذ عدوانه يقتضيها رفض الثقافة والحضارة العربية .

وقالت الفتح : ان محمود عزمى من انصار اليهود كما دلت على ذلك مواقفه بل ربما كان من انصار الصهيونية فى باطنه ، قال فريد زين الدين فى الرد عليه : اننا ينبغى أن نحافظ على شخصياتنا وعلى روح مدنيتنا ولو اتبعنا عزمى فى طريقه لاندماجنا فى الغرب لفقدنا الوجود ولم يعد فائدة لمقاومتنا الاستعمار وضغطه ، وليس أضر على الثقافة العربية من الذين يدعون الى اتخاذ مدنية الغرب ومحاربة الدين الاسلامى اذ تلك هى الطريقة الوحيدة للقضاء على الشرق وهدم كيانه وتمكين الغرب منه .

الى الدكتور منصور فهمى :

١٠ — وفى المجلد السادس من الفتح وجه الأستاذ محمد محمود بدير الى الدكتور منصور فهمى رسالة مفتوحة قال : يعتقد كثيرون ان فى مصر جماعة تنحو فى كتاباتها وخطبها ودعاتها مناحى سيئة خطيرة ان لم يكن صورة طبق الأصل للمناحى التا تسير عليها جمعيات الالحاد فى الخارج فلا أقل من وجوه تشابه كبير يدعو الى الريبة والحذر فان الذى قرأ مبادىء تلك الجمعيات وعرف أساليبها فى النشر والدعاية لا يتردد كثيرا فى الاتفاق معنا فى هذا الرأى ، وهم يشعرون بأنهم قد تجاوزوا الحد فى دعايتهم تجاوزا لا يجعلنا لا نتردد فى اظهار هذه الحقيقة بالأدلة لتفتح الأمة عينيها ولتنبه الشباب الى انخطر الذى يحيط به والتعاون مع المخلصين لصد تيار الالحاد » .

وقد جاء هذا ردا على راى نشره الدكتور منصور فهمى فى جريدة المساء ونقلته الفتح (ص ٣٦٤ من السنة الخامسة عدد ٢٢٣) حيث قال :

« ولكن ما هى الآراء القيمة التى يذيعها بعض الكتاب باسم التجديد ، كل ما عندهم أن يتذمروا من اللغة الفصيحة وبعدها عن اللغة العامية ، وهذا يدل على جهلهم بلغات الأمم الحديثة فاللغة الانجليزية تكتب فيها الكلمة بشكل وتنطق بشكل آخر ، واللفظة الواحدة ينطقها الأستاذ فى مدرسته أو جامعته ، بلهجة خاصة ، وينطقها عامل الترام بلهجة أخرى والحال كذلك عند الفرنسيين والألمان ومع ذلك لم يحدث فى الأمم المسيحية من يقول باحلال اللغة العامية مع اللغة الفصيحة ، ولكن أصحابنا المجددين فى مصر يظنون أن هذه مسألة المسائل فيتحمسون ويتهيجون ويظنون أنفسهم من رجال التضحية يمثل هذا الهذر المقوت » .

ثم قال الدكتور : ويتكلمون عن القومية المصرية ويريدون بذلك أن تنفصل مصر عن أمم الشرق وقد كنت ولا ازال من أنصار الرابطة الشرقية لعلمى أن الأمم التى ترتبط برباط اللغة والدين تقترب بعضها من بعض وتكون وحدة لغوية وفكرية وعقلية وروحية ، هى أسمى ما يفكر فيه الرجل الحريص على روابط الأواصر الانسانية . ومن الغريب أن سلامة موسى وحسين هيكل يتكلمون كثيرا عن الانسانية وروابطها الأدبية والعلمية ثم ينسون ذلك كله حين يجرى ذكر العرب والمسلمين ، فهل أصبح الغرب والمسلمون شعبة أخرى لا يصح أن يرتبط بها المصريون ، ان أصحابنا المجددين لا يرضيهم الا أن نكون عصابات تقتتل وتتناحر ففئة تهاجم العرب وتاريخهم وفئة تهاجم الأزهر وتعاليمه وفئة تجرح الدين وتقاليده وفئة تهدم اللغة الفصيحة وهكذا دواليك حتى تصبح مصر فى عراك دائم وفتنة شاملة موصولة (هذا ما كتبه منصور فهمى أكتوبر ١٩٤٠) .

السياسة الأسبوعية :

١١ — وتحدثت الفتح عن السياسة الأسبوعية (وهى الصحيفة الأدبية لجريدة السياسة اليومية) بمناسبة دخولها سنتها الثالثة ، وتحدث عن مؤازرة أهل الثروة الضخمة فى مصر بما يمدونهم من المال بالآلاف ومعونة أصحاب الدولة وكبار الوزراء الذين يهمهم ترويج هذه الدعاية

في وجوهها المختلفة ، واشارت الى المصلحة المشتركة الى تناولها هذا النوع من الصحف مع مثل الحكومة الكمالية التى يهمها ترويج هذه الافكار فى مصر ، وقالت الفتح : لقد تهيات للسياسة الاسبوعية كل الاسباب الادبية والمادية لاذاعتها وجعلها فى متناول الايدى بمصر وسوريا والعراق وجزيرة العرب وبلاد المغرب فهوجمت ادمغة الشباب الطاهر بجيوش من الأفكار تنقل عن اكثر كتاب الافرنج تطرفا وافراطا فى تهديم القيم .

قال علوى بن طاهر الهوارى الحداد (جاوة) ان الالحاد فشا فى مصر وانتشر ووصل شرره الى كل جهة وتضرر به المسلمون ضررا بليغا ومصدره الاكبر مصر والكتب التى تطبع فى الهلال والى هذيان سلامة موسى وجهالات على عبد الرازق وسخافات زكى مبارك وقد اصبحت جريدة السياسة تتناقلها أيدى العامة فيا لدين ضيعه اهله » .

وتحدثت الفتح عن المساعدات الجهرية والسرية التى تصل الى هذه الصفحة وقال ان انتشار السياسة الاسبوعية ليس من اثر تلك الأموال الجهرية والسرية فقط بل هو من غفلة المسلمين ايضا .

وقد بادر الذين تنبهوا اليها والى مطاردتها فى أخطارها وردوها فى وجوه أصحابها وفى الحجاز طاردها وركلها عبد الله السليمان المزروع وفى مراكش أحمد عبد الرحيم قد رفضها بسخط وازدراء .

وقالت ان جمهور المسلمين فى جميع الأقطار مدعوون على أن ينظموا صفوفهم لينقذوا هذا القطر الاسلامى من طريق الكماليين على ضفاف البسفور والخليج دون ان يحتاجوا الى المدافع التى أسكت بها الكماليون احتجاج الأكراد على الأنظمة الالحادية فى تركيا .

وكانوا يتوقعون ان تسير الأقطار العربية والاسلامية وراء صفوفهم المتكلمة فى مصر ، فساروا مؤيدة أعمالهم بمئات الألوف من الجنيهات منذ انشئت السياسة اليومية الى الآن ولكنهم ما كادوا يخطون حتى تلقوا الصدمة بعد الصدمة فتعاد بضاعتهم مردودة اليهم بالسخط والازدراء .

وان هنالك ما يحفز المسلمين الا اقامة حركتين : احداهما سلبية

تقضي بمقاطعة بضائعهم كما فعلت مكة ومراكش ودمشق ، وأخرى ايجابية باقامة حواجز فكرية تلائم روح العصر ويستطيع صوتها ان ينفذ الى أعماق قلوب شبابه الشاعر بعطشه فيكون ما يقدمه له علماؤنا من الماء الزلال معينا عن السموم الأخرى .

٢ ـ واشارت الفتح الى ما تواجهه مجلة السياسة الاسبوعية من احتقار فى العواصم العربية وان أصحاب المكتبات يرفضون هذه المجلة لما تحمله من أفكار الحادية ، وقد ارسل بركات وقصار أصحاب المكتبة الشرفية الوطنيه بدمشق الى مدير السياسة الأسبوعية يقول : أصبحنا نرى فى بعض الأعداد كثيرا من المقالات الالحادية والبحوث السفورية والكتابات المحبذة لأعمال مصطفى كمال وانصاره والاشارات الى دعوة الالحاد فى أمريكا التى لا يشك قارئها أن أصحابها ساقوها لدعوة الشبان الشرقيين الى تقليد أمثال هؤلاء الشاذين فى كفرهم والحادهم ، وقد رأينا ان أصحاب المقالات يتعامون عما ينشر فى بعض الصحف المصرية ردا على مفترياتهم شأن من لا يريد فى كتابه احقاق الحق وابطال الباطل ولذلك نرجو عدم ارسال شيء من اعداد السياسة الأسبوعية بعد الآن .

٣ ـ واشارت الفتح الى أن جريدة السياسة دون الصحف (الأهرام والمقطم) أغفلت نشر كل ما يتعلق بانشاء جمعية الشبان المسلمين ، وقال أن جريدة السياسة وصفت بأنها جريدة تسليم البضاعة واشار الى الفضائح والمخازى التا نشرت لجريدتهم فى جريدة الشورى ، وانها جريدة صهيونية تخدم الصهيونية وتروج أغراض الصهيونية من وراء ستار بخبث ومكر وأشار الى علاقة جريدة السياسة بجماعة الصهيونية ومحاربة الدين الاسلامى والطعن فى هذا الدين وفى رجاله وأزهره ومعاهده ونشر مقالات الملحدين المعروفين المأجورين وتأييدهم مع ما يستعمل به أيضا فى سبيل تسليم مصر للانجليز القائلين بألسنتهم قولهم المأثور ان حزب جريدة السياسة سماسرة لهم ليسلموهم البضاعة (م ٢ ص ٣٩١) .

١١ — الدكتور هيــكل :

وتحدثت الفتح فى المجلد التاسع والعاشر عن صـــدى ظهور كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيــكل وما ووجه به من انتقادات من علماء المسلمين حيث كتب الشيخ محمد زهران فقال ان هيكل اعتمـد على كتاب أميل درمنجم الذى كانت حرب الريف فى المغرب هى الداعى له لتاليف كتاب حياة محمد ، ونقد موقف هيكل من (الاسراء) فقد اعتبره بالروح بناء على حديث عائشة ، والاسراء كان قبل زواج النبى بعائشة وانها كانت زمن الاسراء طفلة بعيــدة عن بيت النبى لا تعــلم متى يبيت فى منزله ومتى يفارقه وتبين حينئذ أن ترجيح هذه الرواية لا توافق قواعد البحث وان تاخير هيكل حادثة الاسراء الى ما بعد زواج عائشة اخــلال فى ترتيب وقائع التاريخ ، واشار الى خطئه فى الربط بين حادث المعراج بمذهب وحدة الوجود فالاسلام لا يعرف وحدة الوجود ولا معنى لوحدة الوجود فى نظر الاسلام الا اعطاء الكون صفة القدم والبقاء ومعنى ذلك تاله الكائنات وهو ليس فى الاسلام .

٢ — وتحدث باحث آخر (مجلد ١٠ — ١٩٣٦) فأشار الى نقدات أخرى فى كتاب حياة محمد منها قول هيكل بأن العظماء فوق القانون البشرى أى أنهم لا يؤاخذون على ما يبدو منهم مخالفا لما يعهده الناس وهذا القول إن قيل فى بعض العظماء فانه لا يقبل اسناده الى الرسل والانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، اذ أن عظمتهم نقية من كل ما يجلب نقــدا أو يسبب ذما ، وما يعملون حق وصــحيح لا غبار عليه وتصرفاتهم حكيمة لأن الله اصطفاهم برسالاتهم وصنعهم لنفسه وهم القوة الكبرى والمثل العليـــا للبشرية فما كان للدكتور أن يقول ذلك وان حسنت نيته والكتابة عن الرسل والأنبياء فى حاجة الى احتياط عظيم ، والخطا فى حق الأنبياء غير معفو عنه وفى غيرهم قد تزول به التبعة بالاعتذار وادعاء حسن النية .

٣ — لم يرض المستشرقون عن تعدد زوجات النبى مع أنهم راضون بتعـدد زوجات الأنبياء السابقين وعــدم رضاهم معلل غــير خالص ، ولم يستطع الدكتور هيكل أن يجلى هذه المسالة ويدافع عن نبيه الدفاع

الواجب ، ولو أن الرسول تزوج نسائه فى شبابه وابان قوته لكان للمستشرقين شبه عذر ومندوحة ، وكان الطريق معبدا أمام الدكتور ليحسن الدفاع ولكنه لا يزال متأثرا بدراساته الأولى على ما يظهر .

٣ ـ وفاة ابراهيم : الصورة التى رسمها الدكتور هيكل لحزن الرسول على ابراهيم لا تتفق مع جلال النبوة وعظمة الرسالة اذ صوره واضعا ولده فى حجره وعيناه تذرفان مما يشبه أن يكون ضعفا عن احتمال صدمة الموت والحقيقة أن رسول الله أسمى قدرا من أن يصدر منه ما صورته براعة الدكتور هيكل ، ولا يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم صدرت منه الألفاظ التى نسبها اليه الدكتور هيكل منساقا مع شعوره ومرة بالخطوط الجميلة الأخرى ، ان ما ترتكبه الصحف من دناءة النفس عن حزنه على وفاة ولده هو .

٤ ـ أسلوب هيكل : حين كتب عن رسول الله لم يتناسب مع المكتوب له فجاء أشد بما يقال عن العظماء من غير الانبياء والمرسلين . والمفهوم أن الكلام عن المرسلين يستلزم روحا خاصه وأسلوبا دميقا وحيطه وحذر من الانزلاق فيما لا يجيد ، وهو لم يبلغ الغايه المرجوه فى تصوير حياة رجل هو رمز الانسانية وسيد الكائنات .

ثانيا ـ جريدة الأهرام :

وكان لجريدة الأهرام دور خطير فى حركة التغريب وقد أشارت الفتح الى اهتمامها باعلانات الخمر (م ٥/٦٣٥) .

قالت : كانت الصحف الاسلامية فى مصر كالفتح واللواء قبل الحرب العظمى والأخبار فى السنوات الماضية لا تنشر اعلانا عن أى شىء من الأشياء التى نهى الاسلام عنها وفى مقدمة ذلك الخمر والميسر ، وقد أتى على الصحف الاسلامية الثلاث وعلى أصحابها وقت شعروا فيه بالعسرة المالية الشديدة ، ومع ذلك فانهم كانوا يتعففون عن مال السحت كما امتنعت عن ذلك جريدة المقطم ، بينما أن جريدة الأهرام وجريدة المساء التى هى لسان حال الوفد فى مصر يتفننان فى نشر اعلانات الخمر مرة بالخط الكوفى

ومرة بالخطوط الجميلة الأخرى ، ان ما ترتكبه الصحف من دناءة النفس لهذا المورد الذى يستنكره الشرع والعقل فضلا عن أن هــذه الاعلانات تتناول الخمر المصنوعة ببلاد الانجليز الذين نريد منهم أن يجلو عن مصر .

٥ ـ الأهرام جريدة فرنسوية للفرنسيين (١٩٣٢) :

وكتبت الفتح تحت هذا العنوان تقول : عجيب أن يكون الأهرام اكثر غيرة من الفرنسيون أنفسهم الذين لهم فى مصر وزير مفوض وقناصل ، تتلون جريدة الأهرام باللون الذى تقتضيه الظروف زاعمة أنهــا نصيرة لنحرية ، قد بلوناها فرأيناها يوم ناداها داعى الحرية فى وطن أصحابها (الشام) وقضت مع الأجنبى على الأحرار الذين ينشدون الحرية وعملت جهدها على تثبيت أقدام الأجانب هناك ، ولم تغضب شــعرة واحــدة فى أجسام القائمين بهــا يوم دمرت دمشق بالقنابل وها قد ناداها صوت الحرية اليوم من أقصى المغرب فخذلته ودست الدسائس لخنق هذا الصوت ومنع الناس من سماعه .

كذلك فقد تجاهلت الأهرام حوادث المغرب ، أن المسلمين فى مصر مهما نسوا من شىء فانهم لا ينسون موقف الأهرام الكاثوليكية المتعصبة يوم انتصرت (لهانوتو) على المسلمين ودافعت عن اساءته الى الاسلام ونشبت بينها وبين المؤيد يومئذ تلك المناقشة التى أبانت بهــا عن ذات نفسها ، وكان بقلم الأستاذ الامام محمد عبده ، تلك الجولات الشــهيرة فى هدم الباطل ورد كيد أعداء الاسلام فى نحورهم ، منذ ذلك اليوم يعرف المصريون جريدة الأهرام أنها فرنسوية أكثر من الفرنسيين وانهــا أكثر تعصبا للكاثوليكية من الرهبان المتعصبين ، على أنها اليوم فى موقفها تجاه كارثة المغرب قد لبست الخزى كله وتسربلت بالتعصب الذميم من رأسها الى قدمها . هل يليق بجريدة كاثوليكية تعيش من قروش المسلمين أن تقف هذا الموقف المخزى فتوجه كلاما بعيدا عن الأدب نحو علية هذه الأمة وكبار الفضل فيها ، كل ذلك لأجل أن يحمل العالم الاسلامى على أن يخذل اخوانه مسلمى المغرب .

٦ ـ وتواصل الفتح هجومها على جريدة الأهرام تحت عنوان :

« الأهرام شر وسيط بين الاسلام وفرنسا »

فيقول فى المجلد الخامس (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٢ م) : كانت جريدة الأهرام تظن أنها أدخلت مصر كلها تحت نفوذها الصحفى ، فالخبر الذى لا تأتى به الأهرام يجب ألا يكون معروفا فى مصر ، فلما انتشر فى مصر خبر الحملة الصليبية التى أحكم الفرنسيون تدبيرها فى المغـــرب ، كان ذلك سبب دهشة عجيبة فى غرفة رئاسة تحرير الأهرام اذ كيف يجوز لمصر أن تذيع فيهـــا خبر لم تر جريدة الأهرام مصلحة فى ذيوعه ، ثم لما ارتفع صوت مصر بالاستنكار كان صوتا جهوريا تسمعه القدس ونابلس ودمشق وبغداد وبومباى ودلهى وطهران وسنغافورة ، وسورابايا فضلاً عن مكة وصنعاء ، وقع البهت فى غرفة رئاسة تحرير الأهرام حينئذ صدرت الأهرام وفيها اتهام لمن يعارض الحملة الصليبية فى المغرب بأنه يريد أن يشغل مصر عن قضيتها فهزأت مصر بهذا الاتهام وقالت لجريدة الأهرام الفرنســـية للفرنسيين : ان قلب المسلم يتسع لواجبه الدينى وواجبه الوطنى الذى هو من واجبات دينه أيضا .

الســـموم فى مجال المجتمع :

٤ — وتواصل الفتح هجومها على مخططات الأهرام الاستعمارية والتغريبية فكتبت (م ٦ ص ٢٦٨) هل الأهرام تريد حقيقة أن تبرر عمـــل فرنسا فى المغرب تمهيدا لمثله فى مصر .

قالت : ان جريدة الأهرام تعمد الى قضايا المحاكم الشرعية فتضــع عنها روايات غثة محرفة مزورة تفضح بهـــا الأسرة الاسلامية وتحط من كرامتها وتشهر بها من طرف بعيـــد تنادى بانحطاط النظام الاســـلامى وبالتبعية تحفر تحت جدار المحاكم الشرعية المصرية وتحت جـــدار أحكام الاسلام . وذلك لما يقال من أن فرنسا لما أوقعت بالاســـلام نكبة الظهـــير البربرى ، وكان هذا عملا بربريا لا يبرره شىء ولا يغسله ماء البحار جميعا ، تعهدت الأهرام بأن تبرر هذا العمل ، بايقاع مثله بمصر أم البلاد الاسلامية ، ومن ذلك الحين فقد أخذت تنشر الروايات التى تشوه فيها وقائع القضايا بالتحريف والزيادة والنقص [illegible]ها تنشر تحت امضاء مزور مجهـــول

طعنات فى الأسر الاسلامية ونظامها ومحاكمها ، وما ذلك الامضاء الا قلم التحرير والحروف الموضوعة بأسفل المقال نغمة مكشوفة .

ومن دلائل سوء نية الأهرام كونها تقتصر فى هذه الفضائح على الأسر الاسلامية ولو أنها اشتقت من المجالس الملية أمثال هذه الوقائع بين الأزواج غير المسلمين ، لتبين لنا أن ما تنشره عن قضايا الأسر الاسلامية لا يكاد يعد فى جانب قضايا الأسر غير الاسلامية شيئا مذكورا ولكنه التعصب الممقوت والخطة المرسومة لتشويه جمال الأحوال الشخصية الاسلامية .

٥ — هل جريدة الأهرام تحارب الأمة كلها :

وكتبت الفتح تحت هذا العنوان يقول : من زمن بعيد تذيع الأهرام حوادث شاذة بين نساء ورجال وبين بنات وأزواج وزوجات ماسة بتلك الحوادث الشرف شائنة للعرض هادمة للبيوت الرفيعة مطأطئة للرؤس العالية مسودة للوجوه البيضاء وهى حوادث لو نشر الأهرام لها فى أنحاء العالم لظلت فى دائرتها الضيقة لا يشعر بها الا أفراد قليلون فنشرها ذلك وصمة للمصريين بين الأمم ، ولا يصح لجريدة تعيش بمال أمة أن تتقدم بكل جرأة على فضيحة هذه الأمة التى لا حياة لها الا باحسانها وعطفها وهى من ناحية أخرى تنشر تلك الرزائل بين أمة أخص خصائصها المحافظة على مكارم الأخلاق ، هى بذلك تنشر مرضا وبائيا فتاكا للأعراض فلا يقف أمامه علاج مهما كان الأطباء من المهارة الحذق وهى بذلك تزكى نار الفتن وتؤججها . ان هذه الحوادث الضئيلة التى تعد على الأصابع يستحيل أن يخلو منها أمة تعد بالملايين ، لقد تقدمت الأهرام الى أن أصبحت داعية على المكشوف لأبنائنا وبناتنا الى كشف قناع الحياة وطرح رداء الفضيلة وخلع العذار والتقدم الى حيث يدعو الحب الكاذب أربابه أن تخرج البنت الشرقية على أبيها وزوجها ولا تكترث بارادتهم وتهنئها الأهرام اذا هى اجترأت على هذا المنكر المنظم ولم تدر الأهرام أنها تدعو أبنائنا وبناتنا الى ذل الأبد فان البنت اذا فعلت ما تشير به عليها الأهرام وهزت كتفيها لأنها غير مكترثه لرأيه توشك أن تقع فى ورطة لا تخلص منها أبدا (مصطفى أبو يوسف الحامي) .

وأضافت الفتح : ان الأهرام لم تقف عند باب القول فأضافت باب الفعل بتلك الصور الفاحشة التى يستغيث من رؤيتها الأدب ، هذا فضلا عن تحريضها على الانتحار فى عناوينها التى تعنون بها حوادث الانتحار (الموت ولا الفاقة) (الموت ولا الرسوب) أيها القارىء المسلم : احذر من هذه الجريدة كما تحذر من النار الملتهبة والسم القاتل .

٦ — الأهرام والتبشير

كذلك نشرت الفتح فصولا عن موقف الأهرام من مركة التبشير فاذا هى تدافع عن المدارس الفرنسية التى يقوم بالتعليم فيها الرهبان الفرنسيون ، وهى التى جعلت اللغة الفرنسية فى الحقيقة والواقع اللغة الرسمية فى الدواوين والمتاجر والبورصات والجمارك وكل فروع الحياة فى البلاد حتى مجلس الوزراء . وتدعى الأهرام أن هذه المدارس اللاتينية الكاثوليكية لا تدعو غير الكاثوليك الى دين الكاثوليك وتريد أن توهم قراء الأهرام بأن مدارس الكاثوليك غير دينية واستدلت على ذلك بأن الفرير لا يسمح لهم بأن يعلموا الدين لأنهم يجهلونه . يقول رئيس تحرير الأهرام هذا القول بعد أن قرأ الصفحات التى شكا المسلمون عظيم الشكوى من وجودها فى كتاب (التاريخ المقدس) وفيها أقبح سفاهة وسباب فى حق أفضل خلق الله صلوات الله عليه الى أن انتهى الأمر بوعد القوم أن يمزقوا ذلك الموضوع من الكتاب ، تقول الأهرام هذا وهى تعلم أن تلاميذ مدارس الكاثوليك مجبورون على أن يصلوا الصلاة الكاثوليكية صباحا ومساء لا فرق بين الكاثوليكى والمسلم ثم تمن الأهرام على قرائها بأن مدارس الكاثوليك جعلت اللغة الفرنسية : اللغة الرسمية فى الدواوين والمتاجر والبورصات والجمارك ، ولو أن جريدة الأهرام تصدر فى تركيا لوجهت اليها تهمة الاهانة ولقابلها الشعب بالاعراض عنها والمقاطعة قبل أن تعاقبها الحكومة .

٧ — نقد أعمال جريدة الأهرام :

ثم وجه السيد محب الدين الخطيب الى داود بركات رئيس تحرير الأهرام خطابا قال فيه : ان تحامل الأهرام على الاسلام وأهله أصبح

ديدنا للصحف سواء عرضت لذلك مناسبة صالحة أو مناسبة غير صالحة ، ومنها كلمة (دمعة ملك) ان أمان الله خان رجل موتور قد سقط من أعلى المنارة الى أسفلها بلكمة قوية أصابته على يد علماء الأفغان الذين يسمون هنا (الملا) أى أذى نال داود بركات من علماء المسلمين حتى يضع على ألسنتهم ما يستحيل عليهم أن ينطقوا به ، حين حاول أن يصور علماء الأزهر فى معارضتهم للشيخ محمد عبده فى تنظيف صحن الأزهر وغيره كفرا ، ان عظام الشيخ محمد عبده تتألم الآن تحت الثرى من مقالة داود بركات التى كتبها فى معرض الدفاع عنه والتحامل على مخالفيه .

حاول فرح أنطون قبل داود بركات أن ينتصر لحرية المصلحين فى زعمه فاتخذ الحكيم الاسلامى ابن رشد ذريعة ليقول ان علماء المسلمين كانوا جامدين وأنهم حرضوا على ذلك الحكيم واضطهدوه ، وقد نهض للرد على ذلك الشيخ محمد عبده نفسه فنشر آياته البينات بعنوان (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) .

وكلمات داود بركات التى جاءتنا تلبس ثوب الدفاع عن الاصلاح الاسلامى ولن تحدث كلماتها معاول تقوض الاسلام واصلاحه جميعا وتمثل علماء المسلمين بصورة مزرية .

٨ — وواصلت الفتح الهجوم على أخطاء جريدة الأهرام فأشارت الى أنها تنشر باعجاب شديد أخبار المؤامرة الخطيرة التى يقوم بها أتا تورك ضد الاسلام وتدعو المسلمين الى مثل هذه الأعمال بزعم أنها نهضة وبينما يقوم الأهرام بهذه الوظيفة نرى السياسة فى شارع المبتديان وفى دار الهلال تقومان بنصيبيهما فى هذه الدعاية زد على ذلك بلايا الجامعة المصرية والرابطة الشرقية فأصبح المسلمون محاطون بشبكة مؤامرة هائلة ما زالت تعمى عليهم الحق .

وأشارت الفتح الى أن جريدة الأهرام رفضت محاضرة محمد على فان تنيم الهولندى التى ألقاها فى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة بعنوان (الاسلام والمسيحية) وقد كان كاثوليكيا متعصبا للكاثوليكية ثم

التحق باحدى البواخر الهولندية فساح عليها فى كثير من ثغور الوطن الاسلامى كالقسطنطينية وبيروت فحمله ما شاهده من عادات المسلمين وتقاليدهم الى دراسة الاسلام ، وقد حولت دراسته للاسلام وجهته عن غاية والده فى الحاقه باحدى الكنائس ، والتحق بالجيش الهولندى ، وقرأ عن الاسلام بالهولندية والألمانية والجاوية واتصل بالمسلمين الجاويين الموجودين فى هولندا فوجد نفسه مصدقا بصحة الدين الاسلامى .

وأشارت الفتح الى أن جريدة الأهرام تدافع عن قساوسة الكاثوليك المبشرين فى الديار الشامية ، وتعمل على تشجيع التبشير اليسوعى فى جبال العلويين حيث تؤيد فرنسا التبشير الكاثوليكى فى الديار الشامية كما أيدته فى المغرب .

٩ — نشرت الأهرام محاضرة مسيو تيجدور على ثلاثة أيام متتالية ، هذه المحاضرة تتحدث عن نظام الميراث وتنتقد نظام الاسلام وتنسب اليه الفظاعة فى توزيع الثروة وتمتدح البنك العقارى لأنه نزع ملكية ١٥٠ عزبة بها ٣٠ ألف فدان لعدم قيامهم بدفع قيمة رهنياتهم فبدلهم من اليسر عسرا ومن العز ذلا .

قالت الفتح : أعلن الأستاذ نزعة الرأسمالية التى جاء الاسلام يحاربها بنظام الارث الذى ينتقده الأستاذ لأنه يوزع المال بين الأفراد لينشر الديمقراطية فيما بينهم وهو لذلك يطلب نشر تشريع وضعى ينكل فيه ما جاء فى القرآن الشريف الذين يؤمن به ثلاثمائة مليون من النفوس وهو يشن الغارة على أن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين ويرى حرمان الأولاد من تركة أبيهم وحصر التوريث فى البكر وحده .

وقالت الفتح ان المسألة أكبر مما يبدو للأستاذ عزيز خانكى لأن نظام الميراث بحدوده المعروفة ليس فقط نظاما اجتماعيا بل عبادة لله تعالى تعد كل من يتعدى حدودها بالخلود فى النار والعذاب المهين .

ان المسألة فى هذا الموضوع لا يقوى عليها ايجاد التشريع الذى تطالب به حكومة مصر بوضعه لمخالفة أحكام الدين الاسلامى الذى هو دين الدولة الرسمى .

ثالثا : صحف دار الهـلال :

وواجهت الفتح مؤامرة صحف دار الهلال والدعاية ضد الاســـلام وهاجمت كتاباتها وصورها الاباحية فقالت : انها صحف تدخل الى العائق فى خدرها لتخرجها منها ، وهى مهوى الطالب والأستاذ والطفل والشيخ بما يظهر من صور تثير شهوت الشباب المتقد وتنشر فى الملأ أخـلاقا وادابا ما جاء الاسلام وهو دين الهدى ودين الحق ، الا حربا على كثير منها وقد أدخلوا فى أذهان الناس أن علماء الاســـلام جامدون رجعيون وأنهم هم المجددون المصلحون ، فكلما لاح لهم مقصد رموا الشيوخ والأزهر والمحاكم الشرعية بما تجدد به أداتهم وكانوا لا يكادون يصرحون بما تضمنته قلوبهم الا لماما ، ومن ذلك دعوتهم الى الغاء المحاكم الشرعية .

٢ — وقد كتب الشيخ أحمد محمد شاكر القاضى الشرعى الى دار الهلال فقال :

لاحظت مرارا فى صحفكم (الهلال وكل شىء والفكاهة) كتابات تمس الدين الاسلامى وتهزأ بعلماء الاسلام ، ولاحظ هذا الخزى كثير من الناس وآلمنا أشد الألم ما بصورة من جرايد مســيحية ليس لها أن تتعرض لدين الاسلام وأظنكم لم ترو جريدة اسلامية فى مصر تكلمت بكلمة تمس الدين المسيحى ، اننا لا نريد من صحف الهلال أن تكون نصيرة للاسلام ولكننـا نرجوها أن تبعد عن التعرض له فى كتاباتها .

٣ — وكتب الأستاذ حسن محمد يوسف رئيس شباب محمد صلى الله عليه وسلم (م ١٧ الفتح) ١٩٤٣ : لاحظنا فى السنوات الأخيرة من الهلال ومجلاته انحرافا خطيرا عن الغاية التى كان يجب أن يعمل لهـا فاذا (بالاثنين والمصور والايماج) تساير التحلل الخلقى الذى غمر البلاد، بل تعمل على اذاعته والترويج له بدلا من أن تحرص على مقاومته والكفاح ضده مما دأبت عليه من نشر الصـور شـبه العارية والمنافيـة للآداب ومناظر الحفـلات الخليعة وبما يروج له من مبادىء آثمة تنافى تقاليـد البلاد بل وتنافى كل عرف فاضل وذوق سليم .

بل ان الانكار على دار الهلال لم يزد الأمر الا سوءا ولم يقف عند هذا الحد بل تعداه الى السخرية من بعض الآداب الاسلامية العالية والنظم القيمة التى أحكم الشارع وضعها وكفل لها وللمجتمع كل طهر وفضيلة ورقى كالحجاب والطلاق وتعدد الزوجات ومهما يكن من التسامح الذى يطالبنا الاسلام به فليس فى استطاعتنا مطلقا أن نتغاضى عما نعتبره تحديا لدين البلاد وشعائرها وتحقيرا لمقدساتها ولا شك أن استمرار مجلات الهلال على السير على هذا السبيل لن يؤدى الا الى اساءة الظن بأصحابها والغاية التى يعملون لها ولاسيما وأنها تروج لنوع واحد من الآراء التى تعتبر مضادة للاسلام وشعائره فاذا طلب منها أن تنشر ما يعتبر ردا على هذه الآراء امتنعت كما فعلت مع حافظ عامر على مقال توفيق دياب .

ربعا : مواجهة الكتاب التغريبيين

سلامة موسى :

وقد واجهت الفتح سموم سلامة موسى فى مقاله (أوكار الرجعية فى مصر) ..

فكتب عمر الدسوقى يقول : لم يكن عجيبا من سلامة موسى أن يعد الذادة عن بيضة الاسلام أوكارا للرجعية ، ولم يكن عجيبا أن نسمعه بفحش القول فى الأمير الاسلامى المجاهد : شكيب ارسلان وينكره ببذاءة ليس أولى بها من قائلها ، وما كان هذا القبطى المعروف بعدائه للاسلام ليتعرض للأمير المجاهد بسوء الأدب لولا المواقف المجيدة التى يقفها الأمير فى سبيل اعلاء الدين الحق ، لباس جديد يرتديه سلامة موسى فى الطعن على الاسلام وما أكثر ما يتشكل به سلامة موسى ليخفى عن الناس أغراضه ويؤدى مهمته وهو فى مأمن من عيون النقدة ، لبس سلامة موسى ثوب الغيرة على مصر ، مع أنه سمسار الغرب والغربيين وراح يذم السيد رشيد لأنه سورى ، الذى يشغل سلامة موسى ويدأب دائما صوبه هو الغض من شأن الاسلام وذم المدافعين عنه ، ولهذا حشر فى زمرة الرجعيين اثنين أشهد أنهما من أكبر المجددين ، التجديد المثمر الناهض للأمة : محب الدين الخطيب ومصطفى صادق الرافعى . ولقد كان هؤلاء

سوريين أصلا فهم مصريون قلبا وعاطفة ودينا ولغة وان المصريين ليجلون هؤلاء الثلاثة ويعترفون بما لهم من قدم راسخة فى النهضة الأدبية فى مصر ، أبرأ شباب مصر الناهض أن يقع فى حبائل من يزعمون أنفسهم مجددين ومصلحين فليس ما يدعون اليه الا استعمارا دائما وذلا مقيما ، وماذا تبتغى أوربا من الشرق الا أن يندمج فيها اندماجا بعاداته وأخلاقه وينسى قوميته ويترك لغته .

وقال الأمير شكيب : ومن محاسن العرب أن يكون أعداؤهم مثل سلامة موسى اباحية يدعون الى اختلاط الأنساب ولا يرون بأسا فى أن لا يعترف المولود بأبيه وهى الشناعة التىأراد بعضهم أن يعزوها للبوتشفيك فيبرأ هؤلاء منها وأكبروا الأمر وهم البولشفيون الشيوعيون .

واشارت الفتح أن سلامة موسى يرى أن التجديد عنده هو نبذ الدين ظهريا والجمود عنه هو اتباع دين الله ، ومن كتابات سلامة موسى قوله : ان أفلاطون يبحث عن شيوعية النساء وفى ذلك الوسط الحر نشأ أدب نزيه خلو من القيود ولا يزال يوحى الى الكتاب وليس فى هذا النظام ما يخالف الطبيعة البشرية فان العائلة لا تزال موجودة بوجود الأم (م ٤ الفتح) .

٢ — وواصلت الفتح مواجهتها لسموم سلامة موسى : فقال لسنا فى حاجة الى التذكير بمن هو الكاتب المعروف سلامة موسى الذى اشتهر بأنه نزاع الى الهدم والتدمير . ان مصر العزيزة التى أضاء واديها قبسات النور فى فجر نهضتها أصبحت اليوم تكاد تستجدى لعصابة من الملاحدة الابيقوريين يرمونها عن قوس الزندقة ، بالسهم تلو السهم ، ويتآمرون على اسلامها فى الجامعات والمطابع وينفقون الليالى يدبرون الأمر لكيدها فى دينها ومعتقدها وايمانها ويجرؤون باسم التجديد الكاذب المزيف على الهزء بكتابها وشريعتها وتاريخها وآدابها ويعبثون كل يوم بيد من أيديهم الشريرة تجوس خلال حرماتهم المقدسة ، فاذا قال قائل أن سلامة موسى وشيعته الذين على مذهبه الاباحى ، يجب أن لا يكونوا فى مصريته ، نهذا لا محل له عن تحرى السنة الطبيعية فى المجتمع الانرسانى لأن هذا

المجتمع لابد أن يكون عالقا به من العناصر الفاسدة شيء بمقدار قل أو كثر ، ولكن وجه الاعتبار للقضية يفرض على مصر نفسها أن تكون فاعلة لا منفعلة ، فتنبذ هذا العنصر وتعدمه الحياة .

ماذا يريد سلامة موسى وماذا هو مذهبه ؟ يريد أن يطوى بساط الدين الاسلامي فى مصر وان يقوض عقائد التوحيد والايمان ويبطل الشريعة الاسلامية وتسقط تكاليفها وتنهار أحكامها ، ويقصد أن تنتهى مصر من اقصى الحرية الاجتماعية المفرطة سننا لها مصطنعا بدلا من سنن الاسلام وحدوده وان يحل الاستهتار محل الآداب والفضائل ، وهو يسمى هذا (الادب المكشوف) وأن يسر المصريون بقضهم وقضيضهم نحو الحضارة الأوربية يغترفون منها اغترافا مطلقا بلا قيد ولا شرط ومذهبه ظاهر ، فهو يقول ان الالتحاق بأوربة على هذا الوجه هو المنجاة الوحيدة لمصر من ربقة العهد الحالى — يعنى الاسلام وهو على راى زويمر راس المبشرين العاملين على اسقاط الاسلام من أن السبيل الأهون والأيسر الى ضعضعة هذا الدين تسليط الملاحدة من أبنائه عليه حتى يخرب بأيديهم ويكون المسلم الملحد حربا على المسلم المؤمن ، ومن ذلك هجومه على رشيد رضا ، وشكيب ارسلان ومحب الدين الخطيب ومصطفى صادق الرافعى (الفتح ١٣٤٨ — ١٩٣٠) .

٣ — ونقلت الفتح (م ١٩٣٢/٦) ما كتبته جريدة الجامعة العربية التى تصدر فى القدس عن سلامة موسى فقالت : لم تبق جريدة فى الدنيا تقبل أن يستخدم سلامة موسى الكاتب القبطى المتعصب على الاسلام ولا توجد جريدة تقبل أن تنشر له مقاله أو شذره أو كلمة وهو القائل فى مقال له :ان العالم يجب أن يكون حرا وان خالف الأخلاق فليكن له ذلك وهو الذى كان يشى بمجلات دار الهلال أثناء وجوده محررا بها .

نعم لم يبق انسان الا احتقر سلامة موسى أو أعرض عنه بعد تلك الفضيحة وبعد تطاوله بما لا يليق على الأمير شكيب وصاحب المنار وصاحب الفتح ، ولم تعد تقبله أى جريدة غير جريدة البلاغ المصرية وربما ظن الأستاذ عبد القادر حمزة أن سلامة موسى قد تاب وأناب ولكن سلامة

موسى وجد وسيلة أوسع انتشارا لاذاعة خبائثه ومعانده تلك هما جريدة البلاغ الاسلامية الوفدية .

فهل يدرى الأستاذ عبد القادر حمزة ما ينشر سلامة موسى فى جريدته فى العدد (٢١ أبريل ١٩٣٢) فى الصفحة الأولى تحت عنوان (الجزية السنوية التى كانت تؤديها مصر للسودان) ما نصه : وهناك (فى السودان المسلم العربى) نرى أهرام كتلك التى نراها فى الجيزة بناها ملوك كانت تجرى فى عروقهم دماء الفراعنة . هذا السودان الذى بللت أرضه بدماء جنودنا الذين استخلصوه من المهديين وردوه الى حظيرة الحضارة) .

وفى بلاغ ٤ مايو ١٩٣٢ تحت عنوان (شم النسيم) يقول :

هذا العيد هو بلا شك من أعيادنا القديمة التى تتصل ببعض آلهتنا المنقرضة مثل رع وأزوريس وغيرهما من الهة الفراعنة) .

وأريد أن أسأل هل بلاد السودان فرعونية ، وهل يعتقد حقا أن أخذ السودان من الدولة المهدوية الاسلامية المستقلة المجاهدة من الاستعمار ثم وضع السيطرة الانجليزية عليه كما يقول سلامة موسى هو رد الى الى حظيرة الحضارة وهل يعتقد عبد القادر حمزة أن رع وأوزوريس وآمون آلهته . ألم يقرأ هذه المفاسد الشيطانية فى جريدته وان كان قد قرأها فكيف سكت عنها ؟

٤ — وعادت الفتح الى مراجعة كتابات سلامة موسى (م ١١/ ١٩٣٧) :

قالت : الرجعية فى نظر سلامة موسى هى الاسلام وما نحوله من رجوع المسلمين اليه ونقف دائما عند حدود الدفاع المشترك تجاه الفئوس الكثيرة التى أعدت لهدم ذلك البناء المشمخر مقالة أوكار الرجعية من شكيب ومحب و ..

كتب سلامة موسى تحت عنوان فساد يتفشى فهو يرى ما يكتب عن الاسلام فساد يتفشى ..

كنا نحب ان نعالج الضغينة التى فى قلب سلامة موسى فنستلها وننظف قلبه منها ونبدله بشىء من المحبة التى أمر بها السيد المسيح صلوات الله وسلامه عليه ولكن ما دمنا نصدر الفتح فمن المستحيل أن يرضي عنا سلامة موسى وسيزداد حقدا وضغينة .

وقالت الفتح : قال عزيز جريس عطية عن المعز لدين الله : انه فاتح أجنبى (مع انه لم يكن فاتحا ولم يكن أجنبيا) وقال مرقص سميكه انه تنصر وقال سلامة موسى انه سمى القاهرة بهذا الاسم : يريد قهر المصريين والتغلب عليهم ، واذا كان شىء تغير فهو اسم الاسكندر لأنه منسوب الى اسم أجنبى وانا اكرر ذلك فانه تشويه للتاريخ .

واشد ما قاله سلامة موسى هو أن العرب لم يشتغلوا بالطب بطريقة علمية صحيحة ، وذلك لتحريمهم التشريح وقد اجاب عبد الحميد السيد واثبت أن الاسلام لم يحرم التشريح بالمعنى الذى يفهمه سلامة موسى وأن العرب كانوا يقومون بمختلف العمليات الجراحية بكثير من الآلات الطبية المعروفة الآن من مباضع وغيرها .

٥ — وقد وجه السيد مصطفى صادق الرافعى كلمة الى سلامة موسى قال فيها :

زعمت أن ليس فى دمى قطرة من الدم المصرى ، وهذا كذب فان والدتى مصرية وأنا مولود فى مصر وزعمت أنى أقول أن الأزهر لو كان قد أنشىء فى بلاد أخرى لكان له شأن عظيم وهذا كذب دنىء فان مقالاتى وكتبى منشورة مقررة وليس فيها ذلك ولا ما يشبهه ، وقلت أنى طبعت كتابا لى مرة ثانية وخشيت أن لا يشتروه فغيرت اسمه وأنا أتحداك أن تجيئنى بكتاب فى الأدب العربى بلغ رواجه ما بلغ كتابى هذا (اعجاز القرآن) ثم قلت وأراد أن تكون كلمة حسنة فى سعد باشا فقال عن جثمانه انه رمة من الرمم وأحسن الي قرائى بنشر كلمتي التي رثيت فيها سعد باشا [٥]

واشار محمد محمد الصيحى الى ان سلامة موسى يطعن على ادباء اللغة العربية وينادى بنشر الأدب الفرعونى (ان كان هناك أدب فرعونى) والدعاء للأدب الغربى ويرى أنه أقرب الينا من الأدب العربى .

٢ ـ الدكتور فخــرى :

ووجهت الفتح ردا مدحضـــا الي الدكتور فخري في اتهامـــاته التي وجهها للاسلام ،

ويقول عمر الدسوقى : طالما كنت اصـــارح اخوانى بالغرض الذى من اجله تأسست الجامعة الامريكية بمصر ، اهى للثقافة والتربية خالصة لوجه الانسانية ، ام هى لمهاجمة الاسلام بأساليب جديدة ، وانما تتخــذ من العلم والتربية ستارا تعمل من ورائه لتحقيق أغراضها وانها تستدرج شباب الاسلام الى سماع محاضراتها حتى اذا استأنس بها بعضنا أخذت تنفذ أغراضها بتشكيك المســـلمين فى أمر دينهم وفتنتهم عن معتقدهم ، والآن وقف الدكتور فخرى يخطب ويعرض بالشريعة الاسلامية ويزعم انها جائرة حيث كبلت المراة بالأغلال ونزلت بها الى الحضيض ، فانه لم يعد هنـــاك ريب فى نية جماعة الأمريكيين وانهم كانوا يمهدون الطريق طوال المدة السابقة لكى يصلوا الى غرضهم ، كيف تعرض للشريعة الاسلامية وهو لا يفقه فيها بحكم مهنته شيئا ولا بحكم دينه يعرف من الاسلام قليلا أو كثيرا . ان الاسلام يحتاج الى قوة تضرب على يد هؤلاء الضـــالين المضلين الذين يتعرضن له بالطعن وهم فى غواية يعمهون .

٣ ـ محمد عبد الله عنان :

وردت الفتح على الدعاوى التى نشرها محمد عبد الله عنـــــان فى جريدة السياســـة (م ١٩٢٩/٤) فنقلت ما : قاله الأســــتاذ عنان أن الأساطير اليهودية تقول ان البراق هو البقية الباقية من هيكل ســـليمان وترى فى التقاليد اليهودية الدينية أثرا من اجل آثار اسرائيل » .

وقالت الفتح : اذا كان الأستاذ يروى هذه العبارة حكاية الأساطير اليهودية بشأن البراق فقد كان مأمولا منه الا يمر على الأساطير دون أن

ينصاع الى جانبها فالحقيقة تختص بعلماء الآثار ومهرة المعماريين اكثر مما تختص بالأساطير وليس فى علماء الآثار من يقول بأن اى قسم من الجدار الغربى للحرم القدسى الشريف ، الجدار الذى عنده ربط الرسول صلى الله عليه وسلم براقه يرجع فى عهد بنائه الى زمن سليمان بل المتفق عليه قطعا أن هذا الجدار بنى فى زمن لاحق متأخر جدا فزعم اليهود ان الجدار بقية باقية من الهيكل ساقط أساسا لأن علم الآثار والمعمارية ينفيانه نفيا باتا .

واشارت الفتح الى أن عنان يقول : ان اليهود اعتادوا ان يحجوا الى هذا الأثر وان يتعبدوا حوله وقالت الفتح : ان الحج والعبادة عند الحائط وحصول هذا منذ بعيد ، بعيد عن الواقع فقبل مائة سنة تقريبا لم يكن عدد اليهود فى فلسطين يزيد على عدد اقل الجاليات الأجنبية فى مصر اليوم ، يعيشون فى كنف الحكومة العثمانية نجاة من الاضطهاد فى اوربا وفى كنف المسلمين فى القدس ما كانوا ليحجوا أو يتعبدوا عند الحائط فالمكان ليس الا عراء حيث لا معبد هناك ولا كنيسة فلما وجدوا هذا الحائط وسيلة للتقرب الى مكان الهيكل جعلوا يعظمون هذا الحائط ويتوسلون به لتقديس المكان كله وقد تساهل المسلمون معهم اشفاقا عليهم ولكن ما لبث اليهود أن جعل مسلكهم يذكر المسلمين بأن لا تطعم العبد الكراع فيطمع فى الذراع وفى عهد ابراهيم باشا أصدر مرسوما حذر فيه اليهود من محاولة اى شىء سوى الزيارة البسيطة .

هذا أساس الشىء الذى منح لليهود منحه وهم اليهود بعد أن دار الفلك دورته يحاولون بقوة بريطانيا البرية والبحرية والجوية الاستيلاء على الحرم نفسه .

٢ — وفى أحادث نشرها عنان عن منشأ الحركة الصهونية ، واشار الى ما كان لهرتزل أحد متقدمى اليهود من أثر فى هذا السبيل وذكر الحرب العامة وعون اليهود لبريطانيا الى أن وصل الى وعد بلفور ١٩١٧ وربط كل ذلك بفشيان اليهودلفلسطين واقبالهم عليها تعميرا وتحضيرا وترقية ،

وقالت الفتح : ان من كان فى فلسطين يعلم أن الأستاذ بكلامه هذا

اكبر اعمال اليهود اكبارا فائق الحد فما دل على انه لا يخلو ذهنه من نواح قابلة التأثير بالدعاية الصهيونية ، ولكن ما هو أعجب ، ومحل مؤاخذة أن الأستاذ فى كلامه عن الحركة الصهيونية لم يضع فى مقابلها الحركة العربية والثورة العربية فى الحرب العامة وقطع الانجليز العهد تلو العهد للعرب بأنهم مستقلون بعد الحرب فى ديارهم كيف وقف الأستاذ حيال الحركة الصهيونية معجبا وهى ترمى الى سلب بلاد من أهلها بمساعدة الدولة التى تاجرت بدماء اهل البلاد العربية وذكر الأستاذ أن اليهود فى القدس وهم مائة وثمانون الفا منهم فىالقدس ثمانون الف فهل اطلع حضرته على احصاء الحكومة الرسمى ، احصاء الحكومة الساعية فى انشاء الوطن القومى لسكان فلسطين ، اذا كان لم يطلع فاخبره أن عدد سكان القدس جميعا من المسلمين والمسيحيين واليهود لا يزيدون عن ٩٠ الفا منها نحو ٣٥ الفا من اليهود فأين الثمانون الفا .

٣ — وكتب كاتب آخر تحت عنوان : (هل الأستاذ عبد الله عنان يهودى صهيونى) قال :

كنت أظنه مؤرخا صادقا يشرح وجهة نظر العرب من ناحية ووجهة نظر الصهيونية من ناحية أخرى ثم يقضى على ذلك بالحقوق التاريخية والمكتسبة للغرب ولكنى وجدته خص نفسه بشرح نظرية اليهود واطرح أمر العرب وزاد الظن بدفاعه المستتر مرة والمكتشف مرة أخرى على القضية اليهودية ، فجعلت أعجب لهذا الكاتب واعتقدت انه اما معتنق مذهب الصهيونية يعطف عليها ويدافع عنها واما ذو هوى فى خدمة مصالح اليهود فراح يتهوس تحرقا على قوميتهم .

كل الصحف السيارة فى مصر فى واد وجريدته الشاذة فى واد آخر .

وينسى أو يتناسى أن فكرة الوطن القومى اليهودى اشتريت بأموال اليهود فى الحرب العظمى واستغلال ضعف العرب فاراد الصهيونيون أن يغتصبوا ارضهم وديارهم واموالهم بدون مسوغ من القوانين الوضعية والحقوق الدولية ، الا تلك الدعاية التى بثها اليهود فى انحاء العالم ، ولم

يعجزوا عن أن يجدوا فى مصر لسانا رطبا تحركه المصالح والأهواء ، أعنى لسان جريدة السياسة فى مصر فبينما فلسطين بحر من الدماء واليهود يتحرشون بأهل البلاد العزل من السلاح والعالم العربى والاسلامى يضج من هول المأساة اذا بهذا الكاتب وزمرته يقولون ما لا يعلمون (ص ٢٦٨ م ٤ الفتح) .

٤ — وكتب السيد محب الدين الخطيب معلقا على مقالات محمد عبد الله عنان عن فلسطين فقال : آتى فى هذه المقالة على أشياء لا يصح السكوت عليها لسببين : الأول لأن التقرير الذى نشره مناقض للحقائق والثانى لأنه مال على الصهيونية بكثير من الاشادة بذكرهم وذكر جهودهم وثمرات جهودهم فى فلسطين وما وراءهم قوة يهودية وغير يهودية فى الحاح بحيث كاد يلقى فى فهم القارىء أن الصهيونية فى طريق الفوز والنجاح . ثالثا : أنه فعل هذا دون أن يتوجه الى أهل فلسطين العرب بانصافهم فى مالهم من حق طبيعى فى بلادهم بل من حق كامل فى دفع الصهيونية عن البلاد دفعا مشروعا جائزا .

وقد خاضت (السياسة) فى الأيام الأخيرة بعد نشوب الفتنة فى فلسطين خوضات عديدة كان لها أسوأ الأثر فى نفوس عرب فلسطين وعرب فلسطين مسلموهم ومسيحيوهم لا يريدون من (السياسة) أن تدافع عن حقهم ، وما دامت السياسة تحارب المصريين لاعرابهم عن شعورهم نحو فلسطين باعتبارهم مصريين مسلمين بل ترجو أهل فلسطين من السياسة أن لا تكون عونا للصهيونيين فى دعايتهم فالقضية من جهة عرب فلسطين قصير دفاع عن وطن وأمة وبلاد .

٤ — عباس العقاد :

وأثارت الفتح الى مقال العقاد الذى أعلن فيه دهشته من ظهور عشرين كتابا عن الاسلام فى أقل من عام (محمد كرد على واحمد امين وهيكل وطه حسين وفريد وجدى) ويرى أن هذه ظاهرة اجتماعية لها سر وهى تساند ضد الحركة الوطنية (م ١٠/ص ٢٥٥) .

قال السيد محب الدين الخطيب : انا منذ بضعة عشر عاما الى الآن

أدعو شبابنا المثقف الى التخصص فى دراسة التراث الاســلامى العظيم وتنظيمه على النحو الذى فعله المستشرقون والمستغربون ولكن بنية غير نيتهم ، فهم ينظرون اليه بعين الضرة الى بنــات ضرتهــا ونحن نريد من شبابنا أن ينظروا اليه بعين الأم الى بناتها ، والمستشرقون يدرســون ليستعينوا به على استعمار أوطاننا ونحن نريد من مثقفينا أن يدرســوه ليصلوا به آثينا بماضينا ويتخذوا من قوته حصنا يجمع شـــبابنا ويحمى حمانا .

أنا أنشد نهضة اسلامية لها مدارس توجه ناشئة الاسلام الى هذه الوجهة ويمثل عندهم غيره على هداية الاسلام لا تزاحمها فى قلوبهم غيرة على أى شىء آخر والغيرة على هداية الاسلام كفيلة بتجهيز الوطن بجنود يحسنون الذود عنه ويضمنون خلاصه .

أنا أشهد نهضة اسلامية مؤيدة بصحافة يومية وأسبوعية وشهرية تحرص على تكوين هذه الحقائق فى الرأى العام الاســـلامى وتوجهه فى طريقهـــا .

٢ — وكتب (على أحمد باكثير) م ٩ من الفتح ١٩٣٤ تحت عنوان حديث مع ملحد يكتم عن قرائه الحاده قال انه التقى بأحد كتاب مصر ودار بينهما حوار ، فقال الكاتب الكبير :

ان الأمة ليســت بحاجــة الى الدين ولكنها بحاجة الى الأخلاق ، فالأخلاق وحدها هى التى ترفع الأمة الى مســـتوى الأمم الراقية وليس الدين ، قلت : انى لا أفهم فارقا بين الدين والأخلاق فالدين الذى تتحدث عنه هو الدين الاسلامى الذى هو دين الأخلاق والأخلاق فى أسمى مظاهره وأصدق مدلولاتها وحسبك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل: انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

قلت : انني قلت تربية اسلامية صحيحة ولم أقل دراسة عيون الكتب وشرحها ، يجب تربية الناشئة على المثل العليا فى الاســلام وتاريخه من التضحية والصبر والشجاعة والكرم والايثار والصراحة ، ونكران الذات

وتنشئتهم تنشئة عملية على الطهارة والصلاة ، قال ان أوربا العظيمة لم تنهض نهضتها الجبارة الا بالأخلاق بعد أن عاشت قرونا بدينها فى الظلام ، قلت لا قياس مع الفارق ، لا أظنك تجهل الفرق العظيم بين الدين الاسلامى والنصرانية ولا أحسبك الا ذاكرا تلك الكلمة الخالدة لجمال الدين الأفغانى ترك النصارى دينهم فتقدموا وترك المسلمون دينهم فتأخروا هذا محمد عبده أتراه يذهب الى ما ذهبت اليه فى أن تنبذ الأمة دينها وتذهب تستجدى الأخلاق أم يذهب الى طريقته المشهورة فى الاصلاح الدينى ونقرر أن الاسلام ضرورى ليس لسعادة الأمة الاسلامية فحسب بل لصالح العالم كله .

ملحوظة : صرح الأستاذ باكثير رحمه الله أن حديثه هذا كان مع العقاد .

٥ — زكى مبارك :

أشارت الفتح الى أن الدكتور زكى مبارك كتب مقالا فى البلاغ الأسبوعى فى نقد آراء ابن فارس فى فقه اللغة ، هذا النقد عنوان اتخذه لجرح الدين الاسلامى والعبث بآيات كتابه واطالة اللسان على العلماء والمجتهدين من أخيار المسلمين ، فقد اشار الى ما أسماه تناقض آى القرآن الصريحة وأثار الشبهة حول نص ثابت هو أن الله تعالى علم آدم جميع أسماء المسميات وعلم آدم بالمسميات كلها ثابت بنص الكتاب وعليه درج جمهور العلماء وفى مقدمتهم ابن عباس ، فما قاله تلميذ طه حسين رجم بالغيب وجنوح الى التضليل . وأشار الكاتب (على ابراهيم القنديلى) الى جرأة زكى مبارك على سيدنا ابن عباس وكيف سوغت له نفسه أن يطعن فى هذا الامام المتفق على ورعه وشدة تفوقه فى المسائل الدينية ، لقد أمعن هؤلاء الاباحيون بزخرف المدنية الغربية فعميت أبصارهم وطمست بصائرهم .

٦ — محمد التابعى :

وأشارت الفتح (مارس ١٩٤٢) الى مهاجمة محمد التابعى فى مجلة آخر ساعة للشريعة الاسلامية قال : المجلة التى تخاف على الزناة وعلى الحرامية من أحكام التشريع الاسلامى تتجاهل أن أحكام الشريعة الاسلامية

بحر لا ساحل له وأنه يتناول جميع علاقات البشر بعضهم مع بعض ، فى بيوعهم ومعاملاتهم المدنية وغيرها ، وأن الذين درســوه من علماء أوربا اعترفوا بأنه لم يخطر على قلب بشر معنى من معانى العدل الا وله ذكر فى كتب الفقه الاسلامى وقد لاحظه أئمة فقهنا وقالوا به وأرجعوه الى أصله من الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس ، اذا شاءت مصر أن ترجـع الى تشريعها الصحيح الذى لم يكن يعرف غيره منذ بضعة عشر قرنا فانها ستبدأ منه بالتشريع المدنى ، أما التشريع الجنائى فنحن أنفسنا نرى أن تسبق العمل به اصلاحات اجتماعية تقطع دابر الفقر المدقع ، الذى هو الدافع الأول الى السرقة والى أكثر الجرائم التى يتعرض أصحابها لطائلة القانون .

وقالت الفتح : مجلة يحررها كاتب مسلم فى مصر اسمه محمد يتهكم بالتشريع الاسلامى . هذا التهكم والأستاذ فمرى من كبار علماء هنغاريا يقول :

ان فقهكم الاسلامى واسع جدا الى الدرجة التى أفضى العجب كلما فكرت فى أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لبلادكم ، مسلم فى وطن الأزهر ينشر هذا الهراء بينما العلامة ســـانتلانا يصرف أنضر سنوات عمره فى تنظيم أحكام الاسلام المدنية منذ عام ١٨٩٩ وتعمل بهـا محاكم تونس المدنية بموافقة الاحتلال الفرنسى واستحسانه ، مسـلم فى ديار الاسلام تكون هذه ميوله من جهة الاسلام والتشريع المحمدى وأمين نحلة النصرانى اللبنانى يقول عن محمـد صلى الله عليه وسـلم ورسالته :

يا محمد : يمينا بدينى : اننا فى هذا الحى من العرب نتطلع اليك من شبابيك البيعة فعقولنا فى الأنجيل وعيوننا فى القرآن .

٧ — توفيق الحـكيم :

فى المجلد ١٣ من الفتح (١٩٣٨) كتبت الفتح ردا على مقال توفيق الحكيم (هل يوجد اليوم شرق) قال : الذين يسألون هل يوجد اليوم شرق

يريدون أن يقولوا هل للاسلام اليوم وجود ، ومدار هذا السؤال على مبدأ آخر يجب أن ينتهى من الحكم فيه وهو هل الحضارة الغربية كل لا يتجزأ ، فتحث الشرق على نهضته أن يأخذ بها كاملة من البرنيطة الى الحروف اللاتينية الى العطلة فى يوم الأحد ، الى اعلان أن الاسلام ليس دين الدولة الى تقويض الأحكام الشرعية الى الغاء الأوقاف الاسلامية الى اباحة زواج المسلمات بغير المسلمين ، الى ابطال أحكام الله فى المواريث وسائر الأحوال الشخصية ، الى غير ذلك من كل ما فعلته أنقره وما سوف تفعله أم أن الحضارة الغربية فيها الجانب القوى وهو جانبها المادى وفيها جانب ضعيف هو جانبها الروحى ويجب على الشرق فى نهضته أن يأخذ بالجانب القوى بتأسيس المصانع وتنظيم الحياة الاقتصادية أو اقتباس الأنظمة النافعة من العرب مع تجديد نهضتنا الاسلامية والتمسك بها والضرب على أصابع كل حامل قلم يزهد الناس فيها بالتصريح أو الكتابة وجهره أو دسا أونفاقا .

هل يوجد اليوم الشرق ؟

هو يسأل الا يزال الاسلام باقيا ، وهل لا يزال له أنصار أقوياء يعملون على بعثه وانعاشه واحياء سلطانه ، ونحن نقول له : ان الذى يقول بأن حضارة الغرب كل لا يتجزأ ويدعو الى الانسلاخ من الاسلام والأخذ بالتفرنج بكل ما فيه من قوة وضعف وجمال وقذارة ، هو رجل يغش المسلمين ويؤخر نهضتهم ويشغلهم بالسفاسف عن الحقائق لأن فى الغرب جانبا قويا وهو علوم وصناعات وأنظمة وجانبا ضعيفا ، كما أن فى الشرق جانبا قويا وهو الهداية المحمدية التى أوجدت ألمع نهضة فى تاريخ الانسانية ولن تصلح الانسانية الا عليها وجانبا ضعيفا وهو أبطاؤه فى الأخذ بالعلم الانسانى المشاع الذى كانت له حلقات ذهنية فى سلسلة تاريخية وسيكون لنا حلقات ذهنية مسلسلة مستقلة ، وقد أجمع الناصحون للشرق بأن نهضته ان لم يزدوج فيها علم العصر وأنظمته وصناعاته بروحانية الاسلام وهدايته ونوره فماقه الشرق المسخ والبوار ولا يرضى ذلك للشرق الا شانىء غبى آثم .

٨ ـ فريد وجــدى :

كذلك فقد واجهت الفتح ما كتبه الأستاذ فريد وجدى عن الكماليين فى تركيا فقالت :

تمكن الكماليون منذ سنين من استهواء الأستاذ فريد وجدى وتحريك عصبيته التركية التى يظن أنه ينتسب اليهـــا فأخذ من ذلك الحين يترنم بألحانهم ويضرب على نغمتهم فنشر فى مجلة الحديث الحلبية مقالة عنوانها (الروح العصرية نعمة الهية) قال فيها بعد أن التقط من تاريخ الاســـلام ما التقط (فان العناصر الأدبية التى تتألف منها الروح العصرية أرقى بمـــا لا يقدر من كل ما سبقها من العصـــــور الخالية . وقال : كان الناس فى الأزمان السابقة يعتبرون الحق للقوة وهى فى العالم الآن من يقول بهذا المذهب . لقد انقلب مؤلف كتابه المدنية والاسلام على آرائه التى عرضها الناس فصار يقرر الآن عكسها بل صار صاحب الرد على قاسم أمين فى موضوع السفور الحجاب يدافع لا عن رقص الكماليين مع غير محارمهم من نساء المسلمين فحسب بل يدافع عن زواج المسلمات منهن بغير المسلمين ولا تتحرك فى جسمه شعرة غضبا لهذه الأمة .

وظن الكماليون أنهم اكتشفوا فى صفوفهم رجلا كان المســـــلمون يحسنون الظن به ، فيخدعون الأمة ويدعونها الى مذهبهم ، ولكن ما كاد يجاهر بهذا الانقلاب حتى عده الناس شـــــخصا آخر غير فريد وجدى القديم .

وقالت الفتح : ان الشعب التركى يزعم أنفره لا تزال أشد الشعوب تمسكا بالاسلام لم ترده البرنيطه والحروف اللاتينية والأمر برقص النساء من الشبان والغاء الشرع الشريف الا استمساكا بكتاب الله وسنة رسوله.

وقد رد الأمير شكيب أرسلان دفاعا عن الأتراك العثمانيين وتاريخهم ودورهم العظيم فى الاسلام فى الفتح م ٦ ص ٦٥٧ .

٩ — محمود عزمى :

وعلقت الفتح على محاضرة القـــاها محمـــود عزمى فى باريس (م ٥/٥٦٦) قالت : ألقى الدكتور محمود عزمى محاضرة فى جمعية الثقافة العربية فى باريس موضوعها (تمتين الروابط الفكرية والاجتماعية بين بلاد العرب) قال انه فى أول الأمر كان فرعونيا من أهل الوطنية الضيقة ، فلما ذهب الى دمشق عندما ضربتها فرنسا بالقنابل رأى اهتمام أهل فلسطين وأهل سوريا بأحوال مصر واشادتهم بنهضتها ، ثم قابل فى دمشق أفرادا من قبائل الجزيرة فتأثر بفكرتهم ولكن لم يوافقهم على اطلاق لفظ (البلاد العربية) على الشرق العربى ثم اقترح (بلاد العربية) وقال أنه مسرور لأن الكثير من أهل الكتاب استعملوه .

ثم قال : ان هذه الوحدة ينبغى أن تبنى على اللغة فقط وأن تقسم بلاد العربية الى ثلاثة أقسام : المغرب ومصر والشام والعراق ثم الجزيرة، وبما أن مدنية الغرب هى المدنية الغالبة فينبغى أن نتخذها بلا انتقـــاء ، بمحاسنها وقاذوراتها ، ثم صب انتقاده على الاسلام وتعاليمه وعلى كتبه ذات الورق الأصفر وقد ألقى أحمد عبد السلام بلافريج سؤالا على المحاضر

هل دعوتكم الى اتخاذ مدنية الغرب بلا قيد ولا شرط ، أليس معناه القضاء على الثقافة العربية واضمحلال شـــــخصيتنا واندماجنا فى هيكل الغالب ؟.

ولا يخفى أن دعوته الى اتخاذ مدنية الغرب بحذافيرها انما معنـــاه استبدال الاسلام ومدنيته بشىء آخر ، معنى هذه المدنية التى يدعونا اليها، هذه المجتمعات كلها ظواهر تجمع بينها انتشار الخمر والكحول وانحلال العائلة فالمرأة تفعل ما تشاء والرجل كذلك ثم مزاحمة المرأة للرجـــل فى العمل الخاص به ، ثم انتشار الفحش ومخاصرة الرجل للمرأة عند الرقص، فاذا كانت هذه المدنية التى يدعونا اليها فتبا لها ، وليحيى مجتمعنا متوحشا متأخرا ، ان المجتمعات الأوربية كلها فى طريق الانحلال وفلاسفتهم يشكون من هذه الحال فانتشار الجرائم والفوضى وذيوع الأمراض السرية وانحلال العائلة كل ذلك يدل على احتضار هذه المدنية وانها لا شك زائلة .

٢ — وقد علق السيد محب الدين الخطيب فقال :

أن الاستاذ عزمى يكره ويعادى ما أسس على فكرة اسلامية فقط ولعله لا يزال يذكر أن شبان القاهرة لما قاموا بتأسيس جمعية الشبان المسلمين وكان عزمى محررا فى السياسة اجتمع به شباب من طلبة الجامعة المصرية وانكروا عليه احجام السياسة عن نشر أخبار الشبان المسلمين مع أنها تنشر أخبار جمعية الشبان المسيحية ، قال عزمى : وأى حاجة الى تأسيس جمعية للشبان المسلمين ومع وجود جمعية الشبان المسيحية ، فقالوا له : لقد أسست لتعريف غير المسلمين ونحن لا نريد عن اسلامنا بديلا ثم أنها جمعية أجنبية أمريكية ، ويقول الأستاذ عزمى أن تلك البلاد ليست بلادا عربية بجنسيتها ولكنها بلاد تكلمت العربية فيحسن أن تنسب الى اللغة لا أن تتصف بالجنس وهى فكرة تدل على ضعف معلوماته التاريخية عن أصل سكان العراق والشام وسائر الأقطار التى تتكلم العربية .

(٢)

الصحف الاسلامية

الفتح ، الاخوان المسلمون ، المنار ، الشبان

وكتبت الفتح عن الصحف الاسلامية فى مصر فقالت : (م ١٧)

ان المسلمين والعرب فى الوثبة التى يتأهبون فى عشرات السنين يحتاجون الى قيادة مرشدة فى صحافة غير الصحافة الموجودة اليوم ، وكان الفتح أول من شعر بهذه الحاجة حتى قبل أن يصير للعرب والمسلمين هذا الكيان الميدانى فلما صار للعرب والمسلمين هذا الكيان ظهرت للميدان (الاخوان المسلمين) واليوم فى القاهرة وتليها المنار اليومية فى دمشق ومجلة الشبان المسلمين أصدرها المركز العام للشبان المسلمين بحجم واف وأقلام بارعة ، وفى الاخوان المسلمين حركة لتحويل مجلته الأسبوعية الى صحيفة تنزل الى السوق) .

فما هى الرسالة التى يجب على الصحف وأمثالها اداؤها وما هى الخيوط الأساسية التى يجب أن ترسمها لنفسها ملتزمة السير بها وتعالج

العقبات التى يمكن أن تعترضها فى طريقها وكيف يجب ان يتخطاها ، ومن الخطأ أن تصاب صحافة المسلمين بما اصيبت به سياسة المسلمين من مرض الارتجال .

٢ — وقالت الفتح م ١٩٤٦ :

الصحافة أداة ارشاد ولا يكون الارشاد الا بتحويل القافلة الى الطريق الذى يعرفه من يتولى الاصلاح . كانت القافلة التى نحن فيها فيما مضى سائرة على غير الطريق لأنها خرجت من عصور الضعف والغفلة الى عصر الاستعمار والصحافة تولاها قوم اتخذوا الى هوى أهل القافلة وساروا معهم على شهواتهم فتحولت الصحافة عن الارشاد الى أداة تسلية ومتعة وهوى وتغرير .

كانت الفتح اول من شعر بهذه الحاجة ، قيادة رشيدة مرشدة من صحافة غير الصحافة الموجودة اليوم حتى أصبح للمسلمين والعرب اليوم هذا الكيان البدائى فلما صار للعرب والمسلمين هذا الكيان البدائى ظهرت الى الميدان الاخوان المسلمين اليومية فى القاهرة وتلتها المنار اليومية فى دمشق ومجلة الشبان المسلمين .

وكانت الفتح قد وجهت دعوة الى الصحف الاسلامية عام (١٩٣٨) فقالت :

هذه المرحلة : مرحلة مقاومة الاستعمار فى كل أجزاء العالم الاسلامى هى القضية الأولى أساسا ومنها تنبثق القضية الأخرى : قضية المحافظة على الذاتية الاسلامية وتحريرها من التبعية والتغريب عن طريق انفاذ التشريع الاسلامى وايقاظ المشاعر الى تكوين الشخصية الاسلامية وبنائها . وأشارت الفتح الى قضايا طرابلس الغرب وقضية فلسطين التى أولت الفتح لها اهتماما ضخما واسعا لأمران : المسجد الأقصى وقيام دولة لليهود مع ما فى تونس والجزائر والمغرب من مكائد الاستعمار الفرنسى وأشارت الى طرابلس الغرب بين انياب الذئب الايطالى، واشارت الى تعطيل الشعائر الاسلامية فى المسجد الأقصى ثالث الحرمين واولي القبلتين .

٤ — وتحدثت الفتح عن صحافة الشهوات والفجور سنة عام ١٩٣٣ وأشارت الى مجلة الراديو التى يصدرها محمود عزت المفتى وأشارت الى ما تكتبه مما وصفته بأنه قاذورات تلطخ صفحات المجلة باســـم الأدب المكسوف والأدب الوضيع قاصدة الى اتجار شنيع ببضاعة أحط الشهوات وأخسها فهى تعرض أنواعا من الشهوات والفجور بغير ما قصد الا اهاجة الشهوات الدنيئة راغبة فى الكسب وليس من المعقول أن ينسب هذا للعلم أو الفن .

٤ — كما أشارت الى مجلة الرابطة الشرقية التى يتولى تحــريرها على عبــد الرازق (الفتــح م ٣ ص ٣٠٧) ، فأشارت الى جهـــله بأوليات قواعد الاسلام وبالفوارق الأساســـية بينه وبين النصرانية حيث تقول مجلة الرابطة الشرقية : فى مسألة البراق فوق المسيح وهل للمسيح قبر ، اما أن يكون جاهلا بهذه الحقيقة واما أن يكون يعلى عقيدة الكنيسة فى المسيح على العقيدة التى أخذناها من القرآن .

ونشرت الفتح راى سعد زغلول فى على عبد الرازق فقالت : انه قال عنه : (لقد عرفت أنه جاهل جهلا غريبا بقواعد دينه وحتى بالبسيط من نظرياته والا فكيف يدعى أن الاسلام ليس مدنيا ولا يصلح للحكم فأية جهة مدنية لم ينص عليها الاسلام ، هل البيع أو الاجارة أو الهبة أو أى شىء من المعاملات الأخرى ، ألم يدرس ذلك فى الأزهـــــر ، وهل لم يكن الواقع أن أمما كثيرة حكمت بقواعد الاسلام زمنا طويلا كان أنضر العصور وهل لم يسمع أن أمما تحكم بهذه القواعد الى اليوم فكيف لا يكون الاسلام مدنيا ودين حكم ؟ وأعجب من هذا ما كتبه فى الزكاة فأين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينية) وعندنا أن هذا الذى يقوله سعد فى على عبد الرازق هو من باب الخلاف الحزبى والا فان سعد زغلول الذى ولى الحكم كان منكرا فى أعماله وتصرفاته لمفهوم الاسلام الحقيقى .

٥ — ونشر على الطنطاوى فصلا فى الفتح فضح فيه المؤامرة التى دبرها فؤاد افرام البستانى (خليفة لامنس) فى تعصـــبه وغرضه ودسه والدكتور أسد رستم زميله فى تأليف كتاب تاريخ البيان الموجز وما ضمناه

هذا الكتاب الذى عهدت اليهما الحكومة بتأليفه ليكون كتاب تاريخ فجعلاه كتاب أغلاط وأكاذيب وتبشير بالنصرانية واللبنانية وطبعته جريدة المكشوف وتقرر تدريسه رسميا فى مدارس لبنان فنهض الدكتور عمر فروخ وزميله الأستاذ النقاش فنشرا فى جريدة بيروت فصولا طويلة فيها نقد تفصيلى وبيان لما فى الكتاب من الاغلاط الشنيعة والكذب على التاريخ والتحريف والتزوير والطعن بالقرآن من وراء حجاب الدعوة صراحة الى مذهب النصارى واعتقادهم فى عيسى عليه السلام وأعلن الكاتب أنه أول من دعا الى مقاطعة مجلة المكشوف ونبه الى ضررها الأستاذ عبد الله المشنوق مدير مدارس المقاصد الخيرية ،

ثم ما لبث صاحبها أن أصدرها أدبية وانتقل من الانحلال الأخلاقى الى الانحلال اللغوى فشرع يهجو كل أديب له شهرة أو مكانة ، وهى مجلة تدعو الى طرح البيان العربى بتوجيه هم الشباب الى العناية بالمعنى دون اللفظ لصرفهم عن لغة القرآن ويدعو الى عصبية لبنانية ، وعصبية ملية .

وقال ان فؤاد حبيش الف كتابه الرسول العربى الذى دعا فيه الناس بلغة محطمة فكره واسلوب ساقط وعامية ظاهرة الى التعرى من الثياب والتعرى من الأخلاق والدين وأنشأ مجلة داعرة كأنها ماخور سيار موضوعها أخبار الزنا واللواط وحكايات الفحش فجريدة المكشوف تكره البلاغة لأنها سمة القرآن وتفضل عليها الركاكة الاكليركية وتدعو اليها وتبغض الفضيلة لأنها من أسس الاسلام وتؤثر عليها رزيلة الغرب وترغب فيها .

٦ — واشارت الفتح الى اساءة الصحف السياسية للأمة الاسلامية (م ٤) فقالت :

ان هذه الصحف ما زالت تلقى فى القارتين سما زعاما جعل القارىء يتخيل ان شعائر الدين الاسلامى ما هى الا الخبالات والأوهام مما يجرى على أسنة الأقلام عنه والبراءة منه والخجل من التحلى به وذلك ما تنشره

فى الحجاب واستعباد المرأة المسلمة زعم باطل وانتهاج كتابها بالاشارة بخروج تركيا عن الاسلام وطرح تقاليده وتوجيههم قوارض اللوم الى أمان الله وثريا بعد فشلهما لا لأنهما أساءا الى الاسلام بل لأنهما لم يجيدا تمثيل دورهما تماما ومن ذلك غفلة بعض المسلمين حتى أن أحدهم اشترى مختبرا فنيا لمدرسة الأمريكان التبشـــيرية اعترافا بفضلها على ما قامت به من تسميم معتقدات فلذة أكبادنا وما حطمت من تعاليم الاســـلام فى بلد أعظم سكانه مسلمون .

٧ — وأشارت الى أن الرصافى ارسل قصيدة من بغداد ينجد بهـــا اخوانه ملاحدة مصر ، ويؤيدهم فيما يكيدون به لدين الاســـلام ، وقال الرصافى منتصرا لطه حسين وعلى عبد الرازق وقصيدته تضم الاستهانة بالله وكتابه والاستخفاف بالمسلمين وعقائدهم .

وقال الفتح أنه اذا كان الشاعر يبرىء نفسه بأن يتحلى بالأســـاور فى الجنة فليعلم أن الله أعد له ولأمثاله حلية اخرى فى النار وهى سلسلة ذراعها سبعون ذراعا .

وأشارت الى أن محمود عزمى فى زيارته لفلسطين طلب الى المسلمين قطع صلتهم بجزيرة العرب لأنها متمسكة بالاسلام ، وقد ردوا عليـــه وأفحموه ، فقال أنه مسلم بينما قال لموظف التعداد أنه لا دين له ووضع فى مكان الدين ثلاث نقط .

٨ — وواصلت الفتح هجومها على الصحف المصـــورة التى تحض على الفجور وتهون أمر الاعراض وتملأ رءوس القراء والقارئات بحكايات الفسق كأنه أمر عادى وكأنه هو الأصل وجل ما عداه شىء غريب .

(٣)

المسلمون ومنهج أتاتورك

وأفسحت الفتح مجالا واسعا للكلام عن حركة التغريب التى يقودها أتاتورك فى تركيا (م ٤ — ٦٨٩) قالت أن تصريحات أدلى بها مصطفى كمال مع مؤرخ المانى كبير نشرتها عدة صحف ، خلاصة هذه التصريحات أن الترك لم يكونوا مسلمين وان مبادىء الاسلام لا تلائم طباعهم ، ولذلك أقفرت المساجد فى تركيا من المتعبدين وأن الترك يعرفون الطبيعة من سحاب ونجوم ولا يحترمون شيئا وراء ذلك .

وكتب كاتب عظيم من عظماء المسلمين (ونظن أنه الأمير شكيب أرسلان) يقول أن خطر البرنامج الكمالى كان شديدا جدا على الاسلام لأن المسلمين تعودوا رئاسة تركيا ، فلو كفرت لكفروا معها ولا يمكن أن يتصوروا أن تركيا تخطىء واذا اعتقدوا أنها أخطأت فعندهم عقيدة من أشنع ما يوجد وهى أنه لا يوافق نشر تخطئتها والحملة عليها — ولقد كانت (أنقره) تدعو المبشرين علنا الى بث المسيحية فى الاتراك ، وتقول لا يهمنا أن يكون التركى مسلما أو مسيحيا ، ما يهمنا أن يكون تركيا ، ولكن لما تنصر بعض البنات فى بروسه هاج الشعب التركى وخيف من الثورة على الحكومة وصار المسلمون يقولون : اذن أنتم تريدون تنصير الأمة لا التجدد ، فسارعت أنقرة الى التحقيق برغم أنفها وتفضت غزلها الأول واضطر الكماليون الى ايقاف السياسة اللادينية ومنع التعليم المسيحى كما منعوا الاسلامى .

وأشارت الفتح الى أن مصر واجهت الكماليين وان (كوكب الشرق) ظهرت بالمظهر الذى يضعها فى الصف الرفيع من فئة الحماة للدين والعقيدة والأخلاق ، وأشارت الى أن الكثير قد هبوا لنصرة الدين وألفوا الكتب فى هذه المدة الأخيرة واضطهدتهم القوى ولم يبالوا ، أما الذين هبوا لنصرة الاسلام فى مصر فهم السيد رشيد رضا وأمين الرافعى وعبد العزيز جاويش ومحمد الخضر حسين وأحمد تيمور وعبد الحميد سعيد والفتح ومراسلوه، والسيد مصطفى صادق الرافعى وجريدة الشورى والشيخ محمد شاكر

وعبد الباقى سرور والأمير عمر طوسون ومحمد نجاتى توفيق ، هؤلاء فى طليعة الجيش ولولاهم كان الاسلام يتضعضع أضعاف ما تضعضع ، وبهم امتدت الحركة الى سائر الأقطار الاسلامية وفتحت قلوبا غلفا وآذانا صما وأعادت صدى أصواتهم جرائد فى المغرب وجرائد فى الهند وجرائد فى الجاوى وأثارت كوامن كانت فى النفوس تريد الاندفاع ، أما فحل الفحول الصائل الذى ارى فضله اكبر من فضل الجميع فهو مصطفى صبرى شيخ الاسلام السابق لأنه تركى ابن اتراك وتراه فى وسط المعمعة يقاوم بجريدته (ناردين) مقاومة الأسد الذى يذود عن اشباله بقلم امضى من القضاب وبأنفة الأسد العصور اذا تعاودت عليه الذئاب : هذا المقال كتبه شكيب ارسلان .

واضاف محرر الفتح : ويحلو لنا أن نعيد هنا ان أول من لحظ الخطر وأول من اكبر سكوت المسلمين عنه هو الأمير شكيب ارسلان وهم لا يعلمون كيف يصنعون لاسكاته ومما يدعو ان حركة الذائدين عن الاسلام أثرت أيضا فى تركيا تأثيرا عظيما وكفت من غرب الالحاد فى انقره وظهر صوت ثان لصوت مصطفى صبرى هو محمد على وزير الداخلية السابق الذى أصدر جريدة اسمها الجمهورية المقيدة تصدر بالفرنسية فى باريس

ثم قال : يقتضى الانصاف أن نذكر من فرسان هذه الحلبة :

محمد أحمد الغمراوى ، الدكتور الدرديرى ، عباس حافظ ، محمد شريف ، الدكتور أحمد فؤاد ، الدكتور محجوب ثابت ، جميل الرافعى : هؤلاء المناضلون عن الدين الاسلامى والثقافة العربية ، ومقال الأمير شكيب أضاف به أسماء كثيرة فى الشام والمغرب (ص ٧٦٠/م ٤) .

٣ — وكتبت الفتح م ٤ (سنة ١٩٣٠) عن حركات الالحاد فى مصر وانصراف الصحف الاسلامية عن العناية بهذا الخطر جعلت الميدان خاليا للملاحدة طوال السنوات الأخيرة وهى صحف رحبة تنطوى على ثمانى صفحات فسيحة الصدور ضافية الذيول تصدر فى عاصمة اسلامية ، هذه الصحف وهى أجل ما أنبتته الآلة الحديثة ، وراحت منغمسة فى لجة السياسة ، فانبرى هدام الدين والمستقتلون فى مهالك الالحاد يهيئون

الفرصة واستطاع رواد الباطل أن يكمنوا وراء كل خلاف ليقطعوا على الأمة طريقهـا الى دينهـا ، ولابد من الصراع بين الحق والباطل واغفال هذه الحقيقة تفريط وعدم أخذ العدة لها خيانة .

أنترك الرأى العام الى ما شاء الله فريسة لسلاب الأديان والعابثين بشرائع الله فى حلقته يفسدون ويزيفون ويخدعون ويمكرون ، أتظل المطابع تترك الملاحدة لزعزعة الأسس التى يقوم عليها نظام الجماعة والأمة .

ان الدور الذى يقوم به الهدامون الملاحدة من عدة سنوات يجب أن يقف عند هذه المرحلة الأخيرة التى ظهرت أخيرا فى مصر ، الملحدون تسلموا بالمطبعة والنشر ، فعلى المؤمنين أن يتسلموا بالمطبعة والنشر .

٣ ـ وقال الشيخ أحمد محمد شاكر : لقد صارت الأمة فى خطـر شديد من هذه الخطط التى وضعت فكادت تقضى على عقائد شـبابنا وأخلاقهم وتهذيبهم فهل تجد فى رجالها وكبرائها من يعينها ويحفظ عليهـا ما بقى من فضائل . ان عاطفة تقليد الأجانب استولت على أكثر الأفئدة ، ويظهر أن الجامعة المصرية لا تريد أن تقف عند حديث الدعوات الالحادية ، ولا يكتفى بما يفعل بعض أساتذتها ، ففى أحد المحاضرات قال أحدهم أن فى أديان الهمج شرورا فوق شرور فهو يعتقد بالشـياطين والعفاريت ، كيف يقال مثل هذه الكلمة فى وسط أمة دينها الاسلام ومن الأشياء المعروفة فيه والمنصوصة صريحا اذ أمرنا بتصديق القرآن وتصديق الرسول .

٤ ـ وتحدثت الفتح عن الصحافة العربية فى مصر ، وأن مصر قد بدأت تظهر فيها ثمرات اعلام رجال نرى منهم من يفخر بماضينا ورجالهـا ويشيد بعبقريتهم ونبوغهم وصادق جهادهم وحسـن بلائهم ونرى بينهم القائمين بمهمة الدس لجمهور القراء متعمدين أن يفسدوا عليه بغيته ومن شينات الصحافة فى سهولة زيوع الشىء منها فالذين يكتبون عن جهـل لا يخلو منهم زمان ولا مكان .

٥ ـ وفى مقال عن الصحافة الاسلامية يقول السـيد محب الدين الخطيب :

يجب أن توجد للحق والخير صحافة قوية حكيمة تعارض عناصر الشر فى هذا التيار وتكوين الرأى العام تكوينا جديدا يؤهله للارتقاء الخلقى والاقتصادى والعلمي وتكون لها خطة ثابتة صريحة لا يعرف الشيطان بها مدخلا .

والصحافة هى التى تتولى قيادة الرأى العام فى هذا العصر ، وكل رجل منا واقع تحت تأثير الصحافة مهما يكن واسع الاطلاع ، فالصحافة هى أعظم القوى الى التيار الفكرى فى العالم وهى القوة الأولى التي يمكنها أن تقف فى وجه التيار تدفعه وتحول مجراه .

وليس من الصواب اعتماد الأمة على الحكومة فى انشاء المدارس لأن الحكومة تعنى بتخريج رجال صالحون لادارة الادارة الحكومية ، لذلك ترى الأمم الأخرى تقيم جماعاتها الدينية ورجالها الاخصائيون فى التهذيب مدارس غير مدارس الحكومة يكاد يكون المثل الأعلى فى الانفاق واحكام الخطة وبناء أبناء الأمة وبناتها على المثال الذى تحتاج اليه الأمة فى حفظ دينها وفضائلها .

٦ — وتحدث السيد محب الدين الخطيب عن الصحافة الأسبوعية فقال :

الصحف الأسبوعية وقعت قبل الحرب بأمد طويل فى أيدى بعض المرتزقة ، الذين لم يتحلوا بالقدر الكافى من العلم ، ولم يرزقوا البيئة الصالحة التى تؤهلهم لوظيفة الارشاد ولم تكن الأعراض محمية بالقانون الى الدرجة التى عليها الحال الآن (١٩٣٤) فكانت بعض الصحف الأسبوعية أسبوعية بالاسم ولكن الناس لا يرونها الا اذا أراد خصم أن يسقط خصمه من عيون الجهلة فيدفع لصاحب الجريدة ثمن الكتابة عدوانا وبهتانا ، فيما عدا ذلك كاتب الصحيفة الأسبوعية تنزل بعقول قرائنا الى دركة ينكرها المنطق .

أن كثيرا من الصحف الأسبوعية تعيش مع قرائه — وهم جمهرة الشباب من فتيان وفتيات — فى جو خاص هو جو هوليود فى أمريكا وشارع

عماد الدين فى القاهرة وما أشبه هاتين فى كل بلد من بلاد العالم فطلبة المدارس الثانوية والعليا الذين يواصلون قراءة تلك الصحف يعرضون دقائق أخبار نجوم السينما بتفاصيلها وجزئياتها أكثر مما يعرفون المقرر عليهم فى التاريخ والجغرافيا وسائر العلوم ، وصاروا يأنسون بحياة الغرام التى تحياها أهل تلك البيئات ويعتبرونها المثل الأعلى الذى ندعو الحضارة الى تقليده وتمثيله فى آفاقنا الاسلامية ، ان من أعظم الأخطار على الشرق العربى وعلى ما نطمع فيه من نهوض واستقلال وتجديد ، أن يتقى النشء جاهلا سجايا البيئات الراقية فى الأمم التى ملكت ناصيته الدنيا وأن تكون ما يعرفه أبنائنا عن أوربا وأمريكا هو هذه البيئات التمثيلية وما يقع فيها من حوادث الغرام الصادقة والكاذبة .

ان هذه الصحافة التى تستمد موضوعاتها من هوليود وشارع عماد الدين وحمامات البحر قد حرفت الشبان عن المطالعة فى الكتب النافعة .

ان الصحف التى تتقرب الى الجماهير بتقديم هذه البضاعة الفاحشة لا تتورع أيضا عن أخذ الأموال الباهظة أجرة لنشر اعلانات الخمور والملاهى ، أما الصحف التى لا تغنى الا من الاشتراكات فان العدد الأكبر من نشراتها لا تخرج قيمة الاشتراك من جنيه الا بصعوبة بالغة .

الفصل الثانى

تاريخ الاســـلام والتـــراث

أولت الفتح اهتماما كبيرا لتاريخ الاسلام والتراث الاسلامى بوصفهما مصدرين من أبرز مصادر اليقظة وعاملين من عوامل النهضة ، وقد حرص السيد محب الدين الخطيب ايراد معظـــم الكتابات التى قدمها الغربيون عن عظمـــة الحضارة الاسلامية فالدكتور بيارو دورج رئيس الجامعـــة الأمريكية يقول : (م ١٢) ليست عظمة العرب عن طريق تراثهم المادى ولئن كانت لهم تجارة فهى غير كافية لتكوين تلك العظمة ولا ترتكز عظمتهم على معدات حربية جبارة أو جيوش جرارة ، ولكنها عظمـــة ترتكز على الروحانيات فالدين مبعثها ، فالروحانيات سر عظمة العرب واذا أرادوا النهوض لاعادة مجدهم فليمسكوا بالعروة الوثقى .

وقد عقـــد السيد محب الدين الخطيب فصـــلا مطولا تحت عنوان (أمجادنا) قال : ان من أعظم مصـــادر القوة فى الغرب ، حســـن بيانهم لمكنونات أمجادهم وبث الايمان فى قلوب أبنائهم بأنهم أمة محبـــة ، وأهل بطولة وأصحاب قوة ، وأيد فى المحافظـــة على الأمانات العـــامة التى يتوارثونها جيلا عن جيل من أوطان وعقائد ومفاخر ورسالات ســـامية ، ولو أنك اطلعت على أساليبهم فى بيان انكسار جيوشهم الصليبية فى موقعة حطين أمام جيوش المسلمين الظافرة لرأيتهم فى التعبير عن انكســـارهم أقوى منا فى التعبير عن انتصارنا ومن هنا كان التاريخ أدخـــل فى باب الفنون من فى باب العلوم .

ويقول : ان لتاريخ الأمجاد ثلاث عناصر (أولها) وقوع الأحـــداث المجيدة (والثانى) حفظ أخبارها و (الثالث) حســـن التعبير عن هذه الأحكام .

وكل من عنى بتاريخ العرب والاســـلام عناية صحيحة ووفق الى مقارنته بتاريخ الأمم الأخرى ووقف على دخيله أبطال الاســـلام وأبطال

سائر الأمم يؤمن حقا بأن البطولة التى صدرت عن قادة الاسلام وحماية ما اتصف به هؤلاء من نظافة السريرة ونقاء النفس وسلامة الضمير لا يكاد يعدلهم فى ذلك رجال أمة أخرى ومن حسن الحظ أن أخبار الأمجاد الاسلامية دون أكثرها ، وقد يكون بعض دواوينها لم يطبع بعد ، ولكن يمكن الوقوف عليه أما من مظانة فى دواوين التاريخ أو عن مظانة من الكتب التى تعرضت لكثير من الحوادث على سبيل الاستطراد . فالذى ينقصنا هو العنصر الثالث من عناصر تاريخ الأمجاد الاسلامية وهو حسن التعبير عنها ، ان الذين كتبوا تاريخ الاسلام أو نقلت عنهم أخباره واحد من اثنين أما أحدهما فمن أهل التقوى والعناية فى الرواية ، ولكنه اعتبر المثل الأعلى لامامة المسلمين وولاة أمورهم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فهو لا يكتب تاريخ الخلفاء والقادة والفاتحين الا على ضوء هاتين السمتين ، ولذلك كان يرى النجوم من أصحاب رسول الله كما نرى نحن نجوم السماء والشمس طالعة . فاذا استعرض حوادث خلافة معاوية رضى الله عنه استعرضها تحت أشعة تينك الشمسين عبد الملك ، هشام ، سليمان ، هارون ، المأمون ، كانت أنوار نجومهم كاشفة عنده مع أن حياة أصغر واحد منهم اذا نظرنا اليها كما ينظر الافرنج الى حياة عظمائهم ، ولو استقرأنا الظروف التى أحاطت بأكثر ما صدر عنه من المآل ينتهى بنا الى تاريخ جديد لأسلافنا فظهر فيه للوجود دخائل وأسرار لا تزال مجهولة من أكبر قراء التاريخ الاسلامى .

أما الرجل الثانى فهو الذى تقرب الى دولة جديدة بتشويه سمعة دولة سابقة ، أو الذى يقرب الى مذهبه أو الى عصبته بذم دولة قام مذهبه أو عصبيته على التعبير منها وتشويه سيرة رجالها بالحق أو الباطل .

ولكن مادة تاريخنا محفوظة على أى حال فهى أشبه بالحجارة لمن يريد أن يبنى بها صرح للتاريخ اذا فيض الله لتأريخ الاسلام رجلا قويا يستطيع أن يتجرد من الجرتنات التى انقضت ومآتت وتنظر الى البشر بعين نعرف مواطن الضعف والقوة فى البشر .

٢ — أشارت الفتح م ١٤ الى ما كتبه حافظ عوض فى كتابه فتح مصر الحديث حيث قرر أن نابليون بونابرت لم يعتنق الاسلام مطلقا وان نابليون هو ابن الثورة الفرنسية ولم يكن له اعتقاد صحيح فى دين من الأديان وأنه كان ينوى التظاهر باعتناق الدين الاسلامى اذا استحالت عليه العودة الى فرنسا وأنه كان يرى فى سيولة الدين الاسلامى وموافقته للفطرة الانسانية ما حببه اليه وأمال قلبه اليه .

٣ — عقدت الفتح فصلا مطولا عن أثر الاسلام فى التاريخ الأوربى بمناسبة صدور كتاب بعنوان (محمد وشارلمان) لهنرى بيرين (م ١٤/ ٩٠٩) أشارت اليه الهلال فبراير ١٩٤٠ .

قال : لقد قصد مؤلفه الى تبيين أن الاسلام كان القوة الهائلة التى حولت مجرى التاريخ الأوربى حتى ليمكن أن يقال أن العصر الوسيط والنهضة الحديثة هما ثمرتان من ثمرات ظهور الاسلام . وقال ان نقطة التحول فى التاريخ الأوربى هى التى أسقطت عندها الامبراطورية الرومانية ، فما هى القوة التى أدت الى ذلك ، أما أغلب المؤرخين فقد أجمعوا على أن الشعوب الجرمانية التى كانت تعيش على تخوم الامبراطورية الشمالية حتى حدود الرومان هى التى أحدثت هذا التحول وقضت على دولتهم ، أما هنرى بيرين فيرى أن هذه الشعوب كانت من هوان الشأن وضيق الحياة الى درجة يجعلها تنظر الى الرومان نظرة العبد الى السادة فما كان يخطر لها بل وما كانت ترغب أبدا فى أن تناوى روما وتقضى عليها ، أما المسلمون فكانوا يعتقدون أنهم أرقى وأسمى من الرومان فى جميع أسباب الحياة ولا سيما من الناحية الدينية التى كانت مبعث قوتهم ومصدر تشريعهم فلم يحجموا عن منازلة الرومان ليقضوا على سطوتهم وسيادتهم .

وأشار الى خطأ المؤرخين الأوربيين فى اعتبار حادثة اجتياح الشعوب الجرمانية لدولة روما الغربية حدا فاصلا بين العصور القديمة والعصور الوسطية عن تقسيم تاريخ الانسانية الى قديم ومتوسط وحديث ، وانسياق مدارسنا الاسلامية وراءهم فى هذا الخطأ التاريخى

وان تعصب الأوربيين القومى هو الذى منعهم من أن يعترفوا بأن ظهور الاسلام هو الحادث الانسانى العظيم الذى غير قوى التاريخ وكان حقا أن يعتبر الحد الفاصل بين القرون الأولى والقرون المتوسطة .

(٣) التــــراث

واشارت الفتح (م ١٧) الى اهتمام السيد محب الدين الخطيب بالبناء التربوى ولذلك فقد كان يورد كثيرا من النصوص الاسلامية التى تمثل عصر الرسول بما يمكن أن يوصف بأنه تراث ضخم حافل يمتلىء به (الفتح) فلم يكن يقف عند مفهوم الاسلام السياسى وحده ولكن كان حريصا على تربية هذا الشباب الجديد الذى دخل فى الاسلام عن طريق الجمعيات الاسلامية وخاصة جمعية الشبان المسلمين التى كان يمثلها .

ومن ذلك دعوته الشباب الى أن ينصرف ساعة من كل يوم عن مجتمعنا ويتصور أنه معاصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أكرمه بأن جعله أحد أصحابه وليتذكر فى هذه الساعة حديثا واحدا من الأحاديث النبوية فيمضى بقية الساعة فى معاهدة الله (تبارك وتعالى) على العمل بما ورد فيه من المعانى وليجعل هذه الساعة المباركة فى كل يوم للمجلس النبوى الشريف على أن يعمل بسنة الاسلام باعداد ما فى طاقته من قوة للأمة الاسلامية والدولة الاسلامية فينصرف بعد ساعاته الى الاستفادة من علوم كلية .

٢ — وقد عقد السيد محب الدين الخطيب حديثا ضافيا عن تراث العروبة والاسلام (م ١٧ سنة ١٣٦٣) قال أنه تراث ضخم فخم اذا شرعت من اليوم جميع الأمم العربية الاسلامية بتوزيع أعماله فيما بين علمائها وجامعاتها ومحافلها ولجانها فانها لا تنتهى من الاحاطة وأحياء مواته واعادة الخضرة والنضرة الى ما أقفر من فردوس جماله الا بمئات السنين لأنه تراث أجيال لا يأتى عليها الحصر كان ذوو المذاهب العالمية من بلغائها وعلمائها وحكمائها وفقهائها وسادتها وقادتها تواصلون الليل والنهار فى تشييد صروح مفاخره واقامة معالم معارفه ، الى أن استعجم الاسلام ، ولما نمنا عن تركة السلف انبرى لها أهل الجلد والصبر من

الأغيار أمثال دى ســـاسى وفولدكه وبروكلمان وجولد زيهر ونلينو من الفريات ومن يهمهم أن يقفوا على دخائله ليعرفوا طرق الاحاطة به وبأهله أكثر مما يهمهم بعثــه فى نفوس بنيه وأحفـــادهم بعـد اصـــابتهم به .
أيها الشباب المسلم لأجل أن تكون مسلما لا يكفى أن يكون ذلك مكتوبا فى شهادة ميلادك ولا أن يكون لك مظاهر المســلمين ، بل يجب أن تعرف (السنة) التى اختطها محمد صلى الله عليه وسلم لنفسه ولصحبه ولأمته وأن تدرك هدفها وأن تؤمن بأنهـــا هى ســبيل ربك ، لا يكفى أن تكون ولدت متكلما بلسان القرآن ولا أن تنتسبالى وطن من أوطان العــرب أو الى سلالة من سلالاتهم بل يجب أن تعرف الأخلاق التى امتازت بهـــا العروبة وأن تستمد منها الرى والحيـــاة لعقلك ولغتك ونفسك وبذلك توطأ سنة الاسلام لسالكها .

وتحدث عن استكشافات العرب وما نشره جوســـتاف لوبون فى (كتابه حضارة العرب) وما فيها من بدائع العمران فى أسبانيا تحت حكم المسلمين سيدير فى كتابه (خلاصة تاريخ العرب) وما نشره بروكلان فى كتابه تحت عنوان (مآثر العرب فى العلوم المدنية) وأشار الى فصـــول من كتاب مسلمى العرب الى استيلاء المرابطين للدكتور رينهارت دوزى الهولندى عن حرية العرب ونظام حكومتهم وما نشرته روزينـــا موريس الرحالة الانجليزية التى تحدثت عن شـــهامة الرجل العربى ، وما نشره قـــدرى حافظ طـــوقان عن أبى على بن ســـينا مكتشـــف طفيـــلة الانكلستوما ، وبيت الابرة اختراع عربى .

٣ — وأشارت الفتـــح الى ما ذكره السيوطى فى حسن المحاضرة (جـ ١٩٧٣/٢) :

فى سنة ٥٦٥ حاصرت الفرنج دمياط خمسين يوما بحيث ضـــيقوا على أهلها وقتلوا منهم فأرسل نور الدين الشهير محمود حســـنا عليهم صلاح الدين يوسف بن أيوب فأجلوهم عنها وكان الملك نور الدين شديد الاهتمام بذلك حتى أنه قرأ عليـــه بعض طلاب الحديث جزءا من حديث مسلسل بالتبسم فطلب منه أن يبتسم ليتصل التسلسل ، فامتنع عن ذلك

وقال : انى لأستحى من الله أن يرانى مبتسما والمسلمون يحاصرهم الافرنج بثغر دمياط .

٤ — وكشف الباحثون مؤامرة الاستشراق على التراث الاسلامى ، فقد تقدم أحد الجامعيين برسالة واعتمد فى رسالته على مصادر مرجليوث والأب لامنسى الشيوعى وقال له الدكتور حسن ابراهيم حسن : ان لهما رأيا فى البحث ولكن روح التعصب ضد الاسلام ونبيه أعمتهما عن الحق والانصاف . ووصف السيد محب الدين الخطيب هذه المصادر بأنها (الموارد الآسنة) .

٥ — وأشارت الفتح الى أن محمد محمود الخضرى أشار الى أن ابن رشد سبق باكون فىالتوسع فى منهج الاستقراء ، وأن الغزالى سبق باسكال فى تحديد اختصاص العقل الانسانى ، وأن المسلمين سبقوا ديكارت فى تشككه الذى يبدأ به للوصول الى اليقين .

٦ — وأشارت الفتح الى أن (يوسف العش) عنى بدراسة الخطيب البغدادى ومؤلفاته (٧٩ مؤلفا) وحدد أجزاءها فبلغت ٤٣٦ ، منها تاريخ بغداد الذى طبع بمصر فى (١٤ جزءا) ترجم منه لسبعة آلاف وثمانمائة من عظماء عصر العباسيين وعلمائها رجالا ونساء من أهل القرن الخامس الهجرى ، وكتاب يوسف العش يقع فى ٢٧٦ صفحة .

٧ — وحقق السيد محب الدين الخطيب الكلمة المتداولة عن الامام أبى حنيفة من أنه لم يطمئن الى ثلاثة عشر حديثا من صحيح البخارى فقال : ان الامام الأعظم أبا حنيفة ولد سنة ٨٠ هـ وتوفى سنة ١٥٠ هـ ، أما الامام محمد بن اسماعيل البخارى فقد ولد سنة ١٩٤ (أى بعد وفاة أبى حنيفة بنحو نصف قرن) ووفاته سنة ٢٥٦ فكيف لنا أن نطلب أن أبا حنيفة لم يطمئن الا الى ثلاثة عشر حديثا من صحيح البخارى ، ان الامام أبا حنيفة كان على علم بصحيح البخارى من قبل أن يولد البخارى بخمسين سنة .

٨ — وأشارت الفتح فى باب تحقيق التراث الى عـــدد من الكتب الهـــامة :

خزانة الأدب (مراجعة الشـــنقيطى وتيمور وعبد الغنى الميمنى) (م ٤) .

كتاب الخراج للقاضى أبو يوسف (م ٣)

من هارون الرشيد الى قسطنطين ملك الروم (م ٣) .

العرب وعلم الأمة عند ابن خلدون (م ٣) .

عمرو بن العاص لصاحب الفتـــح (م ٣) .

كتاب الجماهر فى الجواهر للبيرونى (م ١٤) .

٩ — وتحدث السيد محب الدين الخطيب فى المجلد ١٤ ص ٧٩٨ عن التراث الاسلامى فى الأندلس قال : لما دخل الأسبانيون قرطبة بعـد تغلبهم على العرب أحرقوا ما وجدوه فى عواصم الحضارة الأندلسية من كتب فى شتى أنواع العلوم والأدب والتاريخ ، يقول قويدى فى تاريخه : انهم أتلفوا سبعين ألف مكتبة كانت تزين قصور أعيان الأندلس العـــرب ومنازل علمائهم وأدبائهم وشعرائهم وكبار رجال دولتهم فى جميع أنحـــاء الأندلس ويقـــدر) ريلس (عدد الكتب العربية التى أحرقها الأسبانيون بألف ألف مجلد ، وخمسمائة ألف مجلد ، ولو بقيت هذه التركة العلميـــة الى الآن لاستفادت منها الانسانيـــة علما جما وحقائق تاريخيـــة ضاعت وتراجم لعظماء سلف هذه الأمة التى لم يبق منها فى أيدى الناس الا القليل وأن ما وصل الينا من أسماء الكتب الضائعة على قلته يملأ القلب حسرة على ما فعلته يد الجهل والتعصب بتلك الكنوز الأدبية والذخائر الفكرية التى كانت من نفـــائس تراث الفكر الانسانى وحلقة ذهبيـــة فى تاريخ الحضارة والعـــلوم ، وفى الواقع أن العقـــل العربى لم يترك مجالا من مجالات الفكر الا كان له فيه القـــدح المعلى . قال الدكتور رضا توفيق لتلاميذه فى جامعة القسطنطينية يوم انتقـــدوا اعتماده على الاصطلاحات العربيـــة فى كتابه (قاموس الفلسفة) ليس فينـــا أقدر منك على وضع

اصطلاحات تركية للفلسفة والعلوم وأنت تجيد الكتابة والتأليف فى نحو سبع لغات فباهمالك ذلك لحق لغتنا خسران عظيم . فأجابهم : ان الاصطلاحات العلمية لا ترتجل كلها فى جيل واحد كما يرتجل الشاعر ديوانا من الشعر ولكنها ثمرة جهاد علمى فى أجيال متعاقبة ، لما كان سلفنا من الأتراك والتتار لا يفكرون الا فى تجارة على بلاد المعمورة ، كان عشرات الألف من علماء العرب يسهرون الليالى لتنقيح العلوم وتصنيف المعارف وتوسيع دائرتها ووضع مصطلحاتها والتعريف بحدودها ولا تبلغ لغتنا مبلغ لغتهم فى استيفاء الاصطلاحات العلمية ما لم ينقطع عشرات الألوف منا للعلم يخدمونه للعلم لا للتجارة ، فاذا انقضى علينا بضعة أجيال على هذه الحال أمكن أن يكون لنا قاموس للفلسفة والعلوم تهضمه العقول وتأنس به النفوس .

وفى (م ١٤/٨١٤) تحدث كيف عاش النصارى تحت حكم المسلمين فى أسبانيا (حسين لبيب) نقلا عن كتاب أسبانيا العربية للعلامتين برنارد واليه هوانشو .

— ٣ —

اللغة العربية والأدب العربى

وأولت الفتح اهتماما خاصا باللغة العربية وهاجمت مؤامرة الحروف اللاتينية التى تقدم بها عبد العزيز فهمى مجلد ١٩٤٤ (ربيع الآخر ١٩٦٣) وقدمت فى ذلك عددا من الأبحاث (١) القرآن معجزة بين معجزتين ، (٢) تفوق اللغة العربية على جميع لغات الدين للمطران يوسف داود (٣) بدعة كتابة العربية بحروف منفصلة ، كما نشر أحمد محمد شاكر مقالين حول (عبد العزيز فهمى واللغة العربية) .

وقالت الفتح تحت عنوان : اللغة العربية وما ينتظر أن يكون لها من تأثير فى نهضتنا الفكرية والعمرانية وحياتنا القومية ، قال : كان من سياسة المسلمين الأول الذين حملوا رسالة الاسلام أن ينقلوا الأمم الى الاسلام ولم يكن من سياستهم أن ينقلوا الاسلام الى الأمم ، وكان من نتائج ذلك ن انصرفوا عن ترجمة الاسلام بلغات الأمم التى اتصلوا بها

وحببوا الى هذه الأمم التحول من لغاتها الى لغة الاسلام . ان الاسلام قام على أساس سجايا العرب وأحلامهم .

وقال : اللغـة العربية ، التى هى اللغـة القومية لمائة مليون من العرب ، وهى اللغة الدينية والشرعية والعامية لأكثر من ثلثمائة مليون آخرين من المسلمين غير العرب أراد الله لها أن تكون لسان آخر الديانات وكلها ، وحكمة اختيار الله لغة العرب لتكون لغة الاسلام كونها بجوهرها الأول ومعدنها الأصيل ، أكمل اللغات وأكثرها استعدادا للمحافظة على هذه المنزلة من التفوق والكمال .

وقالت الفتح : أن اللغات الراقية التى تقع أبصارنا على قدراتهـا الآن فى معـاجم الفرنسيين والانجليز والألمـان والروس والهولنـديين والايطاليين والأسبانيين اذا وضعناها فى غربال وأخرجت منها الألفـاظ الدخيلة من اليونانية واللاتينية وغيرها وجردناها بعد ذلك من مصطلحات العلم والصناعة والاقتصاد والفلسفة وغيرها من المواد التى لم يكن لها بها عهد قبل حضارة هذه الأمم واشتغالها بالعلوم يوشك أن لا يبقى منها فى كل صفحة من صفحات معاجمها الا بضعة أسطر لا تدل على سـمو فكرى ولا على ثروة خلقية ولا أهداف انسانية كريمة .

٢ — وأشارت الفتح الى قول الأب أنستاس الكرملى ان تبسـيط النحو دسيسة أجنبية لمنع العرب من تفهم آدابهم التقليدية فهى أيضـا تمنعنا من أن نفهم القرآن والأحاديث النبوية والشـعر الجاهلى وكلام الأقـدمين .

٣ — وأشارت الفتح الى الدور التى قامت به دار العلوم فى تعزيز اللغة العربية (م ١٤) فقالت : لقد كانت دار العلوم خيرا على العربية فقد تأسست الى يوم الناس هذا ، فأبناؤها هم حاملوا لواء الفصحى فى وادى النيل ولكن أثرها يبدو دائما فى أسلات أقلامهم نثرا ونظما فيما له عبرة عاجلة فى الحياة كالتدريس ، أما التحقيق العلمى والانقطاع لاحياء تركة السلف على نحو ما يقوم به المستشرقون مما يحتاج الى تضـحية فى الوقت والجهد ، وقال : أعرف من أشد هؤلاء صديقى الفاضل المفطور

على حب التحدى والتحقيق عبد السلام محمد هارون ، فقد كانت عنايته بتحقيق خزانة الأدب للبغدادى (أربعة أجزاء) ، كتاب الحيوان للجاحظ .

٤ — واشارت الفتح الى المستشرق الفرنسى ماسنيون فى خطبة القاها فى افتتاح المجمع اللغوى فقال : ان المادة اللغوية العربية لكتابة الكلمات منتظمة كل الانتظام ومطابقة للفظ وان ترتيب المعاجم مطابق للاشتقاق وراجع بكل كلمة الى اصلها الثلاثى . وقال : ان عدد الأصول الثلاثية (٣٢٧٦) ويجىء هذا بضرب ٣ × ٣ ثمانيا وعشرين مرة ، وهذا العدد هو عدد النجوم الثوابت فى السماء اللغوية الخالدة ، كما قال أحد زملائنا وهو الشيخ السكندرى فكيف تموت كلمة عربية ما دامت الأصول الثلاثية باقية والصيغ العربية للألفاظ محكمة الوضع .

٤ — الأدب

واهتمت الفتح بالأدب الاسلامى والشعر الاسلامى وفتحت الباب واسعا امام شعراء الاسلام أمثال محمد صادق عانوس ، ومحمود رمزى رمزى نظيم ، وأحمد محرم ، ومحمد حسن النجمى . ودارت محاورات بين الأمير شكيب أرسلان وبين عانوس ورد عليه النجمى م ٤ (٦٠١/٥٦١)

وتحدث السيد محب الدين الخطيب عن الشعر الاسلامى (م ٩) فأشار الى الخطوة الهامة التى قام بها أحمد محرم بانشاء الياذة اسلامية وذلك بتدوين أمجاد الاسلام ومفاخر رجاله فى ديوان شعرى عظيم ، وقد عكف على السيرة النبوية الشريفة يتبعها ويقف وقفة الخشوع والاجلال أمام حوادثها مستلهما بدائع القول يصور بها معجزات البطولة وعظائم العزائم ، وقال : ان الشاهنامة التى نظمها الفردوسى للسلطان محمود الغزنوى قبل الف سنة ليس فيها من مظاهر المجد الصادق عشر معشار ما أخذ أحمد محرم على نفسه يدونه من أمجاد الاسلام التى قام عليها التاريخ وما زال يواريها عن عيون البشر فى زوايا قليلة النور ضنا بها على غير أهلها أن يتمتعوا بحملها تحت أشعة النور الساطع وهم من عالم غير العالم الذى كان فيه أصحاب تلك المحاق ولكن الشرق الاسلامى وهو على نيسة أن ينهض صار فى حاجة الى أن يتعلم من تاريخه كيف يكون النهوض .

٢ ــ وعقــد الأستاذ حسن البنا فصــلا عن شاعرى الاســلام (عرنوس والنجمى) فقــال : شعر صادق عرنوس الذى يجود به على الفتح ويجيد دائما فانه متــين رقيق ، لا يعرف التكلف وما قرأته مرة الا شعرت أن هناك شاعرا مطبوعا ، ومن محاسنه أنه يطرق المواضــيع الاجتماعية التى نحن فى أشد الحاجة الى تفهمها ويضعها فى هذه القوالب الأنيقة فيشف صفاء الاناء عن الشراب حتى تخالهما واحدا .

ولقد ظفرنا أخيرا بدرة مدفونة لم أكن أظن فى زواياالانقباض وتحت أستار التواضع درة مثلها (قصيدة للأستاذ محمد حسن النجمى) قرأت شــعرا جمع بين الجزالة والانســجام ، وبين اللفظ والمعنى ساده علو نفسى جدير بالبارودى ومن فى حزبه ، قرأت شعرا يعتنقه الطبع ويشربه الخاطر ويعرف القارىء اعجازه من صدوره ويتمثل قافية فى أول كلمة من بيته يدل على ملكة غير معتادة وطبع متناه فى الصفاء ومكانه فى اللغــة رقيقة وتصرف فى القول ســـلس القياد يجول صاحبه به كما أراد فقلت والله انه لعبقرى ومن يفرى هذا الفرى ، وأقسمت لو وضعنا من هــذه القصيدة أبياتا يذكر فيها عهود المعالى على المعانى لما أمكن للناقد أن يميز شــعر الطائى عليها والقصيدة التى قرأتها فى صــدر الفتح هى من هذا النسيج الفريد الذى أبو تمام صاحب أسلوبه البديع ومنواله الرفيع وقرأت التوقيع الذى تحت القصيدة فاذا بى لم أسمع به فى حياتى فقلت يا رب فى أى عكم اختبأ هذا الرمح وتحت أى غمام اختفى هذا النجم وقال صاحب الفتح انه عندما قرأ القصيدة وكان عدد الفتح فى المطبعة رفع افتتاحيتــه وقدم هذه القصيدة عليها .

الفصل الثالث

الاســــلام فى الغــرب

اهتمت الفتح اهتماما كبيرا بانتشار الاسلام فى الغرب وأشارت الى الذين ناقشوا الاسلام من كتاب الغرب ومن دخلوا فيه وعرض للمستشرقين وكتاباتهم فأشارت الى الشيخ محمد أسد النمســـاوى (ليوبولد فايس) م ١٢ الفتح ٩٧٦ وناصر الدين دينيه (م ٤) وتحدث عن دخول الدكتور عبد الكريم جرمانوس فى الاسلام (م ١٤٩/٧) ونشرت له فصلا فى المجلد (١٤ ص ٢٤٧) لماذا أسلمت ونشرت له خطابه فى دهلى (م ٥٨٤/٦) كما أشارت الى اسلام اللورد هدلى فى بريطانيا وتصريحات برنارد شـــو وتحدثت عن اسلام خالد شلدريك .

٢ ـ كتب أحمد عبد السلام بلافريج (باريس) ترجمة لناصر الدين دبيته بمناسبة وفاته (يناير ١٩٣٠ م ١٣٤٨ هـ) فى مجلة الزهراء (جـ ٤ سنة ٥) نقله الفتح قال :

درس الاسلام مع أصدقائه المسلمين فبهره وملأ نفسه فقام ينادى أيها الغربيون انكم تجهلون الاسلام ومحاسنه على أثر ذلك وضع كتابه (حياة محمد صلى الله عليه وسلم) .

قال : عرفت الاسلام من زمان بعيد فأحسست بانجذاب نحوه وميل اليه فدرسته فى كتاب الله فوجدته هداية لعموم البشر ، ووجدت فيـــه ما يكفل خير الانسان روحيا وماديا فاعتقدت أنه أقوم الأديان لعبادة الله واتخذته دينا وأعلنت ذلك رسميا على رءوس الملأ ، وقال : لا خوف على الاسلام من المبشرين وانما الخوف كل الخوف من شباب المسلمين فانهم جاهلون بأمر دينهم ، جاهلون بتاريخهم وتاريخ انتشاره وتاريخ المدنيـــة الزاهرة التى أنبتتها فى صحراء قاحلة ، وأقصى ما يعلمو به ما يقرأونه فى كتب أعدائه فلو تم اصلاح التعليم الاسلامى على حقيقته وانتشرت الكتب الاسلامية القيمة لما خفنا على الاسلام .

كما نشرت الفتح ترجمة فصل من كتاب السيرة النبوية لايتان دينيه وسليمان ابراهيم الجزائرى .

٣ — كما عقدت الفتح فصلا عن (الاسلام بعد مائة عام) بناء على تصريح جورج برنارد شو (م ٦٧١/٦) الذى قال ان فى المستقبل العاجل عندما يريد الرجال المفكرون أن يلجأوا الى دين يحمى الفضيلة ويقى المجتمع ويكون سببا للحياة السعيدة فى البشر سيجدون الاسلام هو الدين الوحيد الذى يضمن لهم ذلك التقدم والنجاح وأول براهين برنارد شو على ذلك ان الاسلام لا يمنع أى تقدم سواء كان فى النهضة الفلسفية أو الكيماوية بخلاف غيره من الأديان كدين الهنادك مثلا فانك تجد مجموعة خرافات .

ان الاسلام هو الدين الذى تجد فيه حسنات الأديان كلها ولا تجد فى الأديان حسناته فمن الممكن أن الرجل يصل الى آخر درجة فى الفلسفة والعلوم ويكون مع ذلك مسلما تقيا والاسلام دين حرية لا دين استعباد وقد قرر أخوة الاسلام منذ ألف وثلاثمائة وخمسين سنة ، وهو المبدأ الذى لم يعرف عند الروم السابقين ولا عند الأوربيين والأمريكيين المعاصرين .

والاسلام لا فرق عنده بين العبد الحبشى والسيد العربى والرجل الرومى كلهم فى عين الاسلام أبناء آدم وانما يتعاونون بما يصدر عنهم من خير . اذا سألت العربى أو الهندى أو الفارسى أو الأفغانى من أنت : يجيبك أنا مسلم أما الغربى فاذا سألته من أنت قال : أنا انكليزى أو طليانى أو فرنساوى .. الغربى ترك الدين وتمسك بالجنسية أو الوطنية ، يقول المسلم أنا مسلم بصرف النظر عن جنسه أو وطنه ، هو أكبر دليل على أن الاسلام يوحد بين أهل العقيدة المشتركة دون أن يجعل أى فرق بينهم بسبب أوطانهم أو ألوانهم أو جنسياتهم .

وقد نصب النبى شابا أسود البشرة أميرا على جيوش المسلمين وفيها كبراؤهم فالحكومة الديمقراطية الصحيحة لم تعرف الا فى الاسلام فكان فى زمن الصحابة من الممكن أن الرجل الفقير يطالب الخليفة بحقه ، وينتصف منه ان كان له حق . وتقسيم الميراث الذى فرضه الاسلام من ١٣٥٠ عاما ، كان أكبر فائدة للاجتماع ، ولكن الغرب بقى بجهله الى هذه

الساعة ، والاسلام حرم الربا وجعل من المستحيل انحصار الثروة عند نفر قليل أكبر قضية يعانيها عالم اليوم ، هذه الحقائق تجبرنا على الاعتقاد بأن الدنيا بأكملها وانجلترا على الأخص ستقبل الاسلام وان هم لم يقبلوه باسمه الصريح فسيقبلوه باسم مستعار .

٤ ـ وأوسعت الفتح صفحاتها لتجربة اسلام الدكتور خالد شلدريك: الذى ألقى محاضرة تحدث فيها عن (كيف هدانى الله للاسلام) قال :

ان تكن انجلترا مسيحية فى الظاهر فان تسعين فى المائة من سكانها لا يعرفون حقيقة الديانة المسيحية وأنا نفسى لا أعرف من نفسى أنى اعتقدت يوما فى العقائد المسيحية التى يقررونها وأن تعلمون أن الديانة المسيحية مؤسسة على اعتقاد أن الله مكون من ثلاث شخصيات وهى عقيدة لا يسيغها عقل ، اذ كيف يمكن أن يكون الأب والابن موجودين دائما فى وقت واحد ، وكيف يمكن أن يكون الابن موجودا فى جميع الأوقات التى كان الأب موجودا فيها ؟ هذا غير معقول ولا يستطيع مفكر أن يعتقده ، ومع ذلك فان عقيدة التثليث لا تزال موجودة عند المسيحيين وهم مصرون عليها وان كانوا لا يفقهونها .

تاريخ المسيح ليس له سند معاصر وانما صوره أحد البابوات من غير اعتماد على أصل تاريخى وانما هو يوم مقدس من أيام الوثنيين الأقدمين عندما كانوا يؤلهون الشمس ، ثم حول المسحيون عقيدة ميلاد الشمس الى ميلاد المسيح واتخذوا لها يوم ٢٥ ديسمبر جريا على آثار الوثنيين دون أى أصل تاريخى أو سند علمى . وعقيدة الأب والابن نفسها من عقائد الوثنيين القدماء فان البوذيين يتصورون بوذا فى طفولته مع أمه فى نفس الصورة التى نراها منقوشة فى كل كنيسة للمسيح فى طفولته مع أمه مريم .

وفى الحقيقة أن الشخصية التى يدعيها المسيحيون للمسيح عليه السلام ليست تاريخية قطعا والباحث عن ذلك بالأساليب العلمية ليرى مبلغ ذلك من الواقع يخرج من بحثه صفر اليدين .

والاختلاف بين المسيحية شديد جدا فى أصول المسيحية فى تكوين العقيدة عند المسيح ، وقد حملنى هذا البحثوالتأمل على درس الديانات الأخرى فعكفت على مطالعــة ما الف عنها ، وجــدت كتبا عن البوذية والبرهمية وسائر الأديان فيما عدا الاسلام فان الكتب التى ألفت عنــه مملوءة بالتحامل والمطاعن والغرض الظاهر وزعموا أن الاسلام ليس دينا مستقلا ولكنه أقوال محرفة عن كتب المسيحيين .

وقال : ان عبد الله كوليام أهدى الى الاســلام على يديه أكثر من خمسمائة شــخص فى انجلترا ، وقال : ليس عنــدى ريب فى أن الدين الاسلامى سيكون يوما ما الدين الذى يسود العالم أجمع ، وهذا يتوقف على سب جوهرى هو أن يكون المسلمون مثلا حسنا يعلن عن الاسلام ويعرف الأمم به عمليا .

والاسلام هو الذى انفرد بتحريم الخمور ، وهى مزية لا تجدها فى كتب الديانات الأخرى بل ربما يجد من بعضها تشــجيعا على الخمر كما يقول القديس بولس لتلميذ له .

ولا شك أن معرفة الكثيرين من المسحيين بأن الانجيل الذى فى أيديهم أحدث عهدا من المسيح ووقوفهم على الاختلاف الواقع بين كتبهم الدينية ، له تأثير كبير فى اعراضهم من بعض ما فيها من نصوص بينما المســلمون لا يرتابون قط بأن القرآن الذى فى أيديهم هو الكتاب المنزل على نبيهــم صلى الله عليه وسلم لا ريب فيــه ولا يأتيه البــاطل من بين يديه ولا من خلفــــــه .

وقال : ولو انتشر الاســلام بالسيف لمــا بقيت هــذه الكنائس والبطــركيات .

٥ — المؤتمر الاسلامى الأوربى

وتحدثت الفتــح عن هذا المؤتمر الذى عقــد فى جنيف بدعوة من محمود سالم وقد شكلت اللجنة التحضيرية (٢١ غسطس ١٩٣٣) من حقى وزكى اكرام وعلى الغاياتى والدكتور زكى على ، وقد قصد المؤتمر

الى : (١) اجراء تعارف واسع بين رجالات المسلمين فى أوربا لتثبيت دعائم المحبة وتوطيد روابط الاخاء فيما بينهم (٢) والبحث فيما يتعلق بالأمور الاسلامية العامة واتخاذ ما يجب من التدابير الفعالة لاتحادهم ورقيهم ، من حيث الأمور العلمية والاجتماعية والتجارية والاقتصادية (٣) والسعى لترقية مستوى المسلم الأوربى ترقيا مضطردا بادخال ما يجب من الاصلاحات على برامج تعليمه من العلوم الحديثة والتوفيق بينها وبين الأصول الاسلامية .

وتحدثت الفتح (م ٨٧٠/٧) عن أن المؤتمر الاسلامى الأوربى سيبحث موضوع يقظة المسلمين ، الذى سيكون موضوعا هاما لأبحاث الفلاسفة فى المستقبل ليقبلوا أسبابها ودواعيها .

والسبب واضح هو أن الحرب العالمية وتدفق ملايين المسلمين الى أوربا واطلاعهم على مدهشاتها ومخترعاتها العجيبة ، قد سبقوا الى معترك لا ناقة لهم فيه ولا جمل انتهوا الى تبين ما هم فيه من ذلة وعبودية لسلامة الرومان الذين تسلحوا بألوان من السلاح يعجز الفكر .

وقالت : ان من آثار الحرب العالمية سقوط عائلتين حاكمتين لهما خطر الأثر على حياة المسلمين هم عائلة القياصرة التى أوقفت حياتها على حروب دينية ضد المسلمين وعائلة العثمانيين .

وهناك فكرة يؤمن بها كل مثقف هو أن الحرب العالمية قد أنشأت حركة تعمل للاسلام العام ، وقد عزم مسلمو أوربا أن يرتبطوا فيما بينهم كى يزيدوا التعارف الموجود ويوثقوا أمانهم من العلاقات التى تجمعهم بفضل دينهم فضلا عن الاقتصاديات وهى فكرة جليلة .

— ٦ —

ونشرت الفتح بحثا عن كتاب الشباب الاسلامى للمستر باسيل الأمريكى جاء فيه :

أولئك جميعا — يعنى المسلمون — يقصدون مكة يقفون خشعا عند الكعبة ذلك المكان الذى يتجه اليه المسلمون جميعا فى كل يوم خمس

مرات ، هـــذه كلها بلاد ينتشر فيها الاسلام وهى مترامية الأطراف كلهم يدينون بالاسلام ويعبدون الها واحدا ويعتزون بالنبى محمد الذى حمـــل رسالة ربهم اليهم ، ترى ما هذا الذى تسيطر عليه هذه الجموع الحاشدة ويخضعها لعبادة الله وحده ويجعلهم يقصدون ذلك المكان لتأدية واجب مقدس ، ما هذه الرابطة القومية التى تربط هذه الجموع جميعا وتجعلها اخوانا سواء ، وأى شىء جمع بين الأسود والأبيض والسيد والمسود ، بكل حرية واخاء ومساواة وصداقة ، وليس هناك من سلطان عليهـــم الا الاسلام الذى جمعهم كلهم اخوانا وربط على قلوبهم .

قال جيبيون المؤرخ البريطانى : ان الاسلام لمدة مائة عام بعد وفاة النبى ملك أكثر من ست وثلاثين الف مدينـــة وقرية وقلعـــة ، وأقام الفا واربعمائة مسجد ، وبعد قرون امتدت يد الاسلام الى جبـــال طوروس والقسطنطينية ، وامتد بقوة الى الشمال والى أواسط آسيا ، ووصـــل الى سور الصين العظيم ، وبعث بروحه الى الهند وشيد عرشا عظيما فى دهلى فساد الاسلام فى جميع هذه البلاد ، فقرىء فيها القرآن وكان قانونا لها ، وهو القرآن — القانون الجنائى والمدنى ، وحكم خلفاء بغداد امبراطورية واسعة جدا لم ير مثلها العالم ، وبنوا القصور ، وامتلكوا الأوطان ، ونشروا العلوم التى كانت معروفة فى ذلك الوقت ، ومنهـــا ترجمت الى اللغة اللاتينية ، وانما وصل علم ارسطو الى أوربا فى القرون الوسطى ، وقصارى القول ان الاسلام اخضع العالم جميعه ثم دخلت المطامع فى قلوب المسلمين ولم يزل الاسلام يهبط حتى وصل الى الحضيض أو كاد ، وطمعت فيه الدول الاستعمارية فامتدت يد بريطانيا فى القـــرن التاسع عشر الى امبراطور المغول فى الهند ووقع شمال أفريقية فى المحيط الاطلنطى الى البحر الأحمر فى قبضة الأوربيين وتحررت ممالك البلقـــان ونشبت الحرب الكبرى فانسلخ العراق وسوريا وفلسطين وبلاد العرب من تركيا ، ونرى اليوم أن ثمانين فى المائة من مسلمى العـــالم ويبلغون تقريبا (٢٣٥ مليونا) فى حماية جامعة الأمم ونرى ان كل ثمانية من المسلمين واحدا محـــكوم بحاكم مسـلم والســـبعة الآخرون محكومون بحكومات اجنبيا (كتب هذا عام ١٩٣٥) .

٧ — ويتحدث الفتح (م ٩/١٩٣٥) عن هندوكى أسلم هو خالد لطيف جابا الذى قال :

نحن لا نجد فى الاسلام نظام الطبقات ولا تلك الحواجز التى يتحتم على بعض الناس عدم تخطيها ونحن لا نجد فى الاسلام معابد خاصة بالأغنياء وأخرى خاصة بالفقراء كما هو الحال فى انجلترا ولا معابد لذوى اللون الأسود وأخرى لذوى اللون الأبيض كما هو الحال فى أمريكا وانما يقرر الاسلام السواسية بين جميع الخلق ، ويجعل ثواب الله غير متوقف على لون أو مولد أو جنس معين ورحمة الله لا نهاية لها ولا يخص بها مخلوق دون مخلوق .

ولن نجد فى الاسلام مبادىء تقلل من شأن الذكاء فالموهبة من الله للانسان وللمرأة حقوق وكذلك فرض الله حقوقا للأطفال والوالدين أما الزواج والطلاق والوراثة (وهما ثلاثة من أهم أسباب اضمحلال بعض الأديان القائمة اليوم) فانها مبنية فى الاسلام على عدالة الحقوق والالتزامات . لقد دهش الهندوكيون وصمتهم دهشة عظيمة عندما علموا أن السنة الكريمة التى جرى عليها نبينا محمد صلوات الله عليه وتسليمه من أكثر من ثلاثة عشر قرنا ما تزال نافذة بين اتباعه فى كل مكان وقد تمثلت فى شخصى هذه السنة الحميدة بأن عهد الى مسلمو الهند وأنا حديث العهد بالاسلام بمسئوليات سياسية واجتماعية خطيرة .

لو رجعت الى التاريخ لوجدت أن كثيرا من العبيد الأفريقيين (السود الوجوه) قد حكموا ممالك الاسلام ولم يحل دون حكمهم اياهم لون بشرتهم ولا اختلاف طبعهم عن طبيعة العرب الاقحاح .

٨ — وأولت الفتح اهتمامها الى المستشرقين الذين يعملون فى البلاد الاسلامية كخبراء سياسيين لخدمة الاستعمار ومن هؤلاء الدكتور سنوك هرتجرونجه المستشرق الهولندى الذى أعلن اسلامه ليتمكن من تعميق خدماته للاستعمار الهولندى (م ١) .

فأشارت الى أنه درس الاسلام فى السنوات التى أقامها بالحرم

المكى منتحلا اسم (عبد الغفار) وقائلا لكل مسلم يتصل به (أنا أخوك فى الاسلام) وعرف جوهر الاسلام وعرف انه دين العظمة والقوة والنشاط التى تمتع بها المسلمون فيما مضى انما تمتعوا بها بفضل تمسكهم بدينهم وأن دور الضعف موافق لزمن جهل المسلمين دينهم وتمسكوا بخرافات وزيادات ليست منه .

وقالت الفتح : للرجل صفتين : صفة العالم والثانية صفة السياسى ، بل ان أكثر المستشرقين لم يشتغلوا بالعلم الاسلامى الا لأجل السياسة ولمساعدة استعمارهم القومى على تثبيت نفوذه فى أعماق الأمم الاسلامية من أجل اخضاع الشعوب الكثيرة العدد لرفاهية شعب قليل .

أما بالنسبة للحركة القومية التى يقول الدكتور هرنجرونجه أنهما حلت محل الجامعة الاسلامية فانه :

الأول : ان الجامعة الاسلامية التى يعنيها هو ويتكلم عنها لم تكن موجودة قط وانما هى وليدة أوهام الأوربيين وخبالاتهم فلما ازدادوا علما بأحوال العالم الاسلامى وتبين لهم الآن عدم وجودها ظنوا أنها كانت ثم زالت ، فمن الخفة تسرع الدكتور هرنجرونج بالشماتة ، ولعل فى ضمير المستقبل من الحقائق عن الاسلام ما لا تكفى أدوات الاستعمار الحاضرة لاكتشاف أسراره ، اذن فالجامعة الاسلامية التى يقول مستشار الحكومة الهولندية فى الشئون الاسلامية أنها اضمحلت وحلت الحركة القومية محلها، انما هى جامعة وهمية لا كانت ولا زالت ، أما الجامعة الحقيقية فانها ازدادت وستزداد قوة مع الزمان .

الثانى : ان هذه الحركة القومية التى يذكرها الدكتور موهما أن المسلمين هم الذين ضموا اليها من عند أنفسهم استغناء بها عن الجامعة الاسلامية انما وجدت فى الحقيقة واتسعت بسعى عظيم وتمهيد جسيم سهر الأوربيون عليه دعموا له فى وزارات المعارف وفى الوسائل العلمية والأدبية المختلفة ، وقد أخطأوا فى تفصيل الثوب الذى ارادوا المسلمين أن يلبسوه بدلا من جامعتهم ، ونحن الذين لم يكن لنا رأى فى وضع البرامج التى تولد معها القوميات صرنا الآن نعتقد أن الحركة القومية ستعين أهلها على انقاذ حقوقهم من أيدى غاصبيها .

الوجه الثالث : ان هذه الحركة القومية اذا كان فى برنامجها تنظيم روابط أدبية بين الشعوب الاسلامية فاننا نتوقع منها نتائج عملية لا بأس بها ، أما تداعى البنيان الاسلامى فلا يقول به الا أحد رجلين : داعية يرى من وظيفته التخذيل والتثبيط وأماتة الهمم وقطع نياط الرجاء أو رجـل لم يعود نفسه بعد النظر ولم يشتغل بدرس تطور الأمم .

ان التيار الموجود الى جفاء الاسلام لابد أن يكون له مدى بقطعه ثم يكون له بعد ذلك رد فعل يفتتح به عهد جديد للاسلام لم يسبق له مثيل :

ان لهذا التيار سببين رئيسيين :

الأول تشويه عقول ناشئينا ببرامج التدريس التى أحكم وضعها أو أغرى بها أو ساعد عليها أناس لا يهمهم بقاء الاسلام كالمستر دنلوب وغيره من أهل الأقطار الاسلامية الأخرى .

الثانى : تقصير علمائنا فى افراغ المعارف الاسلامية فى أسـاليب تلذ القراء العصريين فتجعل ناشئينا عارفة بمحاسن الاسلام ومحامده كمعرفة محبيه .

فاذا تبن عقلاء المسلمين : اصلاح المعاهد الدينية واصلاح التدريس وتكوين علماء يحسنون مخاطبة أبناء العصر محاسن الاسلام اليهم ومحاولة تدريس التاريخ الاسلامى فى مدارسنا المدنية فان لهذه المساعى نتائج محققة. ان تحويل المعارف الاسلامية الى الشكل الذى سيكون سببا فى تكثير سواد العارفين بمحاسن الاسلام من شبابنا المتعلمين .

هناك أمر آخر هو أن فى أوربا فريقا كبيرا من أهل التفكير يشعرون بكثير من مساوىء الحضارة الأوربية الحاضرة ويفكرون فى حاجـة ذلك المجتمع الى مخرج من مساوئه وأرى أنا أن ذلك المخرج موجود فى الاسلام والأوربيون أهل بحث ودرس ولابد أن تتبين لهم محاسن الاسلام فى يوم من الأيام .

وأشارت الفتح الى أن الدكتور هيجو ماركاس الفيلسـوف الألمانى قرر أن الاسلام هو الدين القديم الجامع لكل الفضائل ومن أجل ذلك فقـد اعتنقه .

— ٧ —

ترجمة معانى القرآن الكريم

وأولت (الفتح) اهتمامها بقضية ترجمة معانى القرآن الكريم التى أثيرت عام ١٩٣٢ تقريبا ففى مجلد الفتح (٦٣٩/٦) ناقشت هذه القضية على أثر كتابات التفتازانى وفريد وجدى فقالت : ان العلوم تترجم أما الآداب البليغة سواء كانت نثرا أو شعرا فان الترجمة تشوه جمالها وتسقط مرتبتها وتضلل قارئها ، والذين يدعون الى ترجمة القرآن يريدون الاساءة الى القرآن وابراز صورة له كاذبة بشعة تبعد الناس عن الدين الاسلامى .

وكتب مصطفى الرفاعى اللبان فقال :

يتفق الباحثون جميعا على عدم استطاعة نقل القرآن الكريم الى لغة أخرى بلغت ما بلغت من العظمة والجلال والاتساع فان اللغة العربية امتازت ببسطة الألفاظ وكثرة المجازات والكنايات وقد يحمل اللفظ فيها معنى عبارات كاملة برمتها وقد اكتسبت بنزول القرآن صبغة القداسة وارتدت لباس الخلود وصارت آيات القرآن الهية لا يستطيع بشر مهما أوتى من العلم والبيان أن يعبر عنها بلغة انجليزية او فرنسية . وفى هذا لا يجوز قياس القرآن على الانجيل فان الانجيل كتبه بشر بلغة ساذجة قريبة من العامية كما عرفت من نجوى مع رجال الدين المسيحى وترجماته من يكون خيرا من الأصل مرات عدة ، والعارف بتطور اللغات الأجنبية على اختلاف العصور يحكم مثلا بأن الانجيل الانجليزى منذ قرن بينه وبين أنجيل القرن العشرين تفاوتا كبيرا فى الألفاظ والأسلوب ، ولكنا لن نرى ترجمة للقرآن تساوى قيد عشر من أسلوبه المعجز البليغ الذى حوى أوسع المعانى مدى وأغلى الجواهر قيمة .

وكتب السيد محب الدين الخطيب فقال :

تحت عنوان (شماتة الداعين الى ترجمة القرآن) : أن نقل معانى القرآن بتوسع تفسيرى وبدون تقيد بالترجمة الحرفية مفيد فى مساعدة الدعاة الى الاسلام على أداء مهمتهم ويكون ذلك فى آيات مخصوصة عند الكلام على أمور مخصوصة من حقائق الكون ودخائل الحياة وأسرار النفس

وهذا لم يمنعه الذين يمنعون الترجمة الحرفية للقرآن لأنهم مخلصون فيما يمنعون وما يبيحون ، أما الداعون الى الترجمة فلا يزالون مصرين على تجاهل هذه الحقيقة لأنهم اما سيئوا النية واما ضعيفوا المدارك .

ان الترجمة الحرفية من طبيعتها أن تظهر فى اللغة المترجم اليها تعبير الأساليب المحمودة فيها ، هذا اذا كان ما يترجم حرفيا ليس له صفة الاعجاز فى لغته الأصلية كما هى الحال فى القرآن الذى تحدى الله به أهل الأرض جميعا ورماهم بالعجز أن يأتوا بمثله باللغة التى نزل بها فكيف ننقله الى لغات طبيعتها غير طبيعة اللغة العربية .

٢ — وفى المجلد ٧ (١٩٣٣) من الفتح واصل السيد محب‌الدين الخطيب الحديث عن ترجمة القرآن الذى يتصدى لتأييده فريد وجدى وما زعم المراغى من أن ترجمة القرآن جائزة ويمكن أن‌يعتمد عليها من يدخل‌الاسلام من‌الأوربيين لاستنباط الأحكام والاجتهاد فيها وقد انبرى لتزييف ذلك كله ونقضه الشيخ مصطفى صبرى شيخ الاسلام للدولة العثمانية فألف كتابا عنوانه (مسألة ترجمة القرآن) عرض فيها لشبهات المراغى وأتبعه بنظرة خصصها للكلام على أقوال صاحب البدائع فى موضوع الترجمة ، وناقش فريد وجدى فى كل ذلاته العلمية والدينية والاجتماعية التى تدور حول ترجمة القرآن .

٣ — وواصلت الفتح مراجعة قضية ترجمة القرآن ففى (المجلد ١٠ ص ١٠٣١ (أشار الى أن الشيخ المراغى شيخ الأزهر رد على مقال مصطفى صبرى شيخ الاسلام للدولة العثمانية وأن هذا المقال تضمن أمورا جوهرية وحقائق عظيمة .

كما كتب الشيخ محمد سليمان كتابه (حدث الأحداث فى الاسلام) وتوقفت هيئة كبار العلماء عن الفتوى فى الموضوع وتحدثوا عن مواقع الترجمة من جهات احتمالات الاعراب التى تمنع الاقدام على ترجمة قطعه ومن جهة الوقف والابتداء ومن جهة الألفاظ المشتركة التى تدل على معانى ذات طرق متعددة لا يقابلها لفظ ولا الفاظ فى اللغة التى يراد الترجمة اليها ومن المعلوم أن القرآن منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه والمتشابه لا يستطيع أحد على وجه الأرض كائنا من كان أن يدعى العلم العطفى به

أو المراد منه فالصورة التى تعطيها الترجمة لا تمثل لأذهان الأجانب ما يجب أن يمثل القرآن لهم لأن مجموع القرآن لا يمكن ترجمة معانيه لا ترجمة حسنة ولاترجمة غير حسنة، ولما كان الغرض منالترجمة اعطاء معانى قطعية للشىء الذى يراد ترجمته فان القطع والجزم فى كل معانى القرآن لم يدع معرفته مسلم فى عصر الصحابة الى الآن) وقد فتحت الفتح صدرها لمقالات عديدة من العلماء فى هذا الاتجاه .

وكتب الأستاذ حسن السنا مقالا فى هذا الصدد (م ١٠/١٠٨٠) .

٤ — وأشار الفتح م ١٦ الى أن ترجمة القرآن باءت بالفشل بعد أن بين عقلاء المسلمين فسادها منذ عشرات السنين وقد أشار الى مقال للدكتور يعقوب صروف فى مجلة المقتطف (سبتمبر ١٩٠٠) وعندنا أنه لو همت الجمعيات الدينية المسيحية نشر الانجيل باللغة الانجليزية وعلمت الناس لغتها كما يفعل المسلمون بنشر القرآن باللغة العربية من غير أن يترجموه ، لكان نجاحهم أتم (أيد هذا الرأى فى عدد نوفمبر ١٩٠٠) .

(٨)

المؤلفات

وقد اهتمت الفتح بمراجعة عدد من المؤلفات التى صدرت فى هذه الفترة وأشارت الى وجوه القصور والنقص فيها أو أشادت بما فيها من جيد البيان :

١ — ومن ذلك ما أشار اليه عمر الدسوقى فى كتابه عن اخوان الصفا وهو اعتراف الاسماعيلية المعاصرين بهذه الرسائل ومن ذلك قول أغاخان فى كتابه (نور مبين حبل متين) ان مؤلف اخوان الصفا من ائمة الاسماعيلية وهو (أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) وقول الدكتور حسين الهمزانى أحد دعاة الاسماعيلية البهرة أن الاسماعيلية يرون القرآن كتاب العامة ورسائل اخوان الصفا كتاب الأئمة .

٢ — وأشارت م (١٧) الى أن الأب انستاس الكرملى قال فى معنى تنشيط دراسة النحو الذى يقال أن المجمع اللغوى معنى به فقال أن تيسير النحو يمنعنا من أن نفهم القرآن والأحاديث النبوية والشعر الجاهلى وكلام

الأقدمين وعندى أن هذا المشروع دسيسة أجنبية لمنع العرب من تفهم آدابهم التقليدية (ربيع الأول ١٣٦٥) .

٣ — وأشارت الى ما ذكره الدكتور زكى مبارك (م ١٧) تحت عنوان عندما يواقينى الموت :

قال ستبقى أفكارى لتعين الشيطان على اضلال الناس فأبث فيهم معنى الشرور والاثم والطغيان ففى رسائلى وأشعارى ومؤلفاتى أقباس من الضلال وهى وحدها خليقة بأن تغمس هذا العالم فى أوحال الرجس وتلفه فوق أشواك الارتياب .

٤ — وفى عرض كتاب (عائشة والسياسة) لسعيد الأفغانى ذكر أنه قال لهيكل والمؤلفين العصريين من الاعتماد على كتاب (الامامة والسياسة) وهو لقيط تبرأ منه علم ابن قتيبة ولا يعرف له أب ، وقال : لا يكفى للثقة بكل ما فى تاريخ الطبرى اجماعنا كلنا على الثقة بالطبرى نفسه فان الطبرى أورد أخبارا متفاوتة الدرجة فى الثقة ولعله أوردها ليستفاد من بعض نواحيها وقد خرج الطبرى من عهده هذه الأخبار بتسمية رواتها لتكون على بينة منها .

٥ — وأشارت الفتح الى ما أورده الياس الأيوبى فى كتابه (فى تاريخ مصر) فقد قدر الجيوش بعددها واستعدادها ولم يحسب للايمان حساب ، مع أن القوة المعنوية لها الشأن الأول فى الدفاع عن الزمار والشرف وتخليد الصحائف الذهبية فى تاريخ الأمم .

وقال ان المؤلف يستبعد صدوق ما ذكرته كتبنا العربية فى التاريخ عن عدد المجاهدين الذين فتح بهم عمرو بن العاص رضى الله عنه وادى النيل وأخذ يتمحل أسبابا أخرى للفتح يبدى فيها ويعلن (م ١٤) .

٥ — وأشار الى ان طه حسين القى محاضرة فى مؤتمر المستشرقين وما حاوله فيها من العدوان على القرآن وعلماء المسلمين فى أربعة عشر قرنا ولذلك حاول طه حسين منع المحاضرة من الترجمة حتى لا يطلع عليها المسلمون .

٦ — وأشار الى النقد العلمى الذى كتبه محمد الطاهر بن عاشور لكتاب الاسلام وأصول الحكم فقال السيد محب الدين الخطيب : ان الاسلام لا يحتضر واذا كان من يتقصى سيرتنا فى ديننا أن يحتضر بين أيدينا فان الله سينصره برجال غيرنا بعد أن يذهب بنا لأن فى الاسلام من القوة الذاتية والمناعة الخالدة ما لو تخلى عنه الناس جميعا لكفى لاعادة مجده ونشر لوائه عشرة رجال فقط .

أنا لا أنكر أن تيار الاباحة والالحاد تيار شديد ولكن شدته هذه لن يكون خطرا على الاسلام الا اذا امتلأت نفوسنا يأسا واستقبلنا هجومات خصومنا بسلاح الجهل والعجز وبالنفوس الصغيرة ، أما اذا كانن فى الاسلام رجال يتخذون من ماضيه سراجا لمستقبله ومن أبطاله أئمة يقتدى بسيرتهم فان التيار الحاضر يكون أحقر من أن نرى معه الاسلام محتضرا ، ألا يستطيع أن يقنع الفتى المسلم الذى يتعلم فى المدرسة الثانوية أو العالية بأن ما خلفه لنا التاريخ الاسلامى فى أربعة عشر قرنا هو أثمن تركة حصل عليها وارثها وأن الذى يتخلى عن هذه التركة جاهل أو مجنون .

وأشار الى اليقظة ازاء كل حادث فما أن ظهر كتاب (فى الشعر الجاهلى) حتى مزقته الأقلام تمزيقا وكشفت عن مقدرة صاحبه فاذا هو جاهل ومدلس وسارق وسفيه وملحد ، مخاز لو نسبت الى ارسطو أو الصقت بأفلاطون لكانت كافية فى اسقاطهما ومحو اسم كل منهما من تاريخ العلم والفلسفة . وهكذا ما تكاد تظهر حركة من جانب المهاجمين على الاسلام حتى تقابل بأشد منها .

وقال الشيخ عبد الباقى سرور نعيم : أن السر فى خيبة الطاعنين فى الاسلام مركوز فى طبيعة العقل البشرى لأن محاربة الاسلام محاربة للعقل البشرى .

الفصل الرابع

مقــــارنات الأديان

أولت الفتح اهتماما كبيرا الى ما يسمى الآن (مقارنات الأديان) ، فعرض لما أشارت اليه الكتب المقدسة من بشائر بمجيء النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو بحث لمولانا عبد الحق نشره فى مجلة مسلم رفايقل يونيه ١٩٣٣ وترجمه محمد تقى الهلالى ونقلته الفتــح (م ٨/٤٥٣) قال الــكاتب :

البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المقدس عند الفرس فى دساتير ساسان الأول اخبارا بمجيء النبى محمد صلى الله عليه وسلم فقد شاعت هذه البشارة وتداولت كثيرا واهتم بها الناس أيما الاهتمام آلافا من السنين حتى ان فارس لم تزل من عهد ساسان تنتظر بشــوق عظيم حادثة وفاء ذلك العهــد ، وقد اغتنم هــذه الفرصة (متى) كاتب الانجيل لما علم أن الفرس ينتظرون انجاز هذه البشارة العالمية فاجتهــد أن يرى الناس ان الموعود به فى كتاب الفرس هو عيسى بن مريم المسيح وقد حرف (متى) رواية ساسان .

٢ ــ كذلك فقد كتب الشــيخ الرفاعى اللبان عن بشــائر محمد فى الكتب اليهودية والمسيحية فقال :

البشارة الأولى فى سفر التكوين (ظهــر الرب لابرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض)

البشارة الثانية فى سفر التكوين (لهاجر تلدين اسماعيل) .

البشارة الثالثة : سفر التكوين (أعطى لك ولنسلك من بعدك كل أرض كنعان) .

البشارة الرابعة : سفر التكوين (من ذرية اسماعيل اثنى عشر رئيس بلد واجعله أمة وحده) .

البشارة الخامسة : سفر التثنيـــة (أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) .

٣ ـ كذلك أشارت الفتــح الى كتاب (ينابيع المســيحية)لخوجه كمال الدين ، قال :

هناك ثلاثة آراء فى المسيح والمسيحية : رأى قائم على التفريط فى حق المسيح عليه السلام ، ذهب أصحابه الى أنه شخص غير تاريخى ، وأن صورة المسيح التى تريد الكنيسة أن تنقلها فى عقول الناس وقلوبهم انما هى صورة مزورة ورثها الناس عن الوثنيات القديمة ، وأن كل ما فى المسيحية له أصــل فى ديانات الوثنيين التى جاءت قبــل المسيح بألوف السنين ، القائلين بهذا (روبر لستون ، جان هايكتون ، فريزر ، بارسو أدورد كاربنتر) .

الرأى الثانى : قائم على الافراط فى حق المســيح عليه الســلام ورفعه الى منزلة الألوهية .

والرأى الثالث قائم على أساس الاعتدال فيعترف المسيح بالوجود التاريخى وتنزيهه وأمه عليهما السلام من الصفات المريبة وتحفظ له المكانة التى وضعه فيهــا الله عز وجل مع اخوانه من الأنبيــاء والمرسلين فهو عبد الله ورسوله جاء الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور ، وهذا هو الحق الذى قرره الاسلام وكان به أدنى للحقيقة ، وللسيد المسيح من كلا جانبى الافراط والتفريط .

هذا الكتاب ألفه بالأوردية (خوجه كمال الدين) ترجمة اسماعيل حلمى البارودى الذى ترجم كتاب (أيقاظ الغرب للاسلام) للورد هدلى . وجمع فيه الحقائق عن الآراء والنزعات الوثنية الطارئة على المســيحية بقصد تمحيصها وردها الى ما كانت عليه مثل هذه الزيادات وكان عبد الكريم التيز قد وضع كتابا ترجم الى العربية أسمه (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانيــة).

٤ ـ تصويب نشيد الرعاة (وعلى الأرض الاسلام وللناس أحمد).

وفى اغسطس ١٩٣٣ كشف عبد الأحد داود فى كتاب الفه بالتركية عنوانه (الانجيل والصليب عن أغلاط الترجمة فى التوراة والانجيل) تلك الأغلاط التى حرف بها المترجمون الكلم عن مواضعه ، وفى مقـدمة ذلك النشيد الذى ذكر لوقا (٢ : ١٤) أن جنـود السماء ظهـروا ليلة ولادة المسيح للرعاة الذين كانوا فى البرية يترنمون بهذا النشيد :

(الحمد لله فى الأعالى وعلى الأرض اسلام وللناس احمد)

فحرفه المترجمون وقالوا : (وعلى الأرض السلام وللناس المسرة) .

والمؤلف يبرهن على أن هذه الترجمة خطأ ، وأن صواب نشيد الرعاة (وعلى الأرض الاسلام وللناس أحمد) . وقد عثر عليه أفاضل مسـلمى العراق وترجمه بالعربية وطبعه المنار .

٥ ــ واشارت الفتح الى المؤتمر الذى عقد فى كلية جيرتون بكامبرج تحت رئاسة الأستاذ جاردز ألقى فيه هذا السؤال

هل المسيح هو المؤسس للدين المسيحى

وشرح ملقيه (الدن أنج) بأن يسوع ظهر لمعاصريه بصفة نبى تابع لكنيس اليهود لا مضاد لها وأيده بعض القسوس وخالفه رئيس الشمامسة وقد رد عليه مستر رنجل بخطاب طويل عزا فيـه هذا الدين الى بولس الرسول وقال ان مسيح الانجيـل ومسيح بولس الرسـول شخصـان لا يتفقان .

ثم أجمع هؤلاء الأساقفة مع غيرهم فى مؤتمر نبالى بأكسفورد ١٩٢١ ليقرروا هل كان المسيح الها أم نبيا ، وقال فى هذا المؤتمر الدكتور راشد الشماس كارليل الذى وفى الموضوع حقه بشرح دهش له العالم المسيحى كله ، اذ صرح بأن قراءته للكتاب المقدس أثبتت له أن المسيح ليس الها ولم يدع الألوهية وفصل ذلك فى خمس قضايا أو مسائل ثم أجمع رؤساء كنيسة انجلترا فى أكسفورد ١٩٢٢ فقرروا أنه اذا نقى الدين الذى جاء به يسوع من الحشو والاضافات البشرية أصبح دين محبة وأن دين بوزا كذلك .

وفى مؤتمر كانتربرى (مقام الرئاســة العليا للكنيسة الانجليزية) ١٩٢٣ الذى عقد لمعالجة ما طرأ على الدين من الهزال وبوادر الانحـلال فكل ذلك دليل على أن التعليم العصرى الأوربى خطر على الدين .

٦ — ونشرت الفتح فصلا مطولا تحت عنوان أخطــاء فى الكتاب المقدس (م ١٤/٣٧٣) كما نشرت أبحاثا متصــلة تحت عنوان ضــياع التوراة والانجيل (م ٣ صفحات ٢٧٧/٢٣٣) لطه صديق العبادى .

وكتبت الفتح (م ١٠) تحت عنوان (وقالت اليهود عزير ابن الله) وهذه الآية معجزة قرآنية ترد على حقائق علمية ووقائع تاريخية لم يكن على وجه الأرض فى عصر النبوة احد من البشر يعلمها فهى يومئذ لم تكن وانما كانت من العلم الالهى بأن عزرا هو أوزيرس قالت اسم عزير لم يكن معروفا عند بنى اسرائيل الا بعد دخولهم مصر واختلاطهم بأهلها واتصالهم بعقائدها واسم عزير هو (أوزيرس) كما ينطق به الافرنج، او (عوزر) كما ينطق به قدماء المصريين ، وقدماء المصريين منذ تركوا عقيدة التوحيد وانتحلوا عبادة الشمس كانوا يعتقدون بعوزر أو أوزيرس أنه ابن الله ، وبنو اسرائيل فى دور من أدوار حلولهم فى مصر القديمة استحسنوا هذه العقيدة (عقيــدة أوزيرس ابن الله) وصار اســـم أوزيرس أو عوزر (عزير) من الأسماء المقدسة التى طرأت عليهم من ديانة قدماء المصريين وصاروا يســمون أولادهم بهذا الاسم الذى قدســوه كفرا وضلالا . ان اليهود لا يستطيعون أن يدعوا فى وقت من الأوقات أن عزير كان معروفا عندهم قبل اختلاطهم بقدماء المصريين وهو فى لغتهم (عوزرا) وهى تدل على الألوهية ومعناها الاله المعين وكانت بالمعنى نفسه عند قدماء المصريين فهذا سر من أسرار القرآن ما كان على قدماء المصريين وما كان شىء من ذلك معروفا فى الدنيا قبل نزول القرآن .

وأشارت الفتح فى (م ٨) الى أن الانجيل اليونانى وردت فيه كلمة (بارقليط) معناها بالعربية احمد أو محمد ، فاليهود كانوا يعلمون بظهور ثلاثة رجال ايليا وميســا والنبى . اما ايليا فهو يوحنا المعمدان كما ذكر

المسيح في الانجيل ، ومسيا هو المسيح كما هو ظاهر الانجيل ايضا ، أما النبى فمن هو ؟ هو النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ان التاريخ والحس والواقع يحدثنا أن هذا النبى هو سيدنامحمد وهو الذى ظهر بعد المسيح وانتشر دينه فى مشارق الأرض ومغاربها .

واشارت الفتح فى مجلد ٩ أن بعض المغالطين نقل بيت شوقى محرفا

عيسى سبيلك رحمة ومحبة فى العالمين وعصمة وسلام .

فنقلها (عيسى صليبك) !

٧ ــ وأشارت الفتح الى انه فى الانجيل اليونانى وردت كلمة (بارقليط) ومعناها بالعربية أحمد أو محمد وهو بشارة تنطبق على ما جاء فى انجيل يوحنا من ورود ذكر النبى بالتعريف اذ (ال) فى النبى للعهد .

وما ورد فى انجيل يوحنا عن النبى الذى كان يتبطره اليهود مع ايليا ومسيا قال البعض ان النبى هو المسيح نفسه وقال آخرون ان نبيا من الذين ماتوا كان مزمعا أن يقوم من قبره والمعروف ان اليهود قالوا ليحيى (يوحنا المعمدان) ايليا انت ؟ قال : لا . النبى انت ؟ قال : لا . أمسيا انت ؟ قال : لا . فالسؤال عن ثلاثة أشخاص مستقل وكل واحد منهم غير الآخر ولا علاقة لأحد منهم بالآخر . فالقول أن النبى هو المسيح لا يستريح اليه العقل ، أما أن هذا النبى من الأنبياء السابقين وسيقوم من نومه فقول مردود ، لأنه غير معقول .

(انتهى البحث)

رقم الايداع ٣٠٤٤/٨٦

دار عطـــــوه للطبـــاعة